التيسير في التفسير

تأليف الإمام

أبي حفص النسفي

نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي الحنفي

٤٦١ - ٥٣٧ هـ

يطبع أول مرة محققاً على ثلاث نسخ خطية

تحقيق وتعليق

ماهر أديب حبوش

المجلد العاشر

دار اللباب

بسم الله الرحمن الرحيم

التَّيْسِير

فِي

التَّفْسِير

(١٠)

الطبعَة الأولىٰ
١٤٤٠هـ ـ ٢٠١٩م

9 786052 279311

دار اللُّباب
للدِّراسات وتحقيق التُّراث

DAR-ALLOBAB
Lubab Yazma Eserleri İhya ve İlmi Araştırma Yayınları

اسطنبول ـ تركيا
00905454729850
00902125255551
info@allobab.com

بيروت ـ لبنان
009615813966
0096170112990
Www.allobab.com

İskenderpaşa mh. Kıztaşı cd. No:7 D:5 Fatih (Özel Fatih Hastanesi Karşısı)

سُورَةُ الكَهفِ

سُورَةُ الكَهْفِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الذي خلقَ الخلق ليبلوَهم أيُّهم أحسن عملاً، الرحمنِ الذي فطر الإنسان من ترابٍ ثم من نطفة ثم سوَّاه رجلاً، الرحيمِ الذي جعل للَّذين آمنوا وعملوا الصالحات جناتِ الفردوس نزلاً.

وروى أبيُّ بن كعب رضي الله عنه عن النبي عليه السلام أنه قال: «مَن قرأ سورةَ الكهف فهو معصومٌ ثمانيةَ أيام من كلِّ فتنةٍ تكون، فإن خرج في تلك الثمانية[1] الأيام الدجَّال عصمه الله تعالى من فتنة الدجال»[2].

وقال ﷺ: «مَن قرأ عند مضجعه آخرَ سورة الكهف: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ﴾ إلى آخر السورة كان له في مضجعه[3] نورٌ يتلألأ إلى مكة، حشوُ ذلك النورِ ملائكةٌ يصلُّون عليه حتى يقوم من مضجعه، فإن كان مضجعه مكةَ كان له نورٌ يتلألأ إلى البيت المعمور حشوُ ذلك النور ملائكة يصلُّون عليه حتى يصبحَ»[4].

---

(١) في (ر) و(ف): «فإن قرأ وخرج في تلك».

(٢) رواه الضياء في «المختارة» (٤٢٩) و(٤٣٠) من حديث علي رضي الله عنه،

(٣) «في مضجعه» ليس في (أ).

(٤) رواه إسحاق بن راهويه كما في «المطالب العالية» (٣٦٥٤)، والبزار في «مسنده» (٢٩٧)، والثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٢٠٤)، والحاكم في «المستدرك» (٣٤٠٣)، جميعهم من طريق النضر بن شميل، حدثني أبو قرة الأسدي، قال: سمعت سعيد بن المسيب، يحدث عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه =

وسورة الكهف مكيةٌ، وهي مئةٌ وخمسُ آيات، وقيل: ستٌّ، وقيل: إحدى عشرةَ(١).

والاختلاف في اثنتي عشرةَ آيةً(٢): ﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣]، ﴿إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [الكهف: ٢٢]، ﴿إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ﴾ [الكهف: ٢٣]، ﴿بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ [الكهف: ٣٢]، ﴿أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾ [الكهف: ٣٥]، ﴿مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٤]، ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٥]، ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٩] ﴿عِندَهَا قَوْمًا﴾ [الكهف: ٨٦] ﴿بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا﴾ [الكهف: ١٠٣] ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥].

وكلماتُها: ألفٌ وخمسُ مئة وستٌّ وسبعون(٣).

وحروفُها: ستةُ آلاف وأربعُ مئة وسبعةٌ وثلاثون(٤).

وانتظام أول هذه السورة بآخر تلك السورة: أنَّ خَتْم تلك السورة بالتكبير وافتتاحَ هذه بالتحميد، وهما من الثناء على الله تعالى، ولأنه قال هناك أيضاً: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ فكانا حمدَين.

= قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن قرأ في ليلةٍ ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠] كان له نورٌ من عدن أبين إلى مكة حشوه الملائكة». قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وتعقبه الذهبي بقوله: أبو قرة فيه جهالة ولم يضعف. وقال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٢٩٤): رواه البزار ورواته ثقات، إلا أن أبا قرة الأسدي لم يرو عنه فيما أعلم غير النضر بن شميل.

(١) هي مئة وخمس آيات في المَدَني والمكي، وست في الشَّامي وعشر في الكوفي وإحدى عشرة في البَصْري. انظر: «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ١٧٩).

(٢) في المصدر السابق: إحدى عشرة آية، وأسقط الأخيرة: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾.

(٣) في المصدر السابق: وسبع وسبعون.

(٤) في المصدر السابق: ستَّة آلاف وثلاث مئة وستُّون حرفاً.

وأما انتظام السورتين: فإنه ذكر في تلك السورة سؤالَهم عن الروح وفي هذه السورة سؤالَهم عن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين، وكانت هذه السؤالات في دفعةٍ واحدة.

* * *

(١) ـ ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾: أي: جميعُ أنواع الشكر والأثنية والرضا لله ﴿ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ﴾؛ أي: محمدٍ المصطفى ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾؛ أي: القرآن[١] المعجِزَ المشتمِلَ على مصالح الخلق في دينهم ودنياهم.

وقوله تعالى: ﴿وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ﴾: أي: لم يجعل[٢] فيه تناقضاً واختلافاً.

* * *

(٢) ـ ﴿قَيِّمٗا لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا﴾.

﴿قَيِّمٗا﴾؛ أي: أنزله قيِّماً، قال ابن عباس والضحاك: مستقيماً[٣].

وقيل: قيِّماً على الكتب التي قبله نَسخَ منها ما نَسخ وأثبت منها ما أثبت.

وقيل: قيِّماً على سائر كتب الله تعالى يصدِّقها وينفي الباطل عنها.

وقيل: قائماً بحُجج الله تعالى إلى يوم القيامة.

وقوله تعالى: ﴿لِّيُنذِرَ﴾: أي: عبدةَ[٤] الكفَّار ﴿بَأۡسٗا شَدِيدٗا﴾ أي: ببأسٍ شديدٍ

---

(١) في (أ): «الفرقان».

(٢) «لم يجعل» ليست في (أ) و(ف).

(٣) ذكره عنهما الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٧٤).

(٤) «عبدة» من (أ) و(ف).

﴿مِّن لَّدُنْهُ﴾؛ أي: بعذابٍ شديدٍ من عنده ينزلُه بهم في الدنيا والآخرة إن أصرُّوا[1] على كفرهم بالكتاب والرسول.

وقوله تعالى: ﴿وَيُبَشِّرَ﴾: أي: وليبشِّر ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾: أي: ثواباً جميلاً في الجنة.

* * *

(٣) ـ ﴿مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾: أي: خالدين لا ينتقلون عنه ولا ينقطعُ عنهم.

* * *

(٤) ـ ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾: وخصَّ هؤلاء بالإنذار بعدما عم الجميع بقوله: ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾ لغايةِ فحش هذا الصنيعِ، وهو قول المشركين: الملائكةُ بنات الله.

* * *

(٥) ـ ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾.

﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ﴾: أي: هو جهلٌ منهم وكذبٌ وباطل، جعَله خارجاً عن العلم لدخوله فيما تُحِيله[2] العقول.

(١) في (ر): «ماتوا».

(٢) في (ف): «لا تحتمله».

وقوله تعالى: ﴿وَلَا لِآبَآئِهِمْ﴾؛ أي: قلَّدوا آباءهم وآباؤهم مثلُهم في الجهل؛ إذ لا دليلَ يجوِّزه من حسٍّ أو عقل أو خبر.

وقيل: هو قول النصارى: ﴿ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]، وقول اليهود: ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠].

وقوله تعالى: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾: أي: عظُمت هذه الكلمةُ كلمةً؛ لأنها فريةٌ على الله مستحيلةٌ في فِطَر العقول، وفيه معنى التعجُّب، كأنه قال: ما أكبر هذه الكلمة.

﴿تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾: أي: يقولونها بألسنتهم وهي في أفواههم.

وقوله تعالى: ﴿إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾: أي: ما يقولون ذلك إلا كذباً، يقولون على الله ما لم يفعل.

قال مقاتل: زعمت اليهود: إن كان ما يقول محمدٌ حقًّا أن الله تعالى أنزل عليه الكتاب فهلَّا كان كالتوراة مفصَّلاً كلُّ فصلٍ على حياله، فأنزل الله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ قيِّماً غيرَ مختلفٍ ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾ لم يُنزلْه ملتبِساً.

وقال رسول الله ﷺ لليهود: «أدعوكم إلى الله، فمَن تاب منكم عن اليهودية كفِّرت عنه سيئاته وأُعطي أجرَه مرتين»، فقالوا: قل: عزيرٌ ابنُ الله، نؤمِنْ بك، فقال: «أعوذ بالله من أن أقول: عزيرٌ ابن الله، إنما هو عبد الله داخراً صاغراً»، قالوا: إنَّا نجد ذلك في كتابنا وحدَّث به آباؤنا، وإنما قال هذا كعب بن الأشرف وحييُّ بن أخطب وأخوه جديٌّ بن أخطب، فاعتزل النبيُّ ﷺ وحزن[1]، فقال له أبو بكر وعمر وعثمان وعليٌّ وعثمان بن مظعون وزيد بن حارثة رضي الله عنهم: لا يَحْزُنك يا رسول الله

(١) في (أ): «حزيناً».

قولُهم[1] فإن الله معنا، فأنزل الله: ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ يعني: أبا بكر وعمر والذين سمَّيناهم ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝٢ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ۝٣ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ يعني: كعبَ بن الأشرف وأصحابَه، وقولُه تعالى: ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ﴾ جواب لقولهم: حدَّث بذلك آباؤنا[2].

وقال القشيري رحمه الله: إن البأس الشديد هو البقاء[3] عن الله، والابتلاءُ بغير الله، والصالحاتُ من العمل ما يصلُح للقبول، وهو [ما] يؤدَّى على الوجه المأمور.

وقيل: العمل الصالح: هو الذي لا يَستعجِل عليه صاحبه حظًّا في الدنيا: من أَخْذِ عِوَضٍ، وقبولِ قوم وانعقادِ[4] رئاسة.

والأجرُ الحسن: ما لا يجري مع صاحبه استقصاءٌ في العمل.

وقيل: هو ما يزيد مقدار الأمل[5].

وقيل: هو ما لا يُذكَّر صاحبُه تقصيرَه في العمل[6]، بل يسترُ عليه عيوب عمله[7].

* * *

(١) في (أ): «تقولهم».

(٢) لم أقف عليه.

(٣) في (ر): «التقاعد»، وفي (ف): «اكتفاء».

(٤) في (ر) و(ف): «ونفاذ». وعبارة «اللطائف»: (أو قبول جاه أو انعقاد...).

(٥) في «اللطائف»: (ما يزيد على مقدار العمل).

(٦) في (أ): «في عمله».

(٧) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٣٧٦).

(٦) ـ ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ ﴾ قال قتادة: أي: قاتلٌ نفسَك[١]. قال ذو الرُّمَّة:

ألَا أيهـذا الباخـعُ الوجـدُ نفسَـه ... لشـيءٍ نَحَتْـه عـن يديـه المقـادِرُ[٢]

هوَّن على النبي ﷺ ما يجد من الحزن بكفرِ المشركين فقال: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ ﴾: مُهلكٌ نفسك ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ ﴾؛ أي: آثارِ الكفار، وهو كنايةٌ عن إعراضهم، كأنهم إذا أعرضوا عن الإيمان نظر إليهم وهم مُعرضون[٣].

﴿إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ﴾: قال قتادة: أي: القرآنِ[٤]؛ قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ ﴾ [الزمر: ٢٣]، وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٨٧].

وقيل: ﴿بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ﴾: حديثِ أصحاب الكهف؛ أي: سألوك عنه فأخبرتَهم عنه[٥]، فلم يجعلوه دليلَ صدقك ولم يؤمنوا بك.

﴿أَسَفًا ﴾: قال قتادة والثوريُّ: غضباً[٦]، كما قال تعالى: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ﴾ [الزخرف: ٥٥].

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٦٥١)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٤٩).

(٢) «ديوان ذي الرمة» (٢/ ١٠٣٧).

(٣) في (ر) و(ف): «يعرضون».

(٤) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٣/ ٥٢٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٥/ ٣٦٠) عن السدي. وهو قول أكثر المفسرين، منهم: مقاتل والطبري وأبو الليث السمرقندي والماتريدي والثعلبي والماوردي. انظر ذلك في تفسير الآية عندهم.

(٥) في (أ): «وأخبرتهم عنهم».

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٥٠) عن قتادة. وذكره الواحدي في «البسيط» (١٣/ ٥٢٨) عن الثوري.

وقال الحسن: حزناً، وكذلك قال السدي والضحاك[١]؛ كما قال: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٤].

وكلٌّ واحد منها صحيحٌ في اللغة مستقيم في المعنى:

فإن معنى الأول: فلعلك لشدة غضبك لله تعالى تقتل نفسَك؛ لقصورك عن الانتقام منهم.

ومعنى الثاني: فلعلك لوفور شفَقتك وحرصِك على إيمانهم تقتل نفسك اغتماماً بكفرهم، قال تعالى: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ [التوبة: ١٢٨] يقول: لا تفعل ذلك وهوِّن الأمر عليك.

***

(٧) - ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ﴾: أي: الدنيا دارُ ابتلاءٍ، وبالابتلاء يَظهر الصلح وغيره، فلا تهتمَّنَّ لذلك، يقول: إنَّا زينَّا الدنيا بأصنافِ ما خلقنا[٢] فيها من المخلوقات؛ من اللباس والنبات وضروب الحيوانات وغيرها، فالأرض مزيَّنةٌ بجملةِ ذلك، وإن كان عند التفصيل قد يكون منه الشيءُ لو أُفرد عن الجملة لم يكن زينةً.

ووجه آخر: أن المعنى واقعٌ على ما هو زينةٌ في نفسه دون ما ليس بزينةٍ، والكلام

---

(١) ذكره عن الحسن الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٨٥)، وعن السديِّ الواحديُّ في «البسيط» (١٣/ ٥٢٨). ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٦٥٢)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٥٠)، عن قتادة.

(٢) في (أ): «جعلنا».

قد يُطلق عامًّا والمراد به الخصوص؛ كقول الرجل: ما أحسن نساء هذه البلدة! وإن كان لا يخلو من أن يكون فيهنَّ بخلاف ذلك. وتقديره: إنَّا خلقْنا[١] كثيراً مما في الأرض زينةً لها، وهو ما قال: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ﴾ الآية [آل عمران: ١٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾ [النحل: ٦] إلى أن قال: ﴿وَزِينَةً﴾ [النحل: ٨] وقال تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ﴾ [الحديد: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿وَٱزَّيَّنَتْ﴾ [يونس: ٢٤].

ووجهٌ آخر: أنَّا جعلنا ما جعلناه زينةً للابتلاء والامتحان، وجاز هذا الإطلاق إذ[٢] ليس المقصد الإخبارَ بتفصيل ما هو زينةٌ مما ليس بزينةٍ، بل المقصودُ الإخبارُ بأنَّ ما زيِّن منها إنما زيِّن للابتلاء، ولذلك قال أهل الأصول: الخطاب يُحمل في غير المقصود ويفصَل في المقصود[٣].

ووجهٌ آخر: أن ﴿مَا عَلَيْهَا﴾ من الحيات والعقارب وغيرِها، فكلُّ[٤] ذلك عند التأمُّل دليلٌ على صانعٍ قادر فردٍ عالمٍ لا يُشبه الأشياء، وفيها عِبَرٌ وأعاجيبُ ومنافع، فكان حسَناً في نفسه وزينةً، ومزيَّناً لغيره؛ لدلالته على ما قلنا.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ﴿زِينَةً لَّهَا﴾؛ أي: الرجال[٥].

---

(١) في (أ): «جعلنا».

(٢) في (أ): «أي».

(٣) انظر: «البحر المحيط في أصول الفقه» للزركشي (٥/ ٤٤)، وفيه: وقد فَتح الشَّافعيُّ البابَ في التَّأويل فقال: الكلام قد يُحْمَل في غيرِ مقصوده ويُفْصَلُ في مقصوده.

(٤) في (أ): «فعند».

(٥) رواه ابن المنذر وابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٥/ ٣٦١) من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس.

وقال مجاهد: العلماء[1].

وقال الكلبي: النبات[2].

وقال مجاهد في روايةٍ وابنُ جريج: ما عليها من شيء[3].

ومَن حمله على النبات فإنه يقول: ثم يصير هشيماً فذلك تذكيرٌ وتنبيه.

وقوله تعالى: ﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾: أي: نختبرَهم ونمتحنَهم بالعبادات، وتقديره: لنعاملَهم معاملةَ مَن يَختبر، وحقيقتُه: ليَظهر منهم ما عَلِمنا[4] أنه يكون منهم، وقد أشبعنا القول[5] فيه في مواضع.

وقوله تعالى: ﴿أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ قال الحسن: أي: أيهم أزهدُ في الدنيا وأترَكُ لها[6].

وقال مقاتل بن حيَّان: أيهم أعفُّ وأصلحُ فيما أوتي من المال.

وقال الإمام القشيري رحمة الله عليه: أيهم أصدقُ نيةً وأخلصُ[7] طَوِيةً.

---

(١) روي من طريق مجاهد عن ابن عباس كما في «زاد المسير» (٥/ ١٠٥ ـ ١٠٦)، ورواه أبو نصر السجزي في «الإبانة» كما في «الدر المنثور» (٥/ ٣٦١) عن ابن عباس. وأبو نصر السجزي هو عبيد الله بن سعيد الوائلي البكري السجستاني شيخ الحرم، توفي سنة (٤٤٤هـ).

(٢) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٥/ ١٠٦) عن مقاتل.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٥١ ـ ١٥٢) من طريق ابن جريج عن مجاهد، ومن طريق ابن أبي نجيح عنه.

(٤) في (أ): «علمت».

(٥) في (أ): «أسبقنا الكلام»، وفي (ف): «أشبعنا الكلام».

(٦) ذكره عنه الواحديُّ في «البسيط» (١٣/ ٥٢٩).

(٧) في (ف): «وأصلح».

قال: وقيل: ﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾: أشدُّهم استقباحاً لفعله، وأكثرهم استحقاراً لطاعته، لنظره إلى تلاشي أفعاله في جنب ما يستوجبه الحقُّ بحقِّ أمره[1].

* * *

(٨) ـ ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾: قال السُّدِّي رحمه الله: الصَّعيد الأملس، والجرُز: الميت.

وقال ابن زيد: الصعيد: المستوي، كما قال تعالى: ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٧]، والجرُز: الذي ليس فيه زرعٌ.

وقال مجاهد: ﴿صَعِيدًا جُرُزًا﴾: بَلْقعاً لا شيء فيه.

وقال ابن جُريجٍ عن مجاهد: قاعاً بَلْقعاً[2].

وقال أبو عبيدةَ: ﴿جُرُزًا﴾: غليظاً لا يُنبت شيئاً[3].

وقيل: ﴿جُرُزًا﴾: يابساً لا نبت فيه ولا زرع، يقال: جُرِزت الأرضُ فهي مجروزةٌ، وجرَزها الجراد، وأرضون أجرازٌ: إذا كانت يابسةً لا شيء فيها، وسنَةٌ جرزٌ[4]، وسِنونَ أجرازٌ ليُبسها وجَدْبها، قال الراجز:

قد جَرَفتْهنَّ السِّنونَ الأَجْرازْ[5]

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٣٧٨).

(٢) روى هذه الأقوال ـ عدا قول السدي ـ الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٥٣ ـ ١٥٤).

(٣) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٣٩٣).

(٤) أرضٌ جُرُزٌ وجُرْزٌ وجَرْزٌ وجَرَزٌ. انظر: «القاموس» (مادة: جرز).

(٥) الرجز دون نسبة في «مجاز القرآن» (١/ ٣٩٤)، و«تفسير الطبري» (١٥/ ١٥٤)، و«الصحاح» (مادة: جرز).

وأَجْرَزَ القوم: إذا صارت أرضُهم جُرُزاً[١]، وجَرَزوا أرضَهم: إذا أكلوا نباتها كلِّها، ويقال: رجلٌ جَرُوز: إذا كان كثيرَ الأكل لا يُبقي شيئاً من الطعام، وسيفٌ جُرَاز: قَطوعٌ يأتي على كلِّ شيء، ومعناه: وإنَّا لـمُفْنون الدنيا بعد حصول الامتحان وتمييزِ المحسن من المسيء، وناقلون أهلَها إلى دار البقاء والجزاء، فنَجزي كلَّ واحد منهم بما يستحقُّه، فلا تهتمَّنَّ أنت لذلك، وليس ذلك عليك[٢]، ويشتفي صدرك بما ينالهم.

* * *

(٩) ـ ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾: أي: أحَسِبْتَ أن أصحاب الغار الذي في الجبل واللوح المكتوب عليه أسماؤهم كانوا من بين[٣] آياتنا عجَباً، فليس كذلك، بل كلُّ آياتنا عَجَبٌ، وفي آياتنا ما هو أعجبُ من ذلك.

روَى العوفيُّ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: معناه: الذي آتيتُك من العلم والكتاب والسنَّة أفضلُ من شأن أصحاب الكهف والرقيم[٤].

وروَى الكلبيُّ عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما يقول[٥]: هم

---

(١) في (ف): «أرضهم جرازاً»، وفي (ر): «أراضيهم جرازاً». والمثبت من (أ) و«تفسير الطبري» (١٥/ ١٥٥).

(٢) في (ف): «فليس لك غليل»، وفي (ر): «فليس لك عليل».

(٣) «بين» من (أ).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٥٦).

(٥) «يقول» من (أ) و(ف).

عجَبٌ وغيرُهم ممن خلقتُ أعجَبُ منهم: الشمسُ والقمرُ والجبالُ والسماءُ والأرضُ والنهارُ والليل(١).

وقال الحسن: لا تحسَبْ أنهم أعجبُ آياتنا، فقد خلقنا ما هو أعجبُ من هؤلاء.

وروَى كُريبٌ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: يقول: ما قصَصْنا عليك من غير أمرهم(٢) أعجبُ منهم.

وقيل: الحسبان بمعنى العلم، ومعناه: أعَلمتَ أن هؤلاء كانوا عجباً؛ أي: فاعلم أنهم عجبٌ، كقولك: أشعرتَ أن زيداً فعل كذا؛ أي: فاشعُر والحسبان في الأصل ظنٌّ، والظن في القرآن بمعنى العلم كثير.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: يقول: لا تتعجَّبْ من قصتهم(٣)، فلَشَأْنُك أعجبُ من قصَّتهم(٤) في ذهابك إلى قاب قوسَين في بعض الليل.

وقال: أزال موضع الأعجوبة من أوصافهم حيث أضافه إلى نفسه بقوله: ﴿مِنْ ءَايَٰتِنَا﴾، وتقليبُ العادة من الله تعالى ليس بمستبدَعٍ(٥).

وقد روينا في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴾ [الإسراء: ٨٥] سبب النزول.

وطريق آخر هاهنا: ما روى الكلبيُّ عن أبي صالحٍ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بلغَنا أن قريشاً بعثوا ثمانيةَ رَهْطٍ إلى المدينة فقالوا: سلُوا اليهود عن

---

(١) ذكره دون عزو السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣٣٦).

(٢) في (ر) و(ف): «من غيرهم».

(٣) في (ر) و(ف): «قصصهم».

(٤) في (ر): «قصصهم».

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٣٧٨ ـ ٣٧٩).

محمد واصْدُقوهم نعتَه وقولَه ثم ائتونا فأخبرونا(١)، فانطلقوا حتى إذا قدموا المدينة وجدوا فيها اليهود من كلِّ أرض اجتمعوا لعيدهم، ونعَتوا لهم نَعْته، فقال لهم حبرٌ من أحبار اليهود: إن هذا لنعتُ النبيِّ(٢) الذي نحدَّث عنه أنه باعثه في هذه الأرض، قالت رسل قريش: إنه عائلٌ يتيم لم يتبعه من قومه إلا حُفالة(٣)، ولم يتبعه من أهل الرأي أحدٌ ولا من ذوي الأسنان(٤)، فضحك الحبر وقال: كذلك نجده، قالت له رسل قريش: إنه يقول قولاً عظيماً يدعو إلى(٥) الرحمن الذي باليمامة، قالت لهم علماء اليهود: اذهبوا فاسألوا صاحبكم عن خلالٍ ثلاث، فإن الذي باليمامة قد عجز عنهنَّ، فأما الاثنان من الثلاث فإنه لا يعلمُهما إلا نبيٌّ، فإن أخبركم بها فقد صدَق، وأما الثالثة فلا يجترئُ عليها أحد، قالت رسل قريش: أخبِرونا بهن، قالوا: سلوه عن أصحاب الكهف ـ وقَصُّوا عليهم وصفَهم ـ، وسلوه عن ذي القرنين ـ وحَدَّثوهم بأمره ـ، وسلوه عن الروح، فإنْ أخبركم فيها بشيءٍ فهو كاذب، فرجعت رسل قريشٍ فأخبروهم بذلك، ففرحوا بذلك، وأرسلوا إلى نبي الله فلقيهم، فقالوا: يا محمد، إنَّا سائلوك عن خلالٍ ثلاثٍ، فإنْ أخبرتَنا بهن فأنت صادق وإلا فلا تذكُرْ آلهتنا بسوء، قال: «ما هنَّ؟» قالوا: أخبِرْنا عن أصحاب الكهف فإنَّا قد أُنبئنا(٦) فيهم بآية، وأخبرنا عن ذي القرنين فإنَّا قد أتينا فيه بأمرٍ بيِّن، وأخبرنا عن الروح، فقال رسول الله ﷺ: «أنظِروني حتى أنظرَ ما يُحدِث إليَّ فيه ربي»، قالوا: إنَّا ناظِروك ثلاثاً.

---

(١) «فأخبرونا» ليس من (أ).

(٢) في (ف): «إن هذا أوان بعث النبي»، وفي (ر): «إن هذا نعت النبي».

(٣) في (ف): «حقارته». والحفالة: الحثالة، وهي من الناس من لا خير فيه. انظر: «التاج» (مادة: حفل).

(٤) في (ر) و(ف): «الأنساب».

(٥) في (ر) و(ف): «يذكر».

(٦) في (ر): «أتينا».

فمكث رسول الله ﷺ ثلاثاً لا يأتيه جبريل، ثم أتاه فقال: يا جبريل، قد رأيتني وما سألني عنه قريشٌ ثم لم تأتني بعدُ، فقال جبريل عليه السلام: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾ الآية [مريم: ٦٤]، ثم قال: إن الله يقول: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] ثم قال: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ﴾ الآية، ثم قال: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ الآيات، فلقيَهم نبيُّ الله ﷺ بعد ثلاثٍ فقص عليهم ذلك، فعجِبوا وغلَب عليهم الشيطان أن يصدِّقوه(١).

وقوله تعالى: ﴿وَٱلرَّقِيمِ﴾، روي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه سأل كعباً عن هذا فقال: هو اسم القرية التي خرجوا منها(٢).

وعن عمر مولى غُفْرَةَ(٣) قال: الكهف: الذي كان فيه القوم، والرقيم: المدينة.

وقال قتادة والضحاك: هو الوادي الذي كان فيه الكهف(٤).

وقيل: هو الجبل الذي فيه الكهف(٥).

---

(١) ذكره يحيى بن آدم في «تفسيره» (١/ ١٥٩)، وابن أبي زمنين في «تفسيره» (٣/ ٣٧)، كلاهما عن تفسير الكلبي.

(٢) رواه سفيان الثوري في «تفسيره» (٥٣٦)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (١٦٥٤)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٥٧).

(٣) هو عمر بن عبد الله، من رجال «التهذيب»، قال الحافظ في «التقريب»: ضعيف كثير الإرسال. وتحرف (غفرة) في النسخ إلى: (عفرة) بالعين. وقوله لم أقف عليه.

(٤) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٥٨).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٥٩ ـ ١٦٠) من طريق ابن جريج عن ابن عباس، وابن جريج لم يسمع من ابن عباس.

وقال عطية: هو وادٍ بين أَيْلةَ وعُسْفان[١].

وروى سعيد بن جبير رضي الله عنه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: هو لوحٌ من رصاصٍ[٢] فيه أسامي أصحاب الكهف[٣].

والتَّرقيم: الكتابة[٤]، والرَّقيم: المرقوم؛ أي: المكتوب.

وقال سعيد بن جبير: هو لوح من حجارة فيه أسامي الفتية[٥].

وقال السدِّي: كتبت أسماؤهم على صخرة على باب المدينة[٦].

وروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه: الرقيم كلب أصحاب الكهف[٧].

وحكى مالك بن سليمان صاحبُ «التفسير»[٨] عن سعيد بن جبير أنه قال: أصحاب[٩] الرقيم قوم بالسَّراة مثل أصحاب الكهف.

---

(١) رواه بهذا اللفظ الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٥٧ ـ ١٥٨) من طريق عطية عن ابن عباس. ورواه عقبه من قول عطية مختصراً بلفظ: (الرقيم واد).

(٢) في (أ) و(ف): «هو اللوح من الرصاص الذي».

(٣) علقه البخاري جزماً قبل الحديث (٤٧٢٤). وقال الحافظ في «الفتح» (٨/ ٤٠٧): وصله عبد بن حميد من طريق يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير مطولاً، وقد لخصته في أحاديث الأنبياء، وإسناده صحيح على شرط البخاري.

(٤) في (ر) و(ف): «والرقيم الكتاب».

(٥) في (أ): «أسماء الفتية»، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٥٩) بلفظ: (لوح من حجارة كتبوا فيه قصص أصحاب الكهف، ثم وضعوه على باب الكهف).

(٦) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (٥/ ٣٦٢).

(٧) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (٥/ ٣٦٢).

(٨) مالك بن سليمان الهَرَويّ، أبو عبد الرحمن السَّعديّ المفسر، توفي سنة (٢١٤هـ). انظر: «تاريخ الإسلام» (٥/ ٤٥٧).

(٩) «أصحاب» من (ف).

وقال ابن زيد: حدَّث الله تعالى عن أصحاب الكهف وترَك أصحاب الرقيم لم يحدِّث عنهم شيئاً[١].

وقيل: هم أصحاب الغار الذي انطبق على ثلاثةِ نفر، فذكر كلُّ واحدٍ منهم أصلح عمله، وسأل الله تعالى أن يكشف بذلك عنهم، فأجابهم الله تعالى وكشف عنهم وفتح لهم الغار فخرجوا منه، وهو عن النبي ﷺ في حديث فيه طول[٢].

فأما قصة أصحاب الكهف[٣]:

فقد قال وهب بن منبِّهٍ رحمه الله: إنهم كانوا فتيةً من الروم آمنوا بربهم، وكان ذلك عبرةً وتفكُّراً منهم في عظمة الله ـ جلَّ جلالُه ـ وملكِه وقدرته، لم يأتهم بذلك وحيٌ، ولم يقرؤوا به كتاباً، ولم يدركوا زمان نبوَّةٍ، وكانوا في زمنِ فترةٍ قبل أن يَبعث الله عيسى عليه السلام، وكانوا شبَّاناً متقارِبين في الأسنان من قبيلةٍ واحدة، وكانوا في حسَبٍ عظيم من أولاد عظماء الروم، وكان للروم فيهم هوًى وميل، وكان مُلك الروم في أيامهم ينتقلُ في فصيلتهم أكثر من أربع مئة عام حتى انقرضت تلك الفصيلة، وكان الروم يتمنَّون ملك هؤلاء لما قد[٤] بلغهم في زمانِ مُلكِ سلفِهم من الخفض والدَّعَة، والعافية والأمن والسَّعة، وكان ملوك العصر قد ثقُل عليهم مكانهم فجفَوهم[٥] وحرَموهم وأضرُّوا بهم مخافةً على أنفسهم، فلم تزَل تلك حالهم حتى أراد الله تعالى بهم ما أراد مِن هُداهم، ونوَّر الله تعالى الإيمان في قلوبهم، فقال قائل

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٥٩).

(٢) رواه البخاري (٢٢٧٢)، ومسلم (٢٧٤٣)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) في (ف): «أهل الكهف».

(٤) «قد» من (أ).

(٥) في (أ): «فحصوهم».

منهم: إني قد رأيت رأياً[١] في قلبي فلستُ أُبصر غيره، فاسمعوا أَعْرِضْ عليكم: إني نظرتُ في خلق السماوات والأرض، واختلافِ الليل والنهار، والشمس والقمر، والنجوم[٢] والسحاب والمطر، والأحياء والأموات، والأشجارِ والنبات، والصغارِ والكبار، والعناءِ والشدة، والرخاءِ والنعمة، وتقلُّبِ الدنيا بأهلها، والأحوالِ المختلفة من الموت والحياة، والنقصِ والزيادة[٣]، والغنى والفقر، وموت[٤] الصغير وهرم الكبير، وأشباهٍ لهذه كثيرةٍ لا يُشبه بعضها بعضاً، فلما نظرت فيها أجمعَ رأيي على أن لها خالقاً بديعاً أبدعها، وربًّا يملكها ويدبِّرها، ويخلقها ويرزقها، ويغنِيها ويُفقرها، ويرفعها ويخفِضها، ويحييها ويميتها، تتقلَّب في قبضته وتعيش برزقه، فلما تمَّ لي الأمر نظرتُ في عظمته وقدرته[٥] فإذا ليس من هذا الخلق شيءٌ يفوته، وإذا قدرتُه محيطةٌ بكل شيء، فما[٦] تقولون؟

فقالوا: قد قلتَ قولاً عظيماً، ووصفتَ أمراً عجيباً، ولا نحسبك إلا وقد أَصبتَ فيه النظر، وقد صدَّقناك وتابعناك[٧]، ورأينا رأيك، وإنْ كنا لنَرى مثلما رأيتَ، ويَخطر على قلوبنا مثلما خطر على قلبك، لكنَّا لم نشرح منه[٨] ما شرحتَ؛ لِمَا أن الله هداك

---

(١) في (ر) و(ف): «رؤيا».

(٢) بعدها في (ر): «والجبال».

(٣) في (ف): «والكثرة».

(٤) في (ر) و(ف): «ومدة».

(٥) في (ف): «وقهره».

(٦) في (أ): «فماذا».

(٧) في (ف): «وبايعناك».

(٨) في (أ): «مثل».

وأكرمك وعلَّمك ذلك[١]، حدِّثنا عما نسألك عنه: هل ينبغي لهذا الربِّ أن يكون له شريكٌ في ملكه، أو حاجةٌ إلى شيء من خلقه؟ وهل[٢] يغلبه شيء يستعين عليه بغيره؟

فقال: لو كان له شريك في شيء لضبَط ما يَضبط، ولو كان به حاجة إلى أحد من خلقه لكان مثلَهم، ولو كان يستعين على شيء يغلبه بغيره ما بَلَغتْ قدرته حيث بَلَغتْ.

قالوا له: صدَقْتَ وعرفنا ما تقول[٣]، وثبت في قلوبنا ذلك، ولكن[٤] حدِّثنا ما بالُ خلقه يُشركون به وهم يعرفونه؟

قال: لأنه خلق فيهم الأهواء، وطبَع قلوبهم على الشهوات، وجبَلهم على الضعف، وثبَّت معهم الشيطان، فمِن قِبَل هذا عدَلوا به، وهم يعرفون أن الذين يدعون من دونه لا يُحيونهم ولا يميتونهم[٥]، ولا يخلقونهم ولا يرزقونهم، ولا يضرُّونهم[٦] ولا ينفعونهم.

فعند ذلك أَجمعَ رأيُهم على أن يَأْووا إلى الكهف[٧]، وأن يعتزلوا قومَهم وما يعبدون من دون الله، فعند ذلك قالوا: ﴿رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًاۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ﴾ يقولون: فما يمنعُ هذه الآلهةَ التي تُعبد من دون الله إن كانت كما

---

(١) في (أ): «ولكن».

(٢) في (ر) و(ف): «أو هل».

(٣) في (ر) و(ف): «وعزمنا على ما تقول».

(٤) «ولكن» من (أ)، وفي (ف) بدلا منها: «حيث بلغت».

(٥) في (ر) و(ف): «من دونه لا يجيبونهم».

(٦) في (ر) و(ف): «ينصرونهم».

(٧) في (ف): «يأتوا إلى كهف».

يزعم أصحابها لا يأتون بسلطان بيِّنٍ مِثْلَ الذي وصَفْنا به ربَّنا، ومثلَ الذي يقدر عليه ربُّنا، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾.

فلما اعتزلوهم آوَوْا إلى الكهف رجاءَ أن يَنشر لهم ربُّهم من رحمته ويهيِّئَ لهم من أمرهم مرفقاً، ثم إن الله تعالى ألقى عليهم السُّبات فنوَّمهم، وهم في مدينةٍ من مدائن الروم يقال لها: أفسوس، وملكهم يومئذ دقيانوس[١]، وهم سبعةُ نفر.

وكان ابن عباس يسميهم ويقول: لا يعلمهم إلا قليل وأنا من أولئك القليل: مرطالوس، ويوبوس، وداسوس، وسرافنون وأسطاطانوس، ومسطاييس، وتمليخا[٢] وهو الذي بعثوه بورِقهم ليأتيَهم بالطعام[٣].

وكانوا قوماً يطلبون الصيد ومعهم كلابهم[٤] لِمَا مسَّهم من الضر، ليس لهم معيشةٌ غيرها، وهم يومئذ في الجبل الذي فيه الكهف[٥] يطلبون الصيد ومعهم كلابُهم وبزَّاتهم وقسيُّهم ونَبْلُهم، قد[٦] أجمع رأيُهم على أن يَأووا إلى الكهف

---

(١) في (أ): «دقيوس».

(٢) في (ف): «فرطالوس وبونوس ودابنوس وسرافنوي واسطاطانوس ومطياميس ويحانوس»، وفي (ر): «فرطالوس ديونوس ودابنوس وسرافنوى واسطاطانوس ومطليلميس ويحانوس».

(٣) في (أ) و(ف): «بطعام». والحديث رواه الطبراني في «الأوسط» (٦١١٣)، والثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٨٩ ـ ٩٠). وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٥٣): فيه يحيى بن أبي روق، وهو ضعيف. وهذه الأسماء وقع في رسمها في المصادر اختلاف كما في النسخ. ولخص القرطبي في «تفسيره» (١٣/ ٢١٦) ما تقدم بقوله: وأما أسماء أهل الكهف فأعجمية، والسند في معرفتها واه.

(٤) «ومعهم كلابهم» من (أ).

(٥) في (أ): «كهفهم».

(٦) في (ر) و(ف): «فلما».

يأتمرون فيه: أيُقيمون[١] مع قومهم على شركهم أو يفارقونهم فيختارون[٢] ناحية من الأرض يَخْلون فيها ويوحِّدون الله ربهم فيها.

فبينما هم على ذلك ألقى الله تعالى عليهم السُّبات، وأخفى الله على جميع خلقه مكانهم، فليس يبصرهم[٣] أحد ولا يفطن بمكانهم، ولبثوا في كهفهم ثلاثَ مئةٍ سنين وازدادوا تسعاً، حتى انقرضت الأمَّة التي كانوا فيها والملِكُ الذي كان عليهم[٤]، وخرج من بعدهم المسيحُ عيسى بن مريم عليه السلام، فآمَن به الناس واتَّبعوا ملَّته، ورفعه الله إليه، وذهب زمانُه وزمان أهل ملَّته وهم في كهفهم، وكان عيسى قبل أن يُرفع حدَّث عنهم وعن إيمانهم وزمانهم، وكيف ناموا في كهفهم، وكيف أخفى الله تعالى مكانهم، ولا ينبغي لأحد أن يهتديَ إليهم، وكان يُخبر أنه ستُردُّ إليهم أرواحُهم ويُدَلُّ على كهفهم ليكونوا عبرةً لمن خلْفَهم، فردَّ الله تعالى إليهم أرواحَهم بعدما رَفع عيسى بعد هذه السنين، ولزمهم كلبٌ من كلاب صيدهم فلبث سنينَهم كلَّها[٥] معهم باسطاً ذراعيه بفِناء الكهف، ولم يَطعم ذلك الكلب ولم يشرب ليكون آية.

فلما ردَّ الله تعالى إليهم أرواحهم ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾ إلى قوله: ﴿إِذًا أَبَدًا﴾ وهم حينئذٍ يظنون أن

(١) في (ف): «يأووا إلى فئة أيقيمون» وفي (ر): «يأووا إلى قبة يقيمون».

(٢) في (أ): «فيحتاجون». وفي (ر): «فينحازون».

(٣) في (أ): «يضرهم».

(٤) في (ر) و(ف): «كانوا عليه».

(٥) في (ر) و(ف): «فلبث فيهم كلباً».

قومهم أحياءٌ، وأنهم على ما يَعهدون من حالهم وشركهم، فانطلق تمليخا وكان أشدَّهم وأقواهم في أنفسهم[١]، حتى إذا خالط ربض[٢] المدينة أنكرها وأنكر كلَّ شيء خلقه الله تعالى من إنسانٍ ودابةٍ أو دارٍ أو بناء[٣]، ووجد الناسَ على حالٍ لم يكن يعهدُها، ووجدهم يتبايعون بورِقٍ لا يشبه الورِق الذي معه، فتحيَّر وأنكر، وأقبل وأدبر، وأبطأ على أصحابه حتى خافوا عليه وظنُّوا أنه قد فُطن به وقُدِر عليه.

فلما طال عليه ذلك دخل المدينة من ناحيةٍ أخرى خُفْيَةً، فوجد حال أهل المدينة على حال أهل الرَّبَض[٤] في كلِّ شيء، فلما الْتبَس عليه عَمد إلى مشيخةٍ من أهل المدينة توسَّم فيهم الخير ليتجسَّس ويستمع من قولهم، فوجد[٥] معهم الإنجيل يقرؤونه، فسمع ما فيه من توحيد الله وشرائعه وحلاله وحرامه، فعرَف ذلك وأذعن له، وأَنصت يستمع حتى إذا فرغوا من قراءتهم سألهم عن كتابهم، فقالوا: هذا كتاب الله الذي أَنزلَه على نبيِّه[٦] عيسى عليه السلام، قال: وأين عيسى؟ قالوا: قد رفعه الله إليه، قال: وكم لبث فيكم؟ قالوا: ثلاثاً وثلاثين سنة، قال: هل رأيتموه أو أدركتُم[٧] زمانه؟ قالوا: لا، كان زمانه قبل أن نُولد، ووجدنا كتابه في أيدي آبائنا، قال: فكلُّ أهل هذه المدينة يؤمِن بهذا الكتاب وهذا[٨] النبيِّ ويعمل بما فيه؟ قالوا:

---

(١) في (ر) و(ف): «وكان أشدهم قوة»، «في أنفسهم» ليس في (ف).

(٢) في (ر) و(ف): «أرض».

(٣) في (أ): «من إنسان أو دابة وبناء».

(٤) في (ر) و(ف): «أهل الرفض»، بدل: «حال أهل الربض».

(٥) في (أ): «فوجدهم».

(٦) في (ر) و(ف): «الذي أنزل على».

(٧) في (ر) و(ف): «وأدركتم».

(٨) في (ف): «وبهذا».

نعم، إلا مستخفِياً بذنبٍ أو ظالماً لنفسه، قال: فهل سمعتُم بالملك الذي يقال له: دقيانوس(١)؟ قالوا: نعم، قال: فكم له منذ هلك؟ قالوا: أكثر من ثلاث مئة سنة، قال: فهل بقيت له ذريةٌ أو أحد من أهل ملَّته يعمل عملَه(٢) وعملَ قومه؟ قالوا: لا، قال: فلو أراد أحد أن يعمل مثل عمله؟ قالوا: نقتله أو نُخرجه من بين أظهُرنا، فلما أمِنَهم واطمأنَّ إليهم ورأى سِمة الإسلام عليهم بما وفَّقهم الله تعالى بمسائلتهم عنها قال: أخبِروني؛ هل كان نبيُّكم عيسى عليه السلام يخبركم عن سبعةِ رَهْطٍ(٣) خرجوا من هذه المدينة في زمن دقيانوس وقومه هرباً إلى الله تعالى بأنفسهم ودينهم، وفراراً من دقيانوس وقومه(٤) حتى أووا إلى كهفٍ من هذه الجبال؟ قالوا: نعم كان يخبرنا عنهم فلعلك منهم فإنا أنكرنا حالكَ كلَّه! قال: فهل كان عيسى يسمي فيما بلَغكم أسماء(٥) أصحابِ الكهف؟ قالوا: نعم، وسمَّوهم، فلما ذكروا تمليخا قال: فأنا تمليخا، وأنا أحدهم، فخرُّوا له سجَّداً كما صنع إخوةُ يوسف بيوسف يومَ دخلوا عليه كانت تحيتُهم ذلك، ثم أدخَلوه مسجدهم وعظَّموه وأكرموه ورفَعوه، وجمعوا له أهلَ مدينتهم وعلماءَهم فتمسَّحوا به كلُّهم، وجعلوا له عيداً عظيماً، وأقام أياماً بين أظهُرهم، ثم إنه قال لهم: إن أصحابي لا أُراهم إلا قد خافوا عليَّ وساء ظنُّهم وهم يظنون أن دقيانوس حيٌّ، وأن الزمان زمانُه والدِّينَ دينُه، فانطلِقوا نُعْلمُهم كيف أهلكهم الله تعالى وطهَّر الأرض منهم، وكيف استبدل تعالى بهم أمةً يوحِّدونه ويَهدون بالحق وبه يعدلون.

---

(١) في (أ): «دقيوس»، وكذا في المواضع الآتية.

(٢) في (ر) و(ف): «من أهل بيته يعمل بعمله».

(٣) في (أ): «نفر».

(٤) بعدها في (ف): «ودينه».

(٥) «أسماء» ليست في (ف).

فانطلَقوا حتى انتهوا إلى الكهف، فوجدوا كلبهم باسطاً ذراعيه بالوصيد، قالوا: هذا الكلب أيضاً من علاماتكم التي كان يحدِّثنا عنها عيسى عليه السلام، وقد كان يحدِّث أنه لا يَنظر إليهم أحد مِن خلق الله من يومِ يدخلون الكهف إلى أن ينزل عيسى، إلا إلى رجل منهم وهو الذي يدل على مكانهم وأنت هو، فدخل على أصحابه فأخبرهم بما رأى وسمع ثم كان آخِرَ العهد منهم.

وائتمر الناسُ فيهم وتنازَعوا، حتى اجتمعوا أن يتَّخذوا عليهم مسجداً يَبنونه حول الكهف، ويجعلون الكهف وسطه، ويكتبون قصتهم في حيطانه، فذلك قوله: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ﴾.

قال وهب: وبلغني أن النبيَّ ﷺ قال: «إن الله تعالى يُنشِر أصحاب الكهف عند نزول عيسى عليه السلام ويُخرجهم من كهفهم»[1].

* * *

(١٠) ـ ﴿إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ ﴾: أي: كانوا عجباً حين التَجؤوا إلى الكهف فراراً بدينهم.

﴿فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ ﴾: أي: أعطِنا من عندك رحمة ﴿وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا ﴾ الرَّشَد: إصابةُ الطريق المؤدِّي إلى البُغية، وكذا الرُّشْد والرَّشاد، وصَرْفه من باب دخل وعلم جميعاً.

* * *

(١) لم أقف عليه.

(١١) ـ ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾.

فاستجاب الله تعالى دعاءهم، وذلك قولُه عز وجل: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾: أي: أَنَمْناهم ومنعناهم السماعَ، ومجازُه: ضربنا السور[١] على آذانهم.

وقال القتبيُّ: هذا من فَصاحات القرآن التي أقرَّت العرب بالقصور فيها عن الإتيان بمثلها؛ لأن هذا لو نُقل بلفظه إلى لفظٍ آخر لم يُفهم منه ذلك، وإن قيل: أَنَمْناهم فهو ترجمةٌ للمعنى دون اللفظ[٢].

وقوله تعالى: ﴿عَدَدًا﴾ قال الفرَّاء: أي: معدودةً[٣]، فالعَدُّ المصدر[٤]، والعدد اسمٌ للمعدود، كالنَّقص بمعنى المنقوص، والرَّفض بمعنى المرفوض، ويَصلح للواحد والجمع.

وقال الزجَّاج: ﴿عَدَدًا﴾؛ أي: تُعدُّ عدداً لكثرتها؛ لأن القليل يُعلم[٥] مقدارُه من غير عدٍّ، فإذا كثر عُدَّ[٦].

فأما قوله: ﴿دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ [يوسف: ٢٠] فهي على القلة؛ لأنهم كانوا يعدُّون القليل ويَزِنون[٧] الكثير.

---

(١) في (ر) و(ف): «السنون». والمثبت من (أ)، والمراد: ضربنا عليها حجاباً من أن تسمع، فحذف المفعول الذي هو الحجاب كما يقال: بنى على امرأته، يريدون: بنى عليها القبة. انظر: «الكشاف» (٢/ ٧٠٥)

(٢) انظر: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ٢٢ ـ ٢٣).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٣٥).

(٤) في (أ): «مصدر».

(٥) في (أ): «يعرف».

(٦) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٧١).

(٧) في (أ): «ويزنون».

(١٢) ـ ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ﴾: أي: أيقظناهم من نومهم لم تغيِّرهم السِّنون.

﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ﴾: أي: لنَعلم اختلافَهما موجوداً واقعاً كما علِمناه قبل وجوده أنه يوجد، وقد شرحناه مرات.

وقيل: أي: لنبيِّنَ لهم ولغيرهم أنَّ الحزبَين لا يُحصِيان مبلغَ مدة لبثهم في الكهف، كقولك: سأُمهِلُك تتفكَّر في هذا الأمر لأنظرَ كيف استخراجُك له، أو: لأعلم كيف بصرُك به، وهو يريد: إني أفعل ليَظهر أنك لا تعرفه.

وقيل: ﴿لِنَعْلَمَ﴾؛ أي: ليَعلم أوليائي.

و﴿أَيُّ الْحِزْبَيْنِ﴾ قال مجاهد: أي: أيُّ الفريقين من قوم الفتية[1]: أهل الهدى أو أهل الضلالة.

وقال السدِّي: أي: اليهود والنصارى[2].

وقيل: هم من الفتية أنفسِهم حيث قالوا: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ﴾.

وقيل: أحدهما أصحاب الكهف والآخر أصحاب الرقيم، وهم الذين كتبوا أسماء أصحاب الكهف بعدهم.

وقيل: هما طائفتان من المسلمين اختلفوا في ذلك.

وقوله تعالى: ﴿أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا﴾: أي: عَلِم وتحقَّق، كما قال تعالى: ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٧٧).

(٢) ذكره تاج القراء الكرماني في «غرائب التفسير» (١/ ٦٥٢).

وقوله تعالى: ﴿أَمَدًا﴾: أي: غايةً، مفعولُ ﴿أَحْصَىٰ﴾، وتقديره: أحصَى أمداً لِمَا لبثوا؛ أي: أمد ما لبثوا، وهو نظير قولك: ضربتُ لزيدٍ غلاماً؛ أي: غلاماً لزيدٍ، وحاصله: غلامَ زيد، وهو قول المحقِّقين.

وقال الفراء: ﴿أَحْصَىٰ﴾ أفعل للتفضيل؛ أي: أعلمُ بمقدار لبثهم، و﴿أَمَدًا﴾ نصب على التفسير[1].

وقالوا: هذا غير خارجٍ على ظاهر اللغة؛ لأن ما كان فعلُه من (أَفْعَلَ) لا يقال فيه: هو أفعلُ من فلان، إنما يقال: أشدُّ إفعالاً منه، فكان ينبغي أن يقال: أشدُّ إحصاء.

وقال الزجَّاج: ﴿أَمَدًا﴾ نصب بـ ﴿لَبِثُوٓاْ﴾[2]؛ أي: هو نصبٌ على الظرف.

* * *

(١٣ ـ ١٤) ـ ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ﴾: أي: بالصِّدق ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ﴾؛ أي: شبَّانٌ.

وقال مجاهد: لقد حدِّثتُ أنه كان على بعضهم أوضاحُ الوَرِق من حداثته[3].

وقوله تعالى: ﴿ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ ﴾: أي: صدَّقوا بوحدانيته ﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾؛ أي: ثباتاً ويقيناً ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾؛ أي: شدَدْناهم ووفَّقْناهم وألهمناهم الصبرَ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٣٦).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٧١).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٦٥).

وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَامُوا﴾: قال قتادة: أي: قاموا من رقدتهم.

وقال السدِّي: قاموا بباب البلدة.

وقال مجاهد: قاموا يقصدون الخروج ومفارقةَ القوم.

وقوله تعالى: ﴿فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا﴾: أي: لن نعبد[1] ﴿مِن دُونِهِ إِلَٰهًا﴾؛ أي: لن ندعو غيرَه معبوداً.

وقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾: أي: قلنا جَوراً وعدواناً لو دعونا غيره إلهاً.

* * *

(١٥) ـ ﴿هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا﴾: أي: اعتقدوا ﴿مِن دُونِهِ آلِهَةً﴾ بتقليدٍ من غيرِ حجة.

وقوله تعالى: ﴿لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾: أي: هلَّا يقيمون على آلهتهم سلطاناً بيِّناً؛ أي: حجةً بيِّنةً أن عبادتها جائزةٌ أو واجبة.

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: أي: فلا أظلمُ من هؤلاء لأنفسهم ولا أوضعُ للعبادة في غير موضعها، افتروا على الله كذباً، اختلفوا فقالوا: له شريك.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: سمَّاهم فتيةً لأنهم آمنوا على الوهلة بلا مهلة؛ لِمَا أتاهم من دواعي الوُصلة.

---

(١) «أي: لن نعبد» من (ف).

وقيل: سماهم فتيةً لأنهم قاموا بالله وما استقرُّوا حتى وصلوا إلى الله.

وقال في قوله: ﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾: لاطفهم بإحضارهم ثم كاشفهم في أسرارهم بما زاد في أنوارهم.

وقال في قوله: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾: أي: أغنيناهم عن الأغيار، وأوليناهم من أنوار الاستبصار.

وقيل: ربطنا عليها بما استقرَّ فيها من شواهد الغيب، فلم يَهْجس فيها خواطر[1] الريب.

وقال في قوله: ﴿إِذْ قَامُواْ﴾: أي: قاموا لله وبالله[2]، ومَن قام لله قعد عمَّا[3] سوى الله.

وقيل: مَن قام بالله[4] لم يقعد حتى يصلَ إلى الله.

وقيل: قعدت عنهم الشهوات فصحَّ قيامهم لله[5].

* * *

(١٦) ـ ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾: أي: سوى الله.

---

(١) في (ر): «خاطر».

(٢) «وبالله» زيادة من (أ).

(٣) في (ف): «تخلى عما»، وفي (ر): «فقد عمي عن».

(٤) في (أ): «لله».

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٣٨١).

وقيل: معنى الاستثناء أنه كان فيهم مَن يعبد الله، وقالوا: كان فيهم رجلان يكتمان إيمانهما، وهما كتَبا أسماء الفتية وقت مفارقتهم قومهم.

أي: قال بعضهم لبعضٍ: وإذا فارقتُم قومَكم وآلهتهم ﴿فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾: يبسطْ لكم ربُّكم ما يُصلح لكم دينكم ومعاشكم.

وقوله تعالى: ﴿وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾: قرأ نافع وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر: ﴿مَرْفِقاً﴾ بفتح الميم وكسرِ الفاء، وقرأ الباقون بكسر الميم وفتح الفاء[1]، وهما لغتان فيما يُرتفق به؛ أي: يُنتفع به.

وقيل: أرادوا به الغداءَ، وكانوا يحتاجون إليه ويخافون الخروج والطَّلب[2]، فدعوا الله أن يهيِّئ لهم ذلك.

وقيل: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾ خطابٌ من الله لهم إلهاماً، أو إخباراً أنه فعَل بهم ذلك[3]؛ كما قلنا في قوله: ﴿وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُواْ ٱلْأَرْضَ﴾ [الإسراء: ١٠٤]؛ أي: أسكنَّاهم، فمعناه هاهنا: آويناهم في[4] الكهف وكفَيناهم أمرَ القُوت كما فعلنا بمريم: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾ [آل عمران: ٣٧]، ويتصل به على الطريقين[5] قولُه تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ﴾ الآية.

وقال القشيري رحمه الله: مَن تبرَّأ من[6] اختياره في احتياله، وصدَق رجوعَه

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٨٨)، و«التيسير» (ص: ١٤٢). وقراءة أبي بكر عن عاصم ذكرها ابن مجاهد من طريق الكسائي عن أبي بكر، ولم يذكرها الداني.

(٢) في (ر) و(ف): «والظلم».

(٣) بعدها في (أ): «لهم».

(٤) في (أ): «إلى».

(٥) في (أ): «الطريق».

(٦) في (أ): «عن».

إلى الله في أحواله، ولم يستعِنْ بغير الله من[1] أشكاله، آواه إلى كَنَف أفضاله، وكفَاه جميع أشغاله، وهيَّأ له محلًّا يتفيَّأ فيه من برد ظلاله بكمال إقباله[2].

***

(١٧) ـ ﴿ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ﴾: قرأ ابن عامر: ﴿تَزْوَرُّ﴾ مثلَ تحمرُّ، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي: ﴿تَّزَٰوَرُ﴾ خفيفةً، وقرأ الباقون: ﴿تزَّاور﴾ مشدَّدةً[3]، وأصله: تتزاور، فعلى الإدغام تشدَّد وعلى الحذف تخفَّف، والتزاوُر والازورار: الميلُ والانحراف.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾: أي: تعدِلُ عنهم وتميل يسرةً.

وقال أبو عبيدة: تخلِّفُهم وتجاوِزُهم وتقطَعُهم وتتركهم عن شمالها[4].

وفي كتاب الخليل: القرضُ في السير: إذا عدَلْتَ عن شيء في مسيرك قلتَ: قرضتُ يمنةً ويسرةً؛ أي[5]: في السير؛ أي: تركته عن اليمين أو عن الشمال، قال ذو الرُّمَّة:

إلى ظُعُنٌ يَقْرِضنَ أقوازَ مُشْرِفٍ ... شمالاً وعن أيمانهن الفوارسُ[6]

---

(١) في (ر) و(ف): «في».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٣٨٢).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٣٨٨)، و«التيسير» (ص: ١٤٢).

(٤) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٣٩٦).

(٥) في (أ): «أو»، وسقطت العبارة من (ر) و(ف)، والصواب المثبت، ويستقيم الكلام بحذفها أيضاً.

(٦) انظر: «العين» (٥/ ٥٠). والبيت في «ديوان ذي الرمة» (٢/ ١١٢٠)، و«مجاز القرآن» (١/ ٣٩٦)، =

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: كان الكهف مُقابلَ[(١)] بناتِ نعشٍ[(٢)]، وكانت الشمس تميل عن كهفهم في طلوعها وغروبها وجريِها؛ لأن مَطلِعها كان على يمينهم ومغرِبها على شمالهم، فلم تكن في حالٍ تَدخل عليهم فتؤذيهم بحرِّها وتُشْحب[(٣)] ألوانهم وتُبلي ثيابهم[(٤)].

﴿وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾: أي[(٥)]: في متَّسَع ينالهم النسيم فينتفي بذلك عنهم غمَّة الغار وكربُه.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: أي: ما اختاره الله تعالى لهم من هذا الموضع، وهو لطفٌ من الله بأوليائه.

= و«غريب الحديث» لأبي عبيد (٤/ ١٥٠)، و«تفسير الطبري» (١٥/ ١٨٧)، و«معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٧٣)، و«الصحاح» (مادة: قوز)، و«تثقيف اللسان» لأبي حفص عمر بن خلف الصقلي (ص: ٢٦٨). ووقع في جميع النسخ: «لها ظعن»، والمثبت من المصادر، والمعنى: نظرت إلى ظعن يجزن بين هذين الموضعين، والمشرف والفوارس موضعان. والأقواز كما قال الجوهري: جمع القَوز، وهو الكثيب الصغير. ورواية الديوان وبعض المصادر: (أجواز)، قال أبو حفص: والأجواز: الأوساط.

(١) في (ر) و(ف): «يقابل».

(٢) بنات نعش: سبعةَ كواكب تشاهد جهة القطب الشمالي، شبهت بحملة النعش. انظر: «المعجم الوسيط» (مادة: نعش).

(٣) في (ر): «وتسخف»، وفي (ف): «وتسحت».

(٤) لم أجده عن ابن عباس، لكن ذكره الواحدي في «البسيط» (١٣/ ٥٥٣) عن الكلبي، فلعل بعضهم رواه من طريقه عن ابن عباس، وهذا القول قد اعترضه بعض العلماء بأنه إخراجٌ لِمَا وقع في شأنهم من خوارق العادات عن حدِّها ببيان أسبابها العاديَّة. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٧٣ ـ ٢٧٤)، و«تفسير البغوي» (٥/ ١٥٧)، و«تفسير ابن كما باشا» عند هذه الآية، و«روح المعاني» (١٥/ ٢٣١). وسيأتي تنبيه المؤلف على هذا الاعتراض قريباً.

(٥) في (أ): «وكانوا في فجوة»، وفي (ر): «وكانوا ﴿وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾ أي».

وقيل: بل كان عدولُ الشمس عنهم في طلوعها وغروبها وحرِّها خارجاً عن العادة تخصيصاً لهم؛ ليكون ذلك من آيات الله كرامةً لهم، وتغييرُ العادة بطريق الكرامة جائزٌ لأولياء الله عند أهل السنَّة والجماعة، وكان هذا في حقهم كإبقائهم أحياءً في طول هذه المدة من غير غذاءٍ، وإبقاءِ ثيابهم على حالها كذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ﴾ خطابٌ للنبي ﷺ، ولم يُردْ به حقيقة الرؤية لكن معناه: تحصيلُ العلم له بالإخبار عن أحوالهم.

وقوله تعالى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾: كهؤلاء الفتية ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾: مَن يواليه ويتولَّاه ويرشدُه إلى[1] مصالحه.

وقيل: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: ما أخبرْنا من قصتهم آيةُ صدقِ دعواك النبوةَ، فمَن هداه الله تعالى بها[2] صدَّقك، ومَن أضلَّه الله تعالى كذَّبك.

* * *

(١٨) ـ ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾: جمع يَقُظٍ ويَقِظٍ ـ بضم القاف وكسرها ـ وهو اليقظان، قيل: أي: لانفتاح أعينهم حال نومهم.

وقيل: أي: لكثرةِ تقلُّبِهم كما يتقلَّب اليقظان.

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾؛ أي: نيام.

---

(١) في (أ): «في».

(٢) «بها» ليس من (أ).

وقوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾: أي: جعلناهم يتقلَّبون يميناً وشمالاً، وأضاف التقليب إلى نفسه لأنه بتخليقه.

وقيل: كانت الملائكة يقلِّبونهم بأمر الله تعالى، وهذا في رقدتهم قبل أن يشعر بهم قومهم.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ولو لم يُقلَّبوا لأكلتهم الأرض[1].

وقال عبدُ ربِّه: كانوا يقلَّبون في كلِّ عام مرتين[2]، وكذا عن سعيد.

وقال الكلبي وجماعةٌ: في كلِّ سنةٍ على جَنْبٍ[3].

وقال مجاهد: مكثوا ثلاثَ مئة سنةٍ على شقٍّ واحد، وكانوا يقلَّبون[4] تسعَ سنين[5].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٨٦ و١٩١).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٦٨١٥) (ت: محمد عوامة) من طريق قتادة عن عبد ربه عن أبي عياض. ورواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٩١) عن قتادة قال: وذكر لنا أن أبا عياض قال: لهم في كل عام تقليبتان. وأبو عياض هو المدني قال عنه الحافظ في «التقريب»: مجهول، وقيل: اسمه قيس بن ثعلبة. وعبد ربه هو ابن أبي يزيد. ويقال: ابن يزيد، ويقال: عبد رب. انظر: «تهذيب الكمال» (١٦/ ٤٨٨). وهذا القول ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ١٦٠)، والبغوي في «تفسيره» (٥/ ١٥٨)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وروى معناه ابن أبي حاتم وابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٥/ ٣٧٣) عن ابن عباس، ولفظه: ستة أشهر على ذي الجنب، وستة أشهر على ذي الجنب.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ١٦٠)، والبغوي في «تفسيره» (٥/ ١٥٨)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) في (ر) و(أ): «وكانوا يتقلبون في».

(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٩٢) بلفظ: (إنما قلِّبوا تسع سنين بعد ثلاث مئة سنة لم =

وقوله تعالى: ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾: قيل: كان لهم كلبٌ فتبِعهم.

وقيل: لأحدهم فتَبِعه.

وقال أبو رَوق: لم يكن الكلب من شأنهم، لكنهم مرُّوا براعي غنم فقال لهم: أين تذهبون؟ فقالوا: نَفِرُّ بديننا من هذا الجبَّار، فقال الراعي: ما أنا أَغْنَى عن ربِّي منكم، فترك غنمه ولحق بهم فتبعه كلبُه.

قال ابن جُريجٍ: وكان كلباً أحمرَ، اسمه قطمور[1].

وقوله تعالى: ﴿بِالْوَصِيدِ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهدٌ وقتادةُ والضحاك: بالفِناء[2].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في روايةٍ: بالباب[3]، ولم يكن له باب ولكنْ أراد به موضعَ الباب، وكذلك قال أبو روق: فم الشِّعب.

وقال ابن جريجٍ: كان يمسك عليهم الباب[4].

وقوله تعالى: ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾: قرأ ابن كثير: ﴿وَلمُلِّئْتَ﴾ بالتشديد للمبالغة، وقرأ الباقون بالتخفيف على أصل الفعل الثلاثي المتعدِّي[5].

= يقلبوا فيها). وأورده الواحدي في «البسيط» (١٣/ ٥٥٨) بخلاف هذا فقال: وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: (يمكثون رقودًا على أيمانهم تسع سنين، ثم يقلبون على شمائلهم فيمكثون رقودًا تسع سنين).

(١) رواه ابن المنذر في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (٥/ ٣٧٣).

(٢) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٩٢ ـ ١٩٣).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٩٤).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٩٢).

(٥) انظر: «السبعة» (ص: ٣٨٩)، و«التيسير» (ص: ١٤٣). وقراءة نافع فيهما كقراءة ابن كثير.

﴿رُعْبًا﴾؛ أي: خوفاً.

وهذا خطابٌ للنبيِّ ﷺ، ولم يُردْ به اطِّلاعه حقيقةً، لكنه الإخبارُ عن حالهم على تقدير: أن أحداً لو اطَّلع عليهم كان كذا، يقول: لو نظرتَ في كهفهم نظراً من فوقهم لهربتَ منهم ولامتلأتَ خوفاً.

وقيل في معناه وجوه(١):

أحدها: لو رأيتَهم لظننتَ أنهم يريدونك؛ لأن أعينَهم كانت مفتوحةً(٢).

وقيل: هذا وصفُ وحشةِ مكانهم؛ أي: لو نظرتَ إلى موضعهم لهالَتْك وحشةُ مكانهم، وكان الله تعالى لطفَ بهم في هذا الموضع الوحشي ليَنفر الناس عنهم ولا يَقْرَبوهم لطلبهم، أو(٣) يكونُ مدحاً لهم برضاهم بمثل هذا الموضع(٤).

وقيل: كان الناس محجوبين عنهم بالرعب لئلا يَصِلوا إليهم.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: كما ذكَرهم ذكَر كلبهم، ومَن صدَق في محبة أحدٍ أحبَّ مَن يُنسب إليه وما يُنسب إليه.

وقيل: كلبٌ خَطَا مع أحبابه خطواتٍ فذكَره الله تعالى في كتابه، أتَرى أن مسلماً يَصحب أولياءه من وقتِ شبابه إلى مشيبه يردُّه يوم القيامة خائباً؟

وقيل: قالوا للراعي: اصْرِف الكلب عنَّا، فقال: لا يمكنني لأني(٥) أنا ربَّيته، ولمَّا ضربوه قال: لا يمكنني أن أنصرف لأنه ربَّاني.

---

(١) في (أ) و(ف): «بوجوه».

(٢) في (أ): «منفتحة»، وفي (ف): «مفتحة».

(٣) في (ف): «و»، ولها وجه، وتكون من تتمة القيل المذكور.

(٤) في (أ) و(ف): «المكان».

(٥) «لأني» ليست في (أ)، وفي «اللطائف»: (فإني).

وقيل: كلبٌ بسط يده على وصيدِ الأولياء فإلى القيامة يقال: ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ﴾، فيَدٌ رفعها مسلم إلى الله خمسين سنة يردُّها خائبة؟ هذا لا يكون.

وقال: يقول الله تعالى في حقهم: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ ويقول في حقنا: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ الآية [المجادلة: ٧]، فشتَّان ما بين المنزلتين.

وقال: لمَّا لم يجاوزِ الكلب قَدْره، ووضع على الوصيد يده، بقي مع الأحباب، وكذا مَن حفِظ أدب الخدمة[١].

***

(١٩) - ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ﴾: أي: كما أَنمناهم وحفظنا عليهم أبدانهم وثيابهم كذلك أيقظناهم ﴿لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ﴾؛ أي: كانت عاقبةُ أمرهم أن يتساءلوا[٢] بينهم عن مدة لبثهم في النوم.

﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ﴾: أي: رئيسُهم: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ قيل: إنما سألوا[٣] لأنه راعهم[٤] ما فاتهم من العبادة في ذلك النوم عند أنفسهم.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٣٨٥).

(٢) في (أ): «تساءلوا».

(٣) في (ف): «سألهم».

(٤) في (أ): «لأنهم راعوا»، وفي (ف): «لمراعاة».

﴿قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا﴾: قال الحسن: دخلوا الكهف أولَ النهار، فنظروا حين استيقظوا فإذا هو آخرُ النهار، فقالوا: ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا﴾ ثم رأوا من الشمس بقيةً فقالوا: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ فكان عندهم[1] كذلك، فلم يوصفوا فيه بالكذب ولم يؤاخَذوا.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾: ورُوي أن ابن عباس رضي الله عنهما استدلَّ بهذه الآية على أن الصحيح من الأقوال في عددهم أنهم سبعة؛ لأنه قال في الآية: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ﴾ وهذا واحد، وقال في جواب قول هذا: ﴿قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ و﴿قَالُوا۟﴾ فعلُ الجمع وأقلُّه ثلاثة، ثم قال: ﴿قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ وهذا قولُ جمعٍ آخَرين سواهم؛ لأنه قال: ﴿قَالُوا۟﴾ وهذا جمعٌ، وقال بعده: ﴿رَبُّكُمْ﴾ وهذا خطابُ الجمع فهم ثلاثةٌ آخرون، فصاروا سبعة.

وقوله تعالى: ﴿فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾: قرأ أبو عمرو وحمزةُ وعاصم في رواية أبي بكر: ﴿بوَرْقِكم﴾ بسكون الراء، وقرأ الباقون: ﴿بِوَرِقِكُمْ﴾ بكسر الراء[2]، وعن أبي عمرو في روايةٍ إدغامُ القاف في الكاف[3].

وتفسيره: بفضَّتكم هذه، وكانوا أخذوا فضةً للحاجة إليها في طريقهم.

وقوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرْ﴾: أي: هذا المبعوث ﴿أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾ فليشترِه، وفيه دليلٌ على[4] جواز الوكالة.

والزكاةُ في اللغة عبارةٌ عن النماء وعن[5] الطهارة، واختلف في تفسير هذا:

---

(١) في (أ): «عندكم».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٣٨٩)، و«التيسير» (ص: ١٤٣).

(٣) انظر: «الحجة للقراء السبعة» لأبي علي الفارسي (٥/ ١٣٦).

(٤) «على» من (أ).

(٥) «عن» ليست في (أ).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: أَحَلُّ ذبيحةً، وكانوا يذبحون للطواغيت[١].

وقيل: كانوا يذبحون الخنازير.

وقيل: كانوا يأكلون الميتة.

وقيل: ﴿أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾: ما لا غصبَ فيه ولا ظلم.

وقال سعيد بن جبير[٢]: أطيبُ طعاماً وألذُّ[٣].

وقيل: أكثرُ رَيعاً.

وقيل: أرخصُ وأجود، يقال: طعام زكيٌّ؛ أي: رخيصٌ جيد.

وقوله تعالى: ﴿فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾: عن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية وهو عن علي رضي الله عنه أيضاً أنه الأَرزُّ[٤]، وعلى هذا قولُه: ﴿أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾؛ أي: أكثر ريعاً، فإنه يزاد[٥] بالطبخ، وهو من تدبيرِ قليلِ البضاعة.

وقوله تعالى: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾: أي: وليستعملْ دقائق التدبير في دخول المدينة وشرائه الطعام؛ ليَخْفَى مكانه فلا يُعلمَ به في ذهابه وإيابه.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾: أي: ولا يُعلمنَّ بأخباره، ويحتمِل: بترك التلطف فيُشعَر به، فكأنه أشعَرَهم.

---

(١) » رواه سعيد بن منصور وابن أبي حاتم وابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٥/ ٣٧٤).

(٢) «بن جبير» من (أ).

(٣) » لم أجده عن سعيد بن جبير، وروى عنه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٦٦٣)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢١٣)، قوله: (أحلُّ).

(٤) لم أقف عليه عنهما، وذكره القرطبي دون عزو. انظر: «تفسير القرطبي» (١٣/ ٢٣٧).

(٥) في (أ): «يزداد».

(٢٠) ـ ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾.

وقوله: ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾: ويستولوا عليكم[١] ﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾؛ أي: يقتلوكم ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾؛ أي: يردُّوكم إلى الكفر ﴿وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾؛ أي: ولن تفوزوا بخيرٍ أبداً إذا ارتدَدْتم[٢].

* * *

(٢١) ـ ﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾: قال ابن عباس وعطاء: أَطْلَعْنا عليهم[٣].

وقيل: أظهَرْنا، وهو قول ابن جريجٍ[٤]، وأصله: أنَّ مَن عثر برجله على شيء وهو غافل نظر إليه حتى يعلمَه، فاستُعير العثور للظهور.

ومعناه: كذلك؛ أي: كما[٥] كانت قصتهم أطلعنا عليهم الناس.

وقيل: كالذي أخفينا آثارهم على أهل عصرهم أشعَرْنا بذلك مَن بعدهم لِمَا كان فيه من الحكمة.

---

(١) «ويستولوا عليكم» من (أ).

(٢) في (ر): «إذا عدتم»، وفي (ف): «إن رددتم».

(٣) رواه ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٥/ ٣٧٤) عن ابن عباس.

(٤) ذكره الماوردي دون عزو في «النكت والعيون» (٣/ ٢٩٥).

(٥) في (ر) و(ف): «ومعنى ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي: لما».

قال ابن عباس رضي الله عنهما: فلما بعثوا تمليخا ودخل المدينة أنكر أهلَها ولم يعرف منهم أحداً، وكان ظهر على البلدة ملكٌ مسلم يقال له: أسحا[١]، وحملهم على الإسلام ومحقِ[٢] الأصنام، فأتى تمليخا إلى حانوت خبَّاز فأخرج وَرِقه، فأنكر الخباز فقال له: إنك وجدتَ كنزاً، وهذه الدراهم من ضرب دقيانوس، فإن أعطيتَني من ذلك الكنز وإلا رفعتُ أمرك إلى الملك، قال تمليخا: إني خرجتُ[٣] مع أصحابٍ لي من البلدة، فرفعه إلى الملك فقال له الملك: من أين جئت بهذا الدرهم؟ قال: خرجت به من هذه البلدة عشيةَ أمس، فقال الملك: إنك تُريني أنك مجنون، لَتُخبرنِّي من أين جئتَ بهذا الدرهم أو[٤] لأقتلنك، فقصَّ عليه القصة، وكان هناك شيوخٌ فقالوا: أيها الملك، حدَّث آباؤنا أن فتيةً سبعةَ نفر[٥] فرُّوا بدينهم من دقيانوس، ولعله صادقٌ، فاركب حتى نخرج معك فننظرَ إلى الكهف وإليهم، فلعل هذا أمرٌ يريد الله أن يُظهرك عليه، فركب الملك وركبوا حتى أتوا باب الكهف، فسبقهم تمليخا وقال لهم: أتاكم الملك، فظنوا أنه دقيانوس الكافر وخافوا على أنفسهم، فدخل عليهم الملك والناس وسألوهم[٦]، فبينما هم يتحدثون إذ سقطوا ميتين، فقال الملك: إن هذا لعجبٌ فما ترون؟ فاختلفوا فقال بعضهم: نبني عليهم بنياناً. وقال بعضهم[٧]: نتخذ عليهم مسجداً على باب الكهف[٨].

---

(١) في (أ): «استخا»، وفي (ف): «استحا».

(٢) في (ر): «ومحو».

(٣) في (ف): «قال أنى لي بها»، وفي (ر): «قال آتي بها».

(٤) في (أ): «وإلا».

(٥) «نفر» زيادة من (أ).

(٦) في (أ): « الملك وسألهم».

(٧) في (أ): «آخرون».

(٨) ذكره بنحوه مطولًا عبد القاهر الجرجاني في «درج الدرر» (٢/ ٢٣٨ ـ ٢٤٢) من طريق الكلبي عن =

وقد روينا أنهم لم يدخلوا عليهم وعمِّي عنهم مكانُهم حين دخل تمليخا، وإنما علم أهل المِصر حقِّيَّة البعث استدلالاً بإخبار تمليخا عنهم، وثبت عندهم صدقُه بما شاهدوا من أفعاله وما معه.

وقوله تعالى: ﴿لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾: أي: استدلوا بذلك على أن وعد الله بالبعث حق وأنه قادر عليه ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ﴾؛ أي: لا شك في قيامها.

وقوله تعالى: ﴿إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾: أي: يتنازع أهل ذلك العصرِ في أمر الساعة، فيُقِرُّ به بعضهم وينكره بعضهم، فعرفوا جميعاً أن البعث حقٌّ بهذه الدلالة، ومعنى ﴿أَمْرَهُمْ﴾؛ أي: الأمرَ الذي فيه تنازُعهم، و﴿يَتَنَٰزَعُونَ﴾ بمعنى: تنازعوا، أو: كانوا يتنازعون.

وقيل: كان تنازُعهم في البناء.

﴿فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا﴾: يُعرف به مكانهم كما يُبنى على قبر الرجل الجليل المذكور.

وقيل: كان باب الكهف قد فتح بعد ما كان مردوماً، فقالوا: ابنوا عليهم ما يسترُهم فلا يدخل عليهم أحد.

وقيل: قال الكفار: نبني بناء الكفار؛ لأنهم من عشائرنا فلعلهم على ديننا.

فقال الله جل جلاله: ﴿رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾: أي: أنهم آمنوا بربهم كما وصفنا.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ﴾: عظماؤهم، وقيل[1]: مسلموهم.

﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾: نتعبد فيه؛ لأنهم مسلمون فيتبرَّك المسلمون بالصلاة في مسجدهم عندهم[2].

= أبي صالح عن ابن عباس.

(١) في (ف): «وهم».

(٢) «عندهم» ليس من (ف).

(٢٢) ـ ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾: أي: سيقول بعض أهل الكتاب: هم ثلاثةٌ رابعهم كلبهم.

﴿وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾: أي: ويقول بعضٌ[(١)] ذلك.

وقوله: ﴿رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ ﴾: قال قتادة: قذفاً بالظنِّ[(٢)]، وذلك أن الغيب ما غاب عن الإنسان، وما غاب إنما يُدرك[(٣)] بالاستدلال، ولا يكون كالعِيان في إفادة الإيقان.

والرجم[(٤)] بالكلام: هو التكلُّم من غير تدبُّر.

وقال نفطويه: تقول: هو يرجم بكذا؛ أي: يقول فيه بالظن.

وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾: أي: ويقول بعضُهم ذلك، يعني: إذا كانوا يختلفون ثبت أنهم لا يتيقَّنون به، فكيف يمتحنونك به؟

وقال الكلبي: قدم العاقب والسيد على رسول الله ﷺ، فسألهما عن عدد أصحاب الكهف، فقال السيد وأصحابه: ثلاثة رابعهم كلبهم، وقال العاقب وأصحابه: خمسة سادسهم كلبهم[(٥)]، ....

---

(١) في (أ): «يقولون بعضهم»، وفي (ف): «يقولون»، بدل: «ويقول بعض».

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٦٦٤)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢١٨).

(٣) في (أ): «وما غاب لا يدركه إلا».

(٤) في (ر) و(ف): «والرمي».

(٥) إلى هنا ذكره عبد القاهر الجرجاني في «درج الدرر» (٢/ ٢٤٤) من طريق الكلبي عن أبي صالح =

رجماً بالغيب، وقال بعضهم: سبعة وثامنهم كلبهم، فنزلت الآية[١].

وذهب ذاهبون إلى أن الله تعالى بيَّن للنبي ﷺ عددهم بقوله: ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ لأنه ذكر القولين الأوَّلين وألحق بهما ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾، ثم ذكر القول الثالث وحقَّقه بقوله: ﴿وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾؛ لأن الواو عطفٌ على قولهم، وهو إخبارٌ من الله تعالى[٢]، وليس بعده: رجماً بالغيب.

وقوله تعالى: ﴿قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾: قال هؤلاء: ليس بإجمال، بل هو تحقيق للقول الثابت، فإنه قال: ﴿وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ وهذا إخبار من الله وهو أعلم بعدتهم[٣]، فهو الصدق دون ما قالوه بالظن، وكذا قوله:

﴿مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾: هذا[٤] إثباتُ علمِ ذلك لقليلٍ من الخلق، وإذا علِمه أحد

= عن ابن عباس، وزاد: ولا علم لهم بذلك، فلما رأى الله ذلك منهم قال لنبيه عليه السلام: ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾. ووردت القصة في مصادر أخرى بلا عزو. انظر التعليق الآتي.

(١) انظر: «تفسير أبي الليث» (٢/ ٣٣٢)، و«تفسير الثعلبي» (٦/ ١٦٢)، و«الوسيط» للواحدي (٣/ ١٤٢)، و«تفسير البغوي» (٥/ ١٦١)، و«الكشاف» (٢/ ٧١٢)، و«تفسير الرازي» (٢١/ ٤٤٧)، و«تفسير القرطبي» (١٣/ ٢٤٦). وعندهم جميعاً عدا أبا الليث السمرقندي: (وقال المسلمون)، بدل: (وقال بعضهم).

(٢) فهذا يدل على تصديق القائلين بأنَّهم سبعة؛ لأنَّ الواو عاطفة على كلام مصدَّق، تقديره: نعم وثامنهم كلبهم؛ كما إذا قال قائل: زيدٌ شاعرٌ، فقيل: وفقيهٌ أيضًا؛ أي: نعم، وفقيه أيضًا، وفي الخبر: سئل النبي ﷺ: أنتوضأ بما أفضلت الحمر؟ قال: «وبما أفضلت السِّباع». قالوا: يريد: نعم وبما أفضلت السِّباع. قاله ابن كمال باشا في «تفسيره» عند هذه الآية، والحديث المذكور رواه الدارقطني في «سننه» (١٧٥) و(١٧٦) من حديث جابر رضي الله عنه وضعفه، وضعفه أيضاً النووي في «المجموع» (١/ ٢٣٢).

(٣) من قوله: «قال هؤلاء...» إلى هنا من (أ).

(٤) في (ف): «هو».

من خَلْق الله فالنبيُّ عليه السلام أولى بأن يكون عَلِم ذلكِ بإعلام الله، وقد قال ابن عباس رضي الله عنه: أنا من ذلك القليل[(١)].

وقال جماعةٌ منهم الإمام أبو منصور رحمه الله: لم يبين الله تعالى ذلك لأهل الكتاب ولا لنبيِّه عليه السلام، ولو كان أعلمَه لم يقل: ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾؛ لأن علمه به يُغنيه عن السؤال عنهم، ولذلك قال: ﴿قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ وهو قطعُ علمهم عنهم[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ خبرٌ عن قولهم؛ كقوله[(٣)]: ﴿رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ ﴿سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾، لا فرق بين ذكر الواو وطرحِها[(٤)]، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الحجر: ٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾ [الشعراء: ٢٠٨]، وقال: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ﴾ [غافر: ٣] أثبت الواو في بعضها دون بعض.

وقوله تعالى: ﴿مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾: لم يبيِّن أن الذي يعلمه من[(٥)] الملائكة أو غيرِهم، ويجوز أن يكون هذا نفياً لعلم الكلِّ؛ كما قال تعالى: ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٤٦]؛ أي: لا يؤمنون أصلاً.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٦٦٥)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢١٩ ـ ٢٢٠).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٧/ ١٥٦).

(٣) في (ر): «خبر لقولهم»، وفي (ف): «خبر كقوله».

(٤) كذا قال، وكتاب الله المعجز ليس فيه حرف إلا لغاية وحكمة، فكيف يكون لا فرق بين ذكر الواو وطرحها؟

(٥) في (ر): «لم يبين من يعلمهم من هو».

وقد قال السدِّي: لا يعلمهم إلا قليلٌ؛ أي: ليس أحدٌ يعلمهم، وهو[١] كقولهم: هذه الأرض قلما تُنبت؛ أي: لا تنبت أصلاً.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَاهِرًا﴾: أي: لا تجادلْ في أصحاب الكهف أهلَ الكتاب إلا جدالاً ظاهراً؛ أي: قل لهم: إنكم تقولون هذا بغير حجة[٢] ولا خبرٍ من عند الله، ونحوَ هذا.

﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم﴾: أي: في أصحاب الكهف ﴿مِّنْهُمْ﴾ من أهل الكتاب ﴿أَحَدًا﴾؛ فإنهم[٣] لا يعلمون ذلك.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: وليس بنا إلى معرفة عددهم وأسمائهم حاجةٌ، لو كان لتولَّى الله تعالى ذلك في كتابه[٤].

وقال كعب: أسماؤهم مكسلمينا وهو كبيرهم، ثم تمليخا وهو الذي بعثوه لشراء الطعام، ونواس وصدار وبلينوس ومرطيوس وإسبسيانوس.

وقيل في السادس والسابع: كيشرطط ومرطيوس[٥].

---

(١) «وهو» من (أ).

(٢) في (أ): «حق».

(٣) في (ر) و(ف): «أي: قل لهم إنهم»، بدل: «فإنهم».

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٧/ ١٥٦).

(٥) وقع في هذه الأسماء اختلاف كثير في النسخ والمصادر، وليس في كل ذلك شيء يعتمد عليه، وقد ذكر الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٦/ ٥٠٥) أن في النطق بأسمائهم اختلافاً كثيراً، ولا يقع الوثوق من ضبطها. وذكر أبو حيان في «البحر» أن أسماء أصحاب الكهف أعجمية لا تنضبط بشكل ولا نقط، والسند في معرفتها ضعيف. وتقدم كلام القرطبي في ذلك قريباً.

قال عبد[١] الله بن عمر: وإذا وقع الحريق في موضع فكَتَبْتَ هذه الأسماءَ على قطعةِ رِقٍّ وطرحتَه في النار في الحريق طَفِئَ بإذن الله تعالى[٢].

وقد روينا عن وهب في أول القصة طريقاً آخر في أسمائهم.

* * *

(٢٣ ـ ٢٤) ـ ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾: قال

---

(١) في (أ): «عبيد».

(٢) لم أجده عن ابن عمر، ورواه الطبراني في «الأوسط» (٦١١٣)، عقب حديثٍ لابن عباس عن بعض رواة ذلك الحديث، وهو حديث ضعيف، كما تقدم ذلك ضمن خبر ابن وهب الطويل في قصة أصحاب الكهف. وذكر نحو هذا نظام الدين النيسابوري في تفسيره المسمى «غرائب القرآن ورغائب الفرقان» (٤/ ٤١٢) عن ابن عباس، بل زاد عليه حيث قال: (عن ابن عباس: أن أسماء أصحاب الكهف تصلح للطلب والهرب وإطفاء الحريق، تكتب في خرقة ويرمى بها في وسط النار، ولبكاء الطفل تكتب وتوضع تحت رأسه في المهد، وللحرث تكتب على القرطاس وترفع على خشب منصوب في وسط الزرع، وللضَّرَبان وللحمى المثْلِثة والصداع والغنى والجاه، والدخول على السلاطين تشد على الفخذ اليمنى، ولعسر الولادة تشد على فخذها الأيسر، ولحفظ المال والركوب في البحار والنجاة من القتل).

قلت: وهذا كله لا يصح، كيف ولم يثبت لفظ صحيح لواحد من أسمائهم، ولا اتفق مصدران على رسم فيه، وقال الآلوسي في «روح المعاني» (١٥/ ٢٧٩) بعد نقله لكلام النيسابوري: (ولا يصح ذلك عن ابن عباس ولا عن غيره من السلف الصالح، ولعله شيء افتراه المتزيُّون بزي المشايخ لأخذ الدراهم من النساء وسخفة العقول، وأنا أعد هذا من خواص أسمائهم فإنه صحيح مجرب).

وقوله: (وأنا أعد هذا...)، يعني: يَعدُّ تسميةَ المخدوعين بأمثال هذه الخرافات بـ(سخفة العقول) هو من خواص أسمائهم، وفيه سخرية بهم ونوع مشاكلة مع ما خدعوا به في أسماء أهل الكهف.

الأخفش والكسائي والفراء: أي: إلا أن تقول: إن شاء الله[١]، وحذف القول ثانياً تخفيفاً لذكره في صدر الكلام.

وقوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾: قال سعيد بن جبير: إذا قلتَ لشيء: ﴿إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا﴾ فنسيتَ أن تقول: إن شاء الله، ثم تذكَّرْتَ فقل: إن شاء الله، وإن كان بعد هذا بيومٍ أو بشهرٍ أو بسنةٍ[٢].

ومثلُه عن السدي، وقال: ليس هذا في اليمين.

أي: إذا أَطلق الكلام في الوعد بغير يمينٍ، ونسي الاستثناء ثم تذكَّر فاستثنى صار في حقِّ تدارُك النسيان كالوصل، فأما في اليمين فالاستثناء المنفصِل لا يلحقُها ولا يعطلها.

وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول: يُحمل هذا على الاستثناء في اليمين، وكان يقول: إذا استثنى ولو بعد حينٍ صحَّ[٣].

وقال عطاء: هو على الاستثناء في اليمين، ولكن هذا للنبيِّ عليه السلام خاصة[٤].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٣٨)، و«معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٤٢٩).

(٢) رواه ابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٥/ ٣٧٧)، وذكره الواحدي في «البسيط» (١٣/ ٥٨٢)، واللفظ له.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٢٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١١٠٦٩)، والحاكم في «المستدرك» (٧٨٣٣) وصححه. وقال القرطبي في بيانه: هذا في تداركه التبرُّك بالاستثناء للتَّخلُّص عن الإثم، وأما الاستثناء المغيِّر حكمًا فلا يصحُّ إلَّا متَّصلًا. انظر: «تفسير القرطبي» (١٣/ ٢٥١). وقال المبرد كما في «البسيط» (١٣/ ٥٨٦): (إن ابن عباس أعلم من أن يسقط حكم الحنث بالاستثناء الذي لا يصله الحالف بيمينه، ولعله قال هذا في الاستثناء من غير يمين كما قال المفسرون، قال: إذا نسي أن يقول: إن شاء الله، ثم ذكر فليقله. فظن بعض الناس أنه يقول ذلك في اليمين، فروى عنه ذلك في اليمين).

(٤) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١١٤٣)، و«الأوسط» (٦٨٧٢)، و«الصغير» (٨٧٦)، عن =

وأكثر العلماء على أنه في غير اليمين.

وقال إبراهيم: معنى قوله: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾؛ أي: صلِّ لربِّك إذا[١] نسيت الصلاة حتى فاتت[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾: قال مجاهد: أي: عسى أن يخبرني ربِّي عما سألتُموني قبل غد، فيكون ذلك رشاداً وهذا أرشد منه.

وقال محمد بن إسحاق: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ فإنك لا تدري ما أنا صانع ﴿وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي﴾ بخبرِ ما[٣] سألتُموني عنه[٤]، ويبين لكم ولي[٥] أفضلَ مما سألتموه[٦].

وقيل: كان مأموراً أن يقول هذا الكلام أيضاً حين وعدهم بما يفعل غداً؛ أي: قل: وعدتُكم أن أفعل كذا غداً، أو أخبرَكم عن كذا إذا أخبرني الله تعالى بذلك، ولو كان الأقربَ إلى الرشاد أن لا أُخبِرَ بذلك هداني إلى ذلك، فليس كلُّ ما أسألُه يجيبُني إلى ذلك، بل يفعل ما يريد، وإذا قال ذلك خرج من الحلف إذا لم يفعل.

= ابن عباس رضي الله عنهما. أما عطاء فروى عنه ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٥/ ٣٧٨) أنه قال: من حلف على يَمِين فله الثنيا حَلَبَ ناقة.

(١) في (أ): «متى».

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٣/ ٥٨٦) عن السدي والضحاك، أما إبراهيم فروى عنه ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٥/ ٣٧٧) قوله: يستثني ما دام في كلامه.

(٣) في (أ): «مما»، وانظر التعليق الآتي.

(٤) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٣٠٦)، وفيه: (لخير مما سألتموني عنه).

(٥) في (أ): «أن يخبرني ويبين لي»، بدل: «ويبين لكم ولي»

(٦) في (أ): «التمستموه».

وقد بينَّا في أول هذه القصة سبب نزول هذه الآية، واختلفت الروايات في مدة إبطاء الوحي عليه؛ ففي بعضها: خمس عشرة ليلة[١]، وفي بعضها أربعون ليلة[٢]، وفي بعضها أيامٌ قليلة، وقال له جبريل عليه السلام حين سأله عن إبطاء الوحي[٣]: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾[٤]، وفي رواية: (قال[٥]: إنَّا لا ندخل بيتاً فيه كلب أو صورة، وكان في البيت جروُ كلبٍ)[٦].

وقال الإمام القشيري رحمه الله: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ نفسَك، فإنَّ ذِكْركَ نفسَك يمنعُك عن استغراقك في شهود مذكورك.

وقال أيضاً: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ ذكرَك، فإن العبد إذا كان ملاحِظاً لذكره كان كغير الذاكر لمذكوره[٧].

---

(١) رواه ابن إسحاق في «السير والمغازي» (ص: ١٩٧)، ومن طريقه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٤٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٧٠)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. وقد تقدم مطولاً عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ [الإسراء: ٨٥].

(٢) ذكره أبو الليث السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣٣٦) عن الضحاك، والثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٢٢٣) عن عكرمة.

(٣) في (أ): «عن الإبطاء».

(٤) تقدم ضمن خبر ابن عباس عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَاتِنَا عَجَبًا﴾. وروى البخاري (٤٧٣١) عن ابن عباسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما، قال: قال رسولُ الله ﷺ لجبريل: «ما يمنعُك أنْ تَزُورَنا أكثرَ مما تَزُورُنا»، فنزلتْ: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾ [مريم: ٦٤].

(٥) «قال» ليس من (أ).

(٦) رواه مسلم (٢١٠٤) من حديث عائشة رضي الله عنها، و(٢١٠٥) من حديث أم سلمة رضي الله عنها. ولا علاقة لهذا بقصة أصحاب الكهف.

(٧) في «اللطائف»: (كان ذلك آفة ذكره).

وقال أيضاً: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ حظَّك منه.

وقيل: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ غيرَ ربِّك[1].

وقال ذو النُّون: مَن ذكر الله حقيقةً نسي كلَّ شيء، فحَفِظَه الله بكلِّ شيء، وكان له عِوَضاً عن كل شيء.

***

(٢٥) ـ ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ﴾: قرأ حمزة والكسائي: ﴿ثلاثمئةِ﴾ مضافةً غيرَ منوَّنةٍ على طريق قولهم: (ثلاثمئةِ سنة) على الإفراد، والجمعُ أصل، والإفراد اختصارٌ لدلالته على الجمع بما سبق من ذكر العدد، وقرأ الباقون: ﴿ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ﴾ منوَّنةً[2] على تقدير التقديم: ولبثوا في كهفهم سنينَ ثلاثَ مئةٍ، فالأول ظرف والثاني ترجمةٌ وبدل، وهو كقول زهير:

وقد كنتُ من سلمى سنينَ ثمانياً ... على صِيرِ أمرٍ ما يمرُّ وما يَحلو[3]

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٣٩٠).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٣٨٩ ـ ٣٩٠)، و«التيسير» (ص: ١٤٣).

(٣) انظر: «ديوان زهير» بشرح الأعلم (ص: ١٥)، و«إصلاح المنطق» (ص: ٢٧)، و«غريب الحديث» للحربي (١/ ٩٢)، و«تهذيب اللغة» (١٢/ ١٦١)، و«المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (٢/ ٣١٤)، و«شرح الشافية» للرضي (٤/ ٢٣٢). ووقع في جميع النسخ: «على صبر» «وما يُحلي»، والمثبت من المصادر، وهو الصواب لأن القصيدة واوية، وقال الرضي: الصِّير بكسر الصاد المهملة: الإشراف على الشيء والقرب منه، يقال: أنا من حاجتي على صير: أي على طرف منها وإشراف من قضائها، وفي «الصحاح»: وأمرَّ الشيء: صار مرًّا، وكذلك مَرَّ الشيء يَمَرُّ ـ بالفتح ـ مرارة، وأمرَّه غيره ومَرَّه.

أي: على إشرافٍ من قضائه.

وقيل: هذا إخبار عن قول أهل الكتاب أنهم يقولون ذلك، ثم قال: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ﴾ فرُدُّوا علمَ ذلك إلى الله تعالى[1].

قوله تعالى: ﴿وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا﴾ قيل: تسعَ سنين.

وقيل: هي مبهمةٌ لا ندري أنها سنونَ أو شهورٌ أو أيامٌ أو ساعاتٌ.

وقيل: كانت ثلاثَ مئة سنين شمسية، وازدادت عليها تسعُ سنين قمرية[2].

* * *

(٢٦) ـ ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: أي: هو[3] مالك غيبهما والعالم به، وهو ما غاب عن حواسِّ الخلق.

وقوله تعالى: ﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾: أي: ما أسمعَه وما أبصَره بخلقه وبما يكون منهم، وهو مبالغةٌ في وصفه بالسمع والبصر.

---

(١) في (أ): «ففوضوا علم ذلك إليه». ومعنى هذا القول: أنَّ هذا حكايةُ كلام أهل الكتاب؛ فإنَّهم اختلفوا في مدَّة لبثهم، كما اختلفوا في عددهم؛ فقال بعضهم: ثلاث مئةٍ، وقال بعضهم: ثلاثَ مئة وتسعَ سنين. ويعضده قراءةُ ابن مسعود رضي الله عنه: (وقالوا لبثوا)، وقولُه تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ﴾. انظر: «تفسير ابن كمال باشا» عند هذه الآية. وهذا القول مع قراءة ابن مسعود رواهما الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٢٩) عن قتادة.

(٢) وقد ذكر لهذا تعليل حسن، وهو: أنهم لبثوا ثلاثَ مئةِ سنةٍ شمسيَّةٍ بحساب الأمم، ولما كان الإخبار هنا للعرب ذُكرت التِّسع؛ إذ المفهوم عندهم من السِّنين القمريَّة، فهذه الزِّيادة هي ما بين الحسابَيْن. قاله ابن كمال باشا في «تفسيره» عند هذه الآية.

(٣) «هو» من (أ).

وقوله تعالى: ﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ﴾: أي: ما للخلق غيرَه مَن يتولى كفايتَهم.

قوله تعالى ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾: ومِن حُكمه الانفرادُ بعلم الغيب، والعلمُ بمدتهم[١] عنده، فليس لأحد أن يَحكم فيه بشيء، وبه قال محمد بن إسحاق[٢].

وقيل ـ وهو قول مجاهد ـ: هذا ابتداءُ إخبارٍ من الله تعالى أن لبثهم كان كذلك[٣]، وهو معنى[٤] قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ﴾؛ أي: أعلمُ به مِن خلقه الذين يدَّعون علمَ ذلك[٥] من أهل الكتاب؛ أي: هذا الإخبارُ[٦] هو الحقُّ الصوابُ؛ لأن الله تعالى أخبر به، وهو أعلم بذلك وله غيب السماوات والأرض.

وقيل: ﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ﴾ يرجع إلى أصحاب الكهف؛ أي: لم يكن لهم على تلك الحالة حافظٌ إلا الله تعالى.

وقيل: يرجع إلى أهل الكتاب؛ أي: ليس لهم مَن يَردُّ عنهم عذاب الله لهم على خلافهم واختلافهم.

وقرأ ابن عامر: ﴿ولا تُشْرِكْ﴾ بتاء المخاطبة والجزم على النهي[٧]، وهو عطفٌ على قوله: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيْءٍ﴾ ﴿وَقُلْ عَسَىٰٓ﴾ ﴿ولا تُشرِكْ في حكمه أحداً﴾؛

---

(١) في (أ): «بعدتهم».

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٣٠٦).

(٣) في (ر) و(ف): «أن لبثتم كان ذلك»، وفي (أ): «أن لبثتم كان كذلك». والصواب المثبت، وهذا القول عن مجاهد رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٢٩).

(٤) في (ر) و(ف): «ومعنى» بدل: «وهو معنى».

(٥) في (أ): «يدعون علمه».

(٦) بعدها في (ر) و(ف): «من الله بل».

(٧) انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٠)، و«التيسير» (ص: ١٤٣).

أي: لا تسأل أحداً عما أخبرك الله تعالى به عن عدد أصحاب الكهف ومدتهم، فأتى لك[١] حكم الله فاقتصر عليه.

***

(٢٧) ـ ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ﴾: أي: اقرأ واتَّبع القرآن الذي أوحاه الله إليك.

وقوله تعالى: ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ﴾: أي: لا مغيِّر لِمَا ذَكر[٢] فيه، ويدخل في هذه الجملة ما أَخبر به عن أصحاب الكهف مما يختلف فيه أهل الكتاب، وغير ذلك مما أخبر الله تعالى به.

وقوله تعالى: ﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾: ملجأً تَعدِلُ عنه إليه؛ أي: الزَمْ كتابه واعمل به فإنك إن خالفْتَه لم يعصمك من عذابه ملجأٌ.

وقال القشيري: لا تغيير لحُكمه، فمَن أقصاه فلا قبولَ له، ومَن أبعده فلا وصول له، ومَن قبله فلا ردَّ له، ومَن قرَّبه فلا صدَّ له[٣].

***

(٢٨) ـ ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾.

---

(١) في (أ): «فإن ذلك» بدل: «فأتى لك».

(٢) «ذكر» من (أ).

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٣٩١).

وقوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾: ولمَّا أخبر الله بقصة أصحاب الكهف، وكانوا قالوا له: إن أخبرتنا بما سألْنا عنه[١] صدَّقناك واتَّبعناك، فلما أخبرهم به قالوا: اطرد عنك[٢] الفقراء والسفلة الذين اجتمعوا عندك نتَّبعْك، فأنزل الله تعالى هذه الآية في نهيه عن ذلك.

وروي عن سلمان الفارسي قال: جاءت المؤلَّفة قلوبهم إلى رسول الله ﷺ ـ عيينةُ بن بدر والأقرعُ بن حابس وذووهم ـ فقالوا: يا رسول الله، لو جلستَ في صدر المسجد ونفيتَ عنا هؤلاء وأرواحَ جِبَابهم ـ [يعنون]سلمانَ وأبا ذر وفقراء المسلمين، وكانت عليهم جِبَابُ الصوف، ولم يكن عليهم غيرُها ـ لجلسنا إليك وحادثناك وأخذنا عنك، فأنزل الله تعالى: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ﴾ حتى بلغ[٣]: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا﴾ يهدِّدهم[٤] بالنار، فقام النبي ﷺ يلتمِسهم حتى أصابهم في مؤخَّر المسجد يذكرون الله تعالى، فقال: «الحمد لله الذي لم يُمِتْني حتى أمرني أن أَصبِرَ نفسي مع رجالٍ من أمتي، معكم المحيا ومعكم الممات»[٥].

وعن الحسن: أن مشركي العرب كانوا يقولون للنبي ﷺ: إن أردتَ أن نجالسك فاطردْ عنا هؤلاء فإنَّا قوم لنا أخطار وأحساب، فأنزل الله: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾.

---

(١) في (أ) و(ف): «سألناك».

(٢) «عنك» ليست في (أ).

(٣) في (أ): «إلى قوله».

(٤) في (أ): «فهددهم»، وفي المصادر: (يتهددهم).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٤٠ ـ ٢٤١)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣٤٥)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٩٧)، وما بين معكوفتين من هذه المصادر.

وقد ذكرنا طرقاً أخرى في هذا[١] في سورة الأنعام.

وقوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ﴾؛ أي: احْبِس نفسك معهم ولا تطردهم بقول المشركين، فهم أحقُّ بمجالستك إذ هم يَدْعون ربهم بالغداة والعشي ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾؛ أي: قاصدينَ التوجُّه[٢] إليه طالبين رضاه، وقد فسَّرنا الدعاء ومعنى الغداةِ والعشيِّ في سورة الأنعام.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾: أي: ولا تُجاوِزْ عيناك عنهم إلى أولئك.

﴿تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: هو على الحال، وتقديره: تريد التزيُّن والتجمُّل بأولئك الأغنياء الأشراف.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾: أي: جعلناه غافلاً عن ذكرنا، ودلَّ هذا على خلقِ الله تعالى أفعال العباد.

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾: أي: عبَد ما استحسَنه من الأصنام بهوَى نفسِه.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾: قال أهل اللغة: أي: مجاوِزاً فيه الحدَّ، بمعنى المفعول، وهو من الإفراط، وكذلك قال الكلبي: ﴿فُرُطًا﴾؛ أي: إفراطاً كما أَفرط عيينةُ وأصحابه، قالوا: إنَّا رؤوسُ مضرَ إنْ نُسْلِمْ يُسْلِمِ الناس[٣].

قال أبو عوسجة: ﴿فُرُطًا﴾؛ أي: تفريطاً[٤]؛ أي: تقصيراً.

---

(١) في (ر): «طرقاً من هذا»، وفي (ف): «طرفاً آخر في هذا».

(٢) في (ر): «التوحيد».

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٣/ ٦٠١).

(٤) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٧/ ١٦٦).

قال القُتَبيُّ: ﴿فُرُطًا﴾؛ أي: سَرَفاً، وأصله: العجلة والسَّبق، يقال: فَرَطَ منه قولٌ قبيح؛ أي: سبَق، وفرسٌ فُرُطٌ؛ أي: متقدِّم(١).

وقال مجاهد: ضَياعاً(٢).

وقال قتادة: حَفِظَ ماله وأضاع دِينه(٣).

وقال خبَّابٌ: ﴿فُرُطًا﴾: هلاكاً(٤).

وقيل: ندامةً.

وقال أبو مسلم: أي: عجلة(٥).

وقال محمد بن جرير: وكان أمره في الكِبْر(٦) واحتقارِ أهل الإيمان سَرَفاً قد جاوز حدَّه(٧).

---

(١) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٢٦٦).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٤٢).

(٣) في (أ): «يحفظ ماله ويضيع دينه».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٤٢ ـ ٢٤٣).

(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٠٢) بلفظ: (سريعاً) وعزاه لابن بحر. وابن بحر هو أبو مسلم نفسه، واسمه محمد بن بحر الأصفهاني، وقد أكثر بعض المفسرين النقل عنه كالماوردي والرازي وأبي حيان، وتارة يسمونه ابن بحر، وتارة أبا مسلم، وهو مفسر معتزلي قال عنه ياقوت في «معجم الأدباء» (٦/ ٢٤٣٨): كان كاتباً مترسلاً بليغاً متكلماً جدلاً له «جامع التأويل لمحكم التنزيل» على مذهب المعتزلة، و«الناسخ والمنسوخ»، وكتاب في النحو، وجامع رسائله، مولده سنة (٢٥٤هـ)، وتوفي سنة (٣٢٢هـ).

(٦) في (ر) و(ف): «في سرف».

(٧) في (أ): «الحد». وانظر: «تفسير الطبري» (١٥/ ٢٤٣).

وقال الصنعاني: أفرط في مسألته، وأحبَّ أن يرتفع عند الله تعالى بغيرِ تقوى[1].

وقال الإمام القشيري رحمه الله في الآية: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ﴾ ولم يقل: قلبك؛ لأن قلبه كان مع الحقِّ، فأمره بصحبة الفقراء جهراً بجهرٍ، واستخلص قلبه لنفسه سـرًّا بسرٍّ.

وقال: ﴿يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ﴾ لا دنياهم بكرائمها ولا عقباهم بعظائمها[2].

وقال: ﴿وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ﴾ لمَّا نظروا بقلوبهم إلى الله عز وجل أمر رسوله بأن لا يرفع بصره عنهم، وهذا جزاؤهم في العاجل، كأنه قال: جعلنا نظرَك إليهم اليوم ذريعة لهم إلينا، وخلفاً عما يفوتهم اليوم من نظرهم إلينا، فلا تقطع عنهم اليوم نظرك إليهم فإنَّا لا نمنع غداً نظرهم إلينا.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا﴾؛ أي: شغلناهم فيما لا يعنيهم.

وقيل: أنسيناهم ما فاتهم منَّا حتى لم[3] يتحسَّروا على ذلك.

وقالوا: من أمارات الغفلة: طولُ الأمل، وسوءُ العمل، والتعريجُ في أوطان الكسل.

وقيل: هي تزجيةُ الوقت في[4] غير قضاء فرضٍ وأداء نفلٍ[5].

* * *

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٣/ ٦٠١) عن ابن عباس من رواية عطاء.

(٢) في (ر): «لا لدنياهم بكرائمها ولا لعقباهم بعظائمها»، وفي (ف): «لدنياهم بكرائمها ولعقباهم بعظائمها». وفي «اللطائف»: (فآويناهم في دنياهم بعظائمنا، وفي عقباهم بكرائمنا).

(٣) في (ر): «لا».

(٤) في (أ): «من».

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٣٩٢ـ٢٩٣).

(٢٩) ـ ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾: أي: وقلْ لهؤلاء: الحقُّ من ربكم جاء[١]، وهو الإيمان به، فلا ينبغي أن يُنظَر ضعفُ أهله وفقرُهم، بل يُعرَف هو بنفسه لا بأهله.

وقوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾: أي: فقد بان الحقُّ فليَختَرِ امرؤٌ[٢] لنفسه ما يشاء من الإيمان به والكفر به، على علمٍ بأن مَن كفر فجزاؤه ما ذكرناه في هذه الآية، ومَن آمن فجزاؤه ما ذكرناه في الآية التي بعدها، وهذا صيغتُه صيغةُ أمرٍ وفي الحقيقة هو أشدُّ تهديداً وأبلغ زجراً.

وقيل: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ هو الأمر بالصبر مع هؤلاء.

وقيل: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ هو الوعد والوعيد المذكوران في هذه الآية والتي بعدها.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: معناه: مَن شاء الله له الإيمانَ آمن، ومَن شاء الله له الكفرَ كفَر، وهو كقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠][٣].

وقولُه: ﴿فَلْيُؤْمِن﴾ على هذا صيغةُ أمرٍ بمعنى الخبر؛ كما روي: «إذا لم تستَحْيِ فاصنعْ ما شئتَ»[٤]؛ أي: صنعتَ ما شئتَ.

---

(١) «أي وقل لهؤلاء الحق من ربكم جاء» من (أ).

(٢) في (أ): «أمراً».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٤٤).

(٤) رواه البخاري (٣٤٨٤) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

وقولـه تعالـى: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا﴾: أي: هيَّأنـا لمن ظلم نفسَـه فكفَر ناراً، وهي الجحيم.

﴿أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَا﴾: هو ما أحاط بالبناء من الستر والحائط ونحوِ ذلك، أَخبر أن للنار شبَهاً بذلك يحيط بهم من كلِّ وجهٍ؛ أي: لا مخلص لهم منها ولا مخرج، ولا فُرجة يتفرَّجون بالنظر إلى ما وراءها.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هو حائط من نار[(١)].

وقال الكلبي: هو عنق يخرج من النار فيحيط بهم كالحظيرة[(٢)].

وروى معمر عن الكلبي: هو دخان يحيط بالكفار يوم القيامة، وهو الذي قال الله تعالى: ﴿إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ﴾ [المرسلات: ٣٠][(٣)].

وقوله تعالى: ﴿وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ﴾: أي: من العطش ﴿يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ﴾ قال ابن مسعود رضي الله عنه: هو كلُّ شيء أُذيب حتى ماع.

وقال مجاهد: هو القيح والدمُ الأسود.

وقال ابن عباس: هو ماء غليظ كدُرْديِّ الزيت.

وقال سعيد بن جبير: هو الذي انتهى حرُّه[(٤)].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٤٦).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ١٦٧).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٦٧٦) و(٣٤٤٥). ورواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٤٦) من طريق معمر عمن حدثه.

(٤) روى هذه الأقوال الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٤٨ ـ ٢٥٠). ودردي الزيت: عكره وما يستقر منه في قعر الإناء. انظر: «حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي» (٦/ ٩٨).

وقال أبو أمامة الباهليُّ عن النبيِّ عليه السلام قال: «يُقرَّب إليه فيكرهه، فإذا أُدني منه شَوَى وجهه ووقعت فروةُ رأسه، فإذا شرب قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره، يقول الله تعالى: ﴿وَسُقُوا مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥] ويقول: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَآءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾»[١].

وقوله تعالى: ﴿يُغَاثُوا﴾؛ أي: يؤتَوا بماءٍ كالمهل مكانَ ما يغاث به المستغيث[٢] من العطش، وهو مجازٌ كقول الشاعر:

تحيةُ بينِهم ضربٌ وجيعُ[٣]

وكقول آخر:

ليس بيني وبين قيسٍ عتابٌ ... غيرَ طعنِ الكُلَى وضربِ الرِّقابِ[٤]

وقوله تعالى: ﴿بِئْسَ الشَّرَابُ﴾: أي: هذا المهلُ بئس الشرابُ[٥].

﴿وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾: أي: ساءت النارُ مجتمَعاً للرُّفقة، لأن قرناءهم الشياطينُ والكفار الملاعين.

---

(١) رواه الترمذي (٢٥٨٣) وقال: حديث غريب.

(٢) في (ف): «كالمستغيث».

(٣) عجز بيت لعمرو بن معدي كرب. انظر: «الكتاب» (٣/ ٥٠)، و«النوادر» لأبي زيد (ص: ١٥٠)، و«الخزانة» (٩/ ٢٦٥)، وقال البغدادي: ولم أره في شعره. وصدره:

وخيلٍ قد دَلَفْتُ لها بخيلٍ

(٤) البيت لعمرو بن الأيهم التغلبي. انظر: «الكتاب» (٢/ ٣٢٣)، و«الوحشيات» لأبي تمام (ص: ٤٢)، و«المقتضب» (٤/ ٤١٣)، و«تفسير الطبري» (٢/ ١٥٩)، و«ربيع الأبرار» للزمخشري (٣/ ٣٣٣).

(٥) «بئس الشراب» ليس في (أ) و(ف).

قال مجاهد: ﴿وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾: مجتمَعاً[١].

وقال أبو عبيدةَ: متكَأً، من الرفق؛ قال أبو ذؤيب:

بـات الخلـيُّ وبـتُّ الليـلَ مرتفِقـاً   كأن عينـيَ فيهـا الصَّـابُ مذبـوحُ[٢]

وهـو مجازٌ، كأنه قـال: بئس موضعُ طلـبِ الراحة؛ كما قـال: ﴿وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [آل عمران: ١٢].

وقيل: هو من الارتِفاق الذي[٣] هو الانتفاعُ، والمرتفَق: موضع الانتفاع، وهو مجازٌ أيضاً؛ كأنهم طلبوا الشراب لينتفعوا به ويُبرِّدوا ظمأهم فسُقوا هذا مكانَ ما طَلبوا.

* * *

(٣٠) ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: قيل: جوابه ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ﴾ بالهاء العائدة، واعترَض بينهما: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾.

وقيل: جوابه: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾: لكن يُضْمر فيه: منهم؛ أي: مَن أَحسنَ منهم، فتعود الهاء إلى المبتدأ.

وقيل: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ بدلٌ عن المبتدأ الأول، والجواب له، فيكون جواباً للأول تقديراً[٤]، وهو كقول الشاعر:

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٥٣).

(٢) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٤٠٠)، و«تفسير الطبري» (١٥/ ٢٥٣)، و«الكشاف» (٢/ ٦١٩)، وهو في «ديوان الهذليين» (١/ ١٠٤) برواية: «مشتجرًا». الخلي: الذي لا هم له، والصاب: شجرة مرة لها لبن يحرق العين إذا أصابها، والمذبوح: المشقوق.

(٣) في (أ): «أي».

(٤) «تقديراً» ليست في (أ).

إنَّ الخليفــة إنَّ الله سَــرْبَلَه   ســربالَ مُلْكٍ بـه تُرجَـى الخواتيمُ(٥)

يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾؛ أي: بالحقِّ الذي جاءهم من ربهم.

***

(٣١) ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾.

وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾: أي: إقامةٍ ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾؛ أي: تحت قصورهم وأشجارهم وسُرُرهم، وقيل: بأمرهم.

وقوله تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا﴾: أي: في الجنان.

﴿مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾: جمع سوارٍ؛ يقال: سِوَار، ويجمع: أَسْوِرة، ويجمع الأسورة: الأساور، وهي حليةٌ تلبس في اليد.

وقوله تعالى: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾: السُّندس: ما رقَّ من الديباج، والإستبرق: ما غَلُظَ منه، وأصله فارسيٌّ معرَّبُ استَبْرَه، قال المرقِّش:

تَرَاهُــنَّ يَلْبَسْــنَ المشــاعرَ مــرَّةً   وإســتبرَقُ الدِّيبـاجِ طـوراً لباسُـها(٦)

وقوله تعالى: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ﴾: نصبٌ على الحال ﴿فِيهَا﴾؛ أي: في جنات عدن.

وقوله تعالى: ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾: جمع أريكة، وهي السرير في الحَجَلة(٧)،

---

(٥) البيت لجرير، وهو في «ديوانه» (بشرح محمد بن حبيب) (٢/ ٦٧٢).

(٦) البيت في «تفسير الطبري» (١٥/ ٢٥٥)، و«النكت والعيون» (٣/ ٣٠٥)، و«البسيط» للواحدي (١٣/ ٦١٤)، و«شمس العلوم» لنشوان الحميري (٥/ ٣٢٢٨).

(٧) الحجلة: ساتر كالقبة يزين بالثياب والستور للعروس. انظر: «المعجم الوسيط» (مادة: حجل).

لا يسمَّى أريكةً إلا أن يكون كذلك، والحجلة: السِّتر والكِلَّة[١].

وقوله تعالى: ﴿نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ﴾: أي: الجزاء ﴿وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقًا﴾؛ أي: وحسُنت الجنة مجتمَعاً للرفقاء، كما قال: ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

وقيل: وحسُنتِ الأرائك متكأً، كما مر[٢].

وقال القشيري رحمه الله: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا﴾: مَن خَطَا خطوةً إلينا وجَد حظوةً لدينا، مَن نقل إلينا قَدَمه غفرنا له ما قدَّمه، مَن التجأ إلى سُدَّة[٣] كرمنا آويناه إلى ظلِّ نِعمنا، مَن شكا فينا قليلاً[٤] مهَدنا له في دارِ[٥] فضلنا مَقيلاً.

وقال[٦]: ﴿مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا﴾؛ أي: غاب عن رؤية إحسانه.

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٍ﴾: هم أصحاب الجنان في رغدِ العيش، وسعادةِ الجَدِّ، وكمالِ الرِّفد، يلبسون حُلل الوُصلة، ويتوَّجون بتاج القُربة، ويحلَّون بحُليِّ المباسَطة، يتَّكئون[٧] على الأرائك الرَّوح[٨]، ويشمُّون رياحين الأُنس، يقيمون في حِجال الزُّلفة[٩]، يُسقون شراب المحبة، يأخذون بيد الزُّلفة ما يُتحفهم الحق [به]

---

(١) الكلة: الستر الرقيق، وغشاء رقيق يتوقى به من البعوض. انظر: «القاموس» (مادة: كلل).

(٢) «كما مر» ليس في (أ).

(٣) «سدة» زيادة من (أ) و(ف).

(٤) في (أ) و(ف): «غليلًا».

(٥) في (أ) و(ر): «دري»، وفي (ف): «ذوي». والمثبت من «اللطائف».

(٦) في (ف): «قوله تعالى».

(٧) في (ف) و(ر): «متكئون»، وفي «اللطائف»: (ويتكئون).

(٨) «الروح» ليست في «اللطائف».

(٩) في (ر) و(ف): «الرفعة»، وفي مطبوع «اللطائف»: (مجال الزلفة).

من غير واسطة، يسقيهم[1] شراباً طهوراً يطهِّر قلوبهم عن محبة كلِّ مخلوق، نِعْمَ الثوابُ ثوابُهم، ونِعْمَ الربُّ ربُّهم، ونِعْمَ الدارُ دارُهم، ونِعْمَ الجارُ جارُهم، ونِعْمَ الحالُ حالُهم[2].

***

(٣٢) ـ ﴿ ۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ﴾: هذا[3] تأكيدُ ما سبق من النهي عن تركِ الإقبال على ضعفاء المؤمنين، والتجاوُزِ عنهم إلى أقوياء المشركين، وتعليمٌ للناس صحبةَ أهل الخير والدِّين.

وقوله تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا﴾؛ أي: صِفْ يا محمد شَبَهاً ﴿رَّجُلَيْنِ﴾ ترجمةٌ عن قوله: ﴿مَّثَلًا﴾، وكانا أخوين أحدهما مسلم والآخر كافر.

﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا﴾: وهو الكافر ﴿جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ﴾؛ أي: بستانَين فيهما أعناب ﴿وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ﴾؛ أي: كان يحيط بهما نخل.

وقال أبو عبيدة: أي: أَطَفناهما من جوانبهما[4]، وهو من قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ [الزمر: ٧٥]؛ أي: محيطين به، والحِفَاف: جانب الشيء، وحفَّ به القوم؛ أي: صاروا في أَحْفِيَة جمع حِفَافٍ، ودل على فضل العِنب

---

(١) في (ر) و(ف): «فسقاهم ربهم».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٣٩٤ ـ ٢٩٥)، وما بين معكوفتين منه.

(٣) في (أ): «هو».

(٤) في (ف): «أتحفناهما من جوانبهما»، وفي (ر): «أتحفناهما من حوافهما». والمثبت من (أ)، وانظر: «مجاز القرآن» (١/ ٤٠٢)، وفيه: (أطفناهما وحجزناهما من جوانبهما).

على الرُّطَب، حيث جعل النخل محيطةً بها، والمحاطُ به هو المقصود والأصل[(١)].

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾: أي: بين الجنتين أرضاً مزروعة.

* * *

(٣٣) ـ ﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ﴾: أي: كلُّ واحدة منهما ﴿ءَاتَتْ أُكُلَهَا﴾: أي: أعطت ثمرها، ويجوز في الكلام: آتتا أكلهما، وهو ككلمة (كلّ) تضاف إلى الجمع فيُفرد فعلُها ويجمع، قال تعالى: ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٥]، وقال تعالى: ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾ [النمل: ٨٧].

وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا﴾: أي: لم تنقص من الأكُل شيئاً؛ أي: الثمر.

وقوله تعالى: ﴿وَفَجَّرْنَا﴾: أي: سيَّلنا ﴿خِلَٰلَهُمَا﴾: بينهما ﴿نَهَرًا﴾؛ أي: نهراً كبيراً، ويجوز أن يكون بمعنى الأنهار ووُحِّد لأن السواقيَ تتشعَّب من نهرٍ كبيرٍ واحد.

وقرأ يعقوب: ﴿وفجَرنا﴾ بالتخفيف[(٢)]؛ لأن النهر واحد، والباقون بالتشديد لِمَا قلنا.

* * *

(٣٤) ـ ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ﴾: قرأ أبو عمرٍو بضم الثاء وتسكين الميم، وقرأ عاصم بفتح الثاء والميم، وقرأ الباقون بضم الثاء والميم[(٣)].

---

(١) في (أ): «مقصوده وأصله» بدل: «هو المقصود والأصل».

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٣).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٠)، و«التيسير» (ص: ١٤٣).

فمَن فتحهما: فهو الثمر المعروف الذي يكون على الشجر، ويجوز أن يكون جمعَ ثمرة كالشجر جمع شجرة ﴿وَكَانَ لَهُۥ﴾؛ أي: لهذا الكافر في جنته كلُّ ثَمَرٍ.

وأما الضم: فقد قال الكسائي: هو جمعُ جمعٍ، يقال: ثمرةٌ وثمارٌ وثُمُرٌ، وهو كالحمار والحمُر، ثم يخفَّف ويثقَّل كما في الكتب(١).

وقال غيره: ويجوز أن يكون بالضم جمعاً للثَّمَر بالفتح؛ كالخَشَب والخُشُب، وبالسكون كالأَسَد والأُسْد.

وقيل: (الثُّمُر) بالضم هو المال المثمَّر.

وقال مجاهد والسديُّ وقتادة: أي: كان له الذهب والفضة وكلُّ مالٍ، وكذا كان ابن عباس رضي الله عنهما يقرأ بالضم ويقول: هذا(٢) أنواع المال(٣).

وقال أبو عمرٍو: الثُّمْر: المال والولد، وأنشد للحارث بن حلِّزة:

ولقــد رأيــتُ معاشــراً ... قــد ثمَّــروا مــالاً ووُلْــداً(٤)

وقال النابغة:

مهــلاً فــداءٍ لــك الأقــوامُ كلُّهــم ... ومــا أثمِّــرُ مــن مــالٍ ومِــن ولــدِ(٥)

---

(١) يعني: يخفف بالتسكين ويثقل بالضم، والمعنى واحد.

(٢) في (أ): «هو».

(٣) روى هذه الأقوال ـ عدا قول السدي ـ الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٥٩ ـ ٢٦٠).

(٤) البيت في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٧٣)، و«الوحشيات» (ص: ١٦٤)، و«تفسير الطبري» (١٥/ ٦١٩)، و«النكت والعيون» (٣/ ٣٨٧)، و«البسيط» للواحدي (١٤/ ٣١١)، وقد أوردته كتب التفسير شاهداً على قراءة: (وَوُلْدا)، عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ [مريم: ٧٧].

(٥) البيت في «الشعر والشعراء» لابن قتيبة (١/ ١٦٥)، و«شرح القصائد العشر» للتبريزي (ص: ٣٢٠)، =

فحملتْه كثرةُ المال على الطغيان

وقوله تعالى: ﴿فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ﴾: أي: لأخيه المسلم ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾؛ أي: يراجعه الكلامَ، والحَورُ: الرجوع، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ﴾ [الانشقاق: ١٤ ـ ١٥].

وقوله تعالى: ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾: أي: أمنعُ أصحاباً، والنَّفَر: عشيرةُ الرجل وأصحابُه الذين يقومون بالذبِّ عنه، ويَنفِرون إلى عدوِّه الذي يقصده.

* * *

(٣٥) ـ ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾.

﴿وَدَخَلَ﴾: أي: هذا الكافر ﴿جَنَّتَهُۥ﴾؛ أي: بستانَه ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ استعان بنِعم الله على الكفر به وجحودِ قدرته على البعث.

قوله تعالى: ﴿قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾: أي: ما أحسبُ أن هذه الجنة تهلكُ قطُّ.

وقيل: ﴿هَٰذِهِۦٓ﴾ إشارةٌ إلى الدنيا ﴿أَن تَبِيدَ﴾؛ أي: تفنَى هذه الدنيا ﴿أَبَدًا﴾.

* * *

(٣٦) ـ ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾: أي: ولا أحسب البعث وما تذكر من الحساب والثواب والعقاب مما يكون.

= و«المقصور والممدود» للقالي (ص: ٤٤٧)، و«الصحاح» (مادة: فدى)، و«خزانة الأدب» للبغدادي (٦/ ١٨١) وفيه عن أبي عليٍّ قوله في «المسائل المنثورة»: بُني (فداءِ) على الكسر لأنه قد تضمَّن معنى الحرف وهو لامُ الأمر؛ لأن التَّقدير: ليفدك الأقوام كلهم، فلمَّا كان بمعناه بني، وبني على الكسر لأنه وقع للأَمْر والأمرُ إذا حرِّك تحرَّك إلى الكسر، ونوَّنوه لأنه نكرة.

وقوله تعالى: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي﴾: ولئن كان الأمر كما تصف أنه كائن ﴿لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾؛ أي: منصَرَفاً، يعني: يعطيني الله تعالى في الآخرة أفضلَ من هاتين الجنتين.

قيل[1]: ظنَّ أنه أُوتي الدنيا بمحلٍّ له عند الله، فكذلك يؤتى في الآخرة كذلك[2].

وقيل: ظنَّ أنه كما تهيَّأ له أن يكتسب ما اتَّخذ به هذه الجنة في الدنيا، يتهيَّأ له ذلك في الآخرة. والأول أوجهُ.

دلَّ هذا على أنه كان شاكًّا في البعث، والشاكُّ في البعث كافرٌ كالقاطع بنفيه، وكذلك في كلِّ ما يعتقد، وفي مصاحف أهل الحرمين: ﴿خيراً منهما﴾[3] رجوعاً إلى الجنتين، وقراءة العامة: ﴿مِّنْهَا﴾ رجوعاً إلى قوله: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ﴾، ويحتمِل أنهما كانتا جنتين متَّصلتين، فيصح أن تسمَّى جنةً وتسمَّى جنتين.

* * *

(٣٧) ـ ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ﴾ أي: أخوه المؤمن[4] ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾؛ أي: خلق آدم الذي هو أصلُك من تراب.

---

(١) «قيل» من (أ).

(٢) «كذلك» ليست في (ف).

(٣) قرأ بها نافع وابن كثير وابن عامر. انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٠)، و«التيسير» (ص: ١٤٣).

(٤) في (أ): «المسلم».

﴿ثُمَّ﴾ خلقك[١] ﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾: أبيك ﴿ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾؛ أي: جعلَك[٢] من النطفة مع مهانتها وضعفها رجلاً سويًّا بنقله إياك من النطفة إلى العلَقة، ثم إلى المضغة، ثم إلى العظم، ثم كساك[٣] لحماً، ونفخ فيك الروح فأخرجك من المواتيَّة إلى الحيوانيَّة[٤]، ثم من الطفولية إلى أن صرتَ رجلاً.

فاحتج المؤمن على الكافر بهذا، وأراد به أن ما أقرَّ به من قدرة الله تعالى هو أعجبُ وأبدع مما أنكره من البعث والإعادة.

قال الكلبيُّ: ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥ﴾؛ أي: يجادلُه؛ كما قال: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾ إلى قوله: ﴿تَحَاوُرَكُمَآ﴾ [المجادلة: ١].

وقال الصَّنعاني: ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥ﴾: يسأله عن ماله وفيما أنفقه، وهو يقول: أنفقتُه في طاعة الله رجاءَ ثوابه[٥].

* * *

(٣٨) ـ ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾.

﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى﴾: قرأ نافع في رواية المسيَّبيِّ وابنُ عامر: ﴿لَكِنَّا﴾[٦].

---

(١) «خلقك» ليست في (أ) و(ف).

(٢) في (ر) و(ف): «خلقك».

(٣) في (ر) و(ف): «سواك».

(٤) في (ف): «الحيوتية».

(٥) في (أ): «ثواب الله».

(٦) يعني: بإثبات الألف في الوصل، وفي الوقف جميع السبعة يقرؤونها بإثبات الألف. انظر: «السبعة» (ص: ٣٩١)، و«التيسير» (ص: ١٤٣). ورواية المسيَّبي عن نافع لم يذكرها الداني. والمسيبي هو إسحاق بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن المسيَّب، إمام جليل عالم بالحديث، قيم في قراءة =

وروى ورشٌ عن نافعٍ بغير ألف في الوصل كقراءة سائر القراء السبعة، ولم يختلفوا في الوقف أنه بالألف، وأصله: لكنْ أنا، تُركت همزةُ (أنا) فالتقت نونان، فأدغمت إحداهما ـ وهي الأولى ـ في الأخرى وحذفت الألف الأخيرة كما حذفت في التكلُّم، فإنك تقول: أنا، فلا تتكلم بالأخيرة[1].

وقوله تعالى: ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي﴾: أي: الذي خلقني من ترابٍ ثم من نطفةٍ ثم سوَّاني رجلاً هو الله ربي يصرِّفني كيف يشاء، إن شاء أغناني وإن شاء أفقرني.

وقوله تعالى: ﴿وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا﴾: أي: لا أرى الفقرَ والغنى إلا منه، ولا أراه من نفسي ولا من غيري من خلقه، ويحتمِل أن أخاه الكافرَ كان عابدَ صنمٍ، فنفَى عن نفسه ذلك.

***

(٣٩) ـ ﴿وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوۡلَآ﴾: أي: هلا ﴿إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ﴾ إذ دخلت بستانك[2]:

﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾: وله إضمارٌ في أوله وآخره، أما في آخره: ما شاء الله كان، وأما في أوله: هذا ما شاء الله؛ أي: حصل هذا بمشيئة الله، و﴿مَا﴾ هاهنا بمعنى الذي.

وقوله تعالى: ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾: أي: ما قدرتَ على تحصيله إلا بعون الله.

= نافع ضابط لها، قرأ على نافع وغيره. انظر: «طبقات القراء» لابن الجزري (١/ ١٥٧).

(١) في (أ): «فلا تتكلم بالألف الآخرة».

(٢) في (أ): «جنتك».

وروى أنس عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «مَن رأى شيئاً يعجبُه فقال: ما شاء الله لا قوةَ إلا بالله، لم يضرَّه»[١].

وقوله تعالى: ﴿إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾: ﴿أَنَا۠﴾ عمادٌ للنون في (تَرَن)[٢]، ومحلُّه نصبٌ لأنه مفعولٌ، و﴿أَقَلَّ﴾ مفعولٌ ثانٍ، وقوله تعالى: ﴿وَوَلَدًا﴾ دليلٌ على أن المراد من قولِ أخيه: ﴿وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾؛ أي: أعواناً من الأولاد وغيرهم.

* * *

(٤٠) ـ ﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾.

يقول: إن كنتَ تراني الآن أقلَّ مالاً وولداً وأنصاراً منك في الدنيا الفانية ﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرًا مِّن جَنَّتِكَ﴾ في الآخرة الباقية، ويحتمِل: في الدنيا؛ أي: يعطيني كما أعطاك.

وقوله تعالى: ﴿وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا﴾: أي: على جنتك ﴿حُسۡبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾؛ أي: عذاباً.

وأصل الحسبان: المرامي[٣] والنَّبلُ الصِّغار، وكأنه قال: سهاماً من السماء، سُمِّيت حُسباناً لأنها نَبلٌ معدودةٌ محسوبةٌ تجمع فتُرمَى بمرَّة.

---

(١) رواه البزار في «مسنده» (٣٠٥٥)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٢٠٧)، من حديث أنس رضي الله عنه، وفي إسناده أبو بكر الهذلي وهو ضعيف جداً كما قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٠٩).

(٢) في (ر): «تر».

(٣) في (ر): «المرمي»، وسقطت من (ف) مع الواو بعدها.

قال ابن عباس وقتادة: ﴿حُسۡبَانٗا﴾؛ أي: عذاباً[(١)].

وقيل: ناراً تُحرقها. وقال السدِّي: برداً.

وقال الزجَّاج: ﴿حُسۡبَانٗا﴾؛ أي: عذاباً هو حسبانُ ما كسبتْ يداك؛ لأن الحسبان هو الحساب[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا﴾: أملسَ لا نبت عليها، والصعيد: وجه الأرض، والزَّلَق: الذي تَزِلُّ عليه القدم لملوسته، و(تُصبح) دليلٌ على أن الحسبان يأتي ليلاً[(٣)]، وهو كقوله: ﴿فَطَافَ عَلَيۡهَا طَآئِفٞ مِّن رَّبِّكَ وَهُمۡ نَآئِمُونَ ١٩ فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ﴾ [القلم: ١٩ ـ ٢٠].

* * *

(٤١) ـ ﴿أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا﴾: أي: غائراً في الأرض فتيبسَ[(٤)] ﴿فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا﴾: أي: لا تقدر أن تطلبه فتردَّه إلى موضعه.

* * *

(٤٢) ـ ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾: تحقَّق ما ظنه الأخ المسلم، واجتيحت ثمار

---

(١) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٦٦).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٨٩).

(٣) في (أ): «بالليل».

(٤) في (أ): «فيبس» وليست في (ف).

جنَّته[١] ليلاً؛ أي: استؤصلت بآفة، وقيل: أُهلك ماله كلُّه: الجنانُ وغيرُ ذلك من أمواله[٢].

قال مجاهد: بثمره من ذهبٍ وفضةٍ وكلِّ شيء يملكه[٣].

وقال الضحاك: أحاط به أمر الله فهلك.

وقوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾: أي: إحداهما على الأخرى، يعني: الكافر.

وقال قتادةُ: يَصْفقُ كفيه ندَماً[٤].

﴿عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾: أي: في الجنة.

وقوله تعالى: ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾: قال الكلبيُّ: أي: ساقطةٌ على سقوفها، وذلك أنه يقع الحيطان أولاً قبل السقف، ثم يقع السقف على الحيطان، والخَواء: السقوط؛ قال تعالى: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧].

وقال السدِّي: ساقطةٌ على سقوفها[٥]؛ أي: سقطت الأشجار على السُّقُف[٦].

وقال أبو عبيدةَ: أي: خاليةٌ على بيوتها[٧]، فالخواء[٨]: الخلاء، والعُروش البيت.

---

(١) في (ف): «وأجيب ما رجيه»، وفي (ر): «وأحسب بما رجيته»، بدل: «واجتيحت ثمار جنته».

(٢) في (أ): «ماله».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٥٩).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٦٨).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٥٨٦).

(٦) في (أ): «السقوف».

(٧) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٤٠٥).

(٨) في (ر): «فالخوى».

وقال الخليل: خَوَتِ الدار: أي: باد[1] أهلها وهي قائمةٌ بلا عامرٍ[2].

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا﴾: أي: لمَّا رأى قدرة الله تعالى ندم على شركه.

وقيل: معناه: ليتني رأيت هذه النعمَ من الله، وبقوَّته لا بقوتي.

* * *

(٤٣) ـ ﴿وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ﴾: أي: لهذا الكافر فرقةٌ يرجع إليهم ويلتجئُ بهم.

﴿يَنصُرُونَهُۥ﴾: أي: يمنعون عنه عذاب الله ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: من المخلوقين، و﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: غيرِ الله؛ أي: لا نصرة إلا منه.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾: أي: لم ينصره غيرُه، ولا انتصَر بنفسه[3].

وقيل: لم يكن له ناصرٌ فينتصِرَ بنُصرته.

وفي قراءة حمزة والكسائي: ﴿ولم يكن له فئة﴾ بياء التذكير؛ لتقدُّم الفعل ولوجود الحائل، وفي قراءة الباقين بتاء التأنيث لأنه فعل الفئة[4].

* * *

---

(١) في (ف): «أي مات»، وفي (ر): «إذا مات».

(٢) انظر: «العين» (٤/ ٣٢٨).

(٣) في (ف): «ولا ينصر بنفسه»، وفي (ر): «ولا ينصر نفسه».

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٢)، و«التيسير» (ص: ١٤٣).

(٤٤) ـ ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ﴾: قرأ حمزة: ﴿الوِلاية﴾ بكسر الواو والباقون بفتحها[1]، وهما[2] لغتان كالرَّضاعة والرِّضاعة؛ قاله الفراء[3].

وقيل: بالكسر: السَّلطنة، وهي مصدرُ الوالي، وبالفتح: مصدرُ الوليِّ.

ومعنى الفتح؛ أي: في مثلِ ذلك الوقت والمقام، فإن هنالك لهما جميعاً تكون الموالاةُ لله[4]، يوالي أولياءه ويُعليهِم على أعدائه.

وقيل: أي: يتولَّى إعزازَهم ونصرهم، ويَكِلُ الكفارَ إلى أنفسهم وأعوانهم.

وقيل: أي: هنالك يتولَّى العبدُ اللهَ[5]، فيرجعُ إليه ويعتصِم به دون خلقه.

ومعنى الكسر: هنالك الـمُلك والسلطان والقهر والغلبة ونفاذ الأمر له وحده.

وقوله تعالى: ﴿لِلَّهِ ٱلْحَقِّ﴾ قرأ أبو عمرو والكسائي: ﴿الحقُّ﴾ رفعاً صفةٌ للولاية، وقرأ الباقون خفضاً صفةٌ لله عز وجل[6]، قال تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٦٢].

وقوله تعالى: ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا﴾: أي: في الآخرة لمن آمَن به والتجأ إليه.

وقوله تعالى: ﴿وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾: أي: عاقبةً لمن رجاه وعَمِل لوجهه.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٢)، و«التيسير» (ص: ١٤٣)، عن حمزة والكسائي.

(٢) في (أ): «قيل».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٤١٩) عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ﴾ [الأنفال: ٧٢].

(٤) في (ر) و(ف): «تكون الولاية لله جميعاً».

(٥) في (ر) و(ف): «إليه».

(٦) انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٢)، و«التيسير» (ص: ١٤٣).

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع والكسائي: ﴿عُقُباً﴾ مثقَّلةً، وقرأ عاصم وحمزة: ﴿عُقْبًا﴾ مخفَّفةً[١]، وهما لغتان كالشُّغْل والشُّغُل.

وقيل: ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ﴾ إشارةٌ إلى يوم القيامة وجزاءِ الأخوين فيه.

وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بلغَنا أنهما كانا أخوين ورِثا مالاً، فأصاب كلُّ واحد منهما أربعةَ آلاف دينار، فأما أحدهما فاتَّخذ بها الأرضِينَ والدُّورَ والبساتين، وأما الآخر فأعطَى ماله في[٢] اليتامى والمساكين وابن السبيل، فلما نفدَ ماله واحتاج إلى أخيه تعرَّض له يسألُه، فقال له أخوه: وأين مالك؟ فقال: أقرَضْتُه ربي وقدَّمْتُه لنفسي، قال: ولكنِّي اتخذتُ به لولدي ونفسي، ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ و﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا﴾ وولداً ﴿وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾، فكان بينهما ما قصَّه الله تعالى في كتابه، وهما الرجلان اللذان ذكرهما الله تعالى في الصافات: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ﴾ [الصافات: ٥١][٣].

وروي أنهما كانا في بني إسرائيل[٤].

وقيل: كانا ابني ملك في بني إسرائيل.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٢)، و«التيسير» (ص: ١٤٣)، وقراءة ابن عامر بالتثقيل؛ أي: ضم القاف.

(٢) «في» من (أ).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٥٨٤) و(٣/ ٦٠٧)، و«تفسير يحيى بن سلام» (١/ ١٨٥)، و«تفسير أبي الليث» (٢/ ٣٤٦)، و«تفسير ابن أبي زمنين» (٣/ ٦٢)، و«الهداية» لمكي (٦/ ٤٣٧٨)، و«تفسير القرطبي» (١٣/ ٢٦٩). وروى الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ١٦٩ - ١٧٠) هذه القصة مع زيادات عليها عن عطاء الخراساني.

(٤) ذكره أبو الليث في «تفسيره» (٢/ ٣٤٦) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

وقيل: ضرب الله مثلاً لرجلين أخوين من أهل مكة من بني مخزوم أحدهما مؤمنٌ[(١)] وهو أبو سلمة بن عبد الأسد بن عبد ياليل، واسمه: عبد الله، وكان[(٢)] زوجَ أم سلمة قبل النبيِّ ﷺ، والآخر كافر وهو الأسود بن عبد الأسد بن عبد ياليل، برجلين من بني إسرائيل أخوين[(٣)] أحدهما مؤمن والآخر كافر.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: المؤمن منهما يهوذا والكافر قطروس[(٤)]، وسياق القصة على ما مر.

* * *

(٤٥) - ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: يتَّصل بما تقدم من قصة المشركينَ المتكبرين على فقراء المؤمنين.

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم﴾؛ أي: وبيِّن لهم يا محمد ﴿مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ شَبهَ الحياة الدنيا التي يفتخرون بها ويترفَّعون بها على فقراء المؤمنين ﴿كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾: أي: هي كمطرٍ أنزلناه من السحاب[(٥)] ﴿فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ

---

(١) في (ف): «مسلم».

(٢) في (ف): «وهو».

(٣) «أخوين» ليس من (أ).

(٤) في (ر) و(ف): «مطروس». وذكره عن ابن عباس أبو الليث في «تفسيره» (٢/ ٣٤٦)، وفيه: أبو قطروس.

(٥) في (ر) و(ف): «السماء».

﴿ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: سقَى المطرُ النبات فالتزَق به فربَا[١] النباتُ واهتزَّ وحَسُنَ منظرُه، ثم انقطعت المادةُ من ذلك المطر عنه فيبس ثم تفتَّت.

وقوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا﴾: أي: صار مهشوماً مكسوراً مفتَّتاً.

وقوله تعالى: ﴿تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾: تقلِّبه وتطيِّره[٢] وترميه، وقد ذَرَتْه الريحُ تَذْروه ذَرْواً، وذَرَّتْه تَذْريَةً، وأَذْرَتْه تُذْرِيهِ إذْراءً.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾: يُنشئه ويُنميه إذا شاء، ثم يفتِّته ويكسره إذا شاء، يعني: ما ينال الإنسانُ من هذه الدنيا من عزِّها وغَنائها زائلٌ عن قريبٍ؛ كهذا[٣] النباتِ الحسن الذي يَرُوق ثم يَفنى ويزول، فما ينبغي للعاقل أن يثق ويفتخرَ بها ويتكبَّر بنَيلها[٤].

وفي قوله: ﴿فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾ وجهٌ آخر: وهو أن اختلاط النبات التفافُه وكثافتُه؛ أي: الْتفَّ النبات وكثُف ﴿بِهِۦ﴾؛ أي: بسببه.

ووجهٌ آخرُ: وهو أن الاختلاط اختلافُ الألوان من أبيضَ وأحمرَ وأصفرَ وأخضر، وهو كقوله: ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥].

وتتصل هذه الآية بما قبلها من وجه آخر: وهو أن ذلك الأخ الكافر قال: ﴿مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾ فبيَّن أنها تصير هشيماً، فكذا سائر الدنيا.

---

(١) في (أ): «فربرب».

(٢) في (ف): «نقلته وطيرته».

(٣) في (ف): «هكذا».

(٤) في (ف): «أن يثق ويتكبر بنيلها»، وفي (ر): «أن يثق ولا يكترث بها».

(٤٦) ـ ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: أي: تَتزيَّن بها وتَتجمَّل مدةً قليلة، ثم تزول وتنقضي.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾: أي: أعمالُ الخير هي باقياتٌ لبقاء أجرها ونفعها، وصالحاتٌ لانتفاء الفساد عنها.

وقوله تعالى: ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾: أي: ثوابُها وما يؤمَّل بها خير من المال والبنين.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما وابن مسعود ومحمد بن كعب وسعيد بن جبير ومسروق وعمرو بن شرحبيل: هن الصلوات الخمس، وهن الحسنات يذهبن السيئات[١].

وقال سعيد بن جبير: الباقيات الصالحات هن: الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، والحج إلى الحج.

وقال ابن عباس في رواية ـ وهو قولُ عثمان بن عفَّان وابنِ عمر ومجاهدٍ وعطاء بن يسار وسعيد بن المسيِّب رضي الله عنهم ـ: هن سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله[٢].

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٢٥٨)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٧٤ ـ ٢٧٥)، عن ابن عباس، وزاد في «الدر المنثور» (٤/ ٤١٨) عزوه للفريابي وابن أبي شيبة ومحمد بن نصر وابن أبي حاتم وابن المنذر وأبي الشيخ. ورواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٧٤ ـ ٢٧٥) عن سعيد بن جبير وعمرو بن شرحبيل وإبراهيم وأبي ميسرة. وذكره الواحدي في «البسيط» (١٤/ ٣٥) عن مسروق ومحمد بن كعب. وروي عن محمد بن كعب خلافه. انظر التعليق الآتي.

(٢) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٧٥ ـ ٢٧٩)، وزاد الحسن وقتادة ومحمد بن كعب.

وعـن النبـيِّ ﷺ فـي طـرق كثيـرة أنه فسـرها بذلـك، فمنها مـا روى أبو سـعيد الخـدري رضي الله عنـه عن النبي ﷺ أنه قال: «اسـتكثِروا من الباقيـات الصالحات» قيـل: ومـا هن يا رسـول الله؟ قال: «التسـبيحُ والتحميـدُ والتهليلُ والتكبيـرُ ولا حولَ ولا قـوةَ إلا بالله»[(١)].

ومنها: مـا روى[(٢)] أنس رضي الله عنه عـن النبيِّ ﷺ أنه قال لأصحابه يوماً: «خذوا جنَّتكم من النار وقولوا: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، هن المعقِّبات، وهن المنجِيات، وهنَّ سراج[(٣)] في الخيرات، وهنَّ الباقياتُ الصالحات»[(٤)].

وفي حديث أبي الدرداء عن النبيِّ ﷺ زيادة وهي: «هنَّ يَحْطُطْنَ الخطايا كما تَحطُّ الشجرةُ ورقَها، وهنَّ الباقياتُ الصالحات، وهنَّ من كنوز الجنة»[(٥)].

وقال الضحاك رحمه الله: الباقيات الصالحات هي[(٦)] الفرائض.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١١٧١٣)، وأبو يعلى في «مسنده» (١٣٨٤)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٧٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٤٠). وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٨٧): رواه أحمد وأبو يعلى... وإسنادهما حسن.

قلنا: ويشهد له حديث عثمان بن عفان في «مسند أحمد» (٥١٣)، وإسناده حسن.

(٢) في (أ): «روي عن».

(٣) في (أ): «سراع»، ولم أقف على هذه الجملة في المصادر.

(٤) رواه الطبراني في «الأوسط» (٣١٧٩)، وفي إسناده كثير بن سليم وهو ضعيف.

(٥) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٧٨٥)، وابن ماجه (٣٨١٣)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٦١٦). وفي إسناده عمر بن راشد، وهو ضعيف.

(٦) في (ف): «هن».

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية: هن الكلام الطيب(١).

وفي رواية عنه: هن جميع الأعمال الحسنة(٢).

* * *

(٤٧) ـ ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾: قرأ أهل الكوفة: ﴿نُسَيِّرُ﴾ بالنون و﴿ٱلْجِبَالَ﴾ بالنصب إخباراً من الله تعالى عن نفسه أنه يفعل كذا، وقرأ الباقون: ﴿تُسيَّرُ﴾ بالتاء وفتحِ الياء وضمِّ ﴿الجبالُ﴾ على ما لم يُسمَّ فاعله(٣).

ثم ذكر القيامة وما فيها من الأهوال والأفزاع، ومجيءِ الناس يومئذ منفردينَ عن الأموال، مَجزيِّين على الأعمال، نهياً لهم عن التكبُّر والترفُّع على الفقراء والضعفاء بالثروة وحُسن الأحوال، فقال: (يومَ تسيَّر الجبال)؛ أي: واذكر لهم يا محمد يوم ننسفُ الجبال عن مواضعها ونسيِّرُها في الهواء؛ كما قال: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨]، وهذه أحوالٌ متعاقبةٌ تظهر في الجبال يومئذ: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الحاقة: ١٤]، ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا﴾ [الواقعة: ٥]، ﴿وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ [المزمل: ١٤]، ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾ [الواقعة: ٦]، ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ٥].

﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾: ظاهرةً ليس عليها ما يسترُها من جبلٍ أو شجرٍ أو حجر.

وقيل: أبرزنا(٤) ما في بطنها من الموتى.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٨٠).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٨٠). ووقع في (ر) و(ف): «جميع أعمال الجنة».

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٣)، و«التيسير» (ص: ١٤٤).

(٤) في (ر): «أبرزت».

وقيل: لا مستتَر فيها. وقيل[1]: لا متفيَّأ فيها.

وقيل: أي: ترى أهل الأرض بارزين.

وقوله تعالى: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ﴾: أي: جمعناهم بعد الموت[2] للحساب.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾: أي: لم نَترك أحداً من الأوَّلين والآخِرين لم نُحضره، وهو ماضٍ بمعنى المستقبل.

* * *

(٤٨) ـ ﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَعُرِضُوا﴾: أي: يُعرضون ﴿عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ قيل: صفًّا واحداً.

وقيل: صفوفاً، ويؤدي الواحد عن الجمع؛ كما قال: ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [الحج: ٥]؛ أي: أطفالاً.

وقيل: صفٌّ بعد صفٍّ مستديرين كصفوف المصلِّين[3] حول الكعبة.

وقال الكلبيُّ والصنعانيُّ: صفًّا بعد صفٍّ؛ أي: جميعاً[4].

وقيل: ﴿صَفًّا﴾؛ أي: قياماً، كما قال: ﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ﴾ [الحج: ٣٦]؛ أي: قياماً.

وقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا﴾[5]: أي: يقال للمشركين المفتخرين بالأموال على

---

(١) «قيل» ليست في (ف).

(٢) في (ر) و(ف): «البعث».

(٣) في (أ): «المسلمين».

(٤) في (ر) و(ف): «جمعاً».

(٥) بعدها في (ر): «فرادى».

الفقراء: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾؛ أي: في بطون أمهاتكم حفاةً عراةً بلا أموالٍ ولا أولادٍ ولا أعوانٍ.

﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾: قال أبو عبيدة: إن العرب إذا كانوا في كلامٍ فأرادوا الأخذَ في غيره بدؤوه بـ(بل)، تقديره: ولقد جئتُمونا كما خلقناكم أولَ مرةٍ بعد تعزُّزكم[1] بالأموال والأولاد، وتكبُّركم على الفقراء، فأين تلك الأموالُ والأولاد، دعوا هذا فقد كنتُم تقولون شرًّا من هذا: لا بعثَ ولا نشورَ ولا موعدَ، وهو ميقاتٌ يبعث[2] فيه.

***

(٤٩) ـ ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾: أي: ويوضع كتاب كلِّ إنسان في يده، وهو واحد أريد به الجمع لأنه جنس.

وقوله تعالى: ﴿فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: أي: المذنِبينَ، وقيل ـ هو قول السديِّ ـ: أي: المشركين[3].

وقوله تعالى: ﴿مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾: أي: خائفين مما في الكتاب.

وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا﴾: لمَّا رأوا أعمالهم محصاةً عليهم فيه، وعلموا

---

(١) في (أ): «تغرركم».

(٢) في (أ): «بعث».

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٤/ ٤٢) عن ابن عباس رضي الله عنه.

أنهم مجازَون بها[١]، نادَوا بالويل والثُّبور ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ﴾ وهي[٢] لفظة تعجُّب.

وقوله تعالى: ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾: أي: لا يتركُ فعلةً دقيقةً ولا فعلةً جليلةً[٣] إلا أثبتها بقَدْرها[٤].

قال السدِّي: الصغيرة ما دون الشرك، والكبيرة الشرك[٥].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: الصغيرة التبسُّم، والكبيرة القهقهة[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا﴾، أي: في الكتاب ذكرُه.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾: أي: لا يعاقب بغيرِ ذنبٍ، ولا ينقص ثوابَ طاعةٍ.

* * *

(٥٠) ـ ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوُّۢۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾: أي: واذكر يا محمد قصةَ آدم وإبليس إذ أمرناه بالسجود لآدم في جملةِ مَن أمرناهم بالسجود له من الملائكة، فسجدوا إلا إبليس فإنه فسق عن أمر الله تعالى؛ أي: خرج بتكبُّره

---

(١) في (ف): «يجازون بها»، وفي (ر): «يجازون عليها».

(٢) في (ف): «وهذه».

(٣) في (ف): «فعلة جليلة ولا دقيقة»، وفي (ر): «فعلة قبيحة دقيقة ولا فعلة جليلة».

(٤) في (أ): «بعددها»، وسقطت من (ف).

(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٣/ ٢٩٨) عن الأسدي، وذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (٦/ ٤٤٠٠) دون عزو.

(٦) رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت» (٢٩٠).

ليعتبرَ هؤلاء المشركون بما أدَّاه إليه تكبُّره، ويعلموا أنهم يَفسُقون بتكبُّرهم أيضاً على فقراء المؤمنين.

وقوله تعالى: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾: قيل: هم جنس من الملائكة سُمُّوا به لاجتنانهم عن أعين الناس، وهو كقوله: ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ [الصافات: ١٥٨]؛ أي: الملائكةِ بقولهم: الملائكة بناتُ الله، وهذا قول محمد بن إسحاق[(١)].

وقال قوم: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾؛ أي: من خزَّان الجِنان[(٢)].

وقال سعيد بن جبير رضي الله عنه: كان من قبيلة يصوغون الحليَّ لأهل الجنة[(٣)].

وقيل: بل كان من الجن الذين في الدنيا[(٤)]، وهم المذكورون في قوله: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [الأنعام: ١٣٠] ونحوها من الآيات.

وقد بينَّا الاختلاف بين العلماء في ذلك وحججَ الفريقين في سورة البقرة عند قوله: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ﴾ [البقرة: ٣٤] أن هذا الاستثناء متصلٌ أم منقطع[(٥)]، وذكرنا القول المعتمد عليه في تلك السورة بحمد الله تعالى.

﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى﴾: استفهام بمعنى التوبيخ والإنكار[(٦)]؛ أي: أتتولَّون إبليس وأولاده بالطاعة لهم والاقتداء بهم.

---

(١) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (١/ ٥٣٨ ـ ٥٣٩).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٨٧ و٢٩٨ ـ ٢٩٠) عن ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك.

(٣) رواه ابن الأنباري في «الأضداد» (ص: ٣٣٤)، وابن أبي حاتم وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٠٢).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٨٩) عن الحسن قال: ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط، وإنه لأصل الجنّ، كما أن آدم عليه السلام أصل الإنس.

(٥) في (أ): «منفصل».

(٦) في (أ): «والاستنكار».

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾: أي: أعداءٌ، والعدوُّ بمعنى الجمع، وهو كقوله: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ﴾ [المنافقون: ٤].

﴿بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾: أي: بئس إبليسُ وأولادُه الواضعونَ التولِّيَ غيرَ موضعه بدلاً عن الله تعالى.

وعن الشعبي رحمه الله أنه قال: سألني رجل فقال: هل لإبليس زوجة؟ فقلت: إن ذلك لعرسٌ[١] ما شهدتُه، ثم ذكرتُ[٢] قوله: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ﴾ فقلتُ: لا تكون له[٣] ذريةٌ إلا من زوجةٍ[٤].

وروى أبو العلاء عن مجاهد في قوله: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ قال: هم خمسةٌ: قسوط، ودليبو، وداموس[٥]، وثبر، والأعور، أما دليبو فصاحب الراية في الأسواق، وأما داموس فهو الذي في البيوت يأكل مع الناس إذا لم يسمُّوا، وأما ثبر فصاحبُ شقِّ الجيوب على المصائب؛ كقولهم: واثبوراه، وأما الأعور فصاحب الربا يعمِّي أكله على الناس، وأما قسوط فصاحب الكذب الذي لا أصل له[٦].

---

(١) في (أ): «العرس».

(٢) في (ف): «فتذكرت».

(٣) «له» زيادة من (أ).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ١٧٦)، ورواه نحوه ابن الجوزي في «أخبار الظراف» (٥٤).

(٥) في (أ): «مسوط وزلينو وداسن»، وفي (ف): «فسوط ودلينو وداموس». وسيأتي هذا الاختلاف بين النسخ في باقي الخبر. وانظر التعليق الآتي.

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٩٢)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٥/ ١٦٨٢)، من طريق ابن جريج عن مجاهد، ورواه ابن أبي الدنيا في «مكائد الشيطان» (٣٥) من طريق زبيد عن مجاهد، وأسماء الخمسة عندهم متفقة، وهي: (زلنبور وداسم وثبر ومسوط والأعور)، وعندهم: (فأما الأعور فصاحب الزِّنَا)، زاد ابن أبي الدنيا: (الذي يأمر به ويزينه)، وباقي الخبر بنحوه عندهم مع =

(٥١) ـ ﴿ ۞ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا﴾: قال قتادة: أي: أعواناً[١]، من قولك: اعتضَدْتُ به؛ أي: استعنتُ به.

و﴿عَضُدٗا﴾ بمعنى الأعضاد[٢]، كما في قوله: ﴿ سَآءَ مَثَلًا ٱلۡقَوۡمُ ﴾ [الأعراف: ١٧٧]، وقوله: ﴿ثُمَّ يُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ﴾ [غافر: ٦٧]، وفيه وجوه:

قيل: ما أحضرتُ إبليسَ وذرِّيته ﴿خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ ﴾؛ أي: لم أَحتجْ في خلقِ ما خلقتُه إلى شيء من عونهم وإشارتهم، فكيف يكونون شركاء لي.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا﴾؛ أي: وما كنتُ لأعتضدَ في شيءٍ من تدبير خلقي بمن أعلمُ أنه لا يريد بهم خيراً بل يريد إضلالهم.

وقيل: هذا ردٌّ لقولهم: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ [الزمر: ٣]، و: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس: ١٨]؛ أي: إنهم مضلُّون لعبادي[٣]، وهم الجن، قال الله تعالى خبراً عن الملائكة: ﴿بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّ ﴾؛ أي: المشركون كانوا يعبدون الشياطين؛ أي: لا أجعلُ لهم شفاعةً فلا يكونون عضداً لهم، ويكون تقدير الآية: وما كنتُ متَّخذ المضلِّين عضداً لهم[٤] يعتضدون بشفاعتهم مع أنهم مضلُّون.

= بعض اختلاف بين كل منهم وبين ما ذكره المصنف.

(١) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٩٥).

(٢) في (أ): «الاعتضاد».

(٣) في (ر) و(ف): «يضلون عبادي».

(٤) «لهم» زيادة من (أ).

ووجهٌ آخر: ما أشهدتُ هؤلاء المشركين الذين يَنهون النبيَّ ﷺ عن مجالسةِ الفقراء والضعفاء ﴿خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾؛ أي: لم أستعِنْ بهم في شيءٍ من خلقي ولا تدبيري(١)، بل هم مخلوقون أنا خلقتُهم من ماءٍ مَهين، وما كنتُ لأتَّخذهم وهذه حالُهم عضداً؛ لأنهم مضلُّون فلا أعتضِد بهم في ديني(٢)، فلا تلتفتْ يا محمد إلى قولهم: لو أسلمنا أسلم الناس بإسلامنا، فأنا مستغنٍ وأنت عنهم.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ وإن كان لا يُتصوَّر شهودُ الإنسان خلقَ نفسه للإعانة(٣)؛ لأنه مبالغة في النفي فلا يقتضي التصوُّر، وكأنه قال: ما خلقوا أنفسهم ولا أعانوا على خلق غيرهم.

وقال محمد بن جرير: أي: ما أشهدتُ بعضَهم خلقَ بعضٍ فأستعينَ به وبرأيه(٤)، بل انفردتُ بخلقِ جميع ذلك بغيرِ مُعين(٥)، وهو كقوله: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: ١١]؛ أي: لا يَلمِزْ بعضُكم بعضاً، وقوله تعالى: ﴿فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١]؛ أي: فلْيسلِّم بعضكم على بعضٍ.

* * *

(٥٢) ـ ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾.

---

(١) في (ر): «بشيء من تدبيري ولا تقديري».

(٢) في (ر) و(ف): «دنيا».

(٣) في (أ): «للإعادة».

(٤) في (ر) و(ف): «فأستنصر به وبرأيه». وعبارة الطبري: (فأستعين به على خلقه).

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (١٥/ ٢٩٤).

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ﴾: قرأ حمزة: ﴿نقولُ﴾ بالنون والباقون بالياء[1].

أي: ﴿و﴾ اذكر لهم يا محمد أحوالَهم وأحوال آلهتهم ﴿يومَ﴾ القيامة إذ ﴿يَقُولُ﴾ الله لهم: ﴿نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ﴾؛ أي: ادعوا ﴿ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ أنهم شركائي وعبدتُموهم دوني؛ أي: ادعوهم لينفعوكم ولينصروكم ﴿فَدَعَوْهُمْ﴾؛ أي: ففعلوا ذلك ﴿فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ﴾ إلى ما دعوهم إليه.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾: قال ابن عباس وقتادة والضحاك وابن زيد رضي الله عنهم: أي: مَهلِكاً[2]، وقد وَبَقَ وُبوقاً ـ من حدِّ ضرب وعلم جميعاً[3] ـ: إذا هلك، وأوبَقه غيره: إذا أهلكه، وعلى هذا قول الكلبي: معناه: وجعلنا وصلهم هلاكاً، من قوله: ﴿لقد تَقَطَّع بينُكم﴾ [الأنعام: ٩٤]؛ أي: وَصْلُكم، وتقديره: وجعَلْنا تواصُلَهم هلاكاً لهم بعد أن قدَّروا نفعَها وشفاعتَها.

ويحتمِل أن يكون معناه: وجعلنا بينهم وبين آلهتهم من الشياطين مهالكَ[4] بالنار والعذاب؛ أي: أدخلْنا كلَّهم[5] النارَ: العابدين والمعبودين، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨].

وقال مجاهد وابن جريج: ﴿مَّوْبِقًا﴾: هو واد في جهنم[6].

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٣)، و«التيسير» (ص: ١٤٤).

(٢) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٩٦).

(٣) أي: وَبَقَ يَبِقُ وُبُوقًا، ووَبِقَ يَوْبَقُ وَبَقًا. انظر: «الصحاح» (مادة: وبق).

(٤) في (أ): «مهلكاً».

(٥) في (ف): «أدخلناهم».

(٦) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٩٦).

وقال عمرٌو البِكالي: هو وادٍ عميقٌ يفصل بين أهل الجنة وأهل النار[١].

وقال عكرمة: هو نهرٌ في النار على حافتيه حياتٌ مثلُ البغال[٢].

يعني: جعلنا بينهم وبين معبودِيهم من الملائكة وعيسى وعُزيرٍ عليهما السلام هذا الواديَ أو النهر، فهؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار، يدعونهم فلم يستجيبوا لهم.

وقال الحسن: ﴿مَّوۡبِقٗا﴾؛ أي: عداوةً يوم القيامة[٣]؛ أي: يتلاعنون[٤] ويتبرأ بعضهم من بعضٍ، وهو من الهلاك أيضاً، فكأن الموبِقَ عداوةٌ مُهلِكةٌ على هذا.

قال نِفطَويه: ﴿مَّوۡبِقٗا﴾؛ أي: محبِساً، يقال: أَوْبَقْتُه؛ أي: حَبَستُه، وقال النبيُّ ﷺ في المارِّين على الصراط: «ومنهم الموبَقُ بذنوبه»[٥]؛ أي: المحبوس.

* * *

(٥٣) ـ ﴿وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمۡ يَجِدُواْ عَنۡهَا مَصۡرِفٗا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾: أي: علموا وأيقنوا أنهم داخلوها.

وقيل: حين يُجاء بالنار لها تغيُّظٌ وزفيرٌ علموا أنها تأتيهم فتأخذهم.

وقوله تعالى: ﴿وَلَمۡ يَجِدُواْ عَنۡهَا مَصۡرِفٗا﴾: أي: مَعدِلاً.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٩٧) عن عمرو البكالي، وعنه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٠٥) بلفظ: هو نهر في النَّار يسيل ناراً على حافتيه حيات أمثال البغال الدهم فإذا ثارت إليهم لتأخذهم استغاثوا بالاقتحام في النَّار منها.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٩٦).

(٤) بعدها في (ر) و(ف): «يوم القيامة».

(٥) () رواه البخاري (٦٥٧٣)، والإمام أحمد في «المسند» (٧٧١٧)، وابن حبان (٧٤٢٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وعندهم: «بعمله» بدل: «بذنوبه».

(٥٤) ـ ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾: أي: صرَّفنا القولَ في كلِّ نوع من الأمور، وأتينا فيها بضروب الأمثال، فضربنا مَثَل البعثِ بابتداء الخلق، وبإحياء الأرض بعد موتها، وضربنا مثَل الشرك بالشركاء المتشاكسِينَ ورجلاً سالماً لرجل، وضربنا الأمثال للحق والباطل، والمثَلَ لمن اغتر بالدنيا وتعزَّز بزينتها من المال والولد.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾: أي: والمشركون مع هذه الأمثال يُكثرون الجدال من غير علم.

وعن أبي زيد قال: هو خصومة القوم لأنبيائهم، وردُّهم عليهم ما جاؤوا به، وقرأ: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٣] الآيات ﴿يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ [المؤمنون: ٢٤] الآيات، وقوله تعالى: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾ [الإسراء: ٩٠] الآيات[١].

* * *

(٥٥) ـ ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ﴾: أي: وأن يستغفروا، والهدى: القرآن، والاستغفار: التوحيد.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٠٠).

يقول: لم[١] يمنع هؤلاء الكفارَ حين جاءهم الكتابُ الهادي إلى الرشد أنْ يؤمنوا به ويستغفروا لِمَا سلف من ذنوبهم ﴿إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾؛ أي: إلا التماسُهم أن ينزل عليهم من الآيات ما حُكمي في مثلها أنهم إذا لم يؤمنوا بها أنزلت عليهم عذاب[٢] الاستئصال الذي هو سنَّتي في الأولين، أضاف السُّنَّة إليهم لأنها سنَّة الله فيهم.

وقوله تعالى: ﴿أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ قُبُلًا﴾: قرأ عاصمٌ بضمِّ القاف والباء وهي قراءةُ حمزة والكسائي أيضاً؛ جمع قَبيلٍ بمعنى: ضروب من العذاب، وقرأ الباقون بكسر القاف وفتح الباء[٣]، بمعنى: مقابَلةً ومعايَنةً.

***

(٥٦) ـ ﴿وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوٗا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾: أي: بهذا نرسل المرسلين لا بما التمسوه من الآيات التي تَضطرُّ إلى الإيمان، فلا يكون لها[٤] ثوابٌ ولا يقع به تبشير.

وقوله تعالى: ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ﴾: أي: إنما يقترح الكفار الآياتِ تعنُّتاً ومجادَلة بالباطل، وقصداً منهم أن يُبطلوا بجدالهم الحقَّ الذي أنزله الله تعالى.

---

(١) في (ف): «ما».

(٢) «عذاب» ليس في (أ) و(ف).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٣)، و«التيسير» (ص: ١٤٤).

(٤) في (أ): «بها».

وقوله: ﴿لِيُدۡحِضُواْ﴾؛ أي: ليُزيلوا به الحقَّ من موضعه، من قولهم: دَحَضتْ رجله، أي: زَلِقتْ وزلَّتْ، ومكان دَحْضٌ؛ أي: زَلِق[١].

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوٗا﴾: أي: إنذارَهم مما يُهزأ به.

***

(٥٧) ـ ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ وَإِن تَدۡعُهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ﴾: أي: ومَن أظلم لنفسه وعقله ممن وُعظ بالقرآن المعجز ولم يتَّعظ.

وقوله تعالى[٢]: ﴿فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا﴾: أي: عن التدبُّر فيها ﴿وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ﴾: أي: بترك التدبُّر فيما قدَّم من سوء أعماله[٣].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً﴾: أي: أغطيةً مانعةً من ﴿أَن يَفۡقَهُوهُ﴾؛ أي: يفهموه، وهو[٤] الخذلان لمَّا علم الله اختيار الضلال منهم.

وقوله: ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗا﴾: أي: وجعلنا في آذانهم ثقلاً مانعاً أن يستمعوا الحقَّ ويعقلوه؛ خذلاناً لهم على سوء اختيارهم وشُؤم إصرارهم.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَدۡعُهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ﴾: أي: وإن اجتهدتَ في دعائهم إلى الإيمان.

---

(١) في (أ): «مزلة».

(٢) «ولم يتعظ وقوله تعالى» ليس في (أ).

(٣) في (أ): «عمله».

(٤) في (أ): «وهذا».

﴿فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا﴾: أي: فلن يَرْشُدوا أبداً، وهذا في قوم بأعيانهم من المتمرِّدين المتعنِّتين[1] الذين عَلِم الله تعالى منهم أنهم لا يؤمنون.

* * *

(٥٨) ـ ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾: أي: الساترُ لذنوب العباد، الرحيمُ بترك التعجيل في العقوبة ﴿لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ﴾: لو أراد أخذهم بما فعلوا من الذنوب ﴿لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ﴾: الاستئصال في الدنيا.

﴿بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ﴾: أي: وقت للعذاب إذا جاء ذلك الوقت لم يتأخَّر عنهم.

وقوله تعالى: ﴿لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا﴾: أي: من دون الله ملجأً يلجؤون[2] إليه ويمتنِعون به إذا نزل بهم العذاب.

وقيل: أي: من دون العذاب؛ أي: لن يجدوا شيئاً يلتجئون إليه سوى العذاب.

وقيل: كان هذا العذاب يوم بدر.

وقال السدِّي: هو يومَ القيامة[3].

* * *

(٥٩) ـ ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ﴾: أي: أولئك أهلُ البلاد

---

(١) في (ف): «بأعيانهم متمردين متعنتين».

(٢) في (ف): «يلتجئون».

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٠٧).

أهلكناهم، وهي القرى التي عرَفوها من قرى قوم لوطٍ وشعيبٍ وعادٍ وثمودَ ونحوِها.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾: قرأ عاصم بفتح اللام والميم، وروى حفص عنه بفتح الميم وكسر اللام؛ أي: لهلاكهم، وقرأ الباقون بضم الميم وفتح اللام[1]؛ أي: لإهلاكهم.

﴿مَّوْعِدًا﴾؛ أي: أجلاً.

وقال الحسن: لم يعذِّب الله قوماً إلا بمواعَدةٍ تواعَدَهم، ألا تسمعه يقول: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ [هود: ٦٥] وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ [هود: ٦٥] ويقول: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [هود: ٨١][2].

* * *

(٦٠) - ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ﴾: أي: واذكر يا محمدُ لهؤلاء المشركين المتكبِّرين على فقراء المسلمين قصةَ موسى وتواضُعَه للَّذي ذهب إليه يتعلم منه.

وفيه: تقريعُهم على تكبُّرهم ومدحٌ للمؤمنين على تواضعهم.

وفيه أيضاً: تعريف أهل الكتاب والمشركين أن خفاءَ حال أصحاب الكهف

---

(١) قرأ أبو بكر عن عاصم بفتح الميم واللام، وحفص عنه بفتح الميم وكسر اللام، وباقي السبعة بضم الميم وفتح اللام. انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٣)، و«التيسير» (ص: ١٤٤).

(٢) في (ف): «وقال تعالى». وقد ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٧/ ١٨٩).

وذي القرنين على محمد ﷺ وتأخُّرَ الوحي عنه لا يدلُّ على أنه ليس بنبيٍّ، فإن موسى عليه السلام كان نبيًّا اصطفاه الله تعالى بكلامه، ثم ذهب عليه من العلم ما علِمه غيرُه حتى احتاج إلى الارتحال إليه وطلبه منه.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ﴾: أي: موسى بنُ عمران، وهو قول أكثر الصحابة والتابعين وعامةِ المفسرين رضوان الله عليهم أجمعين.

وقوله: ﴿لِفَتَىٰهُ﴾ وهو يوشع بن نون، وعليه الأكثر، وهو ابنُ أخت موسى.

وقال الحسن: ﴿لِفَتَىٰهُ﴾؛ أي: لعبده.

وقال محمد بن إسحاق: هو موسى بن ميشا بن يوسف، وكان نبيًّا في بني إسرائيل قبل موسى بن عمران، وزعم أهل التوراة أنه هو الذي طلب العلم عند الخضر(١).

وقيل لابن عباس رضي الله عنهما: إن نوفاً البكاليَّ ابنَ امرأةِ كعبِ الأحبار يزعُم عن كعبٍ أن موسى بن ميشا بن يوسف هو الذي طلب العلم؟! فقال ابن عباس: كذَب نوفٌ، حدثني أبيُّ بن كعب عن النبيِّ ﷺ: «أن موسى بن عمران صلوات الله عليه سأل ربَّه عز وجل فقال: يا رب، إن كان في عبادك أحدٌ أعلمَ مني فادْلُلْني عليه، فقال له: نعم، في عبادي من هو أعلم منك، ثم نعت مكانه وأذِن له في لقائه، فخرج موسى عليه السلام ومعه فتاه يوشع بن نون...»، وذكر الحديث(٢).

---

(١) رواه عنه الحاكم في «المستدرك» (٤٠٩٣)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٢١)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٥/ ١٦٤). ووقع في مطبوع «النكت»: (موسى بن منشى). وهذا القول قال عنه ابن الجوزي: ليس بشيء؛ للحديث الصحيح. قلنا: سيأتي لاحقاً.

(٢) هذا بداية حديث طويل رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٢٦ ـ ٣٢٩). وهو بنحوه في «صحيح البخاري» (١٢٢)، و«صحيح مسلم» (٢٣٨٠).

وقال محمد بن إسحاق: يوشعُ بن نون هو الذي نبأه الله في زمن موسى وبعده، وهو الذي افتتح لموسى[1] أريحا وقتل جبابرتها، وله رُدت الشمس يومئذ.

وقوله تعالى: ﴿لَآ أَبۡرَحُ﴾؛ أي: لا أزال أسير.

وقيل: أي: لا أزايلُ سيري، وفي قوله: ﴿فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ﴾ [يوسف: ٨٠]؛ أي: لا أزايل مقامي.

﴿حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾: قال قتادة: بحر الروم مما يلي المغربَ، وبحر فارسَ مما يلي المشرقَ. وقال محمد بن كعب: طنجة[2].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: مجمع البحرين الخضر وإلياس، وهما بحران في العلم[3].

وقوله تعالى: ﴿أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبًا﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: دهراً. وقال قتادة: زماناً[4].

وقيل: هو سنةٌ بلغة قيس.

وقال مجاهد: سبعون سنةً. وقال عبد الله بن عمرو: ثمانون سنةً[5].

---

(١) «لموسى» ليس من (ف). وقد ذكر الطبري في «تاريخه» (١/ ٢٥٧) خلافاً بين السلف: هل كان مسير يوشع إلى أريحا لقتال الجبارين في حياة موسى أو بعده؟

(٢) رواهما الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٠٨ ـ ٣٠٩).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٢٢) عن السدي. وهذا قول لا يلتفت إليه، وهو أقرب لكلام أهل الإشارة، وهو مردود بنص القرآن، حيث قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجۡمَعَ بَيۡنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ سَرَبًا﴾.

(٤) رواهما الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣١١).

(٥) رواهما الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣١٠).

قيل: لمَّا أعلمه الله حال الخضر ولم يُعْلمه موضعَه بعينه، وإنما جعل له علامةً، أَخبر أنه قد وطَّن نفسه على طلبه وإن احتاج إلى قطع مسافة بعيدةٍ وتَزْجيَةِ مدةٍ طويلة.

***

(٦١) ـ ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا﴾: أي: انطلقا حتى بلغا مجمع البحرين.

وقوله تعالى: ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾: أي[1]: الحوتَ الذي كانا تَزوَّدانه، وشاهَد ذلك يوشعُ، وكان موسى بحيث لم يَرَه، وارتحلا من ذلك الموضع ونسي يوشع أن يذكر ذلك لموسى.

ثم[2] قوله: ﴿نَسِيَا﴾ مع أن الناسي يوشعُ وحده، فعند الفراء طريقُه طريقُ قولِهِ تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٢٢] وهو يخرج من المالح دون العذب[3]، وقولِهِ تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾ وهو من الإنس دون الجن.

وقيل: كانا معاً تزوَّدا للحاجة إليه في سفرهما، وفي هذا وإن كان في يد أحدهما تضاف الأفعال إليهما، يقول الرجل: كنا في سفرٍ كذا ومعنا[4] من الزاد كذا، ولما كنَّا بمرحلةٍ كذا نسينا الزاد هناك، وإن كان الزاد في يد مَن يقوم بأمر الرفقة؛ لاتفاقهم على ذلك.

---

(١) بعدها في (ر) و(ف): «دخل البحر».

(٢) «ثم» ليس من (أ).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٥٤).

(٤) في (أ): «ومعي»، وفي (ر) و(ف): «ومعناه». والصواب المثبت.

وقوله تعالى: ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾: اختلف في معناه:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: جَعل سبيله في البحر كالسرب؛ أي: النفقِ[١] الذي يُدخل فيه فيُسلك منه إلى موضع.

وقال أبو عبيدةَ وقطربٌ والأخفش: ﴿سَرَبًا﴾؛ أي: مسلكاً ومذهباً يُسرب[٢] فيه؛ كما قال: ﴿وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ [الرعد: ١٠][٣]، وقد سرَب سُروباً؛ أي: مضى وذهب.

وقيل: صار طريقه كالطاق.

وقيل: بل جمد طريقه حتى سلك فيه[٤].

وقيل: بل صار حجراً مضى عليه[٥].

وقال ابن زيد: حيي الحوت في البطحاء بعد موته، ثم مشى على البطحاء إلى البحر، فذلك هو السرب[٦]؛ أي: الطريق على البطحاء إلى البحر، ثم انغمس فيه.

وقيل: كان يغسله على الشط فوثب فانسرب في الماء.

وقال أبو مالك: أوحَى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: إن لي عبداً هو أعلمُ

---

(١) في (ر): «الشق»، وفي (ف): «النشف».

(٢) في (ف): «يسلك».

(٣) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٤٠٩).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣١٤) عن قتادة، ولفظه: (فجعل لا يسلك فيه طريقا إلا صار ماءً جامداً)، فلعل الصواب في عبارة المؤلف: (... حين سلك فيه). وكثيراً ما يقع الاشتباه بين (حتى) و(حين) في النسخ.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣١٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣١٥).

منك فاطلبه، قال: وما علامته؟ قال: تنطلق معك بزاد وتخرج في طلبه فإذا تعبتَ في سفرك...[١].

وفي حديث سفيان عن عمرو قال: «تأخذ حوتاً فتجعله في مكتلٍ، فحيثما فقدتَ الحوتَ فهو ثَمَّ»[٢]، فانطلق موسى ويوشعُ وحملا معهما خبزاً ولحماً[٣]، وأقبلا من الشام حتى أخذا بحر أرمينية.

وفي حديث أبي مالك عن ابن عباس رضي الله عنهما: تزودا أربعةَ أرغفةٍ في مكتلٍ وسمكةً مالحةً[٤].

وفي حديث العَوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما: أوحى الله إليه أن ائتِ البحر فإنك تجد على شاطئ البحر حوتاً، فخذه وادفعه إلى فتاك ثم الزَمْ شطَّ البحر، فإذا نسيت الحوت فتجد[٥] العبد الصالح الذي تطلبه، تجده عند الصخرة[٦].

فانتهيا إلى الصخرة، ثم وضع موسى رأسه، فقام يوشع وقال: لو أني غسلتُ هذه السمكةَ من هذا الماء[٧] يأكل منها نبيُّ الله، فغسلها وكانت عينٌ في البحر تدعى:

---

(١) ذكره أبو الليث السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣٥٣) عن السدي.

(٢) قطعة من رواية البخاري (٣٤٠١)، ومسلم (٢٣٨٠/ ١٧٠) من طريق سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن أبي بن كعب، عن النبي ﷺ.

(٣) في (ف): «صِرَارَ لحم» بدل: «خبزاً ولحماً». وفي روايات الصحيحين أنهما حملا حوتاً في مكتل.

(٤) لم أجده، وانظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٥٩٣)، وفيه: (ومعهما خبز وسمكة مالحة في مكتل).

(٥) في (أ) و(ف): «فثم تجد».

(٦) قطعة من خبر طويل رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٣٠) من طريق عطية عن ابن عباس رضي الله عنهما، وإسناده ضعيف.

(٧) في (أ): «الملح».

عين الحيوان، فلما غسلها اضطرب الحوت فوقع في الماء فذهب، فانجاب[١] الماء فصار مثل السرب.

وفي حديث السدي: فصار أثره في الماء جامداً[٢].

وفي حديث سفيان عن عمرو: «فأمسك الله جريةَ الماء عليه مثلَ الطاق»[٣].

* * *

(٦٢) ـ ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾: أي: تعدَّيا ذلك الموضعَ الذي سربه الحوت في الماء ﴿قَالَ لِفَتَىٰهُ﴾؛ أي: قال موسى لصاحبه يوشع: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾؛ أي: ائتنا بغدائنا.

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾: أي: تعباً، والجوعُ يَقْوَى معه.

وفي حديث سفيان عن عمرو: «فانطلقا يمشيان، فلما كان من الغد وجد موسى النَّصَب، ولم يجد النَّصَب حتى جاوز المكان الذي أمره الله تعالى به»[٤].

* * *

(٦٣) ـ ﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾.

---

(١) بعدها في (أ): «البحر».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣١٤) عن قتادة، وقد تقدم قريباً. وورد نحوه في رواية عطية عن ابن عباس الذي تقدمت قطعة منه قريباً.

(٣) قطعة من رواية البخاري (٣٤٠١)، ومسلم (٢٣٨٠/ ١٧٠) من طريق سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن أبي بن كعب، عن النبي ﷺ.

(٤) انظر التعليق السابق.

﴿قَالَ﴾: أي: يوشع: ﴿أَرَءَيْتَ﴾ استفهام بمعنى التقرير، وظاهره: أعلمتَ، ومعناه: اعلم أنه كان كذا.

وقوله تعالى: ﴿إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ﴾: أي: التجأنا إليها للاستراحة ﴿فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾؛ أي: نسيت أمر الحوت أن أذكره لك ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ بإلقاء الخواطر في القلب.

﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ﴾: من كلام يوشع في الإخبار عن حال الحوت.

وقوله تعالى: ﴿عَجَبًا﴾ له وجوهٌ:

قيل: هو تمامُ كلام يوشع؛ أي: اتَّخذ سبيله في البحر اتخاذاً عجباً، وهذا مما يُتعجَّب منه إذ صار كالطاق.

وقيل: قوله: ﴿عَجَبًا﴾ قول موسى؛ أي: يا[1] عجباً من هذا، وقيل: عجباً من نسيانك هذا الأمر العجيبَ أن تذكُرَه لي.

وقال الحسن: بينهما وقفٌ حسنٌ لهذا[2].

وعن[3] ابن عباس رضي الله عنهما: أن قوله: ﴿وَٱتَّخَذَ﴾ من كلام الله تعالى، و(اتَّخذ) فعلُ موسى، معناه: وعَدَّ موسى سلوكَ الحوت في البحر بهذا الطريق عجباً، وكذا لفظ مجاهد وقال: موسى تَعجَّبَ من أثر الحوت[4].

---

(١) «يا» ليست في (ف).

(٢) ذكره عن الحسن الداني في «المكتفى في الوقف والابتدا» (ص: ١٢٥). ويردُّ هذا القول تأخير ﴿قَالَ﴾ عن ﴿عَجَبًا﴾ كما ذكر ابن كمال باشا في «تفسيره» عند هذه الآية.

(٣) في (أ): «ولهذا قال».

(٤) رواهما الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣١٧ ـ ٣١٨).

وروى أبيٌّ بن كعب عن رسول الله ﷺ: «فكان البحر للحوت سَرَباً ولموسى وفتاه عجَباً»(١).

وقيل: ﴿وَاتَّخَذَ﴾ هو فعلُ يوشع؛ أي: وعَجِبَ يوشع وموسى من سَرَبِ(٢) الحوت في البحر.

* * *

(٦٤) - ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾: أي: قال موسى ليوشع: هو الذي كنا نطلبُه؛ لأن ذهاب الحوت كان جُعل علماً له على وجود الخضر، و﴿ذَلِكَ﴾ يصلح إشارةً إلى انسراب الحوت فإنه جُعل عَلَماً، ويصلح إشارة إلى المكان فإن وجود الخضر كان فيه.

وقوله تعالى: ﴿فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾: أي: فرجع موسى ويوشع ﴿عَلَى آثَارِهِمَا﴾؛ أي: على طريقهما الذي جاءا منه، وقوله: ﴿قَصَصًا﴾؛ أي: اتِّباعاً لذلك الأثر لا يزولان عنه.

* * *

(٦٥) - ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا﴾: أي: وجَدا هنالك ذلك المطلوب.

وقوله تعالى: ﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا﴾: قيل: أي: نبوَّةً، كما قال: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ [الزخرف: ٣٢].

---

(١) قطعة من رواية البخاري (٤٧٢٥)، ومسلم (٢٣٨٠/ ١٧٠).

(٢) في (أ): «تسرب».

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾: أي: عِلماً من عِلْمنا لم نعلِّمه غيرَه، وهو دليل على نبوته، وكذلك قوله: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾.

وقيل: العلم اللدُنيُّ: ما حصل للعبد من طريق الإلهام.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: هو ما لا يجد صاحبه سبيلاً إلى جَحْده ولا دليلاً على صحته(١).

وقال الضحاك: لمَّا رجعا وأتَيَا تلك الصخرةَ التي جلسا عندها، فإذا البحر فيه الحوت، فرجع الحوت مُدْبِراً في البحر، ثم أقبل ثم انطلق، فاتَّبعه موسى، فلما تحرك في الماء صار له حجراً وتبعه(٢) موسى حتى انتهى إلى العبد الصالح.

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما: فإذا رجل على شاطئ البحر ملتفٌّ بكساء(٣).

وفي حديث أبي العالية: وجده قائماً في جزيرة من جزائره(٤).

وقال الكلبي: وجده قائماً يصلِّي.

وفي حديث عثمان بن أبي سليمان: «رآه على طِنْفِسةٍ خضراءَ على وجه الماء»(٥).

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٤٠٨).

(٢) في (ف): «ومعه».

(٣) ورد بنحوه في الصحيحين، ولفظه: «فَلَمَّا انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ، إِذَا رَجُلٌ مُسَجًّى بِثَوْبٍ» أو قريب من هذا، وانظر التعليق الآتي.

(٤) رواه عبد بن حميد كما في «الفتح» (٨/ ٤١٧)، قال الحافظ: (ولعبد بن حميد من طريق أبي العالية: فوجده نائماً في جزيرة من جزائر البحر ملتفًّا بكساء).

(٥) قطعة من رواية البخاري (٤٧٢٦) من طريق ابن جريج، عن يعلى بن مسلم وعمرو بن دينار، عن سعيد ابن جبير، عن ابن عباس، عن أبيٍّ، عن النبي ﷺ، وفيه: «فرجَعَا فوجَدا خَضِرًا ـ قال لي عثمان بنُ أبي =

وفي حديث أبي مالكٍ: وجده قائماً يصلِّي في مِدْرعةِ صوفٍ وكساءٍ، يصلِّي عند[1] الصخرة، وإذا العشبُ قد نبت وغطَّى قدميه، وسمي الخضر لذلك؛ لأنه حيث كان[2] تَنبت الخضرة[3].

وقال وهبٌ: قال موسى: يا ربّ، هل آتيتَ عبداً من عبادك من العلم[4] ما لم تؤتِني؟ فأوحَى الله إليه: نعم هو[5] عبدٌ من عبيدي يقال له: إيليا، يعبدني في جزيرةٍ من جزائر البحر ـ قد سماها له ـ قال: يا ربّ، فأْذَنْ[6] لي في لُقيِّه، فأَذِنَ له، وذلك في زمان التِّيه، فانطلق مع يوشع حتى انتهى إلى البحر، ووكَّلَ الله تعالى حوتاً من حيتان البحر يدلُّهما على مكانه، فسايرهما في البحر كأنه كوكبٌ درِّي، وأوحى الله إليه: إنك[7] إذا فقدتَ الحوت فإن صاحبك حيث يتغيَّب عنك الحوت..، وذكر القصة إلى أن قال: فدخلا في السَّرب حتى انتهيا إلى موضع الخضر، فإذا هو في روضة خضراء عليه

= سليمانَ ـ على طِنْفِسَةٍ خضراءَ، على كَبِد البحر». قال الحافظ في «الفتح» (٨/ ٤١٧): (القائل هو ابن جريج، وعثمان هو ابن أبي سليمان بن جبير بن مطعم، وهو ممن أخذ هذا الحديث عن سعيد بن جبير. وروى عبد بن حميد من طريق ابن المبارك عن ابن جريج عن عثمان بن أبي سليمان قال: رأى موسى الخضر على طنفسة خضراء على وجه الماء، انتهى. والطنفسة: فرش صغير).

(١) في (ف): «على».

(٢) في (ف): «قام».

(٣) لم أجده، وروى البخاري (٣٤٠٢)، والترمذي (٣١٥١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّما سمِّيَ الخَضِرُ خَضِرًا لأنَّه جلسَ على فروةٍ بيضاءَ فاهتزَّتْ تحتَه خضراء»

(٤) «من العلم» ليس من (أ).

(٥) «نعم هو» ليس من (ف).

(٦) في (ف): «تأذن».

(٧) في (ف): «أن».

ثيابٌ خضر قائمٌ يصلي، فسلم موسى ويوشع عليه فرد عليهما السلام[1].

وفي روايةٍ قال: وعليك السلام يا نبيَّ بني إسرائيل، قال: ومَن أدراك بي؟ قال: أدراني بك مَن أدراك بي ودلَّك عليَّ، قال: فما الذي جاء بك؟ قال: جئتُك لتعلِّمني مما عُلِّمتَ رُشداً[2]، وذلك قوله تعالى:

* * *

(٦٦) ـ ﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ﴾.

﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ﴾: وفيه تعليمُ التواضع لمن طلب العلم من غيره، فإنه غايةُ التواضع من موسى، فإنه بدأ بالاستفهام والاستئذان، ووصف نفسه بالاتِّباع، ومدَحه بالعلم، وأظهر الرغبة فيما عنده من العلم.

وفي رواية: قال له الخضر في جواب هذا: لك في التوراة علمٌ وفي بني إسرائيل شغلٌ.

* * *

(٦٧) ـ ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴾.

ثم ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴾: أي: يَثقل عليك الصبرُ على ما تَرى مني؛ لأنك تنظر إلى ظاهر ذلك الأمرِ، وربما يكون فيه سرٌّ لا يكون لك عليه اطِّلاع، وذلك قوله:

---

(١) لا شك أنه من الإسرائيليات، ويكفيه رداً مخالفته للمتفق عليه من الروايات.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ١٨٢ ـ ١٨٣) عن ابن عباس، وبنحوه عبد بن حميد عن الربيع بن أنس كما ذكر الحافظ في «الفتح» (٨/ ٤١٧)، وقال: وهذا إن ثبت فهو من الحجج على أن الخضر نبي، لكن يُبعد ثبوته قوله في الرواية التي في الصحيح: «مَن أنت؟ قال: أنا موسى، قال: موسى بني إسرائيل؟» الحديث.

(٦٨) ـ ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾.

﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾: أي: على ما لم تعلم وجهَه؛ لاتِّصال ما أفعلُه بمعرفة العواقب التي لا يحيط بها علماً إلا مَن علَّمه الله إياها.

* * *

(٦٩) ـ ﴿قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾.

﴿قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾: الاستثناء على الأمرين للواو، وهو كقوله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، وهذا تواضعٌ آخرُ بعد تمنُّعٍ كان من الخضر.

ثم تحكَّم عليه من وجهٍ آخرَ ثانياً، وذلك قوله تعالى:

* * *

(٧٠) ـ ﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾.

﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾: أي: عن شيء تراه وتُنكره لظاهره، فلا تُراجِعْني فيه ﴿حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾؛ أي: بياناً لوجهه.

* * *

(٧١) ـ ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَٱنطَلَقَا﴾: أي: فسارا، قال وهبٌ: فمشيَا على ساحل البحر.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾: مرت بهما سفينةٌ وثيقةٌ جديدةٌ،

فسألا أهلها أن يحملوهما ففعلوا[١]، فلما اطمأنَّا في السفينة ولجَّجت[٢] بأهلها ﴿خَرَقَهَا﴾؛ أي: الخضرُ.

وكانت لمساكين، وكانوا عشرةَ إخوةٍ زَمْنَى لم يكن لهم معيشةٌ غيرها، وكانت مأواهم ورثوها من أبيهم[٣]، وكان خمسةٌ منهم يعملون فيها وخمسةٌ لا يطيقون العمل، فأما العمالُ منهم فكان أحدهم مجذوماً، والثاني أعورَ، والثالث أعرجَ، والرابع آدَرَ، والخامس محموماً الدهرَ كلَّه وهو أصغرُهم، والخمسة التي لا يطيقون العمل مُقعَدٌ وأعمى وأصمُّ وأخرسُ ومجنونٌ، وكان البحر الذي يعملون فيه[٤] ما بين بحر فارسَ والروم[٥]، وكان جُلَنْدى ملكاً يأخذ كلَّ سفينة غصباً.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾: قرأ حمزة والكسائي: ﴿لِيَغْرَقَ﴾ بياء التذكير والمغايَبة و﴿أهلُها﴾ بالرفع إضافةً للفعل إليهم، وقرأ الباقون: ﴿لِتُغْرِقَ﴾ بضم التاء التي هي للخطاب ﴿أَهْلَهَا﴾ بالنصب إضافة الفعل إلى الخضر[٦].

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾: قال مجاهد وقتادة: منكراً.

وقال أبو عبيدة: أي: داهية عظيمة، وأنشد:

قد لقي الأقرانُ منِّي[٧] نكراً ... داهيةً دهياءَ إدًّا إمراً[٨]

---

(١) في (أ): «فقبلوا».

(٢) في (ف): «وولجت». ولججت السفينة: خاضت اللجة.

(٣) في (أ): «آبائهم».

(٤) في (ف): «الذي فيه السفينة».

(٥) في (أ): «إلى بحر الروم».

(٦) انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٥)، و«التيسير» (ص: ١٤٤).

(٧) في (أ): «منه»، وفي (ر) و(ف): «منك». والمثبت من «مجاز القرآن».

(٨) انظر: «مجاز القرآن» (ص: ٣٩٥).

وقال أبيٌّ بن كعب رضي الله عنه: أخرج منقاراً له ومطرقةً، ثم عمَد إلى ناحية منها فضرب فيها حتى خرَقها، ثم أخذ لوحاً فطبَّقه عليها، ثم جلس يَرْقَعُها، فقال له موسى ذلك(١).

وقال الكلبي: أخذ فأساً ومنقاراً وفعل ذلك.

وقال مقاتل: خرَق بقَدُوم(٢).

وقال شعيب بن الحَبْحاب: خرقها وكان الخضر لا تراه عينٌ إلا مَن أراد الله تعالى أن يُرِيَه إياه، فخرقها ولم يره إلا موسى، ولو رآه القوم حالوا بينه وبين ذلك(٣).

ورُويت بوجوهٍ أُخر.

***

(٧٢) ـ ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾.

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾: أي: تحقَّقَ ما قلتُ لك.

***

(٧٣) ـ ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ﴾: قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: بما تركتُ من شرطِكَ(٤).

---

(١) قطعة من حديث طويل رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٢٦ ـ ٣٢٩) من حديث ابن عباس عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٥٩٥).

(٣) رواه ابن المنذر وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٢٥).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٣٩) بلفظ: بما تركت من عهدك.

وقال أبي بن كعب: هو النسيان حقيقةً[(١)]، ولعله نسي ذلك لشدة ما ورد عليه من خرق السفينة.

وقيل: هو تعريض؛ فإنه لم يقل: نسيتُ هذا الشرط منك، ولكنْ أَطلق وقال: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ وهو يحتمِل نسيانَ أمر آخرَ سوى هذا.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾: أي: لا تُعسِّر عليَّ، وقد رَهِقه الشيء؛ أي: غشيَه وأدركه، وأَرهقه غيره.

* * *

(٧٤) ـ ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ﴾: قال وهبٌ: انتهوا إلى الملك الذي كان[(٢)] يأخذ كلَّ سفينة صحيحة[(٣)] غصباً، فنظر إلى سفينتهم مخروقةً قد عابوها فخَلَّى عنها، فلما جاوزهم سدَّ الخضر السفينةَ وسلَّمها إليهم، وخرجا من السفينة يمشيان، فانطلقا على وجوههما حتى أتيا أيلةَ، وهي قرية[(٤)] من قرى الروم، فإذا هما بغلمان عشرةٍ يلعبون وفيهم غلامٌ هو أصغرهم، وليس فيهم أظرفُ ولا أضوأُ منه، فأخذ الخضر بيد الغلام وأخذ حجراً فرضخ به رأسه وقتله.

وفي رواية سعيد بن جبير: فاقتلع رأسه بيده.

---

(١) قطعة من حديث ابن عباس عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ، رواه البخاري (٤٧٢٥)، ولفظه: وقال رسولُ الله ﷺ: «وكانت الأُولى من موسى نسيانًا».

(٢) في (ر) و(ف): «وكان»، بدل: «الذي كان».

(٣) «صحيحة» ليست في (أ).

(٤) «قرية» ليست في (أ) و(ف).

وفي رواية كعب: فوكزه فقتله.

فرأى موسى أمراً عظيماً لا صبر له[١] على مثله، فقال: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾: قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي: ﴿زَكِيَّةً﴾، وقرأ الباقون: ﴿زاكِيَةً﴾[٢]؛ أي: طاهرةً بريئةً من الذنوب.

﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ أي: من غيرِ أن قتلتْ نفساً.

وقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾ أي: منكراً، قال قتادة: النكر أشد من الإمر[٣]، والأول كان فيه وهمُ الهلاك وفي هذا حقيقةُ الإهلاك[٤].

وقيل: بل الإمر أشدُّ؛ لأنه الأمر العظيم، وكان ذلك إتلافَ نفوس كثيرة غالباً، وهذا إتلاف نفسٍ واحدة.

* * *

(٧٥) ـ ﴿۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾: أَذكَرَه[٥] ما كان ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا﴾؛ أي: بعد هذه المرة، أو هذه المسألة ونحوها.

وقيل: أي: بعد النَّفْس التي قتلتَها.

﴿فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾: أي: صرتَ معذوراً بمفارقتي.

---

(١) «له» زيادة من (ف).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٥)، و«التيسير» (ص: ١٤٤).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٤٢).

(٤) في (أ) و(ف): «الهلاك».

(٥) في (أ): «أذكر». وفي (ف): «أذكره».

قال الحسن: كان ذلك الغلام رجلاً كافراً[١]؛ أي: بالغاً، وسمي غلاماً لاغتلامه؛ أي: شدَّةِ شَبَقه، فكان اسماً للشاب وكذلك الرجل[٢]، يقال: رأي الشيخ خير من مشهد[٣] الغلام، فيقابَلُ الشيخ به، ومقابلُه الشابُّ دون الصبي.

وروى أبيُّ بن كعب عن النبي ﷺ أنه كان كافراً[٤].

وقال الكلبي: كان فتًى بين قريتين أبوه من عظماء أهلِ إحداهما، وأمُّه من عظماء أهل القرية الأخرى، وكان يقطع الطريق بينهما ويأخذ المتاع[٥]، فعلى هذا كان قتلُه بقطع الطريق.

قال وهب: كان اسم أبيه: ملاس، واسم أمه: رُحْمى[٦].

وعن أبي[٧] إسحاق: أنه كان غيرَ بالغ، وكان طُبع كافراً، ولو أدرك أَرهق[٨] أبويه طغياناً وكفراً[٩].

---

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» (٥/ ١٩١) دون كلمة: «كافراً». وهذا مخالف لما في الصحيح حديث ابن عباس عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ، رواه البخاري (٤٧٢٥)، وفيه: (... إذ أبصرَ الخضرُ غلامًا يَلعبُ مع الغِلمانِ...).

(٢) «الرجل» من (ف).

(٣) في (ف): «رأي». والمثبت من باقي النسخ، وهو موافق لما في «تفسير الرازي» (٢١/ ٤٨٦).

(٤) رواه مسلم (٢٦٦١) بلفظ: «طُبع كافراً»، والفرق واضح بينه وبين لفظ المؤلف، وللحديث بقية ستأتي قريباً.

(٥) ذكره عن الكلبي بنحوه الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ١٨٤)، والماوردي «النكت والعيون» (٣/ ٣٣٣)، والكرماني في «غرائب التفسير» (١/ ٦٧١)، والقرطبي في «تفسيره» (١٣/ ٣٣٠).

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ١٨٤).

(٧) في (ف): «ابن».

(٨) في (ف): «لرهق».

(٩) رواه مسلم (٢٦٦١) من طريق أبي إسحاقَ، عن سعيد بن جبيرٍ، عن ابن عباسٍ، عن أُبيٍّ بن =

وقتلُ الصغير إنما لا يجوز لعدم إذن الشرع به، وكان الله تعالى أذن للخضر بذلك، ولذلك قال: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ وليس الأمر بقتله أكبرَ من إماتته، والله تعالى يميت الصغار، وله أن يحكُم في عباده بما يشاء.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً: أنه كان غيرَ بالغ[١].

***

(٧٧) ـ ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا﴾: قال وهب: كانت قريةً من قرى الروم حين غربت الشمس، وكانت ليلةً شاتيَةً شديدةَ البرد، فانطلقا[٢] فطلبا إلى أهل القرية أن يضيِّفوهما ﴿فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾؛ أي: امتنعوا أن يُنزلوهما ضيفين ويطعموهما.

وقوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ﴾: أي: فوجدَا فيها حائطاً على ظهر الطريق مائلاً يمرُّ تحته أهل تلك القرية وغيرُهم لا طريق لهم غيرُه، وكان بناه رجل صالح، فلم يزل يرثُ ذلك الحائط قرنٌ بعد قرنٍ حتى ورثه أبو الصغيرين، وكان سمك الحائط في السماء مئتي ذراع بذراع ذلك القرن، وطوله على وجه الأرض خمس مئة ذراع، وعرضُه خمسون ذراعاً، فمال الحائط من أسفله حتى كاد

= كعبٍ عن النبي ﷺ.

(١) ورد هذا في حديث ابن عباس عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ، رواه البخاري (٤٧٢٥)، وفيه: (... إذ أبصرَ الخضرُ غلامًا يَلعبُ مع الغِلمانِ...).

(٢) «فانطلقا» ليست في (أ).

يسقطُ، وذلك قولُه تعالى: ﴿يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾؛ أي: يقارِبُ أن ينكسر ويسقطَ، وذلك مجازٌ وتشبيهٌ بحالِ المريد للفعل في الثاني[1]، قال الشاعر:

يريـد الرمـحُ صـدرَ أبـي بـراءٍ ... ويرغـبُ عن دمـاءِ بنـي عَقيلِ[2]

والانقضاض: السقوط، وقوله: ﴿فَأَقَامَهُۥ﴾؛ أي: قوَّمه.

وقولـه تعالـى: ﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ قـرأ ابـن كثيـر وأبـو عمـرو: ﴿لتَخِـذْتَ﴾ بالكسـر مـن بـاب عَلِـم، والتـاءُ فـاء فَعِـلَ[3].

فلما رأى الخضر الجدار رفعه[4] بمنكبيه ويديه حتى أقامه، فقال له موسى عليه السلام: استطعمناهم فأبوا أن يطعمونا ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ في عمله حتى يكون قُوتاً على سفرنا هذا، وتتصدَّق ببعضه.

* * *

(٧٨) ـ ﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾.

وقوله تعالـى: ﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾: قيـل: القرية أرمينيـة، وقيل: أنطاكية، وقيـل: بَرْقـة، وقيـل: أرض بربـر، وقيـل: جـروان، وقيـل: باجـروان[5]، وقيـل: هي بناحيـة الأندلس.

---

(١) «في الثاني» ليس من (ف).

(٢) البيت في «مجاز القرآن» (١/ ٤١٠) ونسبه للحارثي، و«تأويل مشكل القرآن» (ص: ٨٦)، و«تفسير الطبري» (١٥/ ٣٤٧)، و«معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣٠٦)، و«الصناعتين» للعسكري (ص: ٢٧٧).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٦)، و«التيسير» (ص: ١٤٥).

(٤) في (أ) و(ر): «رفع الجدار».

(٥) في (أ): «خروان»، وفي (ف): «باحروان».

وقوله تعالى: ﴿فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾ قيل: ولم يدَعوهما ينزلان في القرية.

وقال كعب: وجاءت امرأة إليهما بطعام وقالت: إن رجالنا في أخلاقهم شدةٌ فلم أستطع أن أضيِّفكما، فهذا طعامي فكُلَا منه، فدعا الخضر لنسائهم بالبركة ولعن رجالهم.

ثم قال الخضر لموسى: أمَا إذا لم تستطع أن تصبرَ فسأخبرُك ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾؛ أي: سببُ فراقِ وَصْلي ووَصْلِك.

وقوله تعالى: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾: وفي رواية: أخذ موسى بطرف ثوبه فقال: حدثني[1]، فقال:

* * *

(٧٩) - ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾.

﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ﴾: وهم ممن ذكرنا من الإخوة العشرة.

﴿يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾: أي: أجعلَها ذاتَ عيبٍ لئلا يأخذَها الملك الغاصب، وهو قوله:

﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾ قال ابن عباس والسدي وقتادة والفرَّاء وأبو عبيدةَ رحمهم الله: أي: أمامهم[2]، كما قال تعالى: ﴿وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٧]، وقال: ﴿مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ [الجاثية: ١٠]، وقال لبيد:

---

(١) انظر: «البسيط» (١٤/ ١١٢).

(٢) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٤١٠) و«معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٥٧)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٥٤) عن قتادة. وأما ابن عباس فقد روى البخاري (٣٤٠١) ومسلم (٢٣٨٠) عنه أنه كان يقرأ: (وكان أمامهم ملك).

أليـس ورائـي إن تراخَـتْ مَنِيَّتـي ... لزومُ العصا تُحنَـى عليها الأصابع[١]

وقيل: هو ما توارى عنك؛ خلفَك كان[٢] أو قدامك.

والملك قيل: كان ملكَ عمان، وقال الكلبي: هو جُلندَى[٣].

وقيل: هو جُلَنْدُ بن كركرة[٤].

وقيل: الجلند بن المستكبر بن الأرقم بن الأزد.

وقال ابن جريج: هو مدد بن يزد[٥].

وقيل: هدد بن برد[٦].

﴿يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا﴾ وفي قراءة أبيٍّ بن كعب وابن عباس رضي الله عنهم، وهو مرويٌّ عن النبي ﷺ: (يأخذ كلَّ سفينةٍ صالحةٍ غصباً)[٧] وهو محمولٌ على التفسير دون التنزيل.

ورُوي أن الملك مر بها فرآها مَعيبةً فتركها ومرَّ، فقال الخضر لموسى: كيف

---

(١) في (ف): «الأضالع». وانظر: «ديوان لبيد» (ص: ٥٧).

(٢) «كان» زيادة من (ف).

(٣) في (أ): «جلند».

(٤) في (ر) و(ف): «كركر».

(٥) في (أ): «بدد».

(٦) «وقيل هدد بن برد» ليس في (ف).

(٧) رواها الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٥٦) عن ابن عباس عن أبيٍّ. ورواها البخاري (٤٧٢٥)، ومسلم (٢٣٨٠) عن ابن عباس.

رأيتَ عاقبةَ[١] صنعِ الله بها؟ أخبرني عن خرق السفينة أحسنتُ أم أسأتُ، فقال: بل أحسنتَ وأَصبتَ وأُجرتَ.

* * *

(٨٠) ـ ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾: قال سعيد بن جبير: فخشينا أن يحملهما حبُّه على أن يدخُلا معه في دِينه[٢]. وقال ابن جُريجٍ كذلك.

وقال الكلبي: كان غلاماً[٣] لصًّا عادياً يَقتل ويسرق ثم يجيءُ بسرقته إلى أبويه، فإذا جاء مَن يَطلب حلف أبواه أنه لم يفعل، وكانا في عز وشرف[٤]. وقال مقاتل نحواً من ذلك[٥]، وهذا تمادٍ يُخشى منه الوقوع في الكفر.

وقيل: كان[٦] يحتمل أن يكون يُدخل عليهما شبهةً في دينهما، ويزيِّنَ الكفر والطغيان إليهما.

* * *

(١) «عاقبة» ليس من (ف).

(٢) رواه ابن المنذر وابن أبي حاتم في «تفسيريهما» كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٢٨).

(٣) في (أ): «الغلام».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ١٨٤)، وذكر نحوه الواحدي في «البسيط» (١٤/ ١٢٠) عن ابن عباس من رواية عطاء.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٥٩٨).

(٦) «كان» زيادة من (أ).

(٨١) ـ ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ﴾: قرأ نافع وأبو عمرو وأبو بكر عن عاصم: ﴿يُبَدِّلهما﴾ بالتشديد، والباقون بالتخفيف[١]؛ أي: يعطيَهما ولداً آخر بدلاً عنه.

وقوله تعالى: ﴿خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً﴾ ديناً وصلاحاً وطهارة، وهو في مقابلةِ قول موسى ﴿أقتلت نفساً زاكية﴾.

﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾: قال قتادة: أي: أبرَّ بوالديه[٢]. والرُّحم مصدرٌ كالرحمة والمَرحمة.

وعن سعيد بن جبير قال: هو أرحم به منهما بالأول[٣].

وقيل: أي: أقرب إلى أن يُرحما به[٤]؛ أي: يطيع ولا يعصي ولا يحمل أبويه على الكفر والطغيان.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: أبدلهما الله تعالى جارية فولدت نبيًّا وهو شمعون المذكور في قوله: ﴿إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا﴾ [البقرة: ٢٤٦][٥].

وروى ابن جريج[٦] عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أبدلهما الله تعالى به جارية ولدت سبعين نبياً[٧].

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٧)، و«التيسير» (ص: ١٤٥)، ولم يذكرا أبا بكر في قراءة التشديد.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٦٩٩)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٦٠)

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٦٠ ـ ٤٦١) عن ابن جريج.

(٤) في (أ) و(ر): «يرحمانه»، ولعله تصحيف.

(٥) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» كما في «فتح الباري» (٨/ ٤٢٢) عن السدي.

(٦) في (أ): «سعيد بن جبير».

(٧) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٤/ ١٢٣) عن ابن عباس من رواية عطاء. والثعلبي في «تفسيره» =

(٨٢) ـ ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾: وهي القرية المذكورة قبلها، ودل أنها كانت كبيرة ﴿وَكَانَ تَحْتَهُۥ﴾؛ أي: تحت الجدار ﴿كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾.

قيل: اسم الغلامين أصرم وصريم، واسم أبيهما كاشح، وكان صالحاً تقيًّا.

وأما الكنز فقد روي عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «كان لوحاً من ذهب عليه مكتوبٌ: عجبتُ لمن أيقنَ بالموت كيف يفرحُ، وعجبتُ لمن أيقنَ بالقَدَر كيف يحزن، وعجبتُ لمن أيقن بالنار كيف يضحك، وعجبت لمن أيقن بالحساب غداً كيف يَغفل، وعجبتُ لمن أيقن بالدنيا وتقلُّبِها بأهلها كيف يطمئن إليها، لا إله إلا الله محمد رسول الله»(١).

= (٦/ ١٨٧) من طريق جعفر بن محمد عن أبيه.

(١) روي مرفوعاً وموقوفاً ومرسلاً:

أما المرفوع: فرواه البزار في «مسنده» (٤٠٦٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٢١)، من حديث أبي ذر رضي الله عنه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٥٣): رواه البزار من طريق بشر بن المنذر عن الحارث بن عبد الله اليحصبي، ولم أعرفهما وبقية رجاله ثقات. وقال ابن كثير عند هذه الآية: بشر بن المنذر هذا يقال له: قاضي المصيصة، قال الحافظ أبو جعفر العقيلي: في حديثه وهم.

ورواه البيهقي في «الزهد» (٥٤٥)، وابن مردويه في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٢١)، من حديث علي رضي الله عنه. وفيه جويبر بن سعيد وهو متروك.

وأما الموقوف: فرواه ابن عدي في «الكامل» عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه كثير بن مروان =

وقال الضحاك: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا﴾ قال: صحفٌ فيها علمٌ[١].

وقال مجاهد: ذهب وفضة[٢].

وقال وهب: قال الخضر: ولو وقع الجدار لظهر الكنز، ولو ظهر الكنز لأخذه الناس دونهما.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: الرجل الصالح يُحفظ في ولده وولدِ ولده، والدوائرُ تدور حولهم وحولَ دارهم ولا يضرُّهم شيئاً[٣].

وقوله تعالى: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾: اسطاعَ لغةٌ في استطاع، وهو تخفيفٌ بحذف التاء.

ثم ذَكر في الأول ﴿فَأَرَدتُّ﴾ لأنه ذكر بعده: ﴿أَنْ أَعِيبَهَا﴾ فأضاف ذلك إلى نفسه، ثم قال في الثاني: ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا﴾ جمعاً؛ لأنه تنبَّه[٤] على أن في إضافة الفعل إلى نفسه على الانفراد رؤيةَ نفسه[٥]، فذكر الجمع إدخالاً لنفسه في الجملة، ثم تنبَّه

= الفلسطيني وشيخه أبين بن سفيان، وهما ضعيفان.

وأما المرسل: فرواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٦٣ ـ ٣٦٤)، عن جعفر بن محمد وعن الحسن البصري وعن عمر مولى غفرة، من قولهم.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٦٢ ـ ٣٦٤)، عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد.

(٢) لم أجده عن مجاهد، وقد روي مرفوعاً، رواه الترمذي (٣١٥٢) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، وفيه يزيد بن يوسف الصنعاني، وهو متروك. ورواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٦٥)، عن عكرمة بلفظ: كنز مال. واختاره على باقي الأقوال.

(٣) رواه بنحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٢٢).

(٤) في (ف): «تنبيه».

(٥) في (ف): «دون النفس»، وفي (ر): «دونه التبس». بدل: «رؤية نفسه».

على أن الأشياء كلَّها بإرادة الله تعالى فقال في الثالث: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾، ولأنه ذكر الفضل والرحمة فأضافه إلى الله تعالى دون غيره.

وقيل: قال الخضر لموسى عليه السلام حين قال له: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ قال له: لقد ألقَتْك أمُّك في اليمِّ فلم تغرق، فلِمَ خِفتَ الغرق عليهم مع حفظ الله تعالى لهم.

ولمَّا قال له: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ قال له: إنك قتلْتَ القِبْطيَّ بالوكزة فلمْ يعاتبوك[١]، فلمَ تعاتبُني بهذا؟

فلما قال له: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ قال له: إنك سقيتَ لابنتَيْ شعيبٍ فلمْ تطلب لذلك أجراً، فلمَ تأمرني بذلك؟ فكان له وجوهٌ ستة[٢] في هذه القصة.

قال وهب: ثم انطلق الخضر وموسى عليه السلام حتى قعدا على الصخرة، فأقبل طائر فغمس بمنقاره في[٣] البحر، ثم أخرجه فمسحه على جناحه، فقال له الخضر: إنه يقول: ما علمُ الخلق في علم الله تعالى إلا بقَدْر ما حملتُ بمنقاري[٤].

وقال موسى للخضر حين أراد أن يفارقه: أوصني، فقال: يا ابن عمران، إياك واللَّجاجةَ، ولا تمش[٥] في غيرِ حاجة، ولا تضحك من غيرِ عَجَبٍ، ولا تعيِّر الخاطئ بخطيئته، وابكِ على خطيئتِكَ، ولا تؤخِّر عمل اليوم لغد.

* * *

---

(١) في (ف): «يعاقبوك».

(٢) في (أ) و(ف): «تنبيه».

(٣) في (أ) و(ف): «إلى».

(٤) ورد نحوه ضمن حديث أبي بن كعب عند البخاري (٤٧٢٥).

(٥) في (أ): «تكن ماشياً»، وفي (ف): «تكن مشاءاً».

(٨٣) ـ ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾: ذكرنا في أول السورة أن المشركين سألوا رسول الله ﷺ ـ بتلقين أهل الكتاب ـ عن الروح وأصحاب الكهف وذي القرنين، فأنزل الله جلَّ ذكرُه وجلالُه جوابَ ذلك كلِّه[١].

واختُلف في معنى تسميته بذي[٢] القرنين، وفي أنه نبيٌّ أو غيرُ نبيٍّ، وفي نسبه.

روي أن ابن الكوَّاء سأل عليًّا رضي الله عنه عن ذي القرنين: أملِكٌ أم نبيٌّ؟ فقال رضي الله عنه: ليس بملكٍ ولا نبيٍّ، ولكنه كان عبداً أحبَّ الله تعالى فأحبَّه الله، وناصَحَ الله تعالى فناصَحَه الله، ضُرب على قرنه الأيمن فمات فبعثه الله تعالى، ثم ضُرب على قرنه الأيسر فمات فبعثه الله تعالى[٣].

وقال أبو العالية: سمي ذا القرنين لأنه قَرَن ما بين مطلع الشمس ومغرِبها[٤].

وقال وهب: اختلف فيه أهل الكتاب؛ فقال بعضهم: كان ملكَ الروم وفارس، وقال بعضهم: كان في رأسه شِبْهُ القرنين[٥].

وقال الحسن: سمي به لأنه كان في رأسه غديرتان يطأ عليهما[٦].

---

(١) في (ف): «تعالى السورة» بدل من «جل ذكره وجلاله جواب ذلك كله».

(٢) في (أ) و(ف): «واختلف في تسمية ذي».

(٣) «ثم ضرب على قرنه الأيسر فمات فبعثه الله تعالى» ليس في (أ). والخبر رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٩٧٠)، وابن عبد الحكم في «فتوح مصر» (١/ ١٠٥)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٧٠)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٥/ ١٢١)، والضياء في «المختارة» (٥٥٥).

(٤) رواه ابن المنذر وأبو الشيخ في «تفسيريهما» كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٣٩).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٧١)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٤٤٤)، والإمام أحمد في «الزهد» وابن المنذر وابن أبي حاتم في «تفسيريهما» كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٣٨).

(٦) رواه ابن عبد الحكم في «فتوح مصر» (١/ ١٠٦)، وابن عساكر في «تاريخه» (١٧/ ٣٣٦). وفيهما: (يطأ فيهما).

وعن وهب قال: كانت صفحتا رأسه من نحاس(١).

وقال وهب: رأى رؤيا أنه دنا من الشمس حتى أخذ بقَرْنيها شرقِها وغربها، فقصَّ رؤياه على قومه فسمي بذي القرنين(٢).

وقيل: عاش عيشَ قَرْنينِ.

وفي رواية وَهْبٍ: عاش خمسَ مئة سنة.

وروى أبو هريرة عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «ما أدري ذا القرنين كان نبيًّا أم لا»(٣).

وقال ابن عباس وعبد الله بن عمر وأبو هريرة رضي الله عنهم: كان نبيًّا، وكذلك قال مجاهد(٤).

وقال علي رضي الله عنه: لم يكن نبياً(٥). وعن الحسن، وعن وهب في رواية كذلك(٦).

وقيل: اسمه إسكندروس.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٧١).

(٢) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٤٧٣).

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢١٧٤) وصححه، وابن حزم في «المحلى» (١١/ ١٢٥) وصححه.

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣١٩١١) من طريق مجاهد عن عبد الله بن عمرو بن العاص، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٥/ ١٨٤) عن عبد الله بن عمرو والضحاك، ولم أقف عليه عن ابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهم.

(٥) ورد في خبر سؤال ابن الكواء لعلي المتقدم قريباً.

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٧١)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٤٤٤)، والإمام أحمد في «الزهد» وابن المنذر وابن أبي حاتم في «تفسيريهما» كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٣٨). وقد تقدم قريبا قطعة منه.

وقيل: إسكندر بن فيلاسون بن يونان[(١)].

وعن محمد بن إسحاق: اسمه ميرزبان[(٢)] بن مردبة اليوناني، من ولد يونان بن يافث بن نوح.

وفي تفسير الصنعاني: أنه روميٌّ من ولد العِيص بن إسحاق.

وروى عقبة بن عامر الجهني أن قوماً من أهل الكتاب استأذنوا على رسول الله ﷺ فأذن لهم، فدخلوا ومعهم مصاحفُ، فقال النبي ﷺ «إن شئتُم أُخبركم ما أردتُم أن تسألوني عنه، وإن شئتُم فاسألوني»، قالوا: بل أخبِرْنا بما جئنا له قبل أن نتكلم، فقال: «جئتم تسألوني عن ذي القرنين، وسأخبركم بما تجدونه في كتبكم مكتوباً: إن أول أمره[(٣)] أنه كان غلاماً من الروم أعطي ملكاً، فسار حتى أتى أرض مصر فابتنى[(٤)] عندها مدينة يقال لها: الإسكندرية، فلما فرغ من بنائها أتاه ملَك فعرَج به فقال: انظر ما تحتك، فقال: أرى مدينتي وحدها لا أرى غيرَها! فقال له الملَك: تلك[(٥)] الأرض كلُّها وهذا السوادُ الذي تراه محيطاً بها البحرُ، وإنما أراد الله تعالى أن يُرِيَك الأرض، وقد جعل لك[(٦)] سلطاناً فيها، فسِرْ في الأمم فعلِّم الجاهل وثبِّت العالم، فسار حتى بلغ مغرب الشمس، ثم سار حتى بلغ مطلع الشمس، ثم أتى السدَّين وهما[(٧)] جبلان

(١) في (ف): «إسكندروس وقيل: اسنور بن يونان»، وفي (ر): «إسكندروي وقيل: أسور بن نونا» بدل: «إسكندر بن فيلاسون بن يونان».

(٢) في (ف): «مزربة».

(٣) في (أ): «أوانه».

(٤) في (ر) و(ف): «فأنشأ».

(٥) في (ف): «فلك». وجاء في بعض رواياته وهي رواية أبي الشيخ: (لك تلك).

(٦) في (ر) و(ف): «جعلك».

(٧) في (ف): «وفيهما».

لِيِّنان يَزلق عنهما كلُّ شيء، فبنى السد ثم سار فوجد يأجوجَ ومأجوجَ يقاتلون قوماً وجوهُهم كوجوه الكلاب، ثم قطَعهم فوجد أمةً [قصاراً] يقاتلون القوم الذين وجوههم كوجوه الكلاب، ثم قطَعهم فوجد قوماً[(١)] من الغرانيق يقاتلون القوم القصار، ثم قطعهم فوجد أمةً من الحيات تلتقم الحيةُ منها مثلَ الصخرة العظيمة، ثم أفضى إلى البحر الـمُديرِ بالأرض» فقالوا: نحن نشهد أن أمره كان كذا، وإنَّا نجد هذا مكتوباً في كتبنا[(٢)].

وقال وهب: إن ذا القرنين نشأ في أدبٍ حسنٍ، وحِلمٍ ومروءة وعفَّةٍ، وكان يتخلَّق بمكارم الأخلاق، ويسمو لمعالي الأمور، وكان حلَم حُلماً أنه دنا من الشمس وأخذ بقرنيها، وقصَّ رؤياه على قومه فسمَّوه ذا القرنين، وبهذه الرؤيا بعُدَتْ همته، وعلا صوته[(٣)]، وعزَّ في قومه، فألقى الله تعالى عليه الهيبةَ، وحدَّث[(٤)] نفسه بالأشياء كلِّها، وكان أولَ ما أجمع عليه رأيه[(٥)] أنه أمر قومه فبنوا له مسجداً طولُه أربعُ مئة ذراعٍ، وعرضُه مئتا ذراع، وعرض حائطه اثنان وعشرون ذراعاً، وطوله في السماء مئة ذراع، وأمرهم أن لا ينصبوا فيه سواري، فقالوا: كيف لك بخشب يبلغ ما بين

---

(١) في (ف): «أمة».

(٢) رواه ابن عبد الحكم في «فتوح مصر» (١/ ١٠٤)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٦٨ ـ ٣٦٨)، والبيهقي في «الدلائل» (٦/ ٢٩٥ ـ ٢٩٦)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٤٦٨). وهو حديث واهي السند كما قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٣/ ٥٣٨).

(٣) في (ر): «صيته».

(٤) في (أ): «وجرب».

(٥) في (ر) و(ف): «أمره». ولفظ الرواية في «العظمة» هكذا: (فكان أول ما أجمع عليه رأيه الإسلام، فأسلم فحسن إسلامه، ثم دعا قومه إلى أن يسلموا فأسلموا عنوة من عند آخرهم، ثم أمرهم فبنوا له مسجداً قهراً، فلم يجدوا بدًّا أن أجابوه...)، ثم ذكر طوله وعرضه كما سيأتي.

الحائطين؟! فقال: اكبِسوه بالتراب إلى رؤوس الحوائط ووزعوا[١] على الموسِع قَدَرُه وعلى المقتِرِ قدَره من الذهب والفضة، ثم اقطعوا ذلك مثلَ قُلامة الظُّفر، واخلِطوه بذلك الكبس، واعملوا له جذوعاً من النحاس كلُّ جذعٍ مئتا ذراعٍ للهواء، وعلى الحائط من الجذوع اثنا عشر ذراعاً من جانب، ومثلُه من جانب، فإذا تم فقولوا للمساكين: أخرجوا التراب وما فيه من الذهب والفضة فهو لكم، ففعلوا وتم ذلك على أعجب الوجوه وأحسنِها.

وأوحى الله تعالى إليه رسولاً: أني قد أرسلتُك إلى جميع الخلائق من مطلع الشمس إلى مغرِبها، فأثبت[٢] حجَّتي عليهم، وهذا تأويلُ رؤياك، وقد بعثتُك إلى جميع أهل الأرض، وهم سبع أمم: أمتان بينهما طول الأرض، وأمتان بينهما عرض الأرض كلُّه، وثلاثُ أمم في وسط الأرض مختلِطون وهم الإنس والجن ويأجوج ومأجوج، وأما اللتان بينهما طول الأرض فإنه عند مطلع الشمس إحداهما ناسِك، وأخرى بحيالها مَنْسك، وأما اللتان بينهما عرضُ الأرض فإنه في القطر الأيمن وهي هاويل، والأخرى في القطر الأيسر وهي تاويل، فقال: يا إلهي، إنك ندَبْتني لأمر عظيم لا يَقْدِر قَدْرَه غيرُك، فبأيِّ قوةٍ أكابدهم؟ وبأيِّ صبر أقاسيهم؟ وبأيِّ لسان أكلِّمهم؟ وكيف أفقهُ لغاتهم؟ وبأي حجةٍ أخصمُهم[٣]؟ وبأيِّ عقل أعقلُ عنهم؟ وبأيِّ حكمة أدبر أمرهم؟ وبأي معرفة أفصِل بينهم؟ وبأي علم أُحصيهم؟ وبأيِّ يد أسطو عليهم[٤]؟ فأوحى الله تعالى إليه: أَنِّي سأطوِّقكَ ما حمَّلتُك، وأشرح لك

---

(١) في (أ): «وفرعوا»، وفي «العظمة»: (فإذا فرغتم من ذلك فرضتم).

(٢) في (ر) و(ف): «فأنت».

(٣) في (أ) و(ر): «أخاصمهم».

(٤) في (ر): «أقدر عليهم» وسقطت من (ف)، والمثبت موافق لما في «العظمة».

صدرك فيسعُ كلَّ شيء، وأشرح لك فهمك فتَفْقهُ كلَّ شيء، وأفتح لك سمعك فتعي كلَّ شيء، وأكشف لك عن بصرك[١] فينفذُ كلَّ شيء، وأدبِّر في أمورك فتتيقَّن كلَّ شيء، وأحصي لك فلا يفوتك شيء، وأشدُّ لك ظهرك فلا يَهدُّك شيء، وأشدُّ لك قلبك فلا يَهُولك شيء، وأَبسط لك يدك فتَسْطوا فوق كلِّ شيء، وأسدِّد رأيك فتصيبُ في كلِّ شيء، وأسخِّر لك النور والظلمة وأجعلهما جندين من جنودك: النور يهديك من أمامك، والظلمةُ تَحوطك وتحرس عليك الأمم من ورائك.

فانطلق ذو القرنين، فأيَّده الله تعالى بما وعده، فقصد المغرب فلا يمرُّ بأمة إلا دعاهم إلى الله تعالى، فإن أجابوه قَبِل ذلك منهم، وإن لم يجيبوه أغشاهم الظلمةَ فأُلبست[٢] مدائنَهم وبيوتهم، وأغشت أبصارهم، ودخلت أفواههم وآنُفهم وآذانهم وأجوافهم، فيتحيَّرون ويجيبون..، وذكر بلوغَ الشمس[٣]، على ما نبيِّن في تفسير تلك الآية إن شاء الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ أي: سأقرأ عليكم منه خبراً فيه ذكرُ قصته وحاله.

* * *

(٨٤ ـ ٨٥) ـ ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (٨٤) فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾: أي: ملَّكناه الدنيا وأعطيناه إمكان ضبطها.

---

(١) في (ر) و(ف): «نظرك».

(٢) في (ف): «فلبست».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٩٠ ـ ٣٩٨)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٤٥١ و١٤٧٣)، وواضح أنه مما أخذ عن أهل الكتاب.

وقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾: أي: من كلِّ شيء يحتاج إليه في سياستها ما به يَتوصل إلى المراد، وأصل السبب هو الحبل يُتوصَّل به إلى الماء وغيره.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿سَبَبًا﴾: علماً، وهو قول قتادة وعبيد بن يعلى وابن زيد[١].

وقال مجاهد: منازلَ وطرقاً[٢].

وقال الحسن: بلاغاً إلى حاجته[٣].

وسئل ابن عباس رضي الله عنهما: كيف وصل إلى المشارق والمغارب؟ قال: سخَّر له السحاب، وبسط له النور، وكان الليلُ والنهار عنده سواءً.

وقوله تعالى: ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾: قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بالتشديد، ومعناه: اقتفى، والباقون بالقطع[٤]، ومعناه: لَحِق، وإنما لم يعرَّف الثاني باللام مع أنه أعاده[٥] بعد المذكور؛ لأن المراد من الأول الكلُّ، ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾؛ أي: الأسبابَ كلَّها، والمرادَ من الثاني سببٌ منها، ومعناه: امتثل وجهاً من وجوهِ الأسباب؛ أي[٦]: ما مُثِّل له فعمدَ طريق المغرب.

وقيل: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ علماً ﴿فَأَتْبَعَ﴾ طريقاً.

---

(١) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٧١ ـ ٣٧٢).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٧٣).

(٣) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٧/ ٢٠٦)، والثعلبي في «تفسيره» (٦/ ١٩٠)، والبغوي في «تفسيره» (٥/ ١٩٩).

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٧ ـ ٣٩٨)، و«التيسير» (ص: ١٤٥).

(٥) في (أ) و(ف): «مع أنه إعادة».

(٦) «الأسباب أي» ليس في (أ).

وقيل: آتيناه الأسباب؛ أي: الأقطار ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾؛ أي: قطراً منها؛ أي: قَصد أولاً إلى قطر بعينه، وهو المغربُ ليصلحه.

* * *

(٨٦) ـ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ﴾: أي: انتهى إلى آخر العمارة من جهة المغرب.

وقوله تعالى: ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾: أي: رآها في مرأى العين تغيبُ في عين حمئة[1].

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم في رواية حفص: ﴿حَمِئَةٍ﴾؛ أي: ذاتِ حَمْأةٍ، كذا فسرها ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وسعيد بن جبير[2] رضي الله عنهم، والحمأة: الطين الأسود، وقرأ الباقون: ﴿حاميةٍ﴾[3]؛ أي: حارَّة.

والعين موصوفة بهما جميعاً: هي طينةٌ سوداء، وهي حارةٌ.

ومعناه: أنه[4] انتهى إلى عمارةٍ كان إذا نظر رأى بعينه عيناً حَمِئةً حاميةً، وكانت الشمس تغيب من تلك الحمئة؛ كالواحد منا إذا كان على شطِّ البحر وغربت الشمس رآها تغرب في البحر.

---

(١) في (أ): «حامية».

(٢) في (أ): «وقتادة وسعيد بن جبير»، وفي (ر): «ومجاهد وابن جبير». وقد رواه عنهم جميعاً الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٧٥ ـ ٣٧٧).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٨)، و«التيسير» (ص: ١٤٥).

(٤) «أنه» ليست في (أ).

وقوله: ﴿وَوَجَدَعِندَهَاقَوْمًا﴾ يجوز: عند الشمس؛ أي: بقرب رؤية غروب الشمس، ويجوز: عند العين الحمئة؛ أي: بقُربها.

وقوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ﴾: أي: بالقتل ﴿وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾؛ أي: بالمنِّ، وقيل: بالأسر والاسترقاق[1]، وكانوا كفاراً فخيَّره فيهم بين الأمرين كما خيَّر نبيَّنا محمداً ﷺ بقوله تعالى: ﴿فَإِمَّا مَنَّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ [محمد: ٤]، وبقوله في حق أهل الكتاب: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [المائدة: ٤٢] ليجتهد فيختارَ الأصلح في الدين.

* * *

(٨٧) ـ ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ﴾: إذا أصرَّ على الكفر ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾؛ أي: بالقتل في الدنيا ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا﴾؛ أي: فظيعاً في الآخرة.

* * *

(٨٨) ـ ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾.

﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾: قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص: ﴿جَزَآءً﴾ بالنصب والتنوين، وقرأ الباقون: ﴿جزاءُ الحسنى﴾ بالرفع والإضافة[2]، وتقدير القراءة الأولى: فله الحسنى جزاءً، والحسنى: الجنة، قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [يونس: ٢٦]، و﴿جَزَآءً﴾ نصبٌ على المصدر، وتقديره: يجزى به جزاءً.

(١) في (أ): «وقيل بالاسترقاق».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٨)، و«التيسير» (ص: ١٤٥).

وقوله تعالى: ﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾: أي: سنأمُره بما هو يسرٌ.

وقال السدي: كانت له آبارٌ يذيب[١] فيها الصُّفْر، فيأمر بالرجل فيُطرح فيها فيعذِّبه فيها[٢]، فذلك قوله: ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾[٣].

وقال ابن جريجٍ: ﴿وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا﴾ قال: مدينةً لها اثنا عشرَ ألفَ بابٍ، لولا أصوات أهلها لسمع الناس وجوبَ الشمس حين تَجب[٤]، واسمها: رومية.

وفي رواية: لسمعوا صوتَ مرِّها في السماء كصوتِ المنشار في الخشب.

قال وهبٌ: فلما بلغ المغربَ وجد عدداً لا يُحصيهم إلا الله تعالى، وناساً لا تُطاق، وألسنةً مختلفةً، وأهواءً مشتَّتةً، فكابَدهم بالظُّلمة فغشِيَتْهم من كلِّ جانب، فأسلموا كلُّهم، فجنَّد[٥] منهم جنداً عظيماً، فقادهم والظُّلمةُ تسوقهم حتى ساروا[٦] إلى ناحية الأرض اليمنى إلى هاويل، فقطع البحار حتى أتاهم[٧].

---

(١) في (ف): «يصب».

(٢) «فيعذبه فيها» ليس في (أ).

(٣) لم أجده، وهو مردود؛ لأن مثل هذا الفعل لا يفعله سوى الظلمة والجبابرة العتاة، وليس من أخلاق المؤمنين والدعاة.

(٤) رواه أبو يعلى كما في «المطالب العالية» (٣٦٥٧)، وعنه أبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٤٤٠ ـ ١٤٤١)، وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه في «تفاسيرهم» كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٥٢). ولعله من خرافات أهل الكتاب.

(٥) في (ر) و(ف): «فأخذ».

(٦) في (ر): «سار».

(٧) قطعة من خبر وهب الطويل، رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٩٠ ـ ٣٩٨)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٤٥١). وهو كسابقه.

وقال السديُّ: وبلغ أرض الظلمات من قِبَل المغرب فدخلها بالخيل، ورأى تحت حوافرها ضوءاً كالنار فقال: مَن أخذ منها[1] ندم ومَن لم يأخذ ندم، فأَخَذ مَن أَخَذ وتَرَكَ مَن تَرَك، فلما خرجوا فإذا هو ياقوتٌ أحمر وأصفر، فندم مَن تَرَكَ على الترك، وندم مَن أخذ على ترك الزيادة، وهو أول ياقوتٍ وقع في أيدي الناس[2].

***

(٨٩ ـ ٩٠) ـ ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾: أي: طريقاً آخر وهو إلى المشرق ﴿إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾:

قال الحسن: كانت أرضهم أرضاً لا تحتمِل البناء، فكانت الشمس إذا طلعت عليهم تهوَّروا في البحار[3]، فإذا ارتفعت عنهم خرجوا فتراعَوا كما تراعَى البهائم[4].

وقال سَمُرةُ بنُ جندبٍ: لم يُبن[5] فيها بناءٌ قط، فإذا طلعت عليهم الشمس دخلوا أسراباً لهم حتى تزول[6].

---

(١) في (أ): «من هذا».

(٢) قطعة من خبر طويل جدًّا رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٤٦١ ـ ١٤٦٧)، من طريق أبي جعفر (هو محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب) عن أبيه.

(٣) في (ر): «العمار»، وفي (ف): «التماد». وفي «تفسير الثعلبي»: (الماء).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ١٩٢). ورواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٨٢)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٥٤) للطيالسي، والبزار في «أماليه»، وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ، وجاء في آخره: (ثم قال الحسن: هذا حديث سمرة).

(٥) في (ف): «يبتن».

(٦) رواه أبو يعلى كما في «المطالب العالية» (٣٦٥٧)، وعنه أبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٤٤٠ ـ ١٤٤١)، =

وقالوا: إنما لا تحتمِل[١] البناء لأنه لا جبال فيها، فتميدُ ولا تستقر.

وقال مالك بن سليمان: هم قوم صغيرةٌ أجسامهم، وطعامُهم ما جَزَر عنه البحر من السمك، فأصابه حرُّ الشمس واشتوَى[٢]، فيأكلونه.

وقيل: لا جبلَ بها ولا شجرَ ولا مأوى، ولا ثوبَ ليَستُرهم[٣].

وقال مجاهد: مَن لا يلبس الثياب من السودان عند طلوع[٤] الشمس أكثرُ من جميع أهل الأرض[٥].

وقال وهب: هم الزنج، وبها ذهبٌ ينبتُ نباتاً!

* * *

(٩١ ـ ٩٢) ـ ﴿كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾: قيل: كذلك فعل ذو القرنين أَتبع الأسباب ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾؛ أي: وقد علمنا بما لديه من الصلاح كذلك.

وقيل: كذلك جعل الله تعالى أمرَ هؤلاء على ما أَعلم رسولَه.

والثالث: أتبع سبباً بلغ به المشرق كما أتبع سبباً بلغ به المغرب، ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا

= وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه في «تفاسيرهم» كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٥٢). وهو من طريق ابن جريج: حدث الحسن (وفي «الدر المنثور»: حدثت عن الحسن) عن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ...، وذكره.

(١) في (ف): «إنها لا تحتمل»، وفي (ر): «إنما لا تحمل».

(٢) في (ر) و(ف): «واستوى».

(٣) في (ف): «ولا ثوب يسترهم»، وفي (ر): «ولا بيوت تسترهم».

(٤) في (أ): «مطلع».

(٥) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٧٤٥).

﴿بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾: علمنا[١] كلَّ ما فعل من جميع الجيوش والآلات والسياسات كذلك كانت حاله مع أهل المشرق كما كان مع أهل المغرب.

وقيل: كذلك علِمنا هؤلاء القوم كما[٢] وجدهم هو، وعلِمنا أيضاً ما كان عنده من التدبير فيهم.

وقال الحسن: كذلك كان خبرُه، ثم ابتدأ ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾.

وعلى هذه الأقاويل كلِّها ﴿لَدَيْهِ﴾ كنايةٌ عن ذي القرنين.

وقال محمد بن جرير: ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ﴾؛ أي: بما عند مطلعِ الشمس ﴿عِلْمًا﴾، لا يخفى علينا ما هنالك من الخلق وأحوالهم وأسبابهم[٣].

قولُه تعالى: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾: أي: طريقاً آخر.

* * *

(٩٣) ـ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾: قال الضحاك[٤] ومجاهد: السدَّان: جبلان بين أرمينية وأذربيجان[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا﴾: أي: من ورائهما مجاوِزاً عنهما ﴿قَوْمًا﴾؛

---

(١) في (ف): «أي: علمنا».

(٢) في (ف): «ما كان»، بدل: «كما».

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (١٥/ ٣٨٤).

(٤) بعدها في (ف): «والسدي».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٨٦)، وابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٥٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما. ورواه الطبري عن الضحاك بلفظ: (بين جبلين).

أي: أمةً من الناس ﴿لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾؛ أي: لا يعرفون الكلام إلا بلسانهم دون لسان ذي القرنين، و﴿يَكَادُونَ﴾ صلة زائدة.

وقرأ حمزةُ والكسائي: ﴿يُفْقِهون﴾ بضم الياء وكسر القاف(١)، ومعناه ما قال السديُّ: لا يَفقه إنسان كلامَهم.

قال ابن جريج: هم التُّرك(٢).

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية حفص: ﴿بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾ ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ بالفتح، وقرأ الباقون بالضم(٣).

وقال عكرمة وأبو عبيدة: ما كان من صنعة بني آدم فهو بالفتح، وما كان من صنعة الله تعالى فهو بالضم(٤).

وقال أبو عمرٍو: السَّدُّ بالفتح: الحاجز بينك وبين الشيء، وبالضم: الغشاوة في العين.

وقيل ـ وهو قول الكسائي ـ: هما لغتان؛ كاليَنْع واليُنْع؛ والمَكْث والمُكْث(٥).

* * *

(٩٤) ـ ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٩)، و«التيسير» (ص: ١٤٥).

(٢) رواه ابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٥٤).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٩)، و«التيسير» (ص: ١٤٥). وقرأ في الثانية بالفتح أيضاً حمزة والكسائي.

(٤) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٤١٤)، ورواه عن عكرمة الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٨٤).

(٥) انظر القولين في «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٣٠٦).

قوله تعالى ﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: قرأ عاصم بالهمز والباقون بغير همز(١).

فهَّم ذا القرنين وفهَّمَهم قولَه بعد وَصْفهم بأنهم لا يَفْقَهون ولا يُفْقِهون، وهو من الأسباب التي آتاه الله تعالى كما علَّم سليمانَ مَنطِق الطير، أو تَرْجَم عنه آخَرُ(٢).

قال وهب: لما كان عند منقطَعِ أرض التُّرك قالت له أمةٌ من الإنس صالحةٌ: إن بين هذين الجبلين خلقاً كثيراً فيهم مشابهُ الإنس، وهم أشباهُ البهائم، يأكلون العشب ويفترسون الدواب والوحوش، ويأكلون الحياتِ والعقارب وكلَّ ذي روح، وليس لله خلقٌ يَنْمِي نماءَهم، ويوشِك أن يملؤوا الأرض ويُخْلون منها أهلها، وليست تمر بنا(٣) سنةٌ منذ جاورونا ورأيناهم إلا ونحن على خوفٍ أن يَطْلع علينا أوائلهم(٤).

قوله تعالى: ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾: قرأ حمزة والكسائي: ﴿خراجاً﴾ والباقون: ﴿خَرْجًا﴾(٥).

قال عطاءٌ وقتادة: أجراً(٦).

وقال السدِّي: جُعْلاً(٧).

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٩)، و«التيسير» (ص: ١٤٥).

(٢) في (أ): «أحد»، وفي (ر): «بنطق آخر».

(٣) في (ر): «علينا».

(٤) قطعة من خبر طويل عن وهب رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٩٠ ـ ٣٩٨)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٤٥٥ ـ ١٤٦٠)، وهو من الإسرائيليات.

(٥) انظر: «السبعة» (ص: ٤٠٠)، و«التيسير» (ص: ١٤٦).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٠٢) عن قتادة، وعن عطاء الخراساني عن ابن عباس.

(٧) ذكره ابن زنجلة في «حجة القراءات» (ص: ٤٠٢).

وقال الحكم: مالاً.

وقال أهل اللغة: الخَرْج: ما يُخرَج من المال، والخَرَاج: ما يُخرَج من الأرض.

﴿عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا﴾: فسألوه أن يجعل بينهم حاجزاً على أن يُعِينوه بمالهم دفعاً لفسادهم في الأرض.

قال السدِّي: كانوا يَخرجون فيأخذون ويَقتلون ثم يَرجعون.

وقال الكلبي: كانوا يخرجون إلى أرضنا أيامَ الربيع فلا يدَعون شيئاً أخضر إلا أكلوه، ولا يابساً إلا احتملوه وأدخلوه أرضَهم.

وقيل: كانوا يُفسدون معايشهم وأموالهم وأزواجَهم.

وعن وهب: أنهم يلوطون بالرجال.

وقال سعيد بن عبد العزيز: كانوا يأكلون لحوم الناس.

* * *

(٩٥ ـ ٩٦) ـ ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا ٩٥ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ﴾: قال السدي: أي: ما أعطاني ربي من الدنيا خيرٌ مما تَعرضون عليَّ من المال[1].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: العلمُ الذي أعطاني ربِّي بالأسباب التي يقع بها التمكينُ خيرٌ من جُعلكم.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٥٩).

قرأ ابنُ كثير: ﴿مكَّنني﴾ بنونين على الإظهار، والباقون بنونٍ واحدة مشدَّدة على الإدغام[١].

وقوله تعالى: ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾: أي: برجالٍ وآلةٍ، ولا حاجة بي إلى المال.

وقيل: أي: أعينوني بمالٍ أَصْرفه في الآلة، لا جُعلاً لي وأجراً.

وقوله تعالى: ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾: أي: سدًّا.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو كأشدِّ الحجاب[٢].

وقال الكلبي: لمَّا قال: ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ قالوا: ما تريد؟ قال: آلة العمل، قالوا: ما هي؟ قال: ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾؛ أي: ائتوني بزُبَرِ الحديد، يعني[٣]: قطعَه.

قال ابن عباس ومجاهد والربيع والسدِّي وعطاء: زبر الحديد: قطعُ الحديد[٤].

وقال الخليل: الزُّبرة من الحديد: القطعة الضخمة، والأَزْبرُ: الضخم[٥].

وقيل: الزُّبرةُ: الجملة المجتمِعة، من قولك: زَبَرْتُ الكتاب؛ أي: كتبتُه وجمعتُ حروفه.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾: وهاهنا مضمرٌ تقديره: فأَتَوه بها فساوى بين الصدفين؛ أي: الجبلين، يعني: وضعها بينهما حتى صارت مساويةً لهما كالحشو فيما بينهما.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٠٠)، و«التيسير» (ص: ١٤٦).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٠٥ ـ ٤٠٦) عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وأبي صالح.

(٣) «ائتوني بزبر الحديد يعني» من (أ).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٠٤).

(٥) انظر: «العين» (٧/ ٣٦٢).

وقيل: حتى وارى رؤوسهما.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بضم الصاد والدال، وقرأ نافع وحمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص بفتحهما، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر بضمِّ الصاد وتسكينِ الدال[١]، وهي ثلاث لغات.

قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱنفُخُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا﴾: أي: وضع المنافخ وأوقد النار في الحديد، ثم أمر بالنفخ فيها.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا﴾: أي: نفَخوا حتى ذاب الحديد كلُّه وصار كالنار في منظرها.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرًا﴾: قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر: ﴿ائتوني﴾ من الإتيان[٢]، وقرأ الباقون بالمد[٣]؛ أي: آتوني بِقِطرٍ أفرِغْ عليه، والقِطر: النحاس.

وقيل: هو المذاب الذي يَقطُر.

قال السدِّي: نضَّد الحديد، ثم وضع عليه الحطب، ثم قال: ﴿ٱنفُخُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا﴾ ثم أمر بالصُّفْر فأذيب فصُبَّ عليه، فصار طريقةً حديداً و[٤]طريقةً صُفراً.

وقال وهب: أمرهم بجمع الحديد والصُّفر والنحاس، ودخل هو بين بلادهم، ورأى حالهم وقاس ما بينهما، فكان بُعدُ ما بينهما مئةَ فرسخ، فرجع عنهم وحفر أسًّا[٥] حتى بلغ الماء، ثم جعل عرضه خمسين فرسخاً، وجعل حشوَها الصخورَ،

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٠١)، و«التيسير» (ص: ١٤٦).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٠١)، و«التيسير» (ص: ١٤٦) عن حمزة، وأبي بكر بخلف عنه.

(٣) وهو الوجه الثاني لأبي بكر.

(٤) في (أ): «وصار».

(٥) في (ر) و(ف): «أساسا».

وطينَها النحاسَ يذابُ ويُصبُّ عليه، وأعلاه زبر الحديد والنحاس المذاب، وصار كأنه بردٌ محبَّر من صُفرة النحاس وحمرتِه وسوادِ الحديد(١).

* * *

(٩٧) ـ ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا﴾.

قوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ﴾: أي: يَعلُوه من فوقه لعلوِّه ومَلاسَته ﴿وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا﴾ من أسفله فيَخرجوا منه لكثافته وصلابته.

* * *

(٩٨) ـ ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا﴾.

﴿قَالَ هَٰذَا﴾: أي: ما قوَّاني الله تعالى عليه من هذا الرَّدم ﴿رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى﴾ على خلقه، وهو يبقى إلى الميقات(٢).

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى﴾: وهو الوقت الذي وقَّته لخروجهم في آخر الزمان.

﴿جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾: على قراءة المد: مستويةً(٣) على الأرض، من قولهم: ناقةٌ دكاءُ؛ أي: لا سنام لها، وهي قراءة ابن كثير ونافعٍ وأبي عمرو وابن عامر(٤)، والتأنيث راجع إلى مؤنَّث مضمَر؛ كأنه قال: جعله أرضاً دكَّاء.

---

(١) قطعة من خبر وهب الطويل رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٩٠ ـ ٣٩٨)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٤٥٥ ـ ١٤٦٠).

(٢) في (أ): «الميعاد».

(٣) في (ف): «فيسويه».

(٤) كذا قال والصواب العكس، فقرأ المذكورون بغير مد، وقرأ باقي السبعة ـ وهم حمزة والكسائي وعاصم ـ بالمد. انظر: «السبعة» (ص: ٤٠٢)، و«التيسير» (ص: ١٤٦) عن حمزة، وأبي بكر بخلف عنه.

وقرأ الباقون غيرَ ممدودة بالتنوين، ومعناه: مدكوكاً؛ أي: مدقوقاً ملزوقاً[(١)] بالأرض، مصدر بمعنى المفعول؛ كقوله: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ﴾ [لقمان: ١١]؛ أي: مخلوق الله، و: هذا الدرهم ضربُ الأمير؛ أي: مضروبُه.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾: أي: صدقاً، وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «ولد لنوح سامٌ وحامٌ ويافث، فولد سام العربَ وفارسَ والروم والخيرُ فيهم، ووَلد يافث يأجوجَ ومأجوجَ والتركَ والصقالب ولا خير فيهم، ووُلد لحامٍ القِبْطُ والبربرُ والسودان»[(٢)].

وفي الحديث المرفوع: «ولا يموتُ أحدهم حتى يُولد لصُلبه ألفُ رجل»[(٣)].

وقال أبو سعيد: هم خمس وعشرون قبيلةً من وراء يأجوج ومأجوج[(٤)]، طولُ هؤلاء شبرٌ في شبرٍ.

وفي حديث ابن عباس: شبر وشبران وثلاثة أشبار[(٥)].

---

(١) في (ف): «مدفوناً ملزقاً».

(٢) رواه البزار (٢١٨ ـ كشف)، والخطيب في «تالي تلخيص المتشابه» (١/ ١١٤)، من طريق سعيد ابن المسيب عن أبي هريرة مرفوعاً. وفي إسناده يزيد بن سنان الرهاوي، قال عنه الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (١/ ٢٧٠) بعد أن ذكر هذا الحديث: (ضعيف بمرة، لا يعتمد عليه). ورواه الطبري في «تاريخه» (١/ ١٢٩) من قول سعيد بن المسيب، وهو المحفوظ كما قال ابن كثير.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٠٠) من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً، وإسناده ضعيف. ورواه عبد الرزاق في «التفسير» (١٨٨٩)، وعنه نعيم بن حماد في «الفتن» (١٦٤٢)، عن عبد الله بن عمرو بن العاص موقوفاً، ورواه نعيم (١٦٤٣) و(١٦٥١) موقوفاً أيضاً عن عبد الله بن سلام وابن مسعود.

(٤) إلى هنا رواه عبد بن حميد كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٤٨).

(٥) رواه الحاكم في «المستدرك» (٨٦٠٧) عن ابن عباس موقوفاً.

وقال كعب: هم ثلاثة أصناف: صنف منهم [أجسامهم كالأرز، وصنف] أربعة أذرع في أربعةِ أذرع طولاً وعرضاً، وصنف يفترشون إحدى آذانهم ويلتحفون الأخرى[١].

وقال حسان: هم أمتان، في كلِّ أمةٍ أربع مئةِ ألفِ أمةٍ، لا تشبه أمةٌ أمةً أخرى[٢].

وقال الكلبي: طعامهم التنِّين[٣]، لا يزرعون إنما يقع في أبياتهم[٤] أمثالَ الجبال منها فيأكلونها[٥].

وقال وهب: توسَّط ذو القرنين بلادهم فإذا لهم مخاليبُ وأضراسٌ وأنيابٌ

---

(١) رواه نعيم في «الفتن» (١٦٢٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٢٤)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٥٦) لابن المنذر وابن أبي حاتم، وذكره الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١٣/ ١٠٧). وما بين معكوفتين من هذه المصادر. والأرز كما قال ابن حجر: بفتح الهمز وسكون الراء، وهو شجر كبار جدًّا.

(٢) رواه نعيم في «الفتن» (١٦٤٩)، والداني في «السنن الواردة في الفتن» (٦٧٣)، وابن المنذر وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٥٦)، عن حسان بن عطية.

(٣) في (أ): «القنين». وانظر التعليق بعد الآتي.

(٤) في (أ): «في أنيابهم»، وفي (ف): «فيهم».

(٥) لم أقف عليه، وجاء في خبر وهب الطويل الذي تقدمت منه قطع: (.. وهم يرزقون التنين أيام الربيع، ويستمطرونه إذا تحينوه كما نستمطر الغيث لحينه، فيقذفون منه كلّ سنة بواحد، فيأكلونه عامهم كله إلى مثله من العام القابل، فيغنيهم على كثرتهم ونمائهم، فإذا أمطروا أخصبوا وعاشوا وسمنوا، ورؤي أثره عليهم، فدرّت عليهم الإناث، وشَبِقت منهم الرجال الذكور، وإذا أخطأهم هَزَلوا وأجدبوا، وجفرت الذكور، وحالت الإناث، وتبين أثر ذلك عليهم..).
وفي «تهذيب اللغة» (١٤/ ١٨٠): (التِّنِّينُ: ضربٌ من الحيّات من أعظمها... وجاء في بعض الأخبار أن السحابة تحمل التنين إلى بلاد يأجوج ومأجوج فتطرحُه بها، وأنهم يجتمعون على لحمه فيأكلونه)، وكله من خرافات أهل الكتاب.

كأنياب السباع وأضراسِها، وأحناكٌ كأحناك الإبل يسمع لها حركة[١] إذا أكلوا، وعلى أبدانهم شعورٌ يتوارون بها ويتوقَّون الحر والبرد، لكلِّ واحد منهم أذنان عظيمتان، على ظاهر إحداهما وباطنها وبرٌ، وعلى ظاهر الأخرى وباطنها زغبٌ، يتصيَّف في إحداهما ويتشتَّى في الأخرى، يعلم كلُّ ذكر وأنثى وقتَ موته، وهو إذا تم له ألفُ ولد، وإذا مطروا أخصبوا وسمنوا وشبعوا وتوالدوا وإذا لم يمطروا هزلوا وعجزت الذكور وحالت الإناث، يعوون عواء الذئاب، ويتسافدون حيث التَقَوا تسافُد البهائم[٢].

وروَى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «إن يأجوج ومأجوج يحفرون السدَّ كلَّ يوم، حتى إذا كادوا يخرقونه قال الذي عليهم: ارجعوا فستفتحونه غدًا، فيُعيده الله تعالى أثبتَ ما كان، حتى إذا بلغت مدتُهم حفروه حتى كادوا يَخرقونه، قال الذي عليهم: ارجعوا فستفتحونه غداً إن شاء الله تعالى، فاستثنى، قال: فيعودون إليه فيجدونه كهيئته حين تركوه، فيخرقونه فيخرجون على الناس ويستقون الماء، ويتحصَّن الناس منهم في حصونهم، فيَرمون سهامهم إلى السماء فترجع مخضبة بالدماء، فيقولون: قهرنا أهل الأرض وغلبنا أهل السماء، فيبعث الله عليهم نَغَفاً في أقفائهم فيهلكهم الله تعالى به، فوالذي نفسي بيده إن دوابَّ الأرض لتسمنُ من لحومهم»[٣].

***

(١) يعني: حركة كحركة الجِرَّة من الإبل. كما جاء في الرواية.

(٢) قطعة من خبر وهب الطويل الذي تقدمت منه قطع، والمراد من الإمطار إمطار التنين عليهم. انظر التعليق السابق.

(٣) رواه الترمذي (٣١٥٣) وحسنه، وابن ماجه (٤٠٨٠)، والحاكم في «المستدرك» (٨٥٠١) وصححه، وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٤/ ٢٠١): صحيح رجاله ثقات.

(٩٩) ـ ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾: قال الحسن والكلبيُّ والسدي: يعني: يأجوج ومأجوج يوم خروجهم من السدِّ يموج بعضهم في بعضٍ يزدحمون ويتبادرون(١).

وقال نفطويه: يختلطُ بعضُهم ببعضٍ مقبِلين مُدْبرين حيارَى.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هم الجن والإنس يموجون عند خروج يأجوج ومأجوج(٢)؛ إذ هو عَلَمٌ للساعة، قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ [الأنبياء: ٩٦] إلى قوله: ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ [الأنبياء: ٩٧].

وقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ أي: ينفخ إسرافيل فيه.

وقال ابن زيد: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾: هو أول يوم القيامة(٣)، وهذا الموجُ هو ازدحامهم(٤) واختصامهم.

قوله تعالى: ﴿فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾: للعرض والحساب والجزاء؛ كما قال: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧].

* * *

(١٠٠) ـ ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾.

---

(١) رواه بنحوه ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٦٣) عن السدي.

(٢) رواه ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتِم كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٦٣)، ولفظه: الجن والإنس يموج بعضهم في بعض.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤١٦).

(٤) في (ف): «واختطباطهم».

وقوله تعالى: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾: أي: أبرزنا جهنم لهم يرونها قبل أن يدخلوها بما فيها، كما قال تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾.

* * *

(١٠١) ـ ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي﴾: صفةٌ لقوله: ﴿لِّلْكَافِرِينَ﴾، مجازٌ عن احتجابهم عن النظر في العواقب والتفكُّر فيما ذكَّرهم الله تعالى به.

وقال مجاهد: ﴿فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي﴾؛ أي: في غفلةٍ، كما قال: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢].

قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾: أي: يَستثقلون سماع(١) ذكر الله تعالى.

* * *

(١٠٢) ـ ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ﴾: أي: أفظنَّ هؤلاء الذين كفروا وأشركوا واتَّخذوا(٢) الأنبياء والملائكة آلهةً أنهم إنْ تولَّوهم يصيرون لهم بذلك أولياءَ ينصرونهم ويشفعون لهم ويقرِّبونهم إلى الله زُلفى. وهذا استفهام بمعنى التوبيخ والإنكار؛ أي: ليس كذلك.

و﴿عِبَادِي﴾ إضافة التخصيص، فدلَّ على ما قلنا، وكذا قال ابن عباس رضي الله عنهما، قال: هم عيسى والملائكة(٣).

---

(١) في (أ): «استماع».

(٢) في (ر): «هؤلاء الكفار والمشركين الذين اتخذوا».

(٣) روي هذا عن غير ابن عباس، كما روي عن ابن عباس خلافه، فقد روى الطبري في «تفسيره» =

وقيل ﴿عِبَادِى﴾؛ أي: الشياطين والجن، وهو إضافة التخليق، ولا يكونون أولياء، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [العنكبوت: ٢٥] وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ الآية [إبراهيم: ٢٢].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَـٰفِرِينَ نُزُلًا﴾: للمعاندين والشياطين جميعاً.

وقال مقاتل: ﴿يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى﴾؛ أي: الأصنام[1]، كما قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ [الأعراف: ١٩٤].

وقوله تعالى: ﴿نُزُلًا﴾؛ أي: جعلناها مقرًّا[2] لهم لينزلوها.

وقال الزجَّاج: ﴿نُزُلًا﴾؛ أي: منزلاً[3].

وقيل: النُّزل: الطعام المهيَّأ للنازل.

* * *

(١٠٣ ـ ١٠٤) ـ ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: يجوز

= (١٥/ ٤٢٢) عن ابن جريج في قوله: ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ﴾ قال: يعني مَن يَعبد عيسى ابن مريم والملائكة، وهم عباد الله، ولم يكونوا للكفار أولياء.

أما ابن عباس ففي «تفسير الثعلبي» (٦/ ٢٠٠) عنه أنه قال: يعني: الشياطين، تولَّوهم وأطاعوهم من دون الله. لكن هذا القول استبعده الآلوسي وغمز في صحته، فقال: وفيه بعد، ولعل الرواية لا تصح. انظر: «روح المعاني» (١٥/ ٥٨٥).

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٦٠٤).

(٢) في (أ): «معدة».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣١٤).

أن يكون ﴿ٱلَّذِينَ﴾ نعتاً لـ(الأخسرين) ويكونَ جوابُه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، ويجوز أن يكون ﴿ٱلَّذِينَ﴾ جواباً وتقديره: هم الذين ضلَّ سعيهم في الحياة الدنيا.

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾: أي: تلاشَى عند الله ثوابُ ما عملوا في الدنيا، وهم مع هذا يظنون أن ما يصنعونه من موالاةِ الكفار وتعنُّت النبيِّ ﷺ بهذه السؤالات صنعٌ حسنٌ.

❋ ❋ ❋

(١٠٥) ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾: أي: أولئك كفروا بالتوراة بجَحْد ما فيها ﴿وَلِقَآئِهِۦ﴾؛ أي: البعثِ بعد الموت ﴿فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾؛ أي: بطَلت ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾؛ أي: لا نجعل لها قَدْراً.

❋ ❋ ❋

(١٠٦) ـ ﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾: يَهْزؤون بذلك.

ثم بعد ذكرِ جزاء الكافرين ذَكَر جزاء المؤمنين، وهو قوله:

❋ ❋ ❋

(١٠٧) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾: أي: بساتينُ الأعناب وكلُّ شيء من الثمار والأزهار[1] وسائرِ ما يُلِذُّ ويُمتِع، وهو بلسان السُّريانيةِ في الأصل،

---

(١) في (أ): «والأنهار».

وصارت عربيةً باستعمال العرب[١]، وقوله تعالى: ﴿نُزُلًا﴾ أي: ثواباً معدًّا للنازلين بها.

وقال أبو أمامة: الفردوس سُرَّة الجنة وأفضلُها[٢].

* * *

(١٠٨) ـ ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلًا﴾: **لا يطلبون عنها تحويلاً.**

قال الزجَّاج: هو مصدرُ حال يَحولُ حِوَلا كالصِّغَر والكِبَر[٣].

ومعناه: لا يتمنَّون التحوُّل عنها؛ لأنه يكون لكراهته، أو لوجود أفضلَ منه، وليس كذلك، ولأن الإنسان إنما يطلب التحوُّل إذا حُوِّل، وهم لا يحوَّلون.

* * *

(١٠٩) ـ ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدًا﴾: لمَّا سألوا[٤] عن الرُّوح وكذا وكذا ونزل في جواب الروح في آخر الآية ﴿وَمَآ

---

(١) في (ف): «العرف».

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤١١٠)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٣١).

وروي عنه مرفوعاً، رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٤٠٢)، والطبراني في «الكبير» (٧٩٦٦)، وفيه جعفر بن الزبير، قال عنه الذهبي في «التلخيص»: هالك. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٩٨): متروك.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣١٥).

(٤) في (ف): «سألوه».

﴿أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] قالت اليهود: إنه يقول: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩] ثم يقول هذا، فكيف يجتمعان؟! فنزلت الآية[1].

أي: وإن كانت الحكمة ـ وهي القرآن ـ خيراً كثيراً وقد آتانيه الله تعالى، ولكن[2] كلمات الله تعالى لا نفاد لها، ومعلوماتُه لا يحاط بها كثرةً، فما أوتيتُ أنا من القرآن ولا أنتم من التوراة في جنب ذلك إلا قليلاً.

وقال السدِّي: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا﴾ فكُتب به ما وَصف الله تعالى في الجنة للمؤمنين مما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطَر على قلبِ بشر، وما في النار للكافرين، وقد سبق ذكرهما في هذه الآيات، لنَفِدَ البحر قبل أن يَنْفدَ ذلك[3]، ولو جيء ببحرٍ آخرَ مثلِه لنفِدَ أيضاً؛ أي: فَنِيَ.

وقال عكرمة: ﴿لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي﴾؛ أي: ثوابُ مَن تكلَّم بكلماتِ ربي، يعني: قال[4]: لا إله إلا الله، قال تعالى: ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا﴾ [التوبة: ٤٠].

* * *

(١١٠) ـ ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾.

---

(١) انظر: «تفسير أبي الليث السمرقندي» (٢/ ٣٦٥)، و«تفسير الثعلبي» (٤/ ١٦٢)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢٩٨)، و«البسيط» (١٤/ ١٧٢)، و«تفسير البغوي» (٥/ ٢١٢)، و«المحرر الوجيز» (٣/ ٥٤٦)، و«الكشاف» (٢/ ٧٥٠). وعزاه بعضهم لابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) في (ر) و(ف): «وكل».

(٣) في (ر) و(ف): «قبل أن تنفد كلمات ربي».

(٤) في (ف): «قول»، وليست في (ر).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾: أي: مِثْلُكم في البشرية، وأُفارقكم في أن يُوحى إليَّ، فلا أعلم إلا ما علَّمني ربي، وقد أَوحَى إليَّ أنْ أبلِّغكم.

وقوله تعالى: ﴿أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ فلا تتخذوا من دونه أولياء[١].

وقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾: أي: يأمل ثواب الطاعة، وقيل: يخاف عقاب المعصية، والرجاء اسم لهما عند لقاء ربه؛ أي: يوم القيامة.

وقوله تعالى: ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾: خالصاً عن الشرك والرياء ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ قيل: ولا يراءِ بعمله لله أحداً مِن خلقه.

وقيل: لا يشركْ بالله في العبادة شيئاً من الأصنام وغيرها.

والحمد لله رب العالمين، ربِّ نجِّنا من القوم الظالمين، واجعلنا من عبادك الصالحين[٢]، بلطفك آمين[٣].

* * *

---

(١) في (أ): «ولياً».

(٢) في (ف): «المخلصين».

(٣) «ربِّ نجِّنا من القوم الظالمين، واجعلنا من عبادك الصالحين، بلطفك آمين» ليس في (أ).

سُورَةُ مَرْيَمَ

سورة مريم

عليها السلام

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الذي وهبَ لزكريا يحيى على وَهْنِ العظمِ واشتعالِ الرأس من الشيب، الرحمنِ الذي وعد جناتِ عدنٍ عبادَه بالغيب، الرحيمِ الذي أحبَّ عباده(١) الذين آمنوا وعملوا الصالحات وحبَّبهم إلى خِيَارِ خلقه مع ما بهم من العيب.

وروى أبيُّ بن كعب رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «مَن قرأ سورةَ مريم أُعطي عشرَ حسناتٍ بعددِ مَن كذَّب بزكريا وصدَّق به، وبيحيى ومريم وعيسى وإبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى وهارون وإسماعيل وإدريس عشرَ حسنات، وبعددِ مَن دعا لله ولداً، وبعددِ مَن لم يَدْعُ لله ولداً»(٢).

وهذه السورةُ مكيةٌ، وهي تسعٌ وتسعون آيةً، وقيل: ثمان وتسعون آية، وقيل: سبع وتسعون آية(٣).

والاختلافُ في ثلاث آيات: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ ﴿فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾(٤).

---

(١) «عباده» من (ر).

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٢٠٥)، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور.

(٣) تسع وتسعون في المدني الأخير والمكي وثمان في عدد الباقين. انظر: «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ١٨١). ولم يذكر القول الأخير.

(٤) ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ عدهَا الكوفي ولم يعدَّها الباقون ﴿فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ عدها المدني الأخير والمكي =

وكلماتُها تسعُ مئةِ كلمة وستون(١)، وحروفُها ثلاثة آلاف وثماني مئةٍ وإحدى وستُّون(٢).

وانتظام أول هذه السورة بآخر تلك السورة(٣): أنه ختم تلك السورةَ بقوله: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ ثم بيَّن في أول هذه السورة أنه الكافي على الكمال فلا معنى للإشراك في عبادته وقصدِ غيره لمعونته أو كرامته.

وانتظامُ السورتين في المعنى: أن تلك السورة في ذمِّ المشركين ووعد المؤمنين وإلزامِ الحجة عليهم بقصص الأولين، وختم تلك السورة بوعيد المشركين ووعد المؤمنين، وهذه السورة كذلك.

* * *

(١) - ﴿كٓهيعٓصٓ﴾.

وقوله تعالى: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾: قال قتادة هي اسم للقرآن(٤).

وقال جماعة: هي اسمٌ لهذه السورة.

وقال السدي: هي اسم الله الأعظم(٥).

= ولم يعدَّها الباقون ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾ لم يعدها الكوفي وعدها الباقون. المصدر السابق.

(١) في (ر) و(ف): «وتسعون»، وفي المصدر السابق: (واثنتان وستون)، ومثله في «تفسير الثعلبي» (٦/ ٢٠٥).

(٢) كلمة: «وإحدى» من (أ). وفي المصدرين السابقين: (ثلاثة آلاف وثماني مئة وحرفان).

(٣) في (ر) و(ف): «أول هذه السورة بسورة الكهف».

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٧٢٩)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٥٢).

(٥) ذكره عن السدي القرطبي في «تفسيره» (١٣/ ٤٠٥). وعزاه في «الدر المنثور» (٥/ ٤٧٨) لعثمان ابن سعيد الدَّارِميّ وابن ماجه وابن جرير عن ابن عباس. وانظر: «تفسير الطبري» (١/ ٢٠٦).

وقال محمد بن كعب: أقسم الله تعالى بكفايته وهدايته ويُمنه وعلوِّه وصدقه(١).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما والكلبي ومقاتل والضحاك: هي أسماء الله تعالى: كافٍ هادٍ عالمٌ صادق. وقال سعيد بن جبير: كريمٌ هادٍ، يده مبسوطةٌ بالعدل والفضل، عليمٌ صَمَدٌ(٢).

وقال الإمام القشيري رحمه الله: في هذه الحروف تعريفُ الأحباب أسرارَ معاني الخطاب، بحروفٍ خصَّ الحقُّ سبحانه المخاطَبَ بها بفَهْم معانيها، فللأغيار سماعُها وذكرُها، وللرسول فهمُها وسرُّها.

قال: وقيل: في الكاف إشارةٌ إلى كتابته الرحمةَ على نفسه قبل كتابة الملائكة الزلَّةَ على عباده.

والهاء تشير إلى هدايته المؤمنين إلى عرفانه، وتعريفِ هويَّته لاستحقاقِ جلال سلطانه، وتعريف هيبته للمؤمن(٣) وما له عليه من الحق بحكم إحسانه.

والياءُ إشارة إلى يسر نعمه بعد عُسر محنه، وإلى يده المبسوطة بالرحمة للمؤمنين من عباده.

والعين تشير إلى علمه بأحوال خلقه، سرِّه وجهره، قليلِه وكثيره، حالِه ومآله.

والصاد إلى أنه الصادق في وعده(٤).

---

(١) لم أقف عليه، وروى الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٥٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: فإنه قسم أقسم الله به، وهو من أسماء الله.

(٢) انظر هذه الأقوال في «تفسير عبد الرزاق» (١٧٣٠) و(١٧٣١)، و«تفسير الطبري» (٢/ ٤٤٣ ـ ٤٥٢)، و«تفسير الثعلبي» (٦/ ٢٠٦)، و«الدر المنثور» (٥/ ٤٧٧ ـ ٤٧٨).

(٣) في (أ): «وتعريف هيبته للمؤمنين»، وفي (ف): «وتعريف ألوهيته للمؤمن»، وفي (ر): «وتعريف هيئته للمؤمن». ولم ترد هذه الجملة في «اللطائف».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٤١٨).

(٢) ـ ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾: قيل: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ مبتدأ، وهذا خبره.

وقيل: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ كلام تامٌّ، ثم معناه: هذا ذكر رحمة ربك، كقولك: هذا ذكر سرٍّ[1] فلان بن فلان، وهذا بيان ذكر رحمة الله زكريا.

وهو نبي الله زكريا بن ماثان، قاله ابن عباس رضي الله عنهما[2]، وزكريا بن يوحنا قاله مقاتل.

* * *

(٣) ـ ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾.

ثم بيَّن ذلك بقوله: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ﴾: أي: دعا وناجى، وكان ذلك في الصلاة كما قال تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ﴾ [آل عمران: ٣٩] وهو أبلغُ في التضرع.

وقوله تعالى: ﴿نِدَآءً خَفِيًّا﴾ عن الخلق، وهو أبعد عن الرياء وأقرب إلى الصفاء.

وقيل: أخفى ذلك حياءً من الناس وتوقِّياً أن يلامَ على سؤال[3] الولد وهو ابنُ خمس وثمانين سنة.

* * *

(٤) ـ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾.

---

(١) في (أ): «شراء»، وفي (ر): «سرا».

(٢) انظر: «تفسير أبي الليث» (٢/ ٣٦٧).

(٣) في (أ): «سؤاله».

وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي﴾: أي: ضعُف، وهو نهاية الضعف فإن العظم أشدُّ ما في البدن، وإذا انتهى الضعفُ إليه فهو غاية الضعف.

﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾: أي: الْتَهبَ، يعني: عمَّ الشيبُ رأسي كالنار تشتعلُ في الحطب فتنتشر فيه، وهو مجاز.

قوله تعالى: ﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾: أي: قد عوَّدْتَني الإجابة أبداً، فلم تكن تُشقيني قط بالردِّ إذا دعوتُك، وتقول العرب: سَعِد فلانٌ بحاجته: إذا ظَفِر بها، وشَقِي: إذا خاب ولم ينَلْها، ولأن الشقاء هو التعب؛ قال تعالى: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾ [طه: ١١٧]، ومَن سعى لشيء فلم يدركه ظهر له التعبُ، وإذا أدركه زال تعبُه.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: ﴿إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي﴾: لقيتُ بضعفي عن خدمتِك ما لا أحبُّه[١]، ولا قوة بعد الشيب، فهب لي ولداً ينوب عني في عبادتك[٢].

* * *

(٥) ـ ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى﴾: المولى: ابن العم والعصَبة، وجمعه: الموالي.

---

(١) في (أ): «لقيت لضعفي عن خدمتك على ما أحبه»، وفي (ف): «بقيت بضعفي عن خدمتك عليّ ما لي حيلة»، وفي (ر): «تفتت لضعفي عن خدمتك علي ما لي جنة». والمثبت من «اللطائف»، وزاد: (فطعنت في السنّ).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٤١٩).

و﴿مِن وَرَآءِى﴾ قال أبو عبيدة: أي: من جهة الموت الذي هو قدَّامي؛ قال الشاعر:

أترجـو بنو مـروان سـمعي وطاعتي وقومـي تميـمٌ والفَـلاةُ ورائيـا[1]

أي: خِفْتُ عصَبتي الذين هم موجودون الآن ألَّا يقوموا مقامي في الدِّين بعد موتي، كأنه لم ير فيهم من الخِلال ما يَصلحون لذلك، فسأل من الله تعالى ولداً صالحاً لذلك.

وقيل: أي: خفتُ بني عمي على الدِّين[2] من بعدي، وهم شرارُ بني إسرائيل.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾: قيل: أي: ولداً.

وقيل: أي: من الموالي مَن يصلح لذلك؛ فإن هؤلاء الموجودين لا يصلحون له.

قال هؤلاء: ولم يسأل ولداً، فقد قال: ﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا﴾؛ أي: عقيماً لا تلد، و(كانت) عبارةٌ عن تقادُم العهد وهو مما لا يزول غالباً، فكان وصفاً منه لها بذلك للحال أيضاً، فكان لا يطمع في الولد منها، وإنما سأل عصَبةً تصلُح له.

واستدلوا بقوله لمَّا بُشِّر به: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَـٰمٌ﴾ وهو تعجُّبٌ منه، ولو كان استوهَبَ الولدَ ثم بشِّر بذلك لم يستعظِمْه.

قالوا: فدل على[3] أن معنى قوله: ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾؛ أي: مولًى، فإن المولى والوليَّ واحد.

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٢)، ونسب البيت فيه لمساور بن حمئان من بني ربيعة، ونسب في «الكامل» للمبرد (٢/ ٢٦٨)، و«الأضداد» للأصمعي (ص: ٢٠)، لسوار بن المضرَّب.

(٢) في (ف): «الذين» بدل: «على الدين».

(٣) «على» ليست في (ف).

والأكثر على أنه سأل الولد، وقوله تعالى: ﴿وَلِيًّا﴾؛ أي: ولداً هو وليٌّ من أوليائك.

* * *

(٦) ـ ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾: قال ابن عباس والحسن والضحاك: يرث المال[١].

وقال أبو صالح: يرث النبوةَ[٢].

وقال السدي ومجاهد والشعبي: يرثُني المال ويرثُ من آل يعقوب النبوة.

وقد روي: «إن الأنبياء لم يورِّثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورَّثوا العلم، فمَن أخذه فقد أخذ حظاً وافراً»[٣]، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا﴾ [النمل: ١٥] إلى أن قال: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ [النمل: ١٦]، ويدلُّ عليه أنه وهب له يحيى وهو لم يرثِ المال وإنما ورث العلم.

ومعنى وراثة النبوة: أنه يصلُح لها بأن يوحَى إليه، ولم يُرِدْ أن نفس النبوة تورثُ بغير وحي.

---

(١) لم أقف عليه، وانظر التعليق الآتي.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٥٨) بلفظ: (يرث مالي، ويرث من آل يعقوب النبوّة). وبهذا اللفظ رواه الفريابي عن ابن عباس كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٤٨٠)، وهكذا أيضاً رواه داود بن أبي هند عن الحسن كما في «معاني القرآن» للنحاس (٤/ ٣١١). لكن هذا كله يعارض ما رواه البخاري (٦٧٢٨)، ومسلم (١٧٥٧) من حديث أبي بكر رضي الله عنه: «لا نورث، ما تركنا صدقة»، وانظر كلام ابن كثير عند هذه الآية، وكذلك ما سيأتي من كلام المؤلف.

(٣) رواه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

وقوله تعالى: ﴿مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ قيل: هو والد يوسف عليهما السلام؛ لأن زكريا كان تزوج أخت مريم بنت عمران، وهي ترجع بنسبها إلى يعقوب؛ لأنها من ولد سليمان بن داود، وداود من ولد يهوذا بن يعقوب، ثم زكريا نفسه من ولد هارون أخي موسى، وهارون وموسى من ولد لاوي بن يعقوب، وكانت النبوة في سبط يعقوب.

وقيل: هو يعقوب بن ماثان أخو عمران بن ماثان، وكان آل يعقوب أخوالَ يحيى بن زكريا، وهذا قول الكلبي ومقاتل(١).

وقال الكلبي: كان بنو ماثان رؤوسَ بني إسرائيل وملوكَهم، وكان زكريا رأسَ الأحبار يومئذ، فأراد أن يرث ولدُه حبورتَه، ويرثَ هو أيضاً من بني ماثان مُلكَهم(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾: قيل: هو بمعنى فاعلٍ؛ أي: راضياً عنك وراضياً بتقديرك.

وقيل: هو بمعنى مفعول؛ أي: مرضيًّا عندك.

وقيل: أي: مرضيًّا في أمَّته لا يُتلقى بتكذيبٍ ولا تسخُّطٍ لِمَا يأتي به.

وقيل: مرضيًّا عندهم لا يُعاب بشيء، ولا يُنسَب إلى عيب.

وقال القَفَّال: فيه بيانُ أنَّ مَن أراد أن يَسأل الله تعالى حاجةً مّا توجَّب(٣) أن يبلغ ما أَمكن بلوغه من إخلاص المسألة والانقطاعِ بالرغبة إليه، وتأكيدِ أسباب التضرع

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٦٢٣)، وقول الكلبي في «تفسير الثعلبي» (٦/ ٢٠٦). وذكره عنهما أيضاً الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٥٦).

(٢) ذكره بتمامه الفخر الرازي في «تفسيره» (٢١/ ٥١١). وذكر أوله الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٥٦)، والواحدي في «البسيط» (١٤/ ١٩٧).

(٣) «ما توجب» من (أ).

بإظهار الفاقة والعجز عن نيل ما يريد إلَّا بفضل الله تعالى، ألا ترى أن الله تعالى أخبر عنه أنه دعاه دعاءً خفيًّا في صلاته، وهي أقربُ أحوال العبد إلى ربه، ثم أظهر العجز عن نيل الوليِّ بكِبَر سنه ووَهْن عظمه وعُقْر امرأته، وما يخاف من ردِّ الله تعالى إياه من مصير ميراث النبوة ورئاسةِ العلم في الأباعد منه، ثم توسَّل إلى الله تعالى بما عوَّده من الإجابة في كلِّ ما كان يدعوه به، وفي ذلك طرف[1] من الشكر؛ لأنه اعترافٌ بتقدم المنَّة، فينبغي لمن أراد الدعاء أن يقدِّم أمام دعائه هذه المعانيَ وأشباهَها.

***

(٧) ـ ﴿يَـٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَـٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَـٰزَكَرِيَّآ﴾: وفيه[2] إضمار: فقلنا: يا زكريا.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾: وكانت البشارة على لسان جبريل عليه السلام كما في سورة آل عمران: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ﴾ [آل عمران: ٣٩].

وقوله تعالى: ﴿بِغُلَـٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ﴾: أي: قد سميناه يحيى.

وقوله تعالى: ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾: قال ابن عباس وقتادة والحسن ونوفٌ البِكَاليُّ وابن زيد والسدِّي: لم يسمَّ أحد قبله يحيى[3].

---

(١) في (ر) و(ف): «طرق».

(٢) «وفيه» زيادة من (أ).

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٤٠٧) وصححه، وابنُ أبي شيبة في «المصنف» (٣١٩٠١)، كلاهما من طريق سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس. ورواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٦٢ـ٤٦٣) عن قتادة والسدي وابن زيد وابن جريج. وعن قتادة عبد الرزاق في «تفسيره» (١٧٣٧).

وقيل: أي: سميناه يحيى قبل أن نخلقه، وسائر الأنبياء إنما سماهم آباؤهم وأمهاتهم بعد ولادتهم، فخصَصْناه[١] بتسميته إياه وبتسميته قبل خلقه.

وقال قطرب: ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾؛ أي: نظيراً ومِثْلاً.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لم تلد قبله العواقرُ ولداً[٢].

وقيل: سمي يحيى لأنه به حَيِي به عُقرُ أمه.

وقيل: لأن الله تعالى أحيَى قلبه باليقين.

* * *

(٨) ـ ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ﴾: أي: كيف؟ وقيل: أي: من أين؟ فليس هذا باستعظامٍ ولا تعجيزٍ، بل هو استكشافٌ أنه بأيِّ طريق؟ كما مر في سورة آل عمران.

وقال الحسن: سأل: كيف يُوهب له؟ أيُوهب[٣] وهو وامرأته على هيئتهما أم يحوَّلان شابين[٤]؟

---

(١) في (ر): «فتخصصنا»، وفي (ف): «فتخصيصاً».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٦١ ـ ٤٦٢) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وفيه: (مثله) بدل: «قبله». وكذا رواه ابن المنذر وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٨١).

(٣) «أيوهب» من (أ).

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٣٩١). وذكره مختصراً يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ٢١٥).

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا﴾: قرأ حمزة والكسائي وحفصٌ عن عاصم بكسر العين، والباقون بضمِّها[1].

والعِـتُـيُّ: هو بلوغ نهاية الكبر، وقد عتَا يَعْتُو عُتُوًّا وعِتِيًّا وعُتِيًّا، فهو عاتٍ، وهو الذي غيَّره طول الزمان إلى حال اليبس والجفاف.

وقال أبو عبيدة: كلُّ متناهٍ في كفرٍ أو فسادٍ أو كِبرٍ فهو عاتٍ[2].

وقال نفطويه: أراد به بلوغَ العمر الطويل، يقال: ليلٌ عاتٍ؛ أي: طويلٌ.

وقيل: أراد زكريا بهذا: إني مع شدة حاجتي إلى الولد كبيرٌ لا يولد لمثلي، وامرأتي عاقرٌ لا يولد لمثلها، وأنت القادر على ما تشاء، فالْطُفْ لي بالولد كيف شئتَ، وأنت قادر على أن تحوِّلنا شابَّين، وأن تهبَ لنا الولد مع ما بنا، وكان هذا استخباراً أنه: يولد لهما على هذه الحالة أو بعد الإحالة؟

* * *

(٩) ـ ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ﴾: أي: أنت وامرأتُك كما قلتَ.

﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ﴾: خلقُ هذا الولد عليَّ سهل ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ﴾؛ أي: أبدعتُك من قبلِ إخباري إياك عن خَلْق يحيى.

وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾: أي: بشراً كما أنت الآن، أو هو نفيُ الخَلق عن شيء في الابتداء، فإنَّ ما خَلَق اللهُ في الابتداء خلَقه لا من شيءٍ، ثم الآن وإن كان يتراءى خلقُ الولد من نطفةٍ وخلق النبات من حبةٍ[3]، لكنَّ الأصل ما قلنا.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٠٧)، و«التيسير» (ص: ١٤٨).

(٢) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٢).

(٣) في (ر) و(ف): «الحب».

ودلت الآية أن المعدوم ليس بشيء، وهو حجةٌ على المعتزلة.

* * *

(١٠) ـ ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً﴾: أي: علامةً أعلم بها أنه عَلِق؛ لأزيدَ في الشكر ودعاءِ السلامة.

﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ﴾: أي: لا تطيقَ أن تكلِّمَ الناس ﴿ثَلَٰثَ لَيَالٍ﴾؛ أي: بأيامها ﴿سَوِيًّا﴾؛ أي: حال كونك سويَّ الأعضاء واللسان لا خرس به[1] ولا آفةَ ولا ضعفَ ولا سُقم، قاله قتادة[2].

وجاء: أنه كان يقدر على القراءة والذِّكر، ويعجز عن كلام الناس.

* * *

(١١) ـ ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ﴾: أي: من موضع صلاته.

وقيل: كانت له غرفةٌ يصعد إليها بسلَّم.

وقد بينَّا الأقاويل فيه في سورة آل عمران وبينَّا القصة.

وقيل: كان موضعاً لا يدخلونه إلا بإذنٍ، فاجتمعوا ينظرونه، فخرج إليهم وهو لا يتكلم.

---

(١) «به» ليس من (أ).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٧٤٠)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٦٨)، ورواه الطبري أيضاً عن ابن عباس ومجاهد.

وقوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ﴾: أي: أشار ﴿أَن سَبِّحُواْ﴾؛ أي: صلُّوا ﴿بُكْرَةً﴾؛ أي: صلاة الفجر ﴿وَعَشِيًّا﴾؛ أي: صلاة العصر؛ قاله أبو العالية، فيحتمِل أنهم كانوا يصلون معه في محرابه هاتين الصلاتين، وكان يخرج إليهم فيأذَن لهم بالدخول بلسانه، فلما اعتُقل أذن لهم بإشارته.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ﴾؛ أي: كتب على الأرض[(١)].

وقال مجاهد: أشار إليهم[(٢)]. وهو الأشبهُ؛ لقوله: ﴿إِلَّا رَمْزًا﴾ فإن ذلك لا يكون كتابةً.

***

(١٢) ـ ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾: وأضمَر هاهنا: فوهبنا له يحيى وقلنا له بعد ولادته[(٣)] في حال طفوليَّته[(٤)]: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ قيل: أي: التوراة.

وقيل: آتاه كتاباً خصَّه به.

﴿بِقُوَّةٍ﴾؛ أي: بجدٍّ ومُواظَبة، وأخذُه: قبولُه والعمل به.

وقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾: أي: أعطيناه الذكاء وشدةَ الفهم حال صباه.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٨٣) بلفظ: (كتب لهم)، وبلفظ المؤلف رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٧٢) عن مجاهد.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٧١)، ورواه أيضاً ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٨٣).

(٣) في (ر) و(ف): «ولايته».

(٤) في (أ): «طفولته».

قال معمر: إن الصبيان قالوا ليحيى وهو ابن ثلاث سنين: اذهب بنا نلعب، فقال: ما للَّعبِ خُلقنا[١]! فذلك قوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ﴾؛ أي: الحكمة[٢] ﴿صَبِيًّا ﴾.

وقيل: ﴿ٱلْحُكْمَ﴾: النبوة.

***

(١٣ ـ ١٤) ـ ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾: أي: رحمة وشفقة.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لا أدري ما الحنان والرقيم والغسلين[٣]، ثم روي عنه أنه قال: أُراه التعطُّفَ والرحمة[٤].

وهذا معطوف على قوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ﴾ ﴿وَحَنَانًا﴾؛ أي: وعطفاً على العباد وشفقةً.

﴿وَزَكَوٰةً ﴾: أي: طهارةً، وقيل: وتزكية، فإنه من زكاة الزرع وهو نماؤه.

وقيل: ﴿وَحَنَانًا﴾؛ أي: ورحمةً منا له ﴿وَزَكَوٰةً﴾؛ أي: تزكيةً منا إياه[٥]؛ أي:

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٧٤٣)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٧٤).

(٢) «أي: الحكمة» ليس من (أ) و(ف).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٦٥٥) وزاد: والأواه، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٧٧)، مقتصراً على لفظ الحنان.

(٤) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٤١٠) وصححه، وعنه البيهقي في «الأسماء والصفات» (١٤١)، كلاهما بلفظ: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾ قال: «التَّعطُّفُ بالرحمةِ».

(٥) في (ر) و(ف): «إليه».

تشريفاً ورفعاً[١]؛ كتزكيَةِ المزكِّي الشهودَ، وعلى هذا تكون الواو في أوله زائدةً، أو يضمرُ بعده فعلٌ؛ أي: ولرحمةٍ منا عليه وتزكيةٍ منا إياه فضَّلناه بإيتاء الحكم والكتاب في صباه على كثير من الأنبياء.

وقال عطاء بن أبي رباح: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾ أي: تعظيماً[٢].

وفي حديث ورقةَ بن نوفل حين رأى بلالاً يعذَّب وهو يقول: أحدٌ أحد، أنه قال: والله لئن قتلتُموه لأَتَّخِذَنَّهُ حناناً[٣]؛ أي: لأتمسَّحنَّ به ولأجعلنَّه ممن يعظَّم ويُشهر أمرُه ويجعلُ قبرُه مزاراً.

وقيل ـ وهو قول قتادة ـ: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾؛ أي: رحمةً على زكريا استجبنا له وأعطيناه هذا الولد[٤]، ويتصل بقوله: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾: أي: يحيى ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ﴾ وهو أحد وجوه التقوى.

وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾: أي: متكبِّراً متعظِّماً على عباد الله.

وقيل: أي: متمرِّداً على الله.

وقيل: الجبار: الذي لا يرى لأحد على نفسه حقًّا ولا طاعة.

وقال سفيان: الجبار: الذي يَقتلُ على الغضب[٥]، ومَن قتل اثنين فهو جبَّارٌ

---

(١) في (ر): «وترفيعاً»، وفي (ف): «وترفعاً».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٧٧).

(٣) رواه ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٣١٨)، وعبد الله بن أحمد في زوائده على «الزهد» (٨٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٤٨)، عن عروة بن الزبير.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٧٦) بلفظ: ورحمة من عندنا رحم الله بها زكريا.

(٥) ذكره الثعلبي في «البسيط» (١٤/ ٢١٠) عن الكلبي.

في الأرض؛ قال الله تعالى خبراً: ﴿أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ﴾ [القصص: ١٩].

وقيل: الجبار الذي يعاقب على غضب نفسه لا على استحقاق الجاني، قال تعالى: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٠].

والعَصِيُّ: المُبالغ في العصيان، وهو مخالفة الأمر.

* * *

(١٥) ـ ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾: هي كلمة مدح وثناء؛ قال الله تعالى: ﴿فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٩١]، وهو إخبارٌ بطِيب مولد يحيى وحُسن خاتمته وفوزه يومَ القيامة، والمعنى: إن السلامة والطهارةَ والبراءةَ من خلاف الجميل[١] مقرونةٌ به في أحواله هذه، لم يَجْرِ عليه ما يَدخله عيبٌ ونقصٌ وذم.

وقيل: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ﴾؛ أي: أمانٌ له من الله يومَ ولد من أن ينالَه الشيطان ﴿وَيَوْمَ يَمُوتُ﴾؛ أي: وأمانٌ له من فتَّاني القبر ﴿وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾؛ أي: وأمان له من العذاب[٢] يوم القيامة؛ قاله ابن جريرٍ[٣].

وقال ابن عيينةَ: أوحشُ ما يكون الخلقُ في ثلاثة مواطنَ: يوم وُلد فيَرى نفسه خارجاً مما كان فيه، ويوم يموت فيَرى قوماً لم يكن عايَنهم، ويوم يُبعث فيرى نفسه في محشَرٍ عظيم، فأكرمه الله تعالى بالسلامة فيها[٤].

---

(١) في (ف): «والطهارة والبر من الأخلاق الجميلة».

(٢) في (ف): «عذاب».

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (١٥/ ٤٨١).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٨٢).

قال نفطويه: فهذه فُجاءاتٌ ثلاثٌ لا فُجاءةَ أعظمُ منها فسلَّمه فيها.

* * *

(١٦) ـ ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ﴾: وانتظامُ هذه القصة بقصة زكريا عليه السلام: أن سؤال زكريا الولدَ كان عند مشاهدته حالَ مريم، على ما قال: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ﴾ الآيةَ ﴿وَٱذْكُرْ﴾ يا محمد ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾؛ أي: في القرآن ﴿مَرْيَمَ﴾؛ أي: اقرأ عليهم في القرآن قصةَ مريم؛ ليقفوا عليها، ويعلموا ما جرى عليها من ولادة عيسى، فيَعتقدوا ذلك فيَسلموا من شرك النصارى، ويعرفوا قَدْرَ الصلاح والتقوى عند الله ممن كان ذكراً أو أنثى.

وقوله تعالى: ﴿إِذِ ٱنتَبَذَتْ﴾: أي: تباعدت.

وقال قتادة: أي: انفردتْ[١]، وقعدتُ نبذةً؛ أي: ناحيةً.

﴿مِنْ أَهْلِهَا﴾: أي: قومها الذين هي فيهم[٢] ﴿مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾: موضعاً يلي مشرق الشمس.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: إنما اتَّخذت النصارى المشرقَ قبلة وزعموا أنه لو كان شيء من الأرض خيراً من المشرق لوضعت مريم عيسى به[٣].

وإنما انتبذت عند بعضهم لأنها عطشت فخرجت إلى المفازة تستقي[٤].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٨٣) بلفظ: انفردت من أهلها.

(٢) في (ف): «منهم».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٨٤).

(٤) في (ف): «تستسقي».

وقيل: حاضت وطهُرت، فخرجت من بيتها لتتطهَّر وتمتشِط[١].

وقيل[٢]: اعتزلت في المسجد إلى جانب المحراب في شرقيِّه لتخلوَ للعبادة.

* * *

(١٧) ـ ﴿فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا﴾: قال السدي: من الجدران.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: حجاباً يسترها من الشمس[٣].

وقيل: حجاباً تستتر به عن الناس في الاغتسال[٤].

وقوله تعالى: ﴿فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا﴾: أي: جبرائيل، قاله الحسن وقتادة والسدي وابن جريج ووهب بن منبه[٥]، والإضافة للتشريف.

وقوله تعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا﴾: أي: تصوَّر لمريم ﴿بَشَرٗا﴾؛ أي: آدمياً ﴿سَوِيّٗا﴾؛ أي: صحيحَ الأعضاء لتُطيق مريمُ النظر إليه.

وفي القصة: أنها رأت شابًّا صبيحاً عليه ثيابٌ بيضٌ ﴿قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ﴾ خافت منه وظنَّت أنه رجل يريدها بسوء، وعلمت أنها لا تقدر على دفع ذلك بنفسها فاستعاذت بالله.

---

(١) في (ف): «لتطهر وتغتسل وتمتشط».

(٢) في (ر) و(ف): «وقد».

(٣) روى القولين الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٨٥).

(٤) في (أ): «للاغتسال».

(٥) ذكره عنهم الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٦٢)، ورواه عنهم ـ عدا الحسن ـ الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٨٥ ـ ٤٨٦).

﴿قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾: والتقيُّ يعيذ مَن استعاذ بالله، وغيرُ التقي لا ينفع ذلك عنده، وهو كقوله تعالى: ﴿وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٧٨].

* * *

(١٩) - ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ﴾: أمَّنها مما خافت، وأخبر أنه ليس بآدميٍّ يُخافُ منه، بل هو رسول من الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾: قرأ أبو عمرو ونافع: ﴿ليَهَب لك﴾[1]؛ أي: ليَهَب الله لك؛ أي: أنا مبشِّر لك بذلك، وقرأ الباقون: ﴿لِأَهَبَ لَكِ﴾ أي: أتسبَّبَ بهبة[2] الله لك ذلك، وهو ما كان من نفخه في جيبها بأمر الله عز وجل.

وقيل: أضمر القول هاهنا: إنما أنا رسول ربِّك بقولِ الله تعالى: ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾؛ أي: ابناً صالحاً طيِّباً طاهراً.

وقال عكرمة: كانت مريم تكون في المسجد ما دامت في الطهر، فإذا حاضت تحوَّلت[3] إلى بيت خالتها حتى إذا طهرت عادت إلى المسجد، فبينا هي تتطهَّر من الحيض عَرَض لها جبريل في صورةِ غلامٍ أمردَ وضيءِ الوجه، فلما رأته مريم قالت: ﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ﴾ الآية[4].

---

(١) هي قراءة أبي عمرو، وورش عن نافع، والحلواني عن قالون عن نافع. انظر: «التيسير» (ص: ١٤٨)، و«النشر» (٢/ ٣١٧).

(٢) في (أ): «السبب لهبة»، وفي (ر): «بسبب هبة».

(٣) في (ر): «خرجت».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٢٠٩)، والبغوي في «تفسيره» (٥/ ٢٢٣).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ونفخ جبريلُ في جيب درعها فحملت[١].

وقيل: نفخ من بعيد فوصل أصل[٢] الريح إلى جسدها.

* * *

(٢٠) ـ ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾: أي: بالحلال ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾؛ أي: زانية، ولا يكون الولد في العادة إلا من أحدِ هذين الوجهين، فأنَّى يكون لي ولد؟ أي: كيف ومن أين؟ وهو استعظامٌ واستبعاد.

وقيل: هو سؤال وجهُه: أنى يكون: بزوجٍ أتزوَّجه[٣]، أو يخلق الله تعالى فيَّ ذلك بغير زوج؟

* * *

(٢١) ـ ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ﴾: أي: قال جبريل: بل هو[٤] كما قلتِ.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾: أي: خلقُه من غير أبٍ يسيرٌ عليَّ.

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٤١٥٦)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٧٠/ ٨٦)، ورواه ابن عساكر من طريق آخر (٧٠/ ٨١ ـ ٨٣).

(٢) في (أ): «فوصلت» بدل: «فوصل أصل».

(٣) في (أ): «زوج أتزوجه»، وفي (ف): «أتزوج بزوج».

(٤) «بل هو» ليس في (أ).

قوله تعالى: ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً﴾: أي: نَهَبُه لك من غير أبٍ لنجعله معجزةً له[١].

وقيل: أي: نجعل هذا الولدَ آيةً للناس دالةً على قدرة الله تعالى ووحدانيته.

وقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾: نرحمُ به عبادنا ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾؛ أي: شأناً كائناً قضى الله به.

* * *

(٢٢) - ﴿ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾: أي: حملت الولد في البطن بالنفخ ﴿فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ﴾؛ أي: تنحَّت بالحمل ﴿مَكَانًا قَصِيًّا﴾؛ أي: بعيداً عن الناس، وقد قصا يَقْصو قَصْواً فهو قاصٍ وقصيٌّ؛ أي: تباعَدَ، وأقصى[٢] غيرَه؛ أي: أبعده.

وقيل: أي: انتبذت خوفاً على نفسها من القتل.

وقيل: خوفاً على ولدها لو ولدته فيما بين أظهُرهم.

وقيل: كما حملت أخذها المخاض، ففكَّرت فيما يقول لها الناس فانتبذت.

وقيل[٣]: مكثَتْ بعد الحمل مدةً، واستبان بها الحمل، وقالوا فيها ما قالوا، فتنحَّت[٤] حينئذ فأخذها المخاض في طريقها.

* * *

---

(١) «له» من (أ).

(٢) في (أ): «وأقصاه».

(٣) في (أ): «وقد».

(٤) في (أ): «فانتبذت».

(٢٣) ـ ﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ ﴾: تعديةُ جاء، وقيل[١]: أي: ألجأها؛ قاله الحسن وقتادة ومجاهد وعكرمةُ[٢].

والمخاض: وجع الولادة، وحقيقتُه: اضطراب الولد للخروج، وقد تمخَّض؛ أي: تحرَّك.

وقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾: أي: أصلِها، وكان يابساً، وتعريفُ النخلة دليلٌ أنها كانت نخلةً معروفة مشهورة.

وقوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾: قيل: لمَّا ضربها[٣] الطَّلْقُ عِيْلَ صبرُها فتمنَّت الموت، وهذا كلام يستعمله الصالحون عند الشدائد طبعاً ـ لا تسخُّطاً[٤] لقضاء الله تعالى ولا تشكِّياً ـ فيُعذرون.

وقيل: كرهت مقالة[٥] الناس وطعنَهم فيها.

وقيل: قالت ذلك شفقةً على قومها أنهم يأثَمون بما يقولون فيها ويعاقَبون عليه.

وقيل: إنما قالت ذلك: ﴿يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾ حتى لا تسمع ما يقولون[٦]: مريم زوجة الله وعيسى ابن الله.

---

(١) «تعدية جاء وقيل» ليست في (ف).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٩٣ ـ ٤٩٤) عن ابن عباس ومجاهد والسدي وقتادة.

(٣) في (أ): «أضر بها».

(٤) في (ر) و(ف): «سخطاً».

(٥) في (أ): «قالة».

(٦) بعدها في (أ): «في».

وقال القشيري رحمه الله: ﴿يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا﴾ قالت: كنت منفردةً لله فأخاف أن يتعلق بعضُ قلبي بالولد(١).

وقوله تعالى: ﴿وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا﴾: قرأ حمزة وعاصم في رواية حفص: ﴿نَسۡيٗا﴾ بفتح النون، والباقون بكسرها(٢)، وهما لغتان، وهو الشيء المتروك كأنه منسيٌّ، قال الشاعر:

كأنَّ لها في الأرض نِسْياً تَقُصُّه ... إذا ما غَدَتْ وإنْ تكلِّمْك تَبْلَتِ(٣)

وقال قُطربٌ: هو الشيءُ ينساه القوم من حَبْلٍ أو إداوةٍ.

وقال يونس: كانوا إذا أرادوا الرحيل عن منزلٍ قالوا: احفظوا أنساءَكم.

وقال بعضهم: ﴿وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا﴾؛ أي: حيضةً ملقاةً(٤)؛ أي: خرقة حائضٍ لأنها تُلقى فتُنسى ولا تُذكر.

وقيل: النَّسْي بالفتح: مصدر، وبالكسر: اسمٌ للمنسيِّ المتروك، وهو كالقَشْر والقِشْر، والقَطْف والقِطْف ونحو ذلك.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٤٢٥).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٠٨)، و«التيسير» (ص: ١٤٨).

(٣) البيت للشنفرى، وهو في «المفضليات» (ص: ١٠٩)، و«مجاز القرآن» (٢/ ٣)، و«أدب الكاتب» لابن قتيبة (ص: ٤٩٣)، و«تفسير الطبري» (١٥/ ٤٩٨)، وعجزه في أكثر المصادر:

على أَمِّها وإن تكلِّمْك تَبْلَتِ

يقول: كأنها من شدة حيائها إذا مشت تطلب شيئاً ضاع لا ترفع رأسها، و(تَبْلت)؛ أي: تقطِّع كلامها ولا تطيله من فرط حيائها أو من نعمتها، وأَمُّها: قصدُها الذي تريده، وموضع (على أَمِّها) نصب على الحال؛ أي: تقصُّه آمَّةً.

(٤) روي عن عكرمة ومجاهد والضحاك. انظر تخريج أقوالهم في «الدر المنثور» (٥/ ٥٠١).

(٢٤) ـ ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي﴾: قرأ حمزة والكسائي ونافع وعاصم في رواية حفص: ﴿مِن﴾ بكسر الميم، والباقون: ﴿مَن﴾ بفتحها، بمعنى: الذي ﴿تحتَها﴾[1]، وأُضمر قبل هذه الآية: فوَلدت فناداها، قيل: ناداها جبريل عليه السلام، وقيل: ناداها عيسى.

﴿مِن تَحْتِهَآ﴾ قال نوفٌ البِكاليُّ: من أقصى الوادي[2].

وقال عكرمة: كانت على رابيةٍ حين ولدت[3].

وقيل: من تحت النخلة، وكانت المناداةُ مخاطَبَةً لها لا رفعاً للصوت؛ كما قال تعالى: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾.

وقيل: مَن تحتَ مريمَ عيسى، وقد وضعَتْه على الأرض بلا قابلةٍ.

وقوله تعالى: ﴿أَلَّا تَحْزَنِي﴾: أي: لا تهتمِّي بالوحدة وعدمِ الطعام والشراب وقالةِ الناس.

﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾: قال البراء بن عازب: جدولاً[4].

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٠٨ ـ ٤٠٩)، و«التيسير» (ص: ١٤٨). ومن قرأ بكسر الميم كسَر التاء من ﴿تَحْتِهَآ﴾، ومن فتح الميم فتح التاء.

(٢) رواه مطولًا أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٥١).

(٣) ذكره عن عكرمة الرازي في «تفسيره» (٢١/ ٥٢٧) بلفظ: (... على مثل رابية...). وقاله مقاتل في «تفسيره» (٢/ ٦٢٤).

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٧٥٨)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٠٦) والحاكم في «المستدرك» (٢٤١٣) وصححه. وزاد عبد الرزاق والحاكم: (النهر الصغير).

وقال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير رضي الله عنهم: نهراً[١].

وقال إبراهيم: نهراً صغيراً[٢]، وهو الحاصل والصحيح[٣].

وقال الحسن: ﴿سَرِيًّا﴾؛ أي: ولداً سريًّا[٤]؛ أي: فاضلاً.

وحُكي: أنه قرأ هذه الآية وعنده حميد بن عبد الرحمن الحِمْيَري فقال: إن كان عيسى لسريًّا كريماً، فقال حميد: إنما هو الجدول، فقال له الحسن: مِن ثَمَّ[٥] تُعجبنا مجالستك، ولكن غلبتْنا عليك الأمراء[٦].

وفي رواية: قال له خالد بن صفوان: إن العرب تسمي الجدول سريًّا، فقال الحسن: صدقتَ[٧]، هو كما قلتَ، ورجع إلى قوله.

* * *

(٢٥) ـ ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ﴾: أي: حرِّكي ﴿بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ﴾ الباءُ زائدة كما في قوله: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠].

---

(١) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٠٦ ـ ٥٠٨). وجاء عنده عن سعيد بن جبير في رواية: (هو الجدول النهر الصغير، وهو بالنبطية سري).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٠٨).

(٣) «والصحيح» من (أ).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (٥/ ٥٠٢) بلفظ: ﴿جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا﴾ قال: نبيًّا وهو عيسى.

(٥) في (أ): «ثمة».

(٦) رواه عبد بن حميد في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (٥/ ٥٠٣)، وبنحوه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٠٧).

(٧) رواه ابن عساكر في «تاريخه» (١٦/ ١٠٤).

وقوله تعالى: ﴿تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ﴾: قرأ ابن كثير ونافعٌ وأبو عمرٍو وابن عامر[١] والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر: ﴿تَسَّاقطْ﴾ بالتاء المفتوحة وتشديدِ السين، وأصلها: تتساقط، فأدغمت الأولى في الثانية، وقرأ حمزة بتخفيف السين مع فتح التاء على حذف أحدهما، قال امرؤ القيس:

فلـو أنهـا نفـسٌ تمـوت سـريعةً   ولكنهـا نفـسٌ تَسَـاقَطُ أَنْفُسـا[٢]

وقرأ حفصٌ عن عاصم: ﴿تُسَٰقِطْ﴾ بضم التاء وكسر القاف مخفَّفة السين من المساقَطة[٣].

وقوله تعالى: ﴿رُطَبًا جَنِيًّا﴾: أي: طريًّا يُجتَنَى؛ أي: يُقتطف، فحوَّل الله تعالى جذعَ النخلة اليابسة مثمرةً كرامة لها، وكان ذلك في الشتاء.

ودلت الآية على جواز الكسب، فإن الله تعالى أمرها بهزِّ جذع النخلة[٤] ليكون ذلك لها بكسبها.

* * *

(٢٦) ـ ﴿فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾.

---

(١) «وأبو عمرو وابن عامر» ليس من (ف).

(٢) انظر: «ديوان امرئ القيس» (ص: ١١٢).

(٣) وثمة قراءة رابعة في المتواتر، وهي قراءة أبي بكر ـ بخلف عنه ـ ويعقوب: (يَسَّاقط) بالياء وإدغام التاء، والوجه الآخر لأبي بكر كقراءة جمهور السبعة. انظر: «التيسير» (ص: ١٤٨)، و«النشر» (٢/٣١٨).

(٤) في (ف): «الجذع».

وقوله تعالى: ﴿فَكُلِى﴾: أي: من الرُّطَبِ الجنيِّ ﴿وَٱشْرَبِى﴾ من ماء السَّرِيِّ ﴿وَقَرِّى عَيْنًا﴾؛ أي: بالولد الرَّضي، وهذا كلُّه لإزالة حزنها كما قال: ﴿وَلَا تَحْزَنِى﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا﴾: (إمَّا) أصله: (إنْ ما) كلمةُ شرطٍ مؤكَّدةٌ بـ(ما)، ﴿تَرَيِنَّ﴾ النون المشدَّدة للتأكيد.

وقوله تعالى: ﴿فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ﴾: أي: التزمْتُ ﴿لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾؛ أي: صمتاً وإمساكاً عن الكلام.

وقيل: أي: حقيقةَ صوم، وكان صومهم فيه الصمتَ، فكان ذكرُه والتزامُه[1] التزامَه.

ثم قيل: لمَّا التزمت الصمتَ فلمَ قالت: ﴿إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ وهذا كلام منها[2]، وتركُ الصمت الذي نذرته؟

وجوابه: أن بعضهم قال: قالت ذلك إشارةً لا نطقاً، وقد تسمى الإشارة على الشيء كلاماً وقولاً، قال الشاعر في وصف القبور:

وتكلمتْ عن أوجهٍ تَبْلَى.......... [3]

وقال آخر في وصف الناقة:

تقولُ إذا دَرَأْتُ لها وَضِيني أهذا دِينُه أبداً ودِيني
أكلَّ الدَّهرِ حِلٌّ وارتحالٌ أمَا يُبْقِي عَلَيَّ ولا يَقِيني[4]

---

(١) «والتزامه» ليست في (ف).

(٢) في (ر) و(ف): «كلامها».

(٣) وتمامه: وعن صور شُتُتْ، والبيت لأبي العتاهية. انظر: «ديوانه» (ص: ٩٢)، و«الشعر والشعراء» (٢/ ٧٨٢).

(٤) البيت للمثقب العبدي. انظر: «المفضليات» (ص: ٢٩٢)، و«مجاز القرآن» (١/ ٢٤٧ ـ ٢٤٨)، =

وقيل: كانت مأمورة بذلك: ﴿فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا﴾ فكان وجوبُ الصمت بعد هذا الكلام.

وكان جواز ذلك في تلك الشريعة، وقد نسخ ذلك فينا، روى زيد بن وهب عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه: أنه دخل على امرأة وقد نذرت ألَّا[1] تتكلَّم، فقال أبو بكر رضي الله عنه: إن الإسلام هدم هذا فتكلَّمي[2].

* * *

(٢٧) ـ ﴿فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥ﴾: أي: بعيسى ﴿قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا﴾ قيل: عجيباً، وقال مجاهد وقتادة والسدِّي: عظيماً[3].

ويجوز أن يكون الفريُّ بمعنى المفترَى؛ أي: في زعمك أنه ليس بزناً ولا نكاحٍ.

* * *

(٢٨) ـ ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾: قال قتادة: أي: يا أختَ هارونَ بنِ عمران في الصلاح[4].

= و«طبقات الفحول» (١/ ٢٦٣)، و«تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ٧١)، و«غريب القرآن» لابن عزيز (ص: ٢٢٦)، و«إعراب ثلاثين سورة» لابن خالويه (ص: ٢٥). الوضين: حزام الرحل، ودرأْتُ وَضِينَ البعيرِ: إذا بَسَطْتَه على الأَرض ثم أَبْرَكْته عليه لتَشُدَّه به. وأراد: لو قدرتْ ناقتي أن تتكلم لقالت هذا الكلام، وأشار بقوله: (هذا) إلى ما استمرت به عادته معها.

(١) في (ف): «على امرأة لا».

(٢) رواه البخاري (٣٨٣٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٧٦) واللفظ له.

(٣) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٢٢).

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٧٦٤)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٢٣). ولفظه: كان رجلًا =

وقيل: كان أخوها من أبيها يسمَّى هارون[١].

وقيل: كان هارون في زمانها رجلَ سوءٍ رمَوها به.

وقيل: كان رجلاً صالحاً فشبَّهوها به[٢].

وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾: أي: زانيةً، والبغاء: الزنا ـ بكسر الباء ـ قال تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾ [النور: ٣٣]؛ أي: فكيف أتيتِ بهذا الولد وأنت معروفةٌ بالصلاح وولدُ الأبوين الصالحين.

***

(٢٩) ـ ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾: أي: إلى عيسى أنْ كلِّموه[٣].

﴿قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾: ﴿كَانَ﴾ زائدة، ومعناه: مَن هو في المهد صبيٌّ.

وقيل: ﴿كَانَ﴾؛ أي: حدث ووقع، كما قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

والمهد: الحِجْر هاهنا، لأنها كانت حملتْه في خرقةٍ.

والمهد: المَقَرُّ؛ كما[٤] قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَـٰدًا﴾ [النبأ: ٦]، ومهَّدْتُ عذري تمهيداً[٥]؛ أي: قرَّرته.

= صالحًا في بني إسرائيل يسمى هارون، فشبَّهوها به، فقالوا: يا شبيهة هارون في الصلاح.

(١) في (ف): «كان هارون أخوها من أبيها».

(٢) انظر قول قتادة المتقدم.

(٣) في (ر) و(ف): «يكلموه».

(٤) «كما» من (أ).

(٥) «تمهيداً» من (أ).

ومعنى ﴿كَيۡفَ نُكَلِّمُ﴾: [كيف نتكلَّم] نحن معه[١] وهو لا يفهم ولا يجيب.

وقيل: هو على القلب؛ أي: كيف يكلِّمنا مَن هو في المهد صبيًّا[٢].

وقيل: هو مهدُ الصبي، ومعناه: أنه من أهل المهد وإن لم يكن في تلك الحالة موضوعاً في المهد؛ كما يقال: صبي يرتضع[٣]؛ أي: هو من أهله وإن كان لا يرتضع حالَ الإخبار عنه.

* * *

(٣٠ ـ ٣١) ـ ﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ۝٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا﴾.

ولما أسكتَتْ بأمر الله تعالى لسانها الناطقَ أنطق الله تعالى لها لسانها[٤] الساكت:

﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ﴾: بدأ بالإقرار بالعبودية لله جلَّ جلاله، وهو قطعٌ لكلام النصارى وإبطالٌ لمقالهم.

وقوله تعالى: ﴿ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾: أي: يؤتيني الكتاب، وهو الإنجيل.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا﴾: أي: يرسلني إلى خلقه رسولاً ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ﴾: أي: وجعلني نفَّاعاً للخلق.

وقوله تعالى: ﴿وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا﴾: أي: يوصيني بذلك؛ أي:

---

(١) «نحن معه» ليست في (ف)، و«نحن» ليست في (ر). وما بين معكوفتين زيادة يقتضيها السياق.

(٢) «صبياً» زيادة من (أ).

(٣) في (ف): «يرضع».

(٤) في (أ): «اللسان».

يأمرني. تكلَّم بهذا[١] إلى قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا﴾[٢] ثم لم يتكلَّم بعد ذلك إلى أن بلغ مبلغ كلام الصبيان، فكان ذلك آيةً أظهرها الله تعالى كرامةً لمريم لبراءتها، وكان ذلك إخباراً منه بكونها في وقت احتمالها[٣].

وقيل: بل هو إثباتُ هذه الصفات للحال، وكان الله تعالى أعطاه في تلك الحال العقل الكامل والفهمَ النافذ.

وفي الخبر: أن خمسةً تكلموا قبل أوانِ الكلام: عيسى بنَ مريم، وشاهدَ يوسف، وولدَ ماشطةِ بنتِ فرعون، وولدَ المرأة التي أحرقت في الأخدود، وصاحب جُريجٍ[٤].

وروى الحسن عن النبيِّ ﷺ أنه قال: أسلمتْ أمُّ عيسى عيسى إلى الكتَّاب، فقال له المعلم: اكتب، فقال عيسى: أيَّ شيء[٥] أكتب؟ قال: اكتب أبجد[٦]، قال عيسى: لا

(١) في (ف): «أن أتكلم بهذا»، وفي (ر): «أن أتكلم لهذا»، بدل: «تكلم بهذا».

(٢) في (ف): «قوله تعالى: ﴿وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ٣٢ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا﴾ أي يوصيني بذلك» بدل: «إلى قوله تعالى ﴿وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا﴾».

(٣) أي: إخباراً بأن الصفات المذكورة في هذه الآية لعيسى عليه السلام ستكون وتقع في وقتها المناسب لها.

(٤) روى البخاري (٣٤٣٦)، ومسلم (٢٥٥٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة...» فذكر عيسى، وصاحب جريج، وابن المرأة التي مر عليها الراكب ذو الشارة، وروى مسلم (٣٠٠٥) من حديث صهيب قصة أصحاب الأخدود، وفيه ذكر تكلُّم ولد المرأة التي أحرقت في الأخدود. وروى الإمام أحمد في «المسند» (٢٨٢١) عن ابن عباس: تكَلَّمَ أربعةٌ صغارٌ: عِيسى ابنُ مريم عليه السَّلام، وصاحبُ جريجٍ، وشاهدُ يوسف، وابنُ ماشطة ابنةِ فرعون. فزاد على ما في الصحيحين اثنين، وهما: شاهد يوسف وابن الماشطة. فصاروا ستة.

(٥) في (ر) و(ف): «أيش».

(٦) في (أ): «أبو جاد».

أكتب شيئاً لا أدري ما هو، قال: اكتب كما تؤمر، قال: إن كنت لا تعلم فأنا أعلِّمك، قال المعلم[(١)]: أيُّ شيء أبجد؟ قال عيسى: الألف آلاء الله، والباء من بهاء الله، والجيم من جمال الله، والدال أدُّوا الحق إلى أهله[(٢)].

وعلى هذا قوله: ﴿ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ﴾؛ أي: أوحَى إليَّ الإنجيل.

وقيل: أي: علَّمني في بطن أمي التوراةَ والزبور.

وروي أنه كان يقرأ وهو في بطن أمه وهي تسمعُه وتأنَس[(٣)] به.

﴿وَجَعَلَنِى نَبِيًّا﴾ بما أوحى إليَّ.

﴿وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ قيل: مؤدِّباً معلِّماً. وقيل: هادياً مهديًّا. وقيل: نفَّاعاً.

وقيل: البركة: الزيادة في منافع الدِّين؛ من الدعاء إلى الله، والعملِ بأمره وحكمه، والدلالةِ على سبيل النجاة.

قوله: ﴿وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ﴾: أمرني بأدائها إذا قدرتُ عليها ﴿وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ أي: بأدائها إذا ملكتُ النصاب وحالَ عليه الحول.

وقيل: ﴿بِٱلصَّلَوٰةِ﴾؛ أي: بالدعاء والثناء على الله تعالى للحال ﴿وَٱلزَّكَوٰةِ﴾؛ أي: تطهيرِ[(٤)] النفس عن الأدناس؛ أي: إبقائها على الطهارة.

* * *

---

(١) «المعلم» زيادة من (ف).

(٢) رواه بنحوه ابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ١٤٥) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وقال: حديث موضوع. ورواه بنحوه أيضا ابن عساكر في «تاريخه» (٤٧/ ٣٧٥) من طريق إسحاق بن بشر عن جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس. وليس بأحسن حالاً مما قبله.

(٣) في (أ): «وتستأنس».

(٤) في (ر): «بطهر»، وفي (ف): «مطهر».

(٣٢) ـ ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِى﴾: أي: وجعلني عاطفاً عليها مؤدِّياً حقَّها.

وقولـه تعالـى: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا﴾: أي: متعظِّمـاً على عبـاد الله، لا أرى لأحـدٍ منهم علـيَّ حقاً.

وقيل: ﴿جَبَّارًا﴾؛ أي: عاقًّا والدتي متكبِّراً عن أداءِ[1] حقها ﴿شَقِيًّا﴾ لأن الجبار يكون كذلك؛ قال النبي ﷺ: «لا تُنزَعُ الرحمةُ إلا مِن شقيٍّ»[2].

وقيل: ﴿جَبَّارًا﴾؛ أي: متعظِّماً عن عبادة الله تعالى وطاعته، ومَن استكبر عن ذلك شَقِيَ كما شَقِيَ إبليس بإبائه واستكباره.

وقال قتادة: قالت امرأة لعيسى حين رأته يُحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص إلى غير ذلك: طوبَى لبطنٍ حملك، وطوبى لثديٍ أرضعك، فقال: طوبى لمن تَلَا كتابَ الله تعالى واتَّبع ما فيه[3].

* * *

(٣٣) ـ ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾: أَخبر أن الله تعالى حكَم له بالسعادة والسلامة[4] في هذه الأحوال عن كلِّ آفةٍ وعيب.

---

(١) في (أ): «قضاء».

(٢) رواه أبو داود (٤٩٤٢)، والترمذي (١٩٢٣) وحسنه، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه الإمام أحمد في الزهد (٣١٩)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣١٨٧٨)، ومن طريقه أبو نعيم في «الحلية» (٤/ ١١٩) عن خيثمة بن عبد الرحمن. ورواه الإمام أحمد في الزهد (٣١٨) عن يزيد الضبي. والبيهقي في «الشعب» (٢٠٣٤) عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود.

(٤) في (أ): «بالسلامة» بدل: «بالسعادة والسلامة».

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ﴾ من الـهَمْزة واللَّمْزة من الشيطان ﴿وَيَوۡمَ أَمُوتُ﴾ من ضغطة القبر ﴿وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا﴾ في الآخرة من العناء[1].

***

(٣٢) ـ ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ﴾: أي: ذلك الموصوفُ بأنه عبد الله وكذا وكذا هو عيسى بن مريم، هو بهذه الصفة لا كما قال النصارى: إنه ابن الله، أو هو الله، أو هو ثالث ثلاثة، ولا كما يقوله اليهود: إنه لغير رِشْدةٍ، وإنه ابن يوسف النجار.

وقوله تعالى: ﴿قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ﴾: قرأ عاصم وابن عامر: ﴿قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ﴾ بنصب اللام على المصدر؛ أي: أقول قولَ الحق، وقرأ الباقون برفعها[2]؛ أي: هو قولُ الحق.

﴿ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ﴾: يجوز أن يكون ﴿ٱلَّذِي﴾ خفضاً نعتاً لـ﴿ٱلۡحَقِّ﴾، ونصباً نعتاً للقول على قراءة مَن ينصبُه، ورفعاً نعتاً للقول على قراءة مَن يرفعُه، أو نعتاً لعيسى.

و﴿يَمۡتَرُونَ﴾؛ أي: يختلفون ويختصمون.

وقيل: يشكُّون، والمرية: الشك، والمراء: الجدال، فاليهود مع النصارى يختلفون فيه فيما بينهم، ثم النصارى يختلفون فيه فيما بينهم أيضاً.

قال قتادة: اجتمع بنو إسرائيل فأخرجوا[3] أربعةَ نفرٍ، فأخرج[4] كلُّ قوم

(١) ذكره بنحوه الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٧١) عن الكلبي.

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٠٩)، و«التيسير» (ص: ١٤٩).

(٣) في (ر) و(ف): «فخرجوا»، والمثبت من (أ) والمصادر.

(٤) في (أ): «فأخرج منهم»، والمثبت من باقي النسخ والمصادر.

عالِـمَهم، فامترَوا في عيسى حين رُفع[١]، فقال أحدهم: هو الله هبط إلى الأرض فأحيَى مَن أحيَى وأماتَ مَن أمات، ثم صعد إلى السماء، وهم اليعقوبية، وقالت الثلاثة: كذبتَ، ثم قال اثنان منهم للثالث: قل فيه، فقال: هو ابن الله، وهم النَّسطورية، فقال الاثنان منهم: كذبتَ، ثم قال أحد الاثنين للآخر: قل فيه، فقال: هو ثالث ثلاثة؛ الله إلهٌ وهو إلهٌ وأمه إله، وهم الإسرائيلية ملوكُ النصارى، قال الرابع: كذبتَ، هو عبدُ الله ورُوحه وكلمتُه، وهم المسلمون، فكان لكل رجلٍ منهم أتباع ـ على ما قال ـ فاقتتلوا فظهروا على المسلمين، فذلك قوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ الآية [آل عمران: ٢١].

قال قتادة: وهم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ﴾ فاختلفوا فيه فصاروا أحزاباً[٢].

وروينا[٣] فيه طريقاً آخر عند قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾.

وروينا هذا في سورة المائدة في حديث طويل: أن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه قرأ سورة مريم على النجاشي بحضرة أساقفته، فقال النجاشي وأخذ عوداً من الأرض: ما عدا عيسى ما جاء به محمد مقدارَ هذا، أو كما قال.

* * *

(٣٥) ـ ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾.

---

(١) بعدها في (أ): «إلى السماء»، والمثبت من باقي النسخ والمصادر.

(٢) رواه بتمامه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٧٦٥)، ومن طريقه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٣٧)، والنحاس في «معاني القرآن» (٤/ ٣٣٠).

(٣) في (ر): «وأوردنا».

وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ﴾: أي: ليس من صفة الله اتِّخاذُ الولد ﴿سُبْحَٰنَهُۥٓ﴾؛ أي: هو منزَّهٌ عن ذلك.

وقوله: ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾: أي: أن كون عيسى من غيرِ أبٍ[1] لا يوجِب أن يكون إلهاً أو ابنَ الله؛ لأن الله تعالى لا يتعذَّر عليه خلقُ ما يريده من غير أصلٍ، بل إذا أراد شيئاً خلَقه كما يريد.

وقيل ـ وهو الأوجهُ ـ: قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ﴾: الذي قال[2] هو هذا القولَ الحقَّ، وهو ما ذكر في الآية، ويكون هذا من كلامه، ويدل عليه آخرَه:

* * *

(٣٦) ـ ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ﴾: لا يجوز أن يُحمل هذا إلا على كلامه وإخباره، فكذا أوله.

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: ﴿وأن الله﴾ بفتح الهمزة، وله وجوهٌ:

قال أبو عمرو: وقضى أن الله ربِّي وربُّكم.

وقيل: وأوصاني أن الله ربي.

وقيل: ذلك عيسى بن مريم وأنَّ الله، قاله الفرَّاء[3].

وقيل: أي: ولأن الله ربِّي.

---

(١) في (ف): «والد».

(٢) في (ر): «أي»، وفي (ف): «الذي»، بدل: «الذي قال».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٦٨).

وقرأ الباقون: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ﴾ بكسر الهمزة على الاستئناف[١].

وقوله تعالى: ﴿فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾: أي: فاقصُروا عبادتكم عليه ولا تُشركوا به شيئاً، وهو الطريق السويُّ المفضِي بسالكيه[٢] إلى الجنة.

* * *

(٣٧) ـ ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾: أي: من بين أصحابِ عيسى، وهو ما ذكرنا. وقيل: من بين قومه.

وقيل: ﴿مِنْ﴾ صلة، ومعناه: فاختلف الأحزاب بينهم، وهكذا في مصحف ابن مسعود رضي الله عنه[٣].

وقوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: أي من الأحزاب، فقد كان واحدٌ من الفرق على الحق.

﴿مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: يجوز أن يكون المشهد موضعاً ومصدراً؛ أي: فويلٌ لهم إذا شهدوا يوم القيامة وتبرأ عيسى منهم وقال: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾ الآية [المائدة: ١١٧].

وقيل: ﴿مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: هو اجتماعهم للتشاور فيه، فاجتمعوا على الشرك، وجعَله عظيماً لفظاعة ما جرى فيه، وهو كقوله تعالى: ﴿هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦] وقولِه: ﴿إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٣]؛ أي: فظيعاً منكَراً.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤١٠)، و«التيسير» (ص: ١٤٩).

(٢) في (ف): «المقتضي إن شاء الله» بدل: «المفضي بسالكيه».

(٣) لم أجده.

(٣٨) ـ ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾: أي: ما أبصرهم وأسمعهم ذلك اليوم، وهو كلمةُ تعجُّب، ومعناه: أنهم حلُّوا في هذا محلَّ مَن يُتعجَّبُ منه[1]؛ أي: سيسمعون[2] يومئذٍ ما يصدِّعُ قلوبهم، ويرون ما يُهلكهم.

وقيل: أي[3]: كانوا صمًّا عن استماع الحق وعُمياً عن رؤية الحق في الدنيا، فيصيرون بخلاف ذلك فيسمعون صفتَهم ويبصرون عاقبتَهم.

وقوله تعالى: ﴿لَٰكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾: أي: لكنهم اليوم في الدنيا بظلمهم أنفسَهم ووضعِهم العبادةَ في غير موضعِها في ضلالٍ مبينٍ عن الحق، ظاهر بيِّن[4] عن نفسه لوضوحه، وهو اعتقادهم عيسى إلهاً معبوداً مع ظهور أحواله.

* * *

(٣٩) ـ ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾: قيل: هو يومُ الموت.

وقيل: هو يومُ القيامة.

وقيل: هو يومَ[5] يُذبح الموت.

وقيل: هو يومَ يُخرج آخرُ فريق من المسلمين من النار ثم تسدُّ طبقاتها.

---

(١) في (أ): «تعجب فيه»، وفي (ف): «يعجب منه».

(٢) في (ف): «يستمعون».

(٣) في (ف): «إن».

(٤) في (ف): «يقين». والعبارة في (أ): «في ضلال عن الحق مبين».

(٥) في (ف): «حين».

والحسرة: أشدُّ الندامة، وهي التي تقطع الأمل.

وقيل: تقطع نياطةَ القلب لصعوبتها.

يقول: وخوِّفهم يا محمد يومَ الندامة حين قُضي الأمر؛ أي: أُتم وأُمضيَ[١] وفُرغ منه، فإن كان عند الموت فقد صار بحيث لا يُتدارك، وإن كان في القيامة فهو حين يدخل أهلُ الجنة الجنةَ وأهلُ النارِ النارَ، فلا إخراج بعده، وإن كان حين ذَبحِ الموت فلا أملَ في النجاة وفي الخروج للكفار، وإن كان حين أُخرج آخر المؤمنين فكذلك.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبشٌ أملحُ، فيقال: يا أهل الجنة، هل تعرفون[٢] هذا؟ فيشرئبُّون[٣] فينظرون فيقولون: نعم هذا الموت، ويقال: يا أهل النار، هل تعرفون؟ فيشرئبُّون وينظرون فيقولون: نعم هذا الموت، فيؤمر به فيذبح فيقال: يا أهل الجنة خلودٌ فلا[٤] موت، ويا أهل النار خلود فلا موت»، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾[٥].

﴿إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: أي: غافلون عما يَنال الكافرين يوم القيامة وهم لا يؤمنون، وهذا وصفُهم في الحال؛ أي: أنذرهم اليومَ في هذه الحالة قبل أن يصيروا إلى الآخرة فيُقضى الأمرُ ولا تنفعهم الندامة.

* * *

---

(١) «أي أتم وأمضي» من (أ).

(٢) بعدها في (أ): «ما»، والمثبت من باقي النسخ والصحيحين.

(٣) في (ف): «فيشرفون»، والمثبت من باقي النسخ والصحيحين.

(٤) في (ف): «بلا»، والمثبت من باقي النسخ والصحيحين.

(٥) رواه البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩).

(٤٠) ـ ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾: أَخبر أن يوم القيامة كائنٌ لا محالةَ، وأن الله تعالى ينزعُ الملك من كلِّ مَن آتاه مُلكاً[١] في الدنيا، وكلِّ مَن يَغلبُ على شيء منه، وأنهم إلى الله يحشرون[٢] فلا يكونُ لأحدٍ منهم[٣] يومئذ مُلكٌ ولا رئاسةٌ ولا حكم، ولا أمرٌ ولا نهي، وفي هذا تحذير لهم عن الاغترارِ بما ينالونه من الرئاسة في الدنيا، وتنبيهٌ لهم على التدبُّر في خطأ ما هم فيه[٤].

* * *

(٤١) ـ ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾: واتصالها بما قبلها: أن قصة مريم وعيسى في ردِّ قول اليهود والنصارى، وفي[٥] هذه القصة كذلك، فإنهم يدَّعون أن دينهم دينُ إبراهيم، وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ [آل عمران: ٦٧] وبيَّن في هذه القصة حالَ إبراهيم ودينه[٦]، يقول: واذكر يا محمد فيما تقرأ عليهم من القرآن أمرَ إبراهيم أنه كان نبيًّا لله عادتُه الصدقُ والتصديقُ بكلِّ ما جاءه من عند ربه، فهو أهل للاقتداء به.

* * *

---

(١) في (أ): «الملك».

(٢) في (ر) و(ف): «يرجعون».

(٣) في (ر): «فلا يكون لهم»، وفي (ف): «فلا يكون منهم».

(٤) في (أ): «على تدبرهم في خطاياهم فيه».

(٥) في (أ): «و». وفي (ر): «في».

(٦) في (أ): «في دينه»، وفي (ر): «ذريته».

(٤٢) ـ ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا﴾.

﴿إِذْ قَالَ﴾: إبراهيم ﴿لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ﴾: التاء فيه للمبالغة كما في العلَّامة والنسَّابة، وكسرت طلباً لياء الإضافة، والوقفُ بالتاء لهذه العلة، وأجاز الزجَّاج الوقف بالهاء[١].

وقيل: التاء عوضٌ عن ياء الإضافة، وفي قراءة ابن عامر: ﴿يا أبتَ﴾ بالفتح[٢]، على إرادةِ: يا أبتاه، على النُّدبة.

وقوله تعالى: ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ﴾ من الله ﴿شَيْـًٔا﴾: وهذه صفاتُ نقصٍ وعجز، فلا يَستحقُّ صاحبُها العبادة، ولو أن إنساناً خدم مثلَه[٣] في الدنيا مع علمه بعجزه عن أن يَدفع عن خادمه ضرًّا، أو يجلبَ له نفعاً، أو يعلمَ بخدمةِ مَن يخدمه، لكان هذا الإنسان سفيهَ الرأي عند العقلاء، فكيف حالُ مَن هو أدنى من هذه الأحوال؛ من حجرٍ نحتَه بيده، أو خشبٍ اتَّخذه معبوداً له؟

* * *

(٤٣) ـ ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾: أي: أنا في[٤] العلم والمعرفة فوقك بما خصَّني الله تعالى به من النبوة، فأنا على يقين من ضلال ما أنت فيه من عبادة الأصنام.

وقوله تعالى: ﴿فَٱتَّبِعْنِيٓ﴾: أي: فاقتدِ في العبادة بي، واعبدْ مَن أعبدُ أنا، وهو

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٨٩).

(٢) في جميع القرآن. انظر: «السبعة» (ص: ٣٤٤)، و«التيسير» (ص: ١٢٧).

(٣) أي: لو أن إنساناً خدم إنساناً آخر له مثل هذه الصفات من عدم السمع والبصر والإغناء.

(٤) في (ر) و(ف): «أي أتاني».

الذي لا يخفى عليه شيء ولا يُعجزه[١] شيء، فإنك إذا فعلتَ هذا كنتَ على الصراط المستقيم المستوي، وهو قوله تعالى: ﴿أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا﴾.

* * *

(٤٤) ـ ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾: أي: لا تُطِعْه ولا تعظِّمْه بالائتمار له وقبولِ وساوسه ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا﴾؛ أي: هو متقادِمُ العصيان لله الذي خلَقه، فهو لا يريد لك خيراً، ومَن هذا صفتُه فحقيقٌ أن لا تقبل إشارته[٢] لسوء اختياره لنفسه.

* * *

(٤٥) ـ ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا﴾: أي: أخشى أن يصيبك من الله عذابٌ في الآخرة إن دمتَ على طاعتك للشيطان فتكون للشيطان[٣] قريناً في جهنم؛ لأن الوليَّين لا يكادان يفترقان في محبوبٍ أو مكروه، فجعلُه وليًّا له في هذه الحالة لِمَا قلنا وإن كانا متباغضَين يومئذ؛ كما قال تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧]، وقال خبراً عن الشيطان: ﴿إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

وقيل: أن يمسكَ عذاب في الدنيا وهو خذلانُه، فتكونَ حينئذٍ موالياً للشيطان،

---

(١) في (أ) و(ف): «يعجز عن».

(٢) «إشارته» من (أ).

(٣) بعدها في (ر) و(ف): «ولياً أي».

فيَكِلكَ الله إليه ويتبرأ منك ولا يتولَّاك، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١١٩]، ومَن كان الشيطان وليًّا له فهو وليُّ الشيطان؛ لأن الموالاة تقوم بالطرفين.

وفي هذا الخطاب كلُّ ما يحتاج إليه من أسباب التنبيه، فإن إبراهيم عليه السلام افتَتح بمعاتبته على عبادة الأوثان وبيَّن نقائصَها، ثم ثنَّى بالدعاء إلى تأمُّل[1] ما جاء به من العلم، وهو أمر بالنظر وتركِ التقليد، ثم ثلَّث بأن التقليد وتركَ النظر مِن عمل الشيطان، وطاعةُ الشيطان[2] غيرُ جائزة في العقول، ثم ختم بالوعيد الزاجر عن المعصية الباعثِ على الانقياد للحق.

وفيه دليل على أن العالم يلزمُه الدعاءُ إلى الحق القريب والبعيد، والمبالغةُ في النصح والإيضاحِ[3] للبرهان.

وفيه دليلُ وجوبِ احترام الأب وإن كان كافراً، فإنه خاطبه مرات بقوله: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ﴾ الآيةَ.

* * *

(٤٦) ـ ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾: أي: أزاهدٌ أنت من عبادةِ آلهتي وتعظيمِها، وذاكرٌ لها بسوءٍ، ولم يتأمَّلْ فيما دلَّه عليه، وأصرَّ على تماديه في ضلالته وجهالته، وأنكر عليه اتِّباعَ الحق والدعاءَ إليه.

---

(١) «تأمل» من (أ).

(٢) في (أ): «أو طاعة» بدل: «وطاعة الشيطان».

(٣) في (ر) و(ف): «والإفصاح».

وقد رغب في الشيء؛ أي[١]: أراده وأقبل عليه، ورغب عن الشيء؛ أي: أباه وأعرَضَ عنه، وزَهِد في الشيء؛ أي: أباه وأَعرض عنه، وزَهِد عن الشيء؛ أي: أراده وأَقبل عليه.

وقوله تعالى: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ﴾: أي: لئن لم تمتنع[٢] عن هذا ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ قال السديُّ وابن جريجٍ والضحاك: لأرمينَّك بالعيب والذم[٣]، وبمعناه في قول بعضهم: لأشتمنَّك[٤].

وقال الحسن: لأرمينك بالحجارة حتى تتباعَد عني[٥].

وقيل: لأرجمنَّك بالحجارة عقوبةً لك على فعلك.

وقوله تعالى: ﴿وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾: أي: اجتنِبْني دهراً طويلاً فلا تكلِّمْني، وهو قولُ الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير والسدِّي[٦].

﴿مَلِيًّا﴾؛ أي: دهراً طويلاً.

---

(١) في (أ): «إذا».

(٢) في (ف): «أي: لئن لم تنته»، وليست في (أ).

(٣) ذكره عنهم الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٧٤) بلفظ: (لأرجمنك بالذم باللسان والعيب بالقول). والواحدي في «البسيط» (١٤/ ٢٥٥) بلفظ: (لأرمينك بالقول القبيح وأشتمك)، ولعل الكل نقل بالمعنى، انظر التعليق الآتي.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٥٢) عن ابن جريج بلفظ: (﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ بالقول، لأشتمنك)، وعن السدي: (﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾بالشتيمة والقول)، وعن الضحاك: (﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ يعني: رجم القول).

(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٧٤).

(٦) ذكره عنهم الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٧٤)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٥٣) عن الحسن، وروى عن مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة: (دهراً)، وفي رواية عن مجاهد: (حيناً)، وعن السدي: (أبداً) وهذا الأخير سيأتي قريباً.

وقيل: أراد به أنه إذا ذاق(١) مرارة هجره مدةً عاد(٢) إلى موافقته في عبادة آلهته.

وقيل: بل أراد هجره أبداً؛ لأن الدهر الطويل هو العمر أو الأبد.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادةُ وعطيةُ والضحاك: ﴿وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا﴾؛ أي: سليماً عن عقوبتي(٣)، من قولهم: فلان تملَّى عمرَه؛ أي(٤): عاش سالماً.

* * *

(٤٧) ـ ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ﴾: أي: ﴿قَالَ﴾ إبراهيم مصاحباً له بالمعروف، ومحسِناً في المعاشرة، ومظهِراً لما وُصف به من الحِلْم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤]: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكَ﴾؛ أي: أمانٌ مني لك أن أكافئكَ على إيذائك، ولو حقَّقْتَ بفعلك ما ذكرتَه بقولك: ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾.

وقيل: هو خطابُ وداعٍ؛ أي: هجرتُك كما أمَرْتَني به.

وقيل: هو على معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣]؛ أي: لا أخاطبُك بمثلِ ما خاطبْتَني(٥) به من الخشونة، وهو قوله تعالى(٦):

---

(١) في (ف): «أنه أدبه أي أذاقه» وفي (ر): «أنه أدبه أنه أذاقه».

(٢) في (ر): «كي يعود»، وهذا ينسجم مع ما جاء في (ف). انظر التعليق السابق.

(٣) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٥٤ ـ ٥٥٥).

(٤) في (ر) و(ف): «فلان يملني عمره ما».

(٥) في (أ): «تخاطبني».

(٦) في (ف): «ولكن» بدل: «وهو قوله تعالى».

﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ﴾: أي: أسـأَلُ الله تعالـى أن يجعلـك من أهـل المغفرة بأنْ يهديك للإسـلام[١].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾: أي: لطيفاً، وقيل: أي: بارًّا، وقيل: رحيماً.

* * *

(٤٨) ـ ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: أي: أهجرُك وأهجرُ مَن على دينك، ولا أعبدُ ما تعبدون[٢] من الأصنام؛ أي: تَدْعون وتعبدون.

وقوله: ﴿وَأَدْعُواْ رَبِّي﴾: أي: أعبدُ ربي ﴿عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾؛ أي: راجياً أن تقع عبادتي متقبَّلةً[٣] فلا أشقَى بردِّها؛ لسلامتها من[٤] الآفات.

ويحتمِـل: ﴿وَأَدْعُواْ رَبِّي﴾؛ أي: أسـأل الله أن يهديـك راجيـاً أن لا يـردَّ دعوتي فيك.

وقيل: ﴿وَأَدْعُواْ رَبِّي﴾ أن يرزقني ولداً وأهلاً أتكثَّر وأتقوَّى بهم بعد مفارقتِك، وقد دعا بذلك في ذريته واستُجيب له، يدل عليه ما بعده، وهو قوله تعالى[٥]:

* * *

(١) في (ر) و(ف): «بأن يرزقك الإسلام».

(٢) في (أ): «ولا أدعو ما تدعون».

(٣) في (أ) و(ف): «مقبولة».

(٤) في (أ): «عن».

(٥) «وهو قوله تعالى» ليس في (ف).

(٤٩) ـ ﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴾.

﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾: قيل: اعتزلهم بخروجه من أرض بابل إلى أرض الشام؛ كما قال تعالى: ﴿إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾ [الصافات: ٩٩].

وقوله تعالى: ﴿وَهَبْنَا لَهُۥٓ ﴾: مَن تكثَّر بهم من القلة واستأنَس بهم من الوحشة ﴿إِسْحَٰقَ ﴾ ولداً ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ نافلةً.

وقوله تعالى: ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴾: أي: كلَّ واحد منهما نبيًّا[1] إماماً للناس.

❊ ❊ ❊

(٥٠) ـ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا ﴾: أي: من نعمتنا، قيل: هي المال والولد؛ أي: كثَّرناهم وباركنا فيهم ووسَّعنا عليهم.

﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ ﴾: أي: ثناءً حسناً، وهو الصلوات على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في الصلوات إلى قيام الساعة، ووصفَه بالصدق لأنه ثناء حسنٌ لا كذب فيه.

﴿عَلِيًّا ﴾: أي: عالياً، هو نعت ﴿لِسَانَ ﴾.

وقيل: ﴿لِسَانَ صِدْقٍ ﴾ هو دعاؤهم الناسَ إلى الله تعالى، والرسالةُ في أولاده والدعاء إليهم.

❊ ❊ ❊

(١) «نبياً» من (أ).

(٥١) ـ ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ﴾: وفي ذكر قصته ردٌّ على[١] قول اليهود أيضاً؛ لأنهم على غير ما كان عليه موسى.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا﴾: قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص بفتح اللام[٢]؛ أي: أَخْلَصه الله تعالى، وقرأ الباقون بكسرها؛ أي: أخلَص هو العبادة لله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾: أي: جمعنا له الوصفين.

***

(٥٢) ـ ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ﴾: أي: ليلةَ خرج لاقتباسِ النار ناديناه بالنبوة والرسالة.

وقوله تعالى: ﴿مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ﴾: الطور: الجبل، وليس للجبل أيمنُ وأيسرُ لكنه راجع إلى يمين الذي يأتيه؛ أي: الجانبِ الذي كان[٣] على يمين موسى وهو متوجِّه إليه.

وقوله تعالى: ﴿وَقَرَّبۡنَٰهُ﴾: أي: أَدْنيناه بتقريب المنزلة عندنا ﴿نَجِيّٗا﴾؛ أي: مناجياً؛ أي: كلَّمناه بما نكلِّم به غيره[٤].

***

---

(١) «على» من (أ).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤١٠)، و«التيسير» (ص: ١٤٩) عن حمزة والكسائي وعاصم، والإطلاق عن عاصم يدل أن قراءته هكذا من رواية حفص وأبي بكر، لا حفص وحده.

(٣) «كان» ليست في (ف).

(٤) «بما نكلم به غيره» ليس في (ف).

(٥٣) ـ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ﴾: أي: برحمتنا بعبادنا، وهو كما تقول: أعطيتُك هذا من كرمي وجودي؛ أي: لكرمي وجودي.

وقيل: ﴿مِن رَّحْمَتِنَآ﴾؛ أي: من نعمتنا؛ أي: من جملة ما أنعمنا به عليه.

وقوله تعالى: ﴿أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا﴾ إجابةً[1] لدعوته: ﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ۝٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ۝٣٠ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ۝٣١ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي﴾ [طه: ٢٩ ـ ٣٢].

وقال القشيري رحمه الله: وفَّقه الحقُّ وناداه، ثم قربه وناجاه، وفي الحالين تولَّاه[2].

* * *

(٥٤) ـ ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾ قال مجاهد: إن إسماعيل لم يَعِدْ ربه بوعدٍ إلا وَفَّى به[3]، وهو كلام جامع للقيام بالفرائض كلِّها؛ لأن الله تعالى أخذ على عباده العهدَ[4] بها، والأنبياءُ وعدوا من أنفسهم الوفاءَ بها، وهذا وصفُ جميع الأنبياء، لكن هذا لا يمنع اختصاص بعضهم بالمدح به[5].

وقيل: كان وعَد من نفسه الصبرَ على ذبح أبيه إياه لله تعالى[6]، فوَفَّى به وصبر إلى أن ظهر له الفداء.

---

(١) «إجابة» ليست في (أ).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٤٣٣).

(٣) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣٧٧)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٦١) عن ابن جريج.

(٤) في (أ): «العهود».

(٥) «به» من (أ).

(٦) «لله تعالى» ليس في (أ).

وقيل[١]: يحتمل أنه كان نذر بشيء ووَفَّى به، فكان ذلك صدقَ وعده.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: واعَد إسماعيلُ قوماً في موضعٍ أن يلقَوه فيه، فأتى ذلك الموضع وأخلف القومُ، وأقام إسماعيل عليه السلام ثلاثاً في ذلك الموضع وما له طعام إلا لحاء الشجر وورقُه حتى تشقَّقت شفتاه، ثم جاء القوم، فأثنى الله تعالى عليه بصدق الوعد[٢].

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾: أي رسولاً إلى قومه يخبر من الله تعالى.

***

(٥٥) ـ ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ﴾: أي: أمَّته، وقيل: أي: أهل بيته ﴿بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ وهذا يشتمِل على أمره إياهم بالعبادات البدنية والمالية جميعاً.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾: وهذا أجلُّ صفاته[٣].

وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه: (وكان يأمر قومه)[٤]، فإن حُمل على أهل بيته فهو أهم[٥]، وقد قال الله تعالى لنبيه عليه السلام: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ

---

(١) في (ف): «وقد».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٦١) عن سهل بن عقيل بنحوه.

(٣) في (أ): «أوصافه».

(٤) ذكرها مقاتل في «تفسيره» (٢/ ٦٣١)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٤/ ٢١).

(٥) لعله يريد التوفيق بين القراءتين بأن البدء بأهله قبل قومه أولى، ثم ينتقل لدعوة قومه وأمرهم بذلك، قال الزمخشري في «الكشاف» (٣/ ٢٣): (كان يبدأ بأهله في الأمر بالصلاح والعبادة ليجعلهم قدوة لمن وراءهم، ولأنهم أولى من سائر الناس: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾، ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ﴾، ﴿قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾، ألا ترى أنهم أحق بالتصدّق عليهم، فالإحسان الديني أولى).

عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢]، وقال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، وقال لكلِّ المؤمنين: ﴿قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: ٦].

* * *

(٥٦ ـ ٥٧) ـ ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (٥٦) وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (٥٦) وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾: روى أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه رفعه إلى السماء الرابعة(١)، وكذلك رُوي عن كعب ومجاهد وأبي سعيد الخدري(٢).

وعن ابن عباس والضحاك: أنه رُفع إلى السماء السادسة(٣).

وإدريس هو أخنوخ بن بدد بن مهلايل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام، وسمي إدريس لكثرة دَرْسِه ذكرَ الله تعالى.

وروي أنه كان خياطاً، فكان لا يغرزُ إبرته(٤) في الثوب إلا قال: بسم الله، ولا يخرجها إلا قال: الحمد لله.

وقيل: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾؛ أي: إلى الجنة.

وقيل: رفعناه بالنبوة في المنزلة والفضيلة.

وقال وهب: كان يُرفع لإدريس كلَّ ليلة من العمل ما يفي بعمل أهل الأرض،

---

(١) ورد هذا في حديث الإسراء الطويل في «صحيح مسلم» (١٦٢).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣١٨٨٤) و(٣١٨٨٥)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٦٤) عن مجاهد وأبي سعيد.

(٣) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٦٤).

(٤) في (ر) و(ف): «إبرة».

فاشتاق إليه ملَك الموت، فاستأذن ربَّه في زيارته فأذن له، فأتاه في صورة ابن[١] آدم، وكان إدريس عليه السلام سائحاً[٢] يصوم الدهر كلَّه، فلما كان وقتُ إفطاره دعاه إلى طعامه، فقال: لستُ أشتهيه[٣]، ففعل ذلك ثلاث ليال، فأنكره إدريس، فقال له الليلةَ الثالثة: إني أريد أن أعلم مَن أنت، قال: أنا ملك الموت، قال: فلي إليك حاجة، قال: وما هي؟ قال: تَقبض روحي، فأوحَى الله تعالى إليه: اقبِضْ روحَه وردَّها إليه بعد ساعة، فقال له ملك الموت: ما الفائدة في[٤] سؤالك قبضَ روحك؟ فقال: لأذوق كَرْبَ الموت وغمَّته فأكونَ له أشدَّ استعداداً. ففَعل[٥].

ثم قال إدريس له: لي حاجة أخرى، قال: وما هي؟ قال: ترفعني إلى السماء لأنظرَ إليها، فأذن الله تعالى له في رفعه إلى السماء، فلما قرُب من النار قال: لي حاجة أخرى[٦]، قال: وما تريد؟ قال: تسأل مالكاً حتى يفتحَ لي أبوابها فأراها، ففعل، ثم قال: فكما أرَيْتني النار فأرِني الجنة، فذهب به إلى الجنة، فاستفتح ففَتح له رضوان فأدخله الجنة، ثم قال له ملك الموت: اخرج لتعود إلى مقرِّك، فتعلَّق بشجرةٍ وقال: لا أخرج منها، فبعث الله ملكاً ينظر في قولهما، فقال له الملَك: ما لَكَ لا تخرج؟ قال: لأن الله تعالى قال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] وقد ذقتُه، وقال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١] وقد وردتها، وقال تعالى: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨] فلستُ أخرج، فأوحى الله تعالى إلى ملك الموت: بإذني

---

(١) في (ر) و(ف): «بني».

(٢) في (أ): «صالحاً»، وفي (ر): «سابحاً».

(٣) في (ر): «أسيغه»، وفي (ف): «استمعيه».

(٤) في (ف): «من».

(٥) «ففعل» من (ف).

(٦) «أخرى» ليست في (أ) و(ف).

دخل وبأمري يخرج، فجاء به ملك الموت إلى السماء السادسة، وقال آخرون: إلى السماء[1] الرابعة، وهو حيٌّ هنالك، وذلك قولُه تعالى: ﴿وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾[2].

***

(٥٨) ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا ۩﴾.

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾: أي: هؤلاء المذكورون في هذه السورة الذين تفضَّل الله عليهم من النبيين ﴿مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ﴾؛ أي: من ولد آدم.

قال ابن جريجٍ: زعموا أن هذه لإدريس خاصة.

وقوله تعالى: ﴿وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ﴾ أي: في السفينة مع نوح، هو إبراهيم ﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ﴾: هم إسماعيل وإسحاق ويعقوب.

وقوله تعالى: ﴿وَإِسۡرَٰٓءِيلَ﴾: أي: ومن ذرية إسرائيل ـ وهو يعقوبُ ـ وهم موسى وهارونُ وزكريا ويحيى وعيسى؛ لأن أمَّه مريمَ من ذريته، وكلُّهم من ذرية آدم، ولكن جُعل مَن قَرُب من آدم من ذريته، وجُعل مَن بَعُدَ منه من ذريةِ مَن قرُب منه تشريفاً لكلِّ واحدٍ بأبٍ يَقرب منه، ثم كلُّهم يرجعون إلى آدم فيشتركون في هذه الفضيلة ويتفاضلون فيما خُصُّوا به.

وقوله تعالى: ﴿وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآ﴾: أي: وهم ممن هديناهم واصطفيناهم، وهو جمعٌ بين فضيلتين، كقولك: زيد من نسل فلانٍ ومن قومٍ صالحين.

وهذا كلُّه في محل المبتدأ، ثم خبرُه في قوله:

---

(١) «إلى السماء» من (أ).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٢٢٠).

﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟﴾: أي: سقطوا على وجوههم ﴿سُجَّدًا﴾؛ أي: ساجدين لله ﴿وَبُكِيًّا﴾؛ أي: باكين من خشيته، ولرقَّة قلوبهم عند تلاوته.

و(بُكِيّ) على وزن فُعول، وهو وصف لهم بالخشوع والوجَل والعبادةِ لله تعالى.

* * *

(٥٩) ـ ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾: أي: فجاء بعد[1] هؤلاء المفضَّلين أقوامٌ أردياءُ.

والخَلْف بتسكين اللام: البدل السيِّء، والخَلَف بفتح اللام: البدل الصالح[2]، قال الشاعر:

خلَّفْتَ خَلْفاً ولم تَدَعْ خَلَفاً ... ليتَ بهم كان لا بكَ التَّلَفا[3]

﴿أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ قال القُرظيُّ: تركوها[4].

وقال عمر بن عبد العزيز: أَخَّروها عن وقتها[5].

والصحيحُ الأول فإنه في حق الكفار، بدليل قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ﴾ فاستثنى المؤمنين منهم، فدل أن المستثنَى منهم هم الكفار.

---

(١) في (ف): «فخلف بعد» وفي (ر): «فخلف من بعدهم».

(٢) في (ف): «والخلف بتسكين اللام بدل الشيء والخلف الولد الصالح».

(٣) البيت في «درة الغواص» (ص: ٢١٥)، و«النكت والعيون» (٢/ ٢٧٤)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٣٧٧).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٦٩).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٦٨).

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾: أي: المشتهَيات، فلم ينظروا بعقولهم إلى العواقب، ولم يتحملوا مشاقَّ العبادات، ومالوا إلى ما يَخِفُّ على الطباع من طلب الراحات.

والصلاة أريد بها الجنس وهي الصلوات، ولعل السورة سيقت في هذا[١] المقصد، فإن المشركين كانوا يأنفون من السجود، حتى كان بعضهم يشترط عند إرادة الإسلام ألَّا يجبِّيَ؛ أي: لا ينحنيَ للركوع والسجود، فذكر الله تعالى أن جميع الأنبياء والأولياء كانوا خاشعين خاضعين لله ساجدين راكعين:

فذكر زكريا أولاً، ودعاءه في صلاته، وخروجَه من المحراب وهو موضع الصلاة، والإشارةَ ﴿أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ وهو الصلاة.

وقال في ولده يحيى: ﴿وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا﴾؛ أي: متكبراً عن العبادة لله والصلاةِ له.

وقال في مريم: ﴿إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ وكان ذلك للاغتسال للصلاة، ومن خطابه لمريم: ﴿يَـٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [آل عمران: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ﴾ [آل عمران: ٣٧] وهو موضع الصلاة.

وقال في حق عيسى: ﴿وَأَوْصَـٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾.

وقال في حق[٢] إبراهيم صلوات الله تعالى عليه: إنه نهى أباه عن عبادة الأوثان وأمره بعبادة الرحمن.

وقال في حق[٣] موسى عليه السلام: ﴿وَنَـٰدَيْنَـٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ وكان في

---

(١) في (ف): «سيقت لهذا»، وفي (ر): «سبقت وهذا».

(٢) «حق» من (ف).

(٣) «حق» من (ف).

ذلك النـداء: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾ [طه: ١٤].

وقال في حق إسماعيل عليه السلام: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾.

وإدريس كان دائم الصلاة والذكر.

وختم ذكرهم ـ صلواتُ الله عليهم ـ بقوله: ﴿خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ فذكر في كلِّهم هذا، ثم ذَمَّ مَن جاء بعدهم وخالفهم بترك الصلاة[١] واتِّباع الشهوات.

وهذا كلُّه تحريكٌ لهؤلاء على اتِّباعهم، ومخالفةِ الجهل[٢] من آبائهم.

وقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾: اختلف أهل العربية وأهل الآثار في الغَيِّ:

قال بعض أهل اللغة: هو الهلاك، وقال جرير:

قُتِل الزبيرُ وأنتمُ جيرانُه ... غيًّا لمن قَتَل الزبيرَ طويلاً[٣]

وقال بعضهم: هو الشر[٤]، قال الشاعر:

فمَن يَلْقَ خيراً يَحمدِ الناسُ أمرَه ... ومَن يَغْوِ لا يَعْدَمْ على الغَيِّ لائما[٥]

وقال نفطويه: هو الجهل.

وقال بعضهم: هو الضلال.

---

(١) في (أ): «الصلوات».

(٢) في (ر) و(ف): «الجماعة».

(٣) انظر: «ديوان جرير» بشرح محمد بن حبيب (١/ ١٠٩).

(٤) في (أ): «الخيبة». وفي (ف): «المحنة».

(٥) البيت للمرقش الأصغر. انظر: «المفضليات» (ص: ٢٤٧).

وعلى هذين معناه(١): فسوف يلقون جزاءَ الجهالة والضلالة، وعلى هذا قوله: ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨]؛ أي: جزاء الإثم.

وأما أهل الآثار فقد قال ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم: هو وادٍ في جهنم(٢).

وقال بعضهم: هو الخسران.

وقال بعضهم: هو العذاب.

وقال حميد بن هلال(٣): إن في جهنم بئراً ضِيقُها كضيقِ الزُّج(٤) تسيل قيحاً ودماً تسمَّى غيًّا.

وعن أبي(٥) عبيدة عن أبيه قال: الغيُّ بئر(٦) في النار(٧).

---

(١) في (ف): «هذا» بدل: «هذين معناه».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٧٢) عن ابن مسعود وعبد الله بن عمرو رضي الله عنهم. وذكره عن ابن عباس الثعلبيُّ في «تفسيره» (٦/ ٢٢١).

(٣) العدوي، أبو نصر البصري تابعي ثقة، من رجال «التهذيب». ولم أجد الخبر الآتي عنه، لكن روى نحوه نعيم بن حماد في زياداته على «الزهد» لابن المبارك (٣٣٦) عن شفي الأصبحي.

(٤) في (أ): «ضيق الزج». والزُّج: الحديدة التي في أسفل الرمح.

(٥) في (ف): «وقال أبو».

(٦) في (ف): «عقر»، وفي (ر): «عقد».

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٧٢) بلفظ: (نهر في جهنم خبيث الطعم بعيد القعر). وفي رواية: (نهر جهنم في النار، يعذّب فيه الذين اتبعوا الشهوات). ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٩١١١) بلفظ: (وادٍ في جهنم بعيدُ القَعرِ خبيثُ المَطْعَم)، و(٩١١٠) بلفظ: (نهرٌ في جهنم ووَادٍ في جهنم). وثمة روايات أخر عن ابن مسعود من طريق أبي عبيدة عن أبيه ابن مسعود رضي الله عنه ومن غير طريقه تنظر في المصدرين المذكورين وغيرهما.

وقال وهب: الغيُّ نهر[١] في النار بعيدٌ قعره خبيثٌ طعمه[٢].

وقال مقاتل: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ﴾ يعني: اليهود ﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ المفروضة ﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾: استحلُّوا نكاح الأخت من الأب[٣].

وقال مجاهد: هم النصارى[٤].

وقيل: هم مشركو العرب، وهم من أولاد إسماعيل.

وقيل: هي في حقِّ المسلمين الذين يؤخِّرون الصلاة عن أوقاتها، وقد مر عن عمر بن عبد العزيز ذلك، وقال قُرَّةُ بن خالد: أبطأ أميرٌ من الأمراء صلاة العصر فقال الضحاك: ﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ الآية، والله لئن أتركها أحبُّ إليَّ مِن أن أضيِّعها[٥].

وقال إبراهيم: ﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾؛ أي: لم يصلُّوها لوقتها[٦].

---

(١) في (أ): «بئر». والمثبت من باقي النسخ والمصادر.

(٢) ذكره الثعلبيُّ في «تفسيره» (٦/ ٢٢٢)، والبغوي في «تفسيره» (٥/ ٢٤١).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٦٣٢).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (٥/ ٥٢٦) عن السدي قال: هم اليهود والنصارى. ورواه عن مجاهد الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٣٥) لكن في تفسير قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ﴾ [الأعراف: ١٦٩] قال: النَّصارى.

(٥) ذكره الثعلبيُّ في «تفسيره» (٦/ ٢٢١). وقرة بن خالد هو السدوسي البصري، روى عن أبي رجاء العطاردي وابن سيرين والحسن، وروى عنه شعبة ويحيى بن سعيد القطان وأبو داود الطيالسي وغيرهم. من رجال «التهذيب».

(٦) ذكره الثعلبيُّ في «تفسيره» (٦/ ٢٢١) عن ابن مسعود وإبراهيم والقاسم بن مخيمرة قالوا: أخَّروها عن مواقيتها وصلَّوها بغير وقتها.

وقال الزهري: المنافقون شاربون للقهوات(١)، لعَّانون للكعبات(٢)، التابعون للشهوات، التاركون للجمعات، الراقدون عن(٣) العتمات، المفرِّطون في الصلوات، ثم تلا هذه الآية(٤).

وروى ابن جريجٍ عن مجاهد قال: هذا عند قيام الساعة وذهابِ صالحي هذه الأمة، ينزو بعضُهم على بعضٍ في الأزقَّة نزواً(٥).

***

(٦٠) ـ ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ ﴾: أي: رجع عن كفره ﴿وَءَامَنَ﴾ على شرطه ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ بعد إيمانه.

وعلى قولِ مَن حمل الآية على المسلمين: ﴿وَءَامَنَ﴾؛ أي: دام على إيمانه وتاب من ذنوبه.

وقوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ﴾: ولا يدخلون الغيَّ ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾؛ أي: لا يُنقصون من ثواب عملهم(٦) في المستقبل بما عملوا من الذنوب في الماضي.

---

(١) في (ف): «يسابقون للقهوات». والقهوة عند العرب: الخمر.

(٢) في (أ): «العابون باللعاب»، وفي (ر) و(ف): «لعابون بالكعاب». والمثبت من «الدر المنثور».

(٣) في (ف): «في»، وفي (ر): «عند». والمثبت من (أ) و«الدر».

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (٥/ ٥٢٦) عن كعب قال: (والله إني لأجد صفة المنافقين في التوراة...) وذكره بنحوه. وهكذا ذكره عن كعب أيضاً ابن كثير عند تفسير هذه الآية، وفيه: (... شرابين للقهوات، تراكين للصلوات، لعابين بالكعبات، رقَّادين عن العتمات، مفرِّطين في الغدوات، تراكين للجمعات...).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٧٠) من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٦) في (أ): «أعمالهم».

(٦١) ـ ﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ﴾: ترجمةٌ عن قوله: ﴿يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ وهي في محلِّ النصب، وإنما ترجَم عن الجنة بالجنات لأنها جنسٌ وهي بمعنى الجمع؛ أي: هي جنةٌ واحدة مشتمِلة على الجنات.

﴿ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ﴾: أي: العبادَ التائبين المؤمنين العاملين الصالحاتِ، فقد سبق ذكر هذه الصفات، ولأنه أضافهم إليه وهو اختصاصٌ، وأهلُ الاختصاص هؤلاء.

﴿بِٱلۡغَيۡبِ﴾: بالوحي إلى نبيِّه وتلك الجنةُ غائبةٌ عنهم فصدَّقوه، وهو ثناء عليهم بالتصديق.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ﴾: أي: موعودُه ﴿مَأۡتِيّٗا﴾؛ أي: يأتيه الموعودُ له ويبلغه.

ومَن جعله بمعنى الآتي فهو خلافُ الوضع، وما قلناه أحسن؛ لأنه مراعاةُ الوضع، وما أتاك فقد أتيته.

* * *

(٦٢) ـ ﴿ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا ﴾: أي: في الجنة ﴿لَغۡوًا﴾؛ أي: هدراً من الكلام وما حقُّه أن يُلغَى؛ أي: يُبطل ويُطرح(١) ولا يُصغى إليه، وقد ذكر الله تعالى كلامهم في آيات؛ فقال: ﴿ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ ﴾ الآيتين [يونس: ١٠]، وقال: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَ﴾ [فاطر: ٣٤]، ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ الآية [الأعراف: ٤٣]، ﴿إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ﴾ الآية [الطور: ٢٦]، وكلام الملائكة لهم: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡ﴾ الآية.

---

(١) في (ف): «وينطرح».

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا سَلَٰمًا﴾: استثناءٌ منقطع؛ أي: لكنْ سلاماً؛ أي: سالماً من اللغو، أو[1] سلاماً عليهم بالتحية.

وقيل: أي: لا يسمعون من غيرهم إلا سلامَ الملائكة بالتحية التي بيننا[2].

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾: أي: مطاعمُهم ومشاربهم على ما يحبُّونه في الدنيا من الأكل والشرب في هذين الوقتين، فيؤتَون به بمقدارِ هذين الوقتين، ولا بكرة فيها ولا عشيَّ.

وقال قتادة: كانت العرب إذا أصاب أحدُهم الغداءَ والعشاءَ عُجب له، فأَخبر أن لهم في الجنة ذلك[3].

وقيل: لما كان أعدلَ أحوالِ المطاعم وأبعدَها من الضرر الغداءُ والعشاءُ عرَّفهم جلَّ جلاله اعتدالَ أحوال أهل الجنة في مأكلهم، وضرَب لهم البكرة والعشيَّ مثلاً لذلك.

وقيل: لهم ذلك غيرَ منقطعٍ في أوقات حاجتهم، ويقول الرجل: أنا أصبح وأمسي في ذكرك، و: برٌّ[4] فلان يغدو إليَّ ويروح؛ أي: لا ينقطع.

* * *

(٦٣) ـ ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾.

﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾: أي: نجعلها للأتقياء دون الذين[5]

---

(١) في (ر) و(ف): «و».

(٢) في (أ): «بيننا».

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٧٧١)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٧٧).

(٤) في (ر): «وبني»، وفي (ف): «وابن»

(٥) في (أ): «من».

أضاعوا الصلوات واتَّبعوا الشهوات، وإيراثها: مصيرُها لهم وإنزالُهم فيها؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ﴾ [الأحزاب: ٢٧].

* * *

(٦٤) - ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾: أي: ويقولُ لك جبريل حين استبطأتَ نزوله: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ﴾ نحن معاشرَ الملائكة ﴿إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ وإضمارُ القول في القرآن كثير، منها: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ﴾ [النمل: ٩١]؛ أي: قل ذلك.

وقد بينَّا في سورة الكهف أنه تأخَّر نزولُ جبريل أياماً حين سُئل رسول الله ﷺ عن الروح وأصحابِ الكهف وذي القرنين.

ويحتمِل أن يكون تأخُّر نزوله بعد هذه الآيات التي فرَغنا من تفسيرها أياماً، فلما نزل سأله النبيُّ ﷺ عن سبب التأخير، فنزلت الآية في ذلك، فانتَظَمت بها لنزولها بعدها.

وقوله تعالى: ﴿لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾: أي: قبل أن يخلقنا ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾ أي: من الدنيا بعد أن يُفنِيَنا[1] ﴿وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾: حالَ حياتنا.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾: أي: ناسياً ينسى الوقتَ الذي فيه الصلاحُ في إنزالنا.

وحقيقته: ﴿لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ من الأزمان[2] والأوقات،

---

(١) في (ر): «بعد بعثتنا».

(٢) في (أ): «الأيام».

فهي كلُّها لله تعالى، هو خلقَها وهو يدبِّرها ويدبِّر أمرنا فيها بما شاء[١] من تقديم إنزالٍ وتأخيره.

وقيل: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾؛ أي: الدنيا ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾: الآخرة ﴿وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾: النفختين.

وقيل: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾: الآخرة ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾: الدنيا.

وكلٌّ واحد منهما له وجه في الاستعمال؛ يقال: الشتاء بين أيدينا، على معنى: أنَّا متوجهون إليه، و: الشتاء خلفنا؛ أي: يجيءُ بعد هذا، وكذا ما يقابله.

وقيل: ﴿لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾؛ أي: ما مضى من أمورنا ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾: ما يكون منَّا بعدها[٢]، ﴿وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ ما نحن فيه الآن؛ أي: هو المالك لأمورنا كلِّها والمصرِّف لها كيف شاء.

وقال الأخفش: اللام[٣] في قوله: ﴿لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ لبيان العلم، وهو في[٤] معنى قوله: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ هو للعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ أي: بين ذينك، وقد أوضحناه في قوله تعالى: ﴿عَوَانُۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾.

وقيل في قوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾؛ أي: ناسياً لك، وذلك حين قالوا: لعل ربَّك نسيَك.

---

(١) في (أ): «على ما يشاء»، بدل: «بما شاء».

(٢) في (ر) و(ف): «بعد هذا».

(٣) في (ف): «الكلام».

(٤) «في» ليست في (أ).

(٦٥) ـ ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾: أي: هو ربُّ السماوات والأرض.

وقيل: هو ترجمة قوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾.

﴿فَٱعْبُدْهُ﴾: بالصلاة وغيرها[1] ﴿وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾؛ أي: اثبُت عليها ولا تجزع لتأخُّرِ[2] الوحي عنك.

وقوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾: أي: هل تعلم أحداً يستحقُّ أن يسمَّى بأسمائه ويوصفَ بصفاته، فيكونَ خالقاً ورازقاً، ومحيياً ومميتاً[3]، عالماً بكلِّ شيء، قادراً على كلِّ شيء؛ أي: قد علمتَ أن أحداً ليس كذلك غيرُه فالْزَمْ عبادته.

وقيل: هل تعلمُ أحداً هو ربُّ السماوات والأرض وما بينهما غيرَه.

وقال مجاهد: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾؛ أي: مِثْلاً[4].

وقال القشيريُّ رحمه الله: هو ربُّ الأكابر، وهو أيضاً ربُّ الأصاغر، وقيمةُ العبد بمالكه وقَدْرِه، لا بثمنه في نفسه وخطره[5].

* * *

(٦٦) ـ ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾.

---

(١) في (ر) و(ف): «ونحوها».

(٢) في (ر): «لتأخير».

(٣) في (أ): «خالقاً رازقاً محيياً مميتاً».

(٤) في (ر) و(ف): «مثيلًا». والمثبت من (أ)، وكذا رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٨٦).

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٤٣٦)، ولفظه: (إذا كان ربَّ الأكابر من الأقوياء فهو أيضاً ربّ الأصاغر من الضعفاء، وقيمة العبد...).

وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾: استفهام بمعنى التعجُّب والإنكار، وقوله: ﴿لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾؛ أي: من القبر.

وقيل: هو أبيُّ بن خلف الجُمَحي؛ أي: يقول هذا الإنسان المنكِر للبعث، وهو الذي يترفَّع عن الصلاة والخدمة لله تعالى، مخالفاً للأنبياء الذين ثبتوا(١)، وموافقاً للَّذين أضاعوا الصلاة واتَّبعوا الشهوات؛ لإنكاره البعث ولولاه ما فعَل كذلك: ﴿أَءِذَا مَا مِتُّ﴾ لأُبْعَث وأُخرج من القبر، مستعظِماً له منكِراً لكونه.

* * *

(٦٧) ـ ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾: قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي: ﴿يذَّكَّرُ﴾ بتشديد الذال والكاف، وأصله: يَتذكَّر، فأدغمت التاء في الذال؛ أي: أفلا يتذكَّر ويَحضره قلبه، وقرأ الباقون مخفَّفاً من الذكر الحاضر في القلب(٢).

وقوله تعالى: ﴿أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾: وهذا حجَّتُنا على المعتزلة في أن المعدوم ليس بشيء حالَ عدمه؛ أي(٣): أوجَدْناه، والإعادةُ كذلك، وهو كقوله: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٩].

* * *

(٦٨) ـ ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ﴾: أَقْسَم بنفسه وأضاف نفسَه إلى نبيِّه، وهذا تعظيم لقَدْره، وهو تأكيدُ الخبر عن البعث بعد إقامةِ الحجة عليهم.

---

(١) في (أ): «ثبتنا»، وفي (ف): «بينا».

(٢) » انظر: «السبعة» (ص: ٤١٠)، و«التيسير» (ص: ١٤٩).

(٣) في (ف): «يعني».

﴿لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾: أي: لنبعثنَّهم ولنجمعنَّهم يوم القيامة ﴿وَ﴾ لنحشرنَّ ﴿الشَّيَاطِينَ﴾ معهم وهم أولياؤهم، فنَقرُنهم في السلاسل في جهنم.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾: قال الكلبي: أي: جماعات[١]، قال الأعشى:

وهي جملاءُ كبدرٍ طالعٍ ... بزَّتِ الخلقَ جثيًّا بالجمالِ[٢]

أي: جميعاً.

وقيل: أي: جاثِين على ركبهم، وذلك يكون للاختصام كما قال: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣١].

وقال قطربٌ: يجوز أن يكون مصدراً، ويجوز أن يكون جمعاً للجاثي.

* * *

(٦٩) ـ ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾: قال الخليل: رفع ﴿أَيُّهُمْ﴾ على الحكاية بتقدير: فيقال[٣]: أيُّهم أشدُّ عتيًّا فليَخرج.

وقال سيبويه: أي: الذي هو أشدُّ، ولما حُذف (هو) أُعرب ﴿أَيُّهُمْ﴾ بإعرابه[٤].

---

(١) ذكره عن الكلبي الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٨٣)، وذكره الثعلبيُّ في «تفسيره» (٦/ ٢٢٤) والواحدي في «البسيط» (١٤/ ٢٨٧)، عن ابن عباس، فلعله مما روي من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

(٢) » لم أجده.

(٣) بعدها في (ر): «لهم».

(٤) انظر: «الكتاب» (٢/ ٣٩٨ ـ ٤٠٠)، وفيه قول الخليل المذكور. وقول المؤلف: «أعرب «أيهم» =

ومعنى الآية: ثم لنُخرجن للنار من كلِّ فرقةٍ متشايعةٍ ـ أي: متعاونةٍ على الكفر ـ أشدَّهم على الله عتوًّا؛ أي: تمرُّداً.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: جراءةً[1].

وقال مجاهد: فجوراً[2].

وقال مقاتل: علوًّا[3]؛ أي: نبدأ بالأعتى فالأعتى بإدخالهم النار، فتدخل الرؤساء أولاً ثم الأتْباع؛ كما قال: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ الآية [هود: ٩٨].

= بإعرابه» يريد والله أعلم: أنه أخذ محله من الإعراب؛ لأن «أيهم» عند سيبويه مبنية على الضم؛ لأنها خالفت أخواتها في حذف صدر صلتها مع عدم جواز ذلك فيهن؛ لأنك لو قلت: رأيت الذي أفضل منك، ومَن أفضل، كان قبيحاً، حتى تقول: من هو أفضل. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣٣٩ـ ٣٤٠)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ١٧)، و«البسيط» (١٤/ ٢٩٠)، و«الكشاف» (٣/ ٣٤). هذا وقد اختار الزجاج قول الخليل واستحسنه فقال: (والذي أعتقده أن القولَ في هذا قولُ الخليل، وهو موافق للتفسير..)، كما أنه غلَّط سيبويه فيما ذهب إليه، فقد نقل عنه تلميذه أبو جعفر النحاس قوله: (ما يَبِين لي أنّ سيبويه غلط في كتابه إلّا في موضعين هذا أحدهما)، قال: (وقد علمنا سيبويه أنه أعرب «أيّاً» وهي منفردة لأنها تضاف، فكيف يبنيها وهي مضافة؟)، وقال النحاس: (وما علمت أن أحداً من النحويين إلّا وقد خطّأ سيبويه في هذا).

(١) ذكره بهذا اللفظ الثعلبيُّ في «تفسيره» (٦/ ٢٢٤)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٨٨ ـ ٥٨٩) بلفظ: كفراً. وبهذا اللفظ جاء في «تفسير مجاهد» (ص: ٤٥٧)، و«تفسير يحيى بن سلام» (١/ ٢٣٥)، و«معاني القرآن» للنحاس (٤/ ٣٤٧)، وكذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٣٣) لأبي عبيد وعبد بن حميد وابن المُنذر وابن أبي حاتِم والبَيهقيّ.

(٢) ذكره بهذا اللفظ الثعلبيُّ في «تفسيره» (٦/ ٢٢٤)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٨٨) بلفظ: (عصيًّا)، وفي رواية: (أيهم أشد للرحمن معصية، وهي معصيته في الشرك)، وفي «البسيط» (١٤/ ٢٨٩): قال ابن عباس في رواية الوالبي: (أيهم أشد عصياناً)، وقال في رواية عطاء: (أيهم أعظم فرية).

(٣) ذكره بهذا اللفظ الثعلبيُّ في «تفسيره» (٦/ ٢٢٤)، وفي «تفسير مقاتل» (٢/ ٦٣٤): (عتوًّا) بالتاء، وهو المناسب لما سيأتي من كلام المؤلف.

(٧٠) ـ ﴿ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴾: ﴿ ثُمَّ ﴾ هاهنا لترتيب الإخبار لا لترتيب العلم؛ أي: نحن أعلم بمن هو أشدُّ استحقاقاً لدخول النار من سائر الناس، وأحقُّ بالبداية[١] به.

وقيل: ﴿لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾؛ أي: بمن هو أولى بزيادة العقوبة، من قولهم: صُلِيتُ بالحرب؛ أي: قاسيتُ شدَّتها، فالآية الأولى في بيان الأحقِّ بالبداءة[٢]، وهذه في بيان الأحق بزيادة التشديد.

* * *

(٧١) ـ ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾: أي[٣]: وليس منكم أيها الناس من المؤمنين والكافرين إلا وهو واردُ جهنم.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إلا[٤] داخِلُها.

وروي أن نافعَ بن الأزرق قال لعبد الله بن عباس: ما الورود؟ قال: الدخول، قال: لا، إنما الورود الوقوف على شفيرها، قال[٥] ابن عباس رضي الله عنه: والله

(١) في (ر) و(ف): «بالندامة».

(٢) في (أ) و(ف): «بالبداية».

(٣) في (ف): «قال نافع».

(٤) في (أ): «أي».

(٥) من قوله: «وقال ابن عباس...» إلى هنا وقع في (ف) بدلًا منه: «وسأل ابن الأزرق ابن عباس عن هذه الآية فقال».

لأَرِدَنَّها ولتَرِدَنَّها[١]، وإني لأرجو أن أكون من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ﴾ وتكونَ أنت من الذين قال الله تعالى: ﴿وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ ويحك[٢] يا ابن الأزرق! أمَا تقرأُ كتاب الله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ﴾ [هود: ٩٧ ـ ٩٨] أفتراه[٣] ـ ويحك ـ إنما أقامهم على شفيرها والله تعالى يقول: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٦]؟ قال: فسكت نافع[٤].

وعن بكر بن عبد الله المزني قال: لمَّا نزلت هذه الآية ذهب ابن رواحة إلى بيته فبكى، فجاءت المرأة فبكت، فجاءت الخادم فبكت، وجاء أهل البيت فجعلوا يبكون، فلما انقطعت عبرتُه قال: يا أهل البيت! ما يُبكيكم؟ قالوا: لا ندري، ولكنَّا رأيناك تبكي فبَكَينا لبكائك، فقال: آيةٌ أنزلت على رسول الله ﷺ يُنبئني ربِّي فيها أنِّي واردُ النار، ولم يُنْبئني أني أصدُر[٥] عنها، فذلك الذي أبكاني[٦].

وقال الحسن: قال رجل لأخيه: أي أخي! هل أتاك أنك واردُ النار؟ قال: نعم، قال: فهل أتاك أنك خارجٌ منها؟ قال: لا، قال: ففيم الضحكُ إذن؟ قال: فما رُؤي ضاحكاً حتى مات[٧].

---

(١) في (ف): «والله لأردنها»، وفي (ر): « والله لأرد بابها».

(٢) في (ف): «ويلك».

(٣) في (ر): «اقرأ»، وفي (ف): «أو يقول».

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٧٨٠)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٩١ و٥٩٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٨٠) واللفظ له.

(٥) في (ر): «صادر».

(٦) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٣٠٩).

(٧) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٣١١)، وبنحوه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥١٩٦).

وقيل: هو مرور الكلِّ على الصراط، وسلامةُ المؤمنين وسقوط الكافرين.

روي عن كعب أنه قال: إن جهنم يُجاء بها يوم القيامة كأنها متنُ إهَالةٍ يعلوها البَرُّ والفاجر، فيقول الله تعالى: خذي أولياءك ودعي أوليائي لي، فلهيَ[١] أعرَفُ بهم من الأم بولدها، فتأخذهم وينجو المؤمنون منها نديَّةً ثيابهم، وهو قولُ الله عز وجل[٢]: ﴿عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝٧١ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾[٣].

وعن خالد بن مَعْدَانَ أنه قال: إن المؤمنين يقولون: ألَمْ يَعدْنا ربُّنا أنَّا نردُ النار، فقيل لهم: بلى ولكنكم مررتُم بها وهي خامدةٌ[٤].

وسُئل السدي عن هذه الآية فقال: حدثني مرةُ الهمداني عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «ليس أحدٌ من الناس إلا سيَرِدُ النار[٥]، ثم يَصْدُرون منها بأعمالهم، فيكون أولُ صادر كلمح البصر، ثم يكون الصادر كالريح

---

(١) في (ر) و(ف): «قالت إني»، بدل: «لي فلهي».

(٢) في (أ): «كقوله» بدل: «وهو قول الله عز وجل».

(٣) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٤٠٥ ـ زوائد نعيم)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤١٧٢)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٩٣)، وابن قتيبة في «غريب الحديث» (٢/ ٤٩٩)، ومن طريقه الدينوري في «المجالسة» (٧٠٢). وقال ابن المبارك في «شرح متن الإهَالة» كما في «الغريبين» للهروي و«مجمع الغرائب» لعبد الغافر الفارسي (مادة: أهب): أمَا تَرَى الدَّسَم إذا جَمَدَ على رأس الـمَرَقة. وقال غيره: مَتْنُ الإهالة: ظهرُها إذا سكنتْ في الإناء، شَبَّهَ كعبٌ سكونَ جهنم بالنار قبل أنْ يَصِيرَ الكافرُ فيها بسكون ظهرِ الإهالةِ. والإهالة: الدهن مما يؤتدم به، أو الدسم الجامد، أو ما أذيب من الألية.

(٤) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٤٠٧ ـ زوائد نعيم)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٤٢٩)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٩٢)، وأبو عبيد في «غريب الحديث» (٤/ ٣٤٧)، ومن طريقه البيهقي في «الشعب» عقب الخبر (٣٧٣).

(٥) في (ر) و(ف): «سيردها».

المارة بهم، ثم يكون الصادر كالبرق[1]، ثم يكون الصادر كالطير، ثم يكون الصادر كشدِّ[2] الفرس، ثم يكون الصادر كشدِّ الراحلة[3]، ثم يكون الصادر كأشد الرجال، ثم يكون الصادر كالماشي، فآخِرُ[4] مَن ينجو أن يحبوَ حبواً»[5].

وعن سعيد بن أبي هلال قال: بلغَنا أن الصراط يكون على بعض الناس أدقَّ من الشعر، وعلى بعض الناس مثلَ الوادي الواسع[6].

ثم فائدةُ إدخال المؤمنين النارَ مع أن الله تعالى يَقيهم حرَّ النار: تشديدُ الحسرة على الكفار بدخولهم فيها وتعذيبِهم بها وبقائهم فيها.

وعن جابر رضي الله عنه قال: سألتُ النبيَّ ﷺ عن هذه الآية فقال: «لا يبقى بَرٌّ ولا فاجر إلا دخلها، ثم تبردُ على المؤمنين كما كانت برداً وسلاماً على إبراهيم»[7].

وبعض الناس جعل هذا الورود حضوراً، وهو كقوله: ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ

---

(١) «بهم ثم يكون الصادر كالبرق» ليس في (أ) و(ف).

(٢) في (ر) و(ف): «كأشد».

(٣) في (ر) و(ف): «ثم يكون كأشد الراحلة».

(٤) في (أ): «كمشي الرجل وآخر»، بدل: «كأشد الرجال ثم يكون الصادر كالماشي فآخر».

(٥) رواه بنحوه الترمذي (٣١٥٩)، والحاكم في «المستدرك» (٣٤٢١) (٨٧٤١) وقال: صحيح على شرط مسلم. وقال الترمذي: حديث حسن، ورواه شعبة عن السدي فلم يرفعه. ثم رواه الترمذي (٣١٦٠)، والحاكم في «المستدرك» (٨٧٤٢) (٨٧٤٣) من طريق شعبة موقوفاً على ابن مسعود وعقَّباه بقول شعبة: سمعته من السدي مرفوعاً ولكني عمداً أدعه.

(٦) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٤٠٦ ـ زوائد نعيم).

(٧) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٤٥٢٠) من حديث جابر رضي الله عنه، وإسناده ضعيف؛ لجهالة أحد رجال الإسناد.

جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ الآية، وقال: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا﴾؛ أي: نسلِّم ﴿وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ﴾؛ أي: نُدخل ونتركُ.

وهو خلاف الأحاديث المشهورة، وعلى الأول جمهورُ أهل السنة والجماعة.

وقوله تعالى: ﴿كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾: أي: كائناً لا محالة محكوماً به.

* * *

(٧٢) ـ ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾.

﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا﴾: قرأ الكسائي بالتخفيف من الإنجاء، والباقون بالتشديد من التَّنجية(١)، وهما لغتان؛ أي: يخرِج منها الذين اتَّقوا الذنوب كلَّها قبل أن يعذَّب، والذين اتقوا الكفر ووقعوا في المعاصي إمَّا قبل التعذيب وإمَّا بعده(٢)، فمصيرهم إلى الجنة في العاقبة.

﴿وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ﴾: أي: ندَع المشركين ﴿فِيهَا﴾ أبداً ﴿جِثِيًّا﴾؛ أي: جماعاتٍ كما مر.

وقيل: جاثين على الرُّكب للتخاصم، كما قال: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ﴾ [غافر: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ [ص: ٦٤].

* * *

(٧٣) ـ ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤١١)، و«التيسير» (ص: ١٤٩).

(٢) في (ر) و(ف): «بعد التعذيب».

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾: أي: على هؤلاء[١] المنكرين للبعث ﴿ءَايَٰتُنَا﴾؛ أي: القرآن ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ نصبٌ على الحال؛ أي: حجَجاً واضحاتٍ.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا﴾: قرأ ابن كثير بضم الميم وهو موضع الإقامة، والباقون بفتحها، وهو موضع القيام[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾: أي: مجلساً ومجتمَعاً، وندَوْتُ القوم أَنْدُوْهم نَدْواً[٣]؛ أي: جمعتُهم في مجلس، والنادي: المجلس؛ قال تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ﴾ [العلق: ١٧]، والأندية: المجالس، جمعُ نَدِيٍّ؛ كالأَقفِزة جمع قَفِيز، ويُجمع[٤] جمعَ نادٍ؛ كالأودية جمع وادٍ.

يقول: عجزوا عن المعارضة والاعتراض فعدَلوا عن المحاجَّة إلى المعانَدة بإدخال الشُّبَه على الضَّعَفة، فقالوا: أيُّ الفريقين منَّا ومنكم أيها المؤمنون خيرٌ منازلَ وأحسنُ مجالس؟ أي: أيُّنا أكثرُ مالاً وأحسنُ في أسباب الدنيا حالاً؟ يُوهمون[٥] بذلك أنَّ مَن كثُر ماله وحسُنت حاله وانبَسطت يدُه وكثُرت أعوانه فذاك دليلٌ على أنه محقٌّ في دينه، ومَن خالفه في هذه الصفة ـ من سوءِ الحالة ورثاثةِ الهيئة وقلةِ الخدم والحشم ـ فهو مبطِلٌ في دينه.

* * *

(٧٤) ـ ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا﴾.

---

(١) في (ف): «المشركين».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤١١)، و«التيسير» (ص: ١٤٩).

(٣) في (ف): «نديت القوم أنديهم ندياً».

(٤) في (أ) و(ف): «ويجوز».

(٥) في (ر): «توهموا».

وقوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا﴾: الأثاث: المتاع.

وقيل: هو ما يزيَّنُ به المنزل من أنواع الأمتعة.

والرِّئْي بالهمزة: المنظر، من الرؤية[1]، وقرأ نافع وابن عامر من غير همز[2]، وقرأ غيرُهما بالهمز على الأصل، ومَن ترك الهمز فله وجهان:

أحدهما: تليين الهمزة على إرادتها؛ تخفيفاً، أو لموافقةِ فواصل الآي.

والثاني: أنه من رَوِي يَرْوَى رِيًّا[3]، من حدِّ عَلِم؛ أي: رَوِيَتْ ألوانُهم وجلودُهم وارْتَوَتْ من النعمة والخِصْب.

ذكَر هذين الوجهين الكسائيُّ والأخفش وقطربٌ.

يقول: ليس حُسن هؤلاء في الدنيا لِمَا قالوا، فكم أهلكْنا بالعذاب قبل هؤلاء من قرون المخالِفين المكذِّبين هم كانوا أكثرَ من هؤلاء مالاً وأبسطَ يداً وأبعدَ سوطاً وأبهى منظراً وأنعم عيشاً وأكثرَ أنصاراً، وكان هذا معلوماً عندهم من هلاكِ عادٍ وثمودَ وغيرهم.

وقيل: نزلت الآية في النضر بن الحارث وذوِيه.

قال مقاتل: كانوا يرجِّلون شعورهم ويَدهُنون رؤوسهم ويلبسون جياد ثيابهم مفتخِرين بشارتهم[4] وهيأتهم على فقراء الصحابة، فنزلت الآية[5].

---

(١) في (ر) و(ف): «المروة».

(٢) هي قراءة ابن ذكوان عن ابن عامر، وقالون عن نافع. انظر: «السبعة» (ص: ٤١١)، و«التيسير» (ص: ١٤٩).

(٣) (ريًّا) بفتح الراء وكسرها، كما «مختار الصحاح». وكلمة: «ريًّا» ليست في (أ).

(٤) في (ر) و(ف): «بشأنهم».

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٦٣٦)، و«تفسير الثعلبي» (٦/ ٢٢٨)، و«تفسير البغوي» (٥/ ٢٥٢).

(٧٥) ـ ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾: أي: قل لهم يا محمد: مَن كان في الشرك والجحود فلْيَعِش ما شاء من المدة الطويلة، وأضاف الـمَدَّ إلى نفسه لأنه هو الذي يُعَمِّر ويُبقي في الدنيا أهلَها، فإن طول عمره لا يمنع الله تعالى مما يريد به عاجلاً أو آجلاً[1].

وقيل: أراد به المدَّ في الضلالة؛ كقوله تعالى: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: ١٥]، وقولِه: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا﴾ [آل عمران: ١٧٨]، وهذا صيغته صيغةُ أمر ومعناه الخبر؛ كقوله: ﴿قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً﴾ [الإسراء: ٥٠]، وقالوا: من عادة العرب تأكيدُ الخبر بصيغة الأمر، قال تعالى: ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ [العنكبوت: ١٢].

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ﴾: أي: على شركهم من أحد هذين: ﴿إِمَّا ٱلْعَذَابَ﴾؛ أي: العاجلَ ﴿وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ﴾؛ أي: القيامةَ.

وقوله تعالى: ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾: أي: فسوف يعلمون في القيامة ﴿مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾: أهُم أم المؤمنون.

وقوله تعالى: ﴿وَأَضْعَفُ جُندًا﴾: أي: أقلُّ ناصراً؛ أي: لا يبقَى لهم ناصرٌ ولا مقامٌ ولا نديٌّ، وكانوا يقولون: ﴿أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا﴾ والمقام هاهنا هو ذلك المقام؛ أي: يعلمون أن ما أُوتوه من المقام والنَّديِّ لم يكن لعزِّهم وشرف محلِّهم[2] عند الله، بل المؤمنون هم أشرفُ عند الله محلًّا.

---

(١) في (أ): «مما يريده عاجلًا وآجلًا».

(٢) في (ر) و(ف): «وشرفهم».

(٧٦) ـ ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾: أي: ثباتاً على الاهتداء كما يمدُّ الضالِّين المصرِّين على ذلك في الضلال.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾: أي: الأعمال الحسنة التي يبقى ثوابها ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾؛ أي: أحسنُ عاقبةً من الأعمال السيئة كعبادة الأوثان والمعاصي والافتخارِ بالدنيا والأثاثِ والزِّي[1]، والمقام والنَّدِيِّ.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾؛ أي: مرجعاً ومنقلَباً.

* * *

(٧٧) ـ ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾: قرأ حمزة والكسائي: ﴿وَوَلَدًا﴾ بضمِّ الواو، وهو لغةٌ في الوَلَد كالحَزَن والحُزْن، والعَدَم والعُدْم[2]، والبَخَل والبُخْل.

وقيل: هو جمع الولد؛ كالأُسْد بالضم: جمع الأَسَد.

والباقون: ﴿ووُلْداً﴾ بفتح الواو واللام، وهو واحد[3].

وروي عن خبَّاب بن الأرتِّ أنه قال: كنت قَيْناً في الجاهلية، وكان لي على العاص بن وائل حقٌّ، فأتيتُه في الإسلام أتقاضاه، فقال: لا أقضيك حتى[4] تكفرَ

(١) في (ف): «والراي»، ولعل المراد بها: (والرئي).

(٢) في (أ): «والقدم والقدم».

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٤١٢)، و«التيسير» (ص: ١٥٠).

(٤) في (ف): «لا أعطيك أو».

بمحمدٍ، فقلت: والله لا أكفرُ بمحمد حتى يميتَك الله ثم يبعثَك، فقال: دعني حتى أموتَ وأُبعثَ فأُوتَى مالاً وولداً فأقضيَك، فنزلت الآية(١). وهذا دليل على(٢) أنه قال ذلك استهزاءً.

وقيل: نزلت في الوليد بن المغيرة.

وقيل: في أبيٍّ بن خلف.

وقوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ﴾؛ أي: أرأيت يا محمد هذا العجَب من هذا الكافر الذي يقول: لأعطين مالاً وولداً.

* * *

(٧٨) ـ ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾: ألف الاستفهام بمعنى الإنكار والتوبيخ.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَظَرَ في اللوح المحفوظ.

وقال مجاهد: أَعَلِمَ علمَ الغيب(٣).

والاطِّلاع في اللغة: هو الإشراف على الشيء والنظرُ إليه.

وقوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾: أي: ميثاقاً أنه يُدخله الجنة ويؤتيهِ المال والولد.

وقيل: ﴿عَهْدًا﴾؛ أي: توحيداً؛ قاله ابن عباس رضي الله عنهما(٤).

---

(١) رواه البخاري (٢٠٩١)، ومسلم (٢٧٩٥).

(٢) في (أ) و(ف): «وهذا بيان».

(٣) ذكرهما الثعلبيُّ في «تفسيره» (٦/ ٢٢٩)، والبغوي في «تفسيره» (٥/ ٢٥٣). أما الواحدي فقد نسب في «البسيط» (١٤/ ٣١٢) القول الأول للكلبي، والثاني لابن عباس ومجاهد.

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (٥/ ٥٣٦) بلفظ: ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ =

وقيل: أي: عملاً صالحاً، قاله قتادة[١].

* * *

(٧٩) ـ ﴿كَلَّاۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا﴾.

﴿كَلَّا﴾: أي: ليس كما توهَّم، وما اطَّلع الغيب وما اتَّخذ عند الرحمن عهداً.

وقوله تعالى: ﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾: أي: ستكتب ملائكتُنا بأمرنا كتاباً فيُخرَجُ له يوم القيامة فيقرؤه[٢] فيجازى به. وقيل: أي: سنُثبت. وقيل: أي: سنحفظ.

وقوله تعالى: ﴿وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا﴾: أي: نزيد ونَصِل بحيث لا ينقطع.

* * *

(٨٠) ـ ﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ﴾: أي: نُميته ونرث ماله وولده[٣]، وهو كقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ﴾ [مريم: ٤٠].

قوله ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾: أي: من المال والولد.

* * *

(٨١) ـ ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً﴾: أي: اتخذ هؤلاء المشركون

= قال: لا إله إلَّا الله يَرْجُو بها. وذكره ابن كثير عند هذه الآية بلفظ: العهد: شهادة أن لا إله إلا الله، ويبرأ إلى الله من الحول والقوة، ولا يرجو إلا الله عز وجل.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٦٢١).

(٢) «فيقرؤه» من (أ).

(٣) أي: قوله: ﴿مَا يَقُولُ﴾ بدل اشتمال من الهاء في (نرثه).

أصناماً يعبدونها ﴿لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا﴾؛ أي: ليتعـزَّزوا بها في الآخرة عنـد الله بما ذَكروا مـن رجـاء الشـفاعة وتقريبِهم إلـى الله زُلفى.

* * *

(٨٢) ـ ﴿كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾: أي: ليس كما ظنوا ﴿سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ﴾؛ أي: تتبرَّأ الآلهة عنهم، كما قال تعالى: ﴿يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٍ﴾ [العنكبوت: ٢٥].

وقوله تعالى: ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا﴾: قيل: أي: أضداداً؛ كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ يُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلًا﴾ [غافر: ٦٧]، قالوا: وإنما وحَّد لأنه أراد كلَّ واحد منهم[١] يكون ضدًّا.

وقيل: ذكره بمقابلةِ قوله: ﴿لِّيَكُونُواْ لَهُمۡ عِزًّا﴾، وذاك مصدرٌ فصلح[٢] للجمع، فهذا أيضاً في مقابَلته[٣]، ومعناه: يكونون خلاف ما توهَّموا[٤] أنهم يشفعون وينفعون.

وإنْ حُمل الآلهةُ على الملائكة وعيسى وعزير، فكونهم ضدًّا قولُه[٥]: ﴿بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّ﴾ وبراءتُهم منهم.

* * *

(٨٣) ـ ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمۡ أَزًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ﴾: أي: خلَّيناهم، وهو كإرسال البعير.

---

(١) بعدها في (ف): «أن» ولو كانت بعد «أراد» لكان أنسب.

(٢) في (ف): «فيصلح» بدل: «وذاك مصدر فصلح».

(٣) بعدها في (أ): «ومعناه: ويكونون عليهم خلافاً فيصلح للجمع».

(٤) في (أ): «توهموه»، وفي (ف): «توهمون».

(٥) في (أ) و(ر): «قولهم».

وقوله تعالى: ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: أي: على هؤلاء المشركين الذين اتخذوا آلهةً بتحريض الشيطان؛ أي: خذَلناهم فلم نمنع تزيينَ الشيطان عنهم.

وقوله تعالى: ﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾: قال الفراء: تزعجُهم وتُغْريهم بالمعاصي(١).

وقال أبو عبيدة: تَهيجهم(٢).

وقال قطرب: هو من قولك: أُزَّ قِدْرَك؛ أي: أوقِدْ تحتها؛ كأنه قال: تحرِّكهم على الكفر والمعصية بالدعوة والتزيين، يقول: خلَّيناهم ولم نمنعهم النعمةَ لتَتِمَّ المحنة، فيستحِقَّ المتحرِّز عنه الثواب، وقد نهيناهم عن اتِّباع الشيطان، وأكملنا عقولَهم التي يمكن بها التمييزُ بين الحق والباطل.

وقيل: في آخره(٣) مضمَر: فعلنا ذلك ليجاهدوا ويتحرَّزوا(٤) فلم يفعلوا.

* * *

(٨٤) ـ ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾: بطَلَب عذابهم ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾؛ أي: نَعدُّ مدَّتهم، وهو عبارةٌ عن القلة(٥)، يقال: أيام معدودةٌ، وأقوام معدودون.

وقيل: ما دخله العددُ فسريعاً يَنفذ.

وقيل: معناه: لا تعجل عليهم فإنما نؤخِّرهم لا لخيرٍ نريده بهم، ولكن ليزدادوا إثماً.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٧٢).

(٢) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ١١).

(٣) في (ر): «فيه»، بدل: «في آخره».

(٤) في (ر): «وليحذروا».

(٥) في (ر) و(ف): «العدة».

(٨٥) ـ ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾: قيل: يتصل بقوله: ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ﴾؛ أي: نبعث ﴿ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ﴾؛ أي: إلى جنات الرحمن، ويُطلق على البعث إلى دار الملِك اسمُ: البعث إلى الملك.

وبدأ الكلامَ بالإخبار عن نفسه بصيغة الجمع، ثم[1] المغايبةِ، وهو من أقسام البلاغة، وطريقُه طريقُ قول الأمير: نُنزلكم دارَ الأمير، يعني: دار[2] نفسه، وهو كقوله تعالى: ﴿مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النساء: ١٠٠].

وقيل: ﴿إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ﴾؛ أي: إلى موقف الحساب، وفيه تيسير الحساب وتوفير الثواب.

﴿وَفْدًا﴾؛ أي: وافدِين، مصدرٌ يراد به نعتُ الجمع كالضيف والزَّور.

وقيل: الوفد جمع وافد؛ كالرَّكب جمع راكب.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَفْدًا﴾ أي: ركباناً[3]؛ فإنه من خصائص الوفود، قال: يؤتَون بنوقٍ لم يُر مثلُها عليها رحائلُ الذهب، وأزمَّتُها الزَّبَرْجدُ، فيركبون عليها حتى يضربوا أبوابَ الجنة[4].

---

(١) بعدها في (أ): «ذكر».

(٢) «دار» من (أ).

(٣) في (ر): «ركباً».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٦٣٠) عن ابن عباس مختصراً بلفظ: (ركباناً). ورواه بتمامه عبد الله بن الإمام أحمد في زوائده على «المسند» (١٣٣٣)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٦٢٩)، والحاكم في «المستدرك» (٣٤٢٥)، من طريق عبد الرحمن بن إسحاق، عن النعمان بن سعد، عن عليّ رضي الله عنه. قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم! وتعقبه الذهبي بقوله: بل عبد الرحمن لم يرو له مسلم ولا لخاله النعمان، وضعفوه.

وفي تسميتِهم وفداً بيانٌ[1] أنهم يتوجَّهون إلى الجنة مسرورين، ويجدون الأهلَ والخدم بقدومهم مسرورين؛ كالوفد يتوجهون إلى السلطان مسرورين، ويكون السلطان وحشمُه بورودهم مسرورين.

* * *

(٨٦) ـ ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾: قال أهل التفسير: أي: عطاشاً، وهو في اللغة: ورودُ الماء، ولكن لا يكون ذلك إلا عن عطشٍ، فجُعل مجازاً عنه ودليلاً عليه، ودلَّ ذكر ورود جهنم هاهنا أن ما يقابله من ذكر الوفود[2] هو دخول الجنة.

* * *

(٨٧) ـ ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾: أي: لا يملك أحد من أهل المحشر أن ينفع أحداً بشفاعته إلا أن يكون الشافعُ ممن ﴿ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾؛ أي: وثيقةً بعملٍ صالحٍ قدَّمه يستحقُّ به رتبةَ الشفعاء.

ويحتمِل: إلا لمن اتخذ عند الله هذا العهد؛ أي: لا تكون الشفاعة إلا في حق المؤمن.

وقيل: العهد: الإيمان. وقيل: الطاعة. وقيل[3]: أي: الصلاة. وقيل: الذكر. والعهد جامعٌ لذلك كلِّه.

---

(١) في (ر): «إشارة».

(٢) في (ر) و(ف): «الوفد»

(٣) «وقيل» من (أ).

وروى ابن مسعود رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «مَن قال كلَّ صباحٍ ومساءٍ: اللهم فاطرَ السماوات والأرض، عالمَ الغيب والشهادة، إني أعهدُ إليك في هذه الحياة الدنيا أني أشهد أنك أنت الله الذي[1] لا إله إلا أنت، وحدك لا شريك لك، وأن محمداً عبدك ورسولك[2]، وإنك إنْ تَكِلْني إلى نفسي تقرِّبْني من الشر وتباعِدْني من الخير، فإني لا أثقُ إلا برحمتك، فاجعل لي عندك بها عهداً تؤدِّيه[3] إليَّ يوم القيامة إنك لا تُخلف الميعاد، طُبع عليه طابعٌ، ووضع تحت العرش، فإذا كان يومُ القيامة نادى منادٍ: أين الذين لهم عند الله عهد؟ فيدخلون الجنة»[4].

---

(١) «الذي» ليست في (أ).

(٢) بعدها في (ر) و(ف): «فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين»، وليس في (أ) والمصادر.

(٣) في (ر) و(ف): «ترده».

(٤) رواه بتمامه الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٢٣١) فقال: (وروى أبو وائل عن عبد الله بن مسعود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لأصحابه ذات يوم...) فذكره. ولم أجده من هذا الطريق بهذا التمام مسنداً، لكن رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣٩١٦) من طريق عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً، وفيه بدل عبارة: «طُبع عليه طابعٌ، ووضع تحت العرش، فإذا كان يومُ القيامة نادى مناد: أين الذين لهم عند الله عهد؟ فيدخلون الجنة»، قوله: «إلَّا قال اللهُ لملائكته يومَ القيامة: إنَّ عبدي قد عَهِدَ إليَّ عهدًا، فأَوْفُوه إياه، فيُدخِلُه الله الجنَّةَ». قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٧٤): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح، إلا أن عون بن عبد الله لم يسمع من ابن مسعود.

ورواه دون هاتين العبارتين الطبراني في «الكبير» (٨٩١٨)، والحاكم في «المستدرك» (٣٤٢٦) وصححه، عن الأَسْوَد بن يَزيدَ، عن عبدِ الله بن مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْه، أنه قرأ ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ فقال: (اتَّخِذوا عند الرحمن عهدًا، فإنَّ اللهَ يقولُ يومَ القيامة: مَن كان له عندي عَهْدٌ فلْيَقُم. قال: فقُلْنا: فعَلِّمْنا يا أبا عبدِ الرحمن، قال: قولوا: اللهمَّ فاطرَ السَّماواتِ والأرضِ...) الحديث. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٨٤): رواه الطبراني، وفيه المسعودي، وهو ثقة ولكنه قد اختلط، وبقية رجاله ثقات.

(٨٨ ـ ٨٩) ـ ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ٨٨ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا﴾: قال أكثر العرب: الملائكة بناتُ الله.

وقوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا﴾: قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهدٌ وقتادة وابن زيد: أي: منكراً عظيماً[1].

ويحتمِلُ أن تكون الآية عامَّةً فيهم وفي النصارى[2] وزعمِهم المسيحَ ابنَ الله.

* * *

(٩٠) ـ ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ﴾: قرأ نافع والكسائي: ﴿يكاد﴾ بياء التذكير؛ لتقدُّم الفعل، والباقون بتاء التأنيث[3].

و﴿يَنْفَطِرْنَ﴾ قرأ ابنُ عامر وأبو عمرٍو، وحمزةُ في رواية، وعاصمٌ في رواية أبي بكر: بالنون بالتخفيف[4] من الانفطار، وقرأ الباقون بالتشديد من التفطُّر[5]؛ أي: قاربت[6] السماوات أن يتشقَّقْن من هذا الشيء الإدِّ[7].

﴿وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ﴾: لذلك ﴿وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ﴾؛ أي تسقط ﴿هَدًّا﴾ قال القتبيُّ:

---

(١) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٦٣٥ ـ ٦٣٦).

(٢) بل هذا هو الأولى أن تكون الآية عامة، ولا أدري لم التخصيص في مثل هذا، علما أن المشهور بنسبة الولد لله سبحانه هم النصارى، فالأصل شمول الآية لهم ولليهود وللعرب ولكل من نسب لله الولد.

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٤١٢ ـ ٤١٣)، و«التيسير» (ص: ١٥٠).

(٤) «بالتخفيف» من (أ)، وليس فيها: «أبي بكر بالنون».

(٥) انظر: «السبعة» (ص: ٤١٢ ـ ٤١٣)، و«التيسير» (ص: ١٥٠).

(٦) في (أ): «كادت».

(٧) «الإد» من (أ).

سقوطاً[١]، وقال الفراء: كسراً[٢]، وقال قطرب: زلزلةً وكسراً، وقال الكسائي: رضًّا.

وقال الخليل: هدماً مع صوتٍ شديد، والهدَّة: صوت شديد يُسمع من سقوطِ ركنٍ أو ناحيةِ جبل[٣].

وهذه الأشياء تكون عند قيام الساعة وزوالِ بناء العالم؛ قال تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾ [الانفطار: ١]، وقال جل جلاله: ﴿رُجَّتِ ٱلۡأَرۡضُ رَجّٗا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلۡجِبَالُ بَسّٗا﴾ [الواقعة: ٤ ـ ٥]، فكأنه قال: كاد العالم ينتقِضُ لفظاعةِ ما قالوا.

* * *

(٩١ ـ ٩٢) ـ ﴿أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ۝٩١ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا﴾: أي: لِأَنْ سمَّوا له ولداً وأضافوه إليه.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾: أي: وما يصلُح هذا.

* * *

(٩٣) ـ ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا﴾.

قوله ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا﴾: أي: ليس أحدٌ من أصناف الخلق من الأنبياء والملائكة والجنِّ والإنس والشياطين وغيرهم إلا وهو يأتي عبداً يوم القيامة، وإذا كانوا عبيدَه وقد خلقهم فكيف يكون أحدٌ منهم ولداً له.

وبهذه الآية نقول: إذا ملك الأب ولده عتَق عليه؛ لأنه لا يجتمع البنوة والعبودية.

* * *

---

(١) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٢٧٦).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٧٣).

(٣) انظر: «العين» (٣/ ٣٤٧).

(٩٤) ـ ﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾: أي: قَدَر عليهم وعلِم مبلغَ عددهم.

***

(٩٥) ـ ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾.

﴿وَكُلُّهُمْ﴾: أي: كلُّ واحد منهم، ولذلك وحد قوله: ﴿آتِيهِ﴾، فأما قوله تعالى: ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ [النمل: ٨٧] فمعناه: جميعهم، فلذلك جمع الخبر.

﴿آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾: أي: مفرداً[١] عن الأنصار والأموال، فلا يحجزه عما يستحقُّه من عذاب الله تعالى[٢] حاجزٌ، ولا ينفعه إلا ما قدَّمه من عملٍ صالح.

وروى ابن المبارك رحمه الله عن عوف عن غالب بن عجردٍ قال: حدثني رجل من أهل الشام في مسجد منًى قال: إن الله تعالى لمَّا خلق الأرضَ وخلق ما فيها من الشجر، لم يكن في الأرض شجرةٌ يأتيها بنو آدم إلا أصابوا منها منفعةً ـ أو كان[٣] لهم فيها منفعةٌ ـ، فلم تزَل الأرض والشجر كذلك حتى تكلَّم فجَرةُ بني آدم تلك الكلمةَ العظيمة قولَهم: اتخذ الله ولداً، فلما قالوها اقشعرَّت الأرضُ وشاكَ الشجر[٤].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إن الجبل يقول للجبل: يا فلان! هل مرَّ بك اليوم ذاكرٌ لله تعالى؟ فإن قال: نعم، سُرَّ به، ثم قرأ عبد الله: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾ حتى إذا بلغ ﴿أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ قال: فتراهن يسمعن الزُّور ولا يسمعن الخير[٥]؟

---

(١) في (أ): «متفرداً».

(٢) في (ف): «من العذاب».

(٣) في (ر) و(ف): «وبان».

(٤) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٣٣٧)

(٥) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٣٣٣)، والطبراني في «الكبير» (٨٥٤٢)، والبيهقي في «الشعب» (٦٩١).

وهـذا إذا وضـع الله تعالى فيهـا الحياة والعلـم، وذلك جائز عندنـا، وعلى ذلك تصـدُّع الجبل من خشـية الله تعالـى، وهبوطها من هيبـة[١] الله تعالى.

وقـال قطـرب: الإد: الداهية والأمرُ الفاحـش، وجمعه: الإداد، وقـد أَدَّ يَئِدُّ ويَؤُدُّ، وأنشد:

يــا أيهـــا الرَّائـــمُ أمـــراً إدًّا إن كنـتَ ترجونـا فناطِـحْ حـدًّا[٢]

وقال رؤبةُ[٣]:

ويتَّقـــي الفحشـــاءَ والأباطِـــلا والإدَّ ذا الإدادِ والعضائـــلا[٤]

***

(٩٦) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: ذكر المؤمنين بعد ذكر الكافرين.

﴿سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾: أي: محبةً في صدور عباده المؤمنين، فيحبُّهم ويحبِّبُهم إلى خلقه، وكان نزول هذا بمكة قبل هجرة الحبشة والمدينة[٥]، وحقق الله

---

(١) في (ر) و(ف): «خشية».

(٢) في (أ): «ترجو فناطح أحدا»، وفي (ف): «ترجونا فامنح أحداً» وفي (ر): «ترجونا فباطح حدا». ولم أجده.

(٣) في (أ): «العجاج».

(٤) في (ر): «والأدد الإداد والعضابلا». والبيت ذكره صاحب «العين» عن رؤبة برواية:

ويتَّقـي الفَحْشـاءَ والنَّياطِـلا والإِدَّ والإِدادَ والـعَـضـــائلا

(٥) في (ف): «قبل الهجرة».

لهم هذا الوعد فجعل في قلب النجاشي هذا الودَّ(١)، وَدَّ المؤمنين حتى أَمِنوا في بلاده، ووصلوا إلى بِرِّه، على ما مضى ذكرُه في حديث جعفر بن أبي طالب وهجرةِ الصحابة إليه، وقراءتِه هذه السورةَ عليه، ودفعِه قصدَ المشركين عنهم، ثم بعد ذلك جعل لهم الودَّ في قلوب أهل المدينة حتى آوَوْهم ونصروهم، وأسلموا بالقرآن ثم بالسيف، ثم أَلَّف الله تعالى بين قلوب الأوس والخزرج فجعل لهم الودَّ حتى اتَّفق الفريقان على نصرة الحق، ثم تتابع هذا حتى دخل الناس في دين الله أفواجاً، وجاء نصر الله والفتح، وأورث الله تعالى المسلمين مقام الكفار ونديَّهم، فظهر دين الله ولو كره المشركون، وفي ذلك أوضح دليل على صدق دعوى النبي ﷺ الرسالةَ.

وقيل: معناه: سيجعل للمؤمنين مودَّةً لبعضهم من بعضهم، فيتوادُّون ويتآلَفون، فيتعاضدون ويتناصَرون، فينقمِع بذلك أعداؤهم بالسيف أو بالحجة.

* * *

(٩٧) ـ ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾: أي: يسَّرنا القرآن، كنايةٌ لم يسبقها صريحٌ؛ كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾.

وقيل: يسَّرنا ما قصَصْنا عليك في هذه السورة ﴿بِلِسَانِكَ﴾؛ أي: بلسانك(٢) الذي هو لسانُ العرب، حتى فهموه وعقَلوه ووقفوا على إعجازه.

وقوله تعالى: ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ﴾: أي: المؤمنين(٣) الذين يتَّقون الشركَ والمعاصيَ بما قلنا: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ ونحوِ ذلك.

---

(١) «هذا الود» من (أ).

(٢) «أي: بلسانك» من (أ).

(٣) «المؤمنين» من (أ).

وقوله تعالى: ﴿وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾: هؤلاء المشركين المذكورين في هذه الآيات، واللُّدُّ: جمع الألَدِّ، وهو شديدُ الخصومة، قال تعالى: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾ [البقرة: ٢٠٤] والمصدر: اللَّدَد.

وقال أبو عبيدة: هو الذي لا يقبل الحقَّ ويدَّعي الباطل[١].

وقال الخليل: وهو الشديدُ الخصومة العسيرُ الانقياد[٢]، وكان مشركو قريش كذلك، قال تعالى: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨].

* * *

(٩٨) ـ ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾: ثم[٣] هوَّن الله على النبيِّ ﷺ خصامهم وعنادهم، وقال: وكثيراً أهلكنا قبل هؤلاء من قرونٍ كثيرة مثلَ قوم نوحٍ وقوم صالحٍ وقوم لوطٍ وقوم شعيبٍ وغيرِهم؛ لمخالفتهم أنبياءهم.

وقوله تعالى: ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ﴾: أي: هل تُبصر.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾: هو الصوتُ الخفيُّ في[٤] الحركة؛ أي: قد ذهبوا وبادُوا فلا عينَ لهم ولا أثر، فكذلك هؤلاء أيضاً إن[٥] أعرضوا عن تدبُّر ما يسَّرناه بلسانهم من القرآن، الذي لهم فيه الشفاء والبيان، فعاقبَتُهم الهلاكُ فليَهُنْ عليك أمرهم.

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ١٣).

(٢) انظر: «العين» (٨/ ٩).

(٣) «ثم» زيادة من (أ).

(٤) في (أ): «و».

(٥) في (ف): «إذا».

وقال الإمام القشيري رحمه الله: أوجدَهم وأحياهم، وعلى ما شاء فطرهم وأبقاهم، ثم بعد ذلك بما شاء أماتهم وأفناهم، فبادُوا بأجمعهم، وهلكوا عن آخرهم، فلا كبيرَ منهم ولا صغير، ولا جليل ولا حقير، وسيطالبون يومَ النُّشور[(١)] بالنقيرِ والقِطمير، وإلى جزاء الله المصير[(٢)].

والحمد لله العليِّ الكبير، السميعِ البصير[(٣)]، اللطيفِ الخبير، حمداً لا يحصَى عددُه، ولا يُعرف أمدُه، وأشكره على ما وفَّقني في إتمام هذه السورة، وصوَّرني بقدرته في أحسن الصورة، وصلى الله على سيدنا محمدٍ سيدِ الأنبياء وخيرته، والرضوانُ على أهله وعترته[(٤)]، وعلى الصالحين من أئمة أمته وسلم تسليماً كثيراً[(٥)].

***

---

(١) في (ر): «النشر».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٤٤٤).

(٣) بعدها في (ر): «وعلى الصالحين من أئمة أمته».

(٤) من قوله: «والحمد لله العلي الكبير...» إلى هنا وقع في (أ) بدلًا منه: «والحمد لله رب العالمين».

(٥) «وعلى الصالحين من أئمة أمته وسلم تسليماً كثيراً» من (ف).

سُورَةُ طه

سُورَةُ طه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الذي خلَق الأرضَ والسماوات العُلى، الرحمنِ الذي لا إلهَ إلا هو له الأسماء الحسنى، الرحيمِ الذي هو غفارٌ لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدَى.

وروى أبيُّ بن كعب رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «مَن قرأ سورة طه أُعطي يوم القيامة ثواب المهاجرين»[(1)].

وسورة طه مكيةٌ، وهي مئة واثنتان وثلاثون آيةً، وقيل: أربع وثلاثون، وقيل: خمس وثلاثون، وقيل: أربعون[(2)].

والاختلاف في إحدى وعشرين آية: ﴿طه﴾ ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا﴾ ﴿وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾ ﴿مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ ﴿فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ ﴿مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ﴾ ﴿مَا غَشِيَهُمْ﴾ ﴿غَضْبَانَ أَسِفًا﴾ ﴿وَعْدًا حَسَنًا﴾ ﴿فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ ﴿وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾ ﴿فَنَسِيَ﴾ ﴿إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ ﴿إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا﴾ ﴿قَاعًا صَفْصَفًا﴾ ﴿مِّنِّي هُدًى﴾ ﴿زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.

---

(1) موضوع. انظر: «الفتح السماوي» (٢/ ٨٢٥).

(2) مئة وثلاثون وآيتان بصري، وأربع مدنيان ومكي، وخمس كوفي، وأربعون شامي. انظر: «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ١٨٣).

وهي ألفٌ وثلاثُ مئة وخمسٌ وثلاثون كلمةً[١]، وخمسةُ آلافٍ ومئتان وثلاثةٌ وثمانون حرفاً[٢].

وانتظام أول هذه السورة بآخر تلك السورة: أنه ختم تلك السورة بذكر القرآن وتيسيرِه وافتتح هذه بذكر القرآن وإنزاله.

وانتظام السورتين: أنه ذكر في تلك السورة قصصَ الأنبياء وذكر[٣] فيهم موسى، وذكر أنه من ذرية آدم، وختمها بذكر الموافقين والمخالفين، وذكر في هذه السورة قصة موسى وختمها بقصة آدم ثم بذكر الموافقين والمخالفين.

* * *

(١) ـ ﴿طه﴾.

وقوله تعالى: ﴿طه﴾: قرأ ابن كثير وابن عامر ونافع في رواية بتفخيم الطاء والهاء، وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر وأبو عمرو في رواية عباس الدوري بإمالتهما، وقرأ أبو عمرو في رواية بتفخيم الطاء وإمالةِ الهاء، ونافع في رواية بين الإمالة والتفخيم[٤].

وأما تفسيره: فقد قال عكرمة والحسن والضحاك وقتادة: معناه: يا رجل، وهي بالسُّريانية، وقيل: بالنَّبَطية[٥]، وقيل: بلغةِ عَكٍّ[٦]، قال شاعرهم:

---

(١) في المصدر السابق: ألف وثلاث مئة وإحدى وأربعون كلمة.

(٢) في المصدر السابق: خمسة آلاَف ومئتان واثنان وأربعون حرفاً.

(٣) «ذكر» ليست في (أ).

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٤١٦)، و«التيسير» (ص: ١٥٠).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥ ـ ٧) عن ابن عباس وابن جبير ومجاهد وعكرمة والضحاك وقتادة والحسن. وقوله: بالسريانية، جاء في خبر سعيد بن جبير وقتادة، وقوله: بالنبطية، جاء في خبر ابن عباس وعكرمة والضحاك.

(٦) ممن قال بذلك الكلبي كما نقل عنه الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٢٣٦)، وقاله أيضاً الطبري في =

إن السَّـــفاهة طــه مـــن خلائقكــم   لا قـــدَّس اللهُ أخـــلاقَ الملاعيـــن[١]

وقال مقاتل بن حيان: ﴿طه﴾؛ أي: طأ الأرضَ بقدميك، يريد به التهجُّد؛ قالوا: كان النبي ﷺ يقوم في الصلاة على أطراف أصابعه، فأُمر أن يطأَها بأخمص قدميه[٢]، وعلى هذا يكون قوله: (طا) أمرٌ من وَطِئ يطأ، وليِّنت همزته[٣]، و(ها) كنايةٌ عن الأرض.

وقال القرظيُّ: أقسم الله تعالى بطَوله وهدايته.

وقال جعفرٌ الصادق: أقسم الله تعالى بطهارة أهل بيت رسول الله ﷺ كما قال: ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

= «تفسيره» (١٦/ ٧) وقد اختار القول السابق ورجحه فقال: والذي هو أولى بالصواب عندي من الأقوال فيه قول من قال: معناه: يا رجل، لأنها كلمة معروفة في عكّ فيما بلغني، وأن معناها فيهم: يا رجل. ثم استدل عليه بالبيت الآتي.

والزمخشري أيضاً نسبها لعك مع تعليل لطيف، فقال في «الكشاف» (٣/ ٤٩): إن (طاها) في لغة عكٍّ في معنى: يا رجل، ولعل عكًّا تصرفوا في (يا هذا) كأنهم في لغتهم قالبون الياء طاء، فقالوا في (يا): (طا)، واختصروا (هذا) فاقتصروا على (ها).

(١) البيت في «تفسير الطبري» (١٦/ ٧)، و«الأضداد» لابن الأنباري (ص: ٤٠٤)، و«تفسير الثعلبي» (٦/ ٢٣٦)، و«النكت والعيون» (٣/ ٣٩٢)، و«البسيط» (١٤/ ٣٤٨). وعزاه الماوردي ليزيد بن مهلهل. ورواية عجزه عند الطبري:

لا بـــاركَ اللهُ فـــي القـــومِ المَلاعِيـــنِ

(٢) رواه عبد بن حميد كما في «الكاف الشاف» (ص: ١٠٨) عن الربيع بن أنس مرسلًا، ورواه البزار في «مسنده» (٩٢٦) من حديث عليٍّ رضي الله عنه، وفي إسناده ضعف. انظر: «مجمع الزوائد» (٧/ ٥٦)، وفيه: رواه البزار وفيه يزيد بن بلال، قال البخاري: فيه نظر. وكيسان أبو عمر، وثقه ابن حبان وضعفه ابن معين، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٣) في (ف): «ولو كان كذلك لثبتت همزته» بدل من «ولينت همزته».

وقيل: هو كناية عن: طاهر، وهو اسم الله تعالى.

وقيل: (طا) طوبى و(ها) هاوية، وهو قسَم بالجنة والنار.

وقال سعيد بن جبير رضي الله عنه: الطاء افتتاحُ اسمه طاهر وطيِّب، والهاء افتتاح اسمه هادي.

وقيل: هو خطاب النبي ﷺ يا طالب الشفاعة للأمة، ويا هادي الخلق إلى الله(١).

وقيل: الطاء طينتُه، والهاء همتُه، والطينةُ طيبةٌ والهمةُ عاليةٌ.

وقيل: الطاء طاعتُه، والهاء هيبتُه.

وقيل: الطاء تسعةٌ والهاء خمسة، وجملتُها أربعةَ عشر، وهو إشارة إلى تسميته بدراً، كأنه قال: يا بدرُ ليلة أربع عشرة(٢).

وقال مجاهد: هو اسم هذه السورة(٣).

وقال بعضهم: هو اسم القرآن.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: الطاء إشارة إلى طهارة قلبه عليه السلام عن غير الله(٤)، والهاء إلى اهتداء قلبه إلى الله تعالى.

وقال أيضاً(٥): معناه: طوينا عن سرِّك ذكرَ غيرنا، وهديناك بنا إلينا.

---

(١) ذكر هذه الأقوال من قول مقاتل إلى هنا الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٢٣٦ ـ ٢٣٧).

(٢) ذكره الثعلبي أيضاً في «تفسيره» (٦/ ٢٣٧)، وذكر أن ذلك في حساب الجمَّل، وليس فيه: «ليلة أربعة عشرة».

(٣) ذكره البغوي في «تفسيره» (١/ ٥٩).

(٤) في (ف): «إشارة إلى طاعة الله تعالى».

(٥) «أيضاً» ليست في (أ).

وقال أيضاً: طاب عيش مَن اهتدى بك[١].

وقيل: الطاء طلَب الموحِّدين، والهاء هرب الجاحدين، فمَن طلبه وجده، ومَن هرب منه أدركه.

وقيل: الطاء طربُ أهل الجنة بعشرة أشياء، ينادي منادٍ: لكم حياةٌ لا موت بعدها، وصحةٌ لا سقَم بعدها، وشبابٌ لا هرم بعده، وعزٌّ لا ذلَّ بعده، ونعمةٌ لا محنة بعدها، وأمنٌ لا خوف بعده، وفرحٌ لا حزن بعده، وكرامةٌ لا هوان بعدها، وغَناءٌ لا فقر بعده، وملكٌ لا عزل بعده، وسعادةٌ لا شقاء[٢] بعدها، والهاء هوانُ أهل النار بعشرة أشياء ينادي بها المنادي، وهي عشرة على قلب هذا[٣].

***

(٢) ـ ﴿مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان النبي ﷺ إذا قام من الليل ربط صدره بحبلٍ كي لا ينام، فأنزل الله تعالى هذه الآية[٤].

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٤٤٥).

(٢) في (أ): «شقاوة».

(٣) كل ما ذكر في هذا الموضع من الأقوال التي لا تحتملها اللغة لا تصلح تفسيراً للآية، وإنما هي أقرب لأقوال أهل الإشارة منها لأهل التفسير، وهي طريقةٌ يعدُّها مَن قَبِلها من العلماء على أنها من بابِ الشيءِ بالشيءِ يُذْكر، وإلا فللتَّفسير ضوابطُه التي لا يجوز الحيدُ عنها، ولو فُتح هذا البابُ لساغ للباطنيَّة تسويغُ افتراءاتهم الباطلةِ في الآيات القرآنيَّة.

(٤) رواه عن ابن عباس رضي الله عنهما ابن عساكر في «تاريخه» (٤/ ١٣٤) من طريق عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس، وعبد الوهاب بن مجاهد متروك. وروي نحوه عن مجاهد. انظر: «تفسير مجاهد» (ص: ٤٦٠)، و«تفسير الطبري» (١٦/ ٩)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٧/ ٢٤١٥)، و«تفسير الثعلبي» (٦/ ٢٣٧)، و«والدر المنثور» (٥/ ٥٤٩) عن عبد بن حميد، ولفظه عند الطبري: =

وقيل: قام حتى تورَّمت قدَماه، فنزلت[١].

وقيل: زاد في اجتهاده، فقيل له في ذلك، فقال: «أفلا أكون عبداً شكوراً»[٢].

وقال القشيري رحمه الله: يقول: ليس المراد من وحينا إليك تعبَك، إنما هذا استفتاح طلب[٣] الوصلة، وتمهيد بساط القُربة[٤].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية: قال له قومه: لقد شقيَ هذا الرجل بربِّه فنزلت الآية[٥]: ﴿لِتَشْقَىٰٓ﴾؛ أي: لتتعبَ، كما قال: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾ [طه: ١١٧]؛ أي: تتعبَ بالكسب، وظاهره أنه نزل أمر بالتخفيف[٦] على نفسه.

ويَحتمِل وجهاً آخر: وهو أن الكفار لمَّا عيَّروه بذلك ـ أن الله تعالى ألزمه اجتهاداً يشقَى به في دنياه بالتعب والسهر أو أرادوا أن ينفِّروه ـ أنزل الله تعالى هذا يبين له أنه ليس بشقاءٍ بل هو يَسعدُ[٧] به، ويقتدي به غيره فيكونُ له مثلُ أجورهم، فيكون هذا أمراً بالثبات عليه والازدياد منه.

= ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ قال: في الصلاة، كقوله: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزمل: ٢٠] فكانوا يعلقون الحبال بصدورهم في الصلاة.

(١) ذكره بنحوه الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٢٣٧) عن الكلبي. وروى البخاري (٤٨٣٦)، ومسلم (٢٨١٩)، من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: قام النَّبيُّ ﷺ حتى تَورَّمَتْ قدماه، فقيل له: غَفَرَ اللهُ لك ما تَقدَّم مِن ذنبكَ وما تأخَّرَ، قال: «أفلا أكونُ عبدًا شَكورًا».

(٢) انظر التعليق السابق.

(٣) في (أ): «باب»، ولم ترد الكلمة في «اللطائف».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٤٤٥).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥).

(٦) في (أ): «أمر بالتخفيف منه»، وفي (ر): «أمرنا بالتخفيف».

(٧) في (ف): «ليس أشقى بل سعد» وفي (ر): «ليس إشقاءً بل إسعاد».

وقيل[1]: ﴿مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾؛ أي: لتبقى هكذا قليلَ الأصحاب كثيرَ الأعداء، بل ننصرُك، ونقهر أعداءَك، ونُكثر غنائم أصحابك، ونُحْسِن عاقبةَ الكل، ولذلك وصل بهذا قصةَ موسى عليه السلام: أنه قاسى من فرعون وقومه ما قاسى، ثم كانت له ولقومه النصرةُ والغلبة والفرج والسعادة الكبرى.

وقيل: هذا من الاختصار العجيب[2] وجوامع الكلم التي أُوتيَها رسول الله ﷺ، فإنه إذا قال: ﴿لِتَشۡقَىٰٓ﴾ ـ فنفى أن يكون إنزال القرآن عليه للشقاوة ـ فقد بيَّن أنه كان للسعادة، وهي جامعة لكل مراد، فكأنه قال: أنزلناه عليك لنُسعدك بكلِّ ما تريده وتَرُومُه في الدنيا والآخرة.

* * *

(٣) ـ ﴿إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ﴾: أي: ما أنزلناه إلا ليتَّعظ مَن يخشى عقاب الله، فيُقبلَ على الله ويؤمنَ به ويؤدِّيَ ما يلزمه له، وخصَّ الخاشي بذلك وإن كان الإنذار للكلِّ لأنه هو المنتفِع به، وهو كقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٥]، وقوله: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [يس: ١١].

وقيل: معناه: ﴿مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾؛ أي: لتدوم في العبادة فلا تتفرَّغَ للتبليغ والتذكير، بل أنزلناه لتعمل به[3] على وجهٍ لا يمنعك من التبليغ، وعلى هذا

(١) في (ر) و(ف): «ويحتمل».

(٢) في (ر) و(ف): «اختصار العجب».

(٣) في (ف): «لتدل به»، وفي (ر): «على وجه لتدل به».

فسَّر بعضُهم قولَه تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ﴾ [الشرح: ٧]؛ أي: إذا فرغت من الدعوة فانصَبْ في العبادة.

* * *

(٤) ـ ﴿تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى﴾.

وقوله تعالى: ﴿تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ﴾: أي: نـزِّل تنزيـلاً ممـن خلق الأرض ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى﴾: جمـع العليـاء.

* * *

(٥) ـ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾.

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ فسَّرناه في سورة الأعراف.

وقيل: معناه: قهر هذا السرير على مراده، وسخَّره على تدبيره، فكان كما أراد، وكذلك سائر المخلوقات، غير أن العرش لمَّا كان أعظمَ المخلوقات نبَّه بذكره على ما دونه من سائر المخلوقات، وقال الشاعر:

قـد اسـتوى مـروانُ فـي سـلطانه وابـنُ الزبيـر غافـلٌ عـن شـأنه[1]

أي: قَهَر.

وقيل: خاطب الله تعالى عباده بما يتعارفونه بينهم، ولما كان الملِكُ منهم إذا كان جليلاً جلس على سرير أعدَّه لنفسه يَدلُّ بذلك على عظمته ومُباينته لمن سواه، ثم اتَّسع الأمر فيه حتى قيل: قد جلس فلان على سرير الملك، وإن لم يكن منه جلوس، ولكن يعبَّر به عن كون الـمُلْك له، وعن بينونته لغيره[2] في الجلالة،

(١) لم أجده.

(٢) «لغيره» ليس من (ف).

ففهَّمنا الله تعالى انفراده بالملك والعظمة بذكر العرش والاستواء عليه.

وقال سعيد بن زائدة الخزاعي في النعمان بن المنذر مَلِك العرب:

قد نال عرشاً لم يَنَلْه نائلُ   جنٌّ ولا إنسٌ ولا ديَّارُ[1]

أي: مُلْكاً.

***

(٦) ـ ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾: أي: ذلك كلُّه ملكُه وفي قبضته، وتحت قهره وقدرته وأمره، ولا يمتنِع شيء منه عما يصرِّفه عليه.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾: أي: وما تحت الأرض؛ لأن ظاهر الأرض من ترابٍ جافٍّ، وما هو أسفل منه إذا كثر فهو تراب مبتلٌّ وهو الثرى.

يقول: يعلم ما تحت الأرض مما بطَن فيها كما يعلم ما ظهَر منها وما بينهما.

وقد ذكر وهب أن الأرضين السبع على عاتق الملَك، والملَكُ قدماه على الصخرة وهي ياقوتة من الجنة، والصخرةُ على قرني ثور من الفردوس، والثورُ على ظهر حوتٍ من الكوثر، والحوتُ على البحر، والبحرُ على جهنم، وجهنمُ على متن الريح، ومتنُ الريح[2] على حجابٍ من ظُلمةٍ، والحجاب على الثرى، وإلى الثرى

---

(١) البيت في «العرش» لأبي جعفر ابن أبي شيبة (ص: ٣٩)، و«التبصير في الدين» للإسفراييني (ص: ١٣٩)، و«العرش» للذهبي (١/ ٢٨٥).

(٢) في (ف): «والريح».

انتهى[١] علمُ الخلائق من أهل السماوات وأهل الأرض، فذلك قوله: ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾[٢].

***

(٧) - ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ قيل: وإن تجهر بالدعاء لله في الصلاة وخارجَها فإن الله تعالى يعلم ذلك ولا يخفَى عليه ويُثيبك عليه؛ لأنه يعلم الجهر وما دونه، وهو السرُّ وما هو أخفى من السرِّ، فدُمْ على ما أنت عليه.

وقيل: وإن تجهر بالقول فإن الله يعلم ما دون ذلك، فما حاجتُك إلى الجهر وإتعابِك نفسَك به، وما ينالك من أذى المشركين بسببه؟ وهو أمرٌ بخفض الصوت.

والقول: هو القراءة عند بعضهم، وقد سبق ذكر القرآن. وقيل: الدعاء.

وإذا[٣] حمل على الصلاة كانت جامعةً لهما.

والسر: ما لا يَرفع به صوتَه، وأخفى منه: ما يحدِّث به نفسه ولا يتلفَّظ به.

وقيل: السر: ما حدَّث به غيرَه خافضاً صوته، وأخفى: ما خطَر بباله أو كلَّم به نفسَه.

وقيل: السر: ما أضمَره الإنسان فلم يُظهره، وأخفى: ما وُسوِس إليه ولم يُضمره[٤].

---

(١) في (ف): «انقطع»، وليست في (أ).

(٢) لم أجده ولا يصح.

(٣) في (أ): «وإن».

(٤) في (ف): «يظهره».

وقيل: السر: ما تفكَّرْتَ به، وأخفى منه: ما لم يخطر ببالك وعلِم الله تعالى أن نفسك تحدِّث به بعد زمان؛ قال ابن عباس رضي الله عنهما: أنت تعلم اليوم ما أسرَرْتَ، ولا تعلم ما تُسِرُّ غداً، والله يعلم ذلك كلَّه[1].

وقال الضحاك رحمه الله: ﴿وَأَخْفَى﴾: يعلم ما لم تعلم وأنت عاملُه[2].

* * *

(٨) ـ ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾: فسرناه في آخر سورة الأعراف، يقول هاهنا: بأيِّ أسماء الله تعالى دعوتَه في الصلاة وخارجَها فهو حسنٌ جميل.

* * *

(٩) ـ ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ﴾: وهذا حثٌّ للنبي ﷺ على الصبر على عبادةِ الله تعالى وعلى أذى قومه، والجِدِّ في الدعاء لهم، فإن موسى فعل كذلك فكان له حسنُ العاقبة.

﴿وَهَلْ﴾: استفهام بمعنى التقرير؛ فإن كان هذا أولَ ما نزل من قصته فمعناه: لم يأتك حديث موسى إلى الآن فقد أتاك الآن فاسمعه فاعتبِرْ به، وإن كان نزل قبله منه شيء فهذا تذكيرٌ لذلك.

* * *

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ١١).

(٢) في (ف): «عالمه». والخبر رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ١٦).

(١٠) ـ ﴿إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِذْ رَءَا نَارًا﴾: وذلك حين سار بأهله وكان ليلَ شتاء[١] فأظلم عليه، ورأى من بعيد ناراً.

وقوله تعالى: ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ﴾: أي: لزوجته ـ وهي صفورا بنت شعيب ـ ولمن كان معه، ويدل على أنه كان معه جمعٌ وقد خاطب الجمع.

قال وهب[٢]: كان معه أهلُه وولدُه وعبده.

وقيل: ولدت صفُّورا منه ولدين: جرشون وإيليعازاد[٣].

وقوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾: أي: أبصرتُ، والإنسان مشتقٌّ منه لأنه يُبصَر، والجنُّ من الاجتِنَان وهو الاستتار.

وقوله تعالى: ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ﴾: أي: شعلةِ نارٍ في طرفِ عودٍ أو قصبةٍ.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾: أي: عند النار هادياً إلى الطريق الذي ضللنا عنه.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: ألاح له النار حتى أخرجه من أهله لطلبها، وكان المراد إخراجَه من بينهم، فكان موسى يدنو والنارُ تتناءى ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ﴾

---

(١) في (ف): «وكانت ليلة شاتية»، وفي (ر): «وكانت ليلة شتاء».

(٢) «قال وهب» ليس من (ف).

(٣) في (أ): «جرشون وإيليعازاد امكثوا»، وفي (ر): «جرشون وإبليغازاد امكثوا»، وفي (ف): «جرسون وإبليغااراد امكثوا». والاسمين أثبتناهما من «تاريخ الطبري» (١/ ٢٣١)، وفي «البداية والنهاية» (٢/ ١٣١): (جرشون وعازر). وكلمة: «امكثوا» زائدة لا حاجة لها.

فقالوا: تتركنا والوادي مُسْبِعٌ[١]، فقال: لأجْلكم أفارقُكم ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ﴾[٢].

***

(١١ ـ ١٢) ـ ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾: قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو: ﴿أَنِّي﴾ بفتح الهمزة لوقوع النداء عليه، وقرأ الباقون بكسرها على الابتداء وجَعْلِ النداء كالقول[٣]؛ أي: ناداه ربُّه فأسمعه كلامه.

وقوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾؛ أي: مالكك ومدبِّرك ومصرِّفك على ما أريد.

وقوله تعالى: ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾: أي: انزِعْهما ﴿إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى﴾؛ أي: المطهَّرِ، وقيل: المبارك.

قيل: أمره بنزعهما لأنهما كانا من جلدِ حمار غيرِ مدبوغ، فنزَّه الواديَ المقدَّس عن ذلك.

وقيل: أمره بذلك ليباشر تلك التُّربة بقدميه فتصلَ إليه بركتها[٤].

وقيل: أمره بذلك تأدُّباً وتخشُّعاً وتواضعاً عند المناجاة.

---

(١) في (ر): «متسع».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٤٤٧).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٤١٧)، و«التيسير» (ص: ١٥٠)، وقراءة ابن عامر فيهما بكسر الهمزة كباقي السبعة.

(٤) في (ر): «وقيل أمره بذلك ليباشر تلك البرية بقدميه فيصل إليه بتركهما»، وليست العبارة في (أ). والمثبت من (ف) وهو الصواب، وهذا القول رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢٤) عن الحسن ومجاهد وابن أبي نجيح.

وقيل: بل أمره بذلك إعظاماً واحتراماً لذلك المقام؛ كما يؤمَر المرء بدخول الحرم حافياً إعظاماً له.

وقوله تعالى: ﴿طُوًى﴾ قال ابن عباس ومجاهد وابن زيد: هو اسم ذلك الوادي[١].

وقيل: هي أرض[٢].

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو بضم الطاء غير مجرًى، وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي بضم الطاء مجرًى[٣].

وروى أبو زيد عن أبي عمرو: (طِوى) بكسر الطاء[٤].

فمَن أجراها جعلها اسماً للوادي وهو مذكَّر، ومَن لم يُجْرِها جعلها اسماً للأرض وهي مؤنثةٌ، فإذا اجتمع التأنيث والتعريف امتَنع الصرف.

وقال القشيري رحمه الله: ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾؛ أي: فرِّغ قلبك عن ذكر الدارين.

وقيل: اخلع نعليك فإن بساط الحق لا يُوْطَأ بنعلين.

وقيل: ألقِ عصاك يا موسى واخلع نعليك وأقمْ عندنا هذه الليلةَ ولا تبرح.

وقيل: تنقَّ[٥] عن نوعي[٦] أفعالك، وانمحِ عن شهودِ جنسي أحوالك؛ من قُربٍ

---

(١) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢٨).

(٢) في (ف): «هي اسم أرض».

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٤١٧)، و«التيسير» (ص: ١٥٠). ويعني بالمجرى: المصروف؛ أي: المنون، وغير المجرى: الممنوع من الصرف؛ أي: غير منون.

(٤) ذكرها ابن مجاهد في «السبعة» (ص: ٤١٧)، وهي خلاف المشهور عن أبي عمرو.

(٥) في (ر): «تبق»، وفي «اللطائف»: (تبرأ).

(٦) في (أ): «عن ندى»، والمثبت من باقي النسخ و«اللطائف».

وبُعد، ووَصلٍ وفصل، وارتياحٍ واجتياح، وفناءٍ وبقاء، وكن بوصفنا قائماً بحقِّنا[١].

***

(١٣) ـ ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾: قرأ حمزة: ﴿وإنَّا اخترناك﴾ على الجمع؛ أي: اصطفيناك على الجميع، والباقون: ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ﴾[٢]؛ أي: اصطفيتُك للرسالة.

وقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾: أي: فأصغِ لِمَا أُوحيهِ إليك لتعرِفه وتحفظَه فتؤدِّيَه كما آمُرك به.

***

(١٤) ـ ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي﴾: وهو أولُ ما أُوحي إليه، يقول: لا يستحقُّ العبادة غيري فأفرِدْني بعبادتك.

وقوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾: أي: وحافِظْ بعد توحيدي على الصلاة مُقيماً لها بما هو مشروعٌ فيها من أفعالٍ وأقوال، ودلَّ أنه لا فريضة بعد التوحيد أعظم[٣] منها.

وقوله: ﴿لِذِكْرِيٓ﴾؛ أي: لتكون بها ذاكراً لي[٤]؛ أي: بالأذكار التي فيها، أو تُذكِّرك أفعالُها معاني تتقرب بها إليَّ، وتتذلَّل فيها لي.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٤٤٨).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤١٧)، و«التيسير» (ص: ١٥١).

(٣) في (ر) و(ف): «أقوى».

(٤) «لي» ليس من (أ).

وقيل[١]: ذاكراً لي ولعظمتي بقلبك غيرَ غافلٍ عني.

وقيل: لأذكُرَك وأمدحَك وأُثني عليك؛ كما يقال: زُرني لعطائي؛ أي: لأعطيك، وعلى هذا قالوا: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]؛ أي: ذكر الله للمصلِّي أكبرُ من ذكر المصلي لله تعالى.

وقيل أي: أقم الصلاة حين تذكُرها؛ أي: إذا نسيتَ صلاة لم تسقط عنك بالنسيان، بل إذا ذكرتَها فعليك قضاؤها.

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن نَسي صلاةً فليصلِّها إذا ذكرها، فإن الله عز وجل يقول: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾»[٢].

وقيل: ﴿لِذِكْرِيٓ﴾؛ أي: لأمري بها بقولي: ﴿فَٱعْبُدْنِى﴾.

* * *

(١٥) ـ ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾: أي: اعبُدني وصلِّ لي فإني أَجزيك بما يكون منك في يوم القيامة، وهي آتيةٌ لا محالة.

وقوله تعالى: ﴿لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ﴾: أي: بعملٍ إن خيراً فخيرٌ وإن شرًّا فشرٌّ، و﴿لِتُجْزَىٰ﴾ صلة قوله: ﴿ءَاتِيَةٌ﴾؛ أي: تأتي الساعة لجزاء الأعمال، واعترَض هاهنا كلام، وهو قوله تعالى:

﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾: و﴿أَكَادُ﴾ صلةٌ زائدة، وهو في الشعر كثيرٌ؛ قال أبو النَّجم:

---

(١) «وقيل» ليس من (ف).

(٢) روى نحوه البخاري (٥٩٧)، ومسلم (٦٨٤).

وإنْ أتــاكِ نعــيٌّ فاندُبيــه[١] أبــا قـد كاد يَضطلِعُ الأعـداءَ والخُطَبا[٢]

وهو للتحقيق.

وإن حمل على المقاربة ضعف المدح، وعلى هذا قوله: ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾؛ أي: لم يرها[٣].

وقيل: ﴿أَكَادُ﴾؛ أي: أريد، وهو تحقيق أيضاً لا مقاربة، قال الشاعر:

كادتْ وكِــدْتُ وتلــك خيــرُ إرادةٍ لـو عاد من لهـوِ الصَّبابة مـا مضَى[١]

ففسره بالإرادة، ودل على أنه هو المراد.

وقيل: ﴿أُخْفِيهَا﴾ من الأضداد للكتمان والإظهار؛ كالإسرار في قوله: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ﴾ [يونس: ٥٤]، فسَّروه بالمعنيين جميعاً.

وقد قرئ هاهنا: (أَخفيها) بنصب الهمزة[٢]، ومعناه: أُظهرها، يقال: خَفَى يَخْفِي خَفْياً ـ من حدِّ ضرب ـ؛ أي: أظهر، قال امرؤ القيس:

فــإنْ تَدفِنــوا الــدَّاء لا نَخْفــهِ وإنْ تَبعثــوا الحــربَ لا نقعــدُ[١]

---

(١) في (ر): «فابتديه»، والرواية في المصادر: (وإن أتاكَ نعيٌّ فاندبنَّ).

(٢) البيت في «تفسير الطبري» (١٦/ ٤٠)، و«الأضداد» لابن الأنباري (ص: ٩٧)، و«الزاهر» له (٢/ ٨٥). والمعنى كما ذكر الطبري: قد اضطلع الأعداء، وإلا لم يكن مدحاً إذا أراد كاد ولم يُرِدْ يفعل.

(٣) «أي: لم يرها» ليس من (أ).

(١) البيـت دون نسـبة فـي «معانـي القـرآن» للأخفـش (٢/ ٤٠٣)، و«تفسـير الطبـري» (١٦/ ٣٩)، و«الأضـداد» لابـن الأنبـاري (ص: ٩٧)، و«الصحـاح» (مـادة: كيـد).

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٠) عن سعيد بن جبير وأبي الدرداء.

(١) «ديوان امرئ القيس» (ص: ٨٧).

أنشدوه بإعرابين على معنيين.

ومعنى الآية على هذا: أكاد أُظهرها ليحذَرها الناس لقرب وقتها ودنوِّ إتيانها.

* * *

(١٦) ـ ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ﴾.

﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا﴾: أي: لا يردنَّك عن الساعة وذكرِها ﴿مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا﴾: أي: لا يصدِّق بها، فيهوِّنَ عليك أمرها، ويُبعِّدَ عليك شأنها.

وقوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾: أخبر أن التكذيب بها إنما هو من اتِّباع الهوى؛ لأن أصله مبني على استثقال الشرائع والإعراض عن النظر.

وقوله تعالى: ﴿فَتَرْدَىٰ﴾: أي: فتهلِكَ؛ أي: إن اتَّبعتَ قولَ هؤلاء هلكتَ.

وهذا خطاب لموسى عليه السلام والمراد به أمتُه[1]؛ كما قال[2] لنبيِّنا ﷺ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ﴾ [الزمر: ٦٥] والمرادُ به أمته، ولأن العصمة لا تزيل المحنةَ كما مرَّ شرحه.

* * *

(١٧) ـ ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾: أي: وما تلك التي بيمينك يا موسى، فحذف (التي)؛ كما قال الشاعر:

---

(١) لعل الأحسن أن يقال: والمراد به أمته حين خوطب به، ثم بعد إنزاله في القرآن صار المراد به كلَّ مؤمن.

(٢) في (ف): «أوحى».

عَـدَسْ مـا لعبَّـادٍ عليـكِ إمـارةٌ   نجَـوْتِ وهـذا تحمِلِيـنَ طليـقُ[١]

أي: وهذا الذي تحملين، وعدس زجرٌ للبغلة، وهو كقولك: أنت الرجل أحبُّك؛ أي: الرجل الذي أحبُّك.

وقيل: الحكمة في هذا السؤال بسطُه، فقد كانت الهيبة قبضَتْه.

وقالوا: إنما قال: ﴿بِيَمِينِكَ﴾ ولم يقل: بيدك؛ لأنه كان في يساره خاتم، فلو أَجمل لعَيِيَ في الجواب للاشتباه[٢].

* * *

(١٨) ـ ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا﴾: أي: أعتمِدُ عليها إذا مشيتُ وإذا وقفتُ لرعي الغنم.

وقوله تعالى: ﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي﴾: أي: أخبط ورق الشجر.

وفي الخبر: كان للعصا شعبتان، فإذا طالت الشجرة تناول غصنها بالشُّعبتين فلويها[٣].

---

(١) البيت ليزيد بن مفرغ الحميري. انظر: «الجمل في النحو» للخليل (ص: ١٨٠)، و«معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٧٧)، و«البغال» للجاحظ (ص: ٥٩)، و«الشعر والشعراء» (١/ ٣٥٢). وكان الشاعر هجا عباد بن زياد والي سجستان فسجنه، فأمر الخليفة معاوية رضي الله عنه فأطلق، وقدمت إليه بغلةٌ ليركبها.

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٤٤٨).

(٣) قوله: «فلويها» كذا في (أ) و(ر)، وسقطت من (ف). والصواب: فلواها، فقد ذكر الواحدي في «البسيط» (١٤/ ٣٨١) نحوه عن وهب، وفيه: فإذا طال الغصن حناه بالمحجن، وإذا أراد كسره لواه بالشعبتين.

وقوله تعالى: ﴿وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ﴾: أي: حوائجُ سوى ما ذكرتُ، وواحدة المآرب: مأربة، بفتح الراء وضمِّها وكسرها لغاتٌ، وكذا الإِرْب، والإِرْبة: الحاجة.

قال وهب: كانت له فيها ألفُ منفعةٍ: يضعها على عاتقه فيعلِّق بها رحلَه، ويَرْكُزها في البر ويجعل عليها كساءه فيستظلُّ بها، ويصل بها الرشاء للاستقاء(١)، ويدفع بها العدوَّ، ويطرد بها الذئب، ويقتل بها الحية، وكذا وكذا.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: من المآرب أنها كانت تماشيه وتحادثُه وتُؤْنِسه، وكانت شعبتاها تصيران بالليل المظلم كالشمعتين المضيئتين، وكانت تحارب عدوَّه إذا ظهر، وإذا أراد الاستقاء من البئر أدلاها وطالت على طول البئر وصارت شعبتاها كالدلو، وإذا اشتهى ثمرةً أركزها في الأرض فتغصَّنت وأورقت وأثمرت، وكذا كذا(٢).

فإن كان هذا بعد الوحي كانت معجزةً له، وإن كان قبل الوحي كانت كرامةً له.

وقيل: إنما زاد على الجواب رجاءَ أن يقول له: وما تلك المآرب؟ فينال زيادةَ أنسٍ وكرامة.

* * *

(١٩ ـ ٢٠) ـ ﴿قَالَ أَلۡقِهَا يَـٰمُوسَىٰ ۝١٩ فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ﴾.

---

(١) في (ف): «للاستسقاء». والرشاء: الحبل، وأرشى الدلو: جعل لها رشاء. انظر: «القاموس» (مادة: رشو).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٢٤٢)، والبغوي في «تفسيره» (٥/ ٢٦٩). وقال ابن كثير عند تفسير هذه الآية: والظاهر أنها لم تكن كذلك، ولو كانت كذلك لما استنكر موسى عليه السلام صيرورتها ثعباناً، فما كان يفر منها هارباً. ولكن كل ذلك من الأخبار الإسرائيلية.

وقولـه تعالـى: ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ۝١٩ فَأَلْقَىٰهَا﴾: قيـل: إنمـا أمـره بإلقائهـا لأنـه أضافهـا إلـى نفسـه بقولـه: ﴿عَصَايَ﴾؛ ليقطعـه عنهـا.

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾: أي: فقلَبها الله تعالى حيةً تمشي كما تمشي الحية، وأضمر هاهنا: ولَّى خائفاً، فقد ذكره في غير هذه الآية.

* * *

(٢١) ـ ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾.

﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾: قيل(١): أُمر أن يُدخل يده في فيها فيقبضَ عليها، ففعل، فصارت يده في الشعبتين اللتين كانتا في العصا.

وقولـه تعالـى: ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾: أي: سـنردُّها إلـى كونهـا عصـاً ـ والسيرة: الطريقة ـ فتنتفعُ بها بالاتكاء عليها والهشِّ بها.

فإن قيل: سماها جانًّا في قوله: ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ [النمل: ١٠]، والجان أصغر ما يكون من الحيات، وقال في آية أخرى: ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: ١٠٧] وهي أكبر الحيات، وقال في هذه الآية: ﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾.

قلنا: قال ابن عباس رضي الله عنهما: صارت أولاً جانًّا، ثم لا تزال تنمو حتى صارت ثعباناً(٢)، والحية اسم يقع على الكبير والصغير.

وقال القشيري رحمه الله: إن موسى استولت عليه الهيبةُ، فسكَّنها بقوله: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ فلو تُرك ما كان عليه(٣) لعله كان لا يبقى بل يتلاشى.

---

(١) «قيل» زيادة من (أ).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٢٤٢).

(٣) في (ف): «ترك بما كان».

ثم لمَّا قال: ﴿هِىَ عَصَاىَ﴾ وجعل يَعدُّ منافعها، قيل له: ﴿أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ﴾ فإنك بنعت التوحيد، وتقف على بساط التفريد، فكيف لك هذا؟ ومتى سلِم لك أن يكون لك معتمَدٌ تتوكأ عليه أو مستند تستند إليه؟

وقيل: أول قدم في الطريق تركُ كلِّ سبب، والتنقِّي عن كل طلب.

وقيل: التوحيد: التجريد، وعلامة صحته[1] سقوط الإضافات بأسرها، فلا جرَم لمَّا قال موسى: ﴿هِىَ عَصَاىَ﴾ أُمر بإلقائها.

وقيل: لمَّا باسطه الحق سبحانه بسماع كلامه أخذته أريحيَّةٌ بسماع الخطاب، فأجاب عما سئل وعما لم يُسأل وقال: ﴿وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾، وأعظم مأربةٍ لي فيها أنك قلتَ: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ﴾[2].

* * *

(٢٢) ـ ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾: قيل: أي: جيبك، قال الراجز:

أضمُّــه للصَّــدر والجَنــاح[3]

وقيل: إلى عضدك.

وقال أبو عبيدة: الجناحان: الناحيتان[4].

---

(١) في (ر) و(ف): «التوحيد من علاماته صحة».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٤٥٠ ـ ٤٥١).

(٣) الرجز في «مجاز القرآن» (٢/ ١٨)، و«تفسير الطبري» (١٦/ ٤٩)، و«غرائب التفسير» للكرماني (٢/ ٧١٦).

(٤) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ١٨).

وقال الخليل: يدا الإنسان جناحاه[١].

وقوله تعالى: ﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ﴾: أي: مضيئةً، قيل: كالثلج، وقيل: كالبرق.

وقوله تعالى: ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾: أي: آفةٍ؛ من البرص وغيره.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أدخلها ثم أخرجها فإذا هي تَبرُقُ مثلَ البرق، فخرُّوا على وجوههم[٢].

وقوله تعالى: ﴿ءَايَةً أُخْرَىٰ﴾: سوى معجزةِ العصا.

* * *

(٢٣) ـ ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى﴾.

قوله تعالى: ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى﴾: نعتَ الآيات على التوحيد؛ كقوله: ﴿وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾.

وقال أبو عبيدة: تقديره: لنريَك الكبرى من آياتنا؛ أي: لنريَك الآية الكبرى من جملة آياتنا، فهي نعت الواحدة على هذا[٣].

* * *

(٢٤) ـ ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾: أي: اذهب إليه لتدعوَه إلى الإيمان بي

---

(١) انظر: «العين» (٣/ ٨٤).

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦١/ ٥٢) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ [النمل: ١٢]، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٢٣٨) عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٨].

(٣) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ١٨).

وتركِ التجبُّر والتكبُّر والتمرُّد، إنه قد جاوز الحد في ذلك، وهو ما قال: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ الآية [القصص: ٤]، فدعا موسى بهذه الدعوات استعانةً من الله تعالى على القيام بما أمر به، وهو قوله:

* * *

(٢٥) ـ ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾.

﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾: أي: وسِّعه للقيام بهذا حتى أصبر على ما ينالني فيه فلا أضيقَ به صدراً؛ كما قال: ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي﴾ [الشعراء: ١٣].

وقيل: اجعل صدري واعياً لِمَا أوحيتَه إليَّ.

وقيل: أي: شجِّعني لاجترئ على مخاطبةِ فرعون بما تُحبّ.

* * *

(٢٦ ـ ٢٧) ـ ﴿وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي﴾: أي: سهِّله ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾ قيل: كانت به رُتَّةٌ[(١)] وانعقادٌ في اللسان بسبب الجمرة التي تناولها في طفولته عند فرعون على ما عُرف، قاله سعيد بن جبير ومجاهدٌ والسدِّي[(٢)].

وقيل: لا يجوز أن يقال هذا، فإنه يرجع إلى إثبات نقصٍ في خِلقة الأنبياء، لكن معناه: أن مخاطبة الخلق بعد مخاطبةِ الله تعالى مما يَشُقُّ على الإنسان ويَعقِد اللسان، فسأل معونة الله تعالى على إجراء لسانه بذلك.

---

(١) وهي عجلة في الكلام، وعن المبرِّد: هي كالرَّتْجِ تمنع الكلام. انظر: «المغرب في ترتيب المعرب» (باب الراء مع التاء الفوقانية) (ص: ١٨٢).

(٢) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٣ ـ ٥٤).

(٢٨ ـ ٣٢) ـ ﴿يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾.

وقولـه: ﴿يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾: جـزاء قولـه: ﴿وَاحْلُلْ﴾؛ أي: ليفهَمـوا قولـي ويعلمـوا بمـا أريـد به.

وقوله تعالى: ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا﴾: أي: مُعاوناً أستشيرُه في أموري وأتقوَّى به على أداء[1] ما أمرتَني به، والوزير من الوِزْر وهو الثِّقْل، فكأن الوزير يحمِل بعضَ ذلك عن صاحبه.

وقوله تعالى: ﴿مِّنْ أَهْلِي﴾: الوزير من الأهل يكونُ أتمَّ نُصحاً وأوفرَ شفقةً وأكمل عوناً.

وقوله تعالى: ﴿هَارُونَ﴾: نصبٌ لأنه ترجمة عن قوله: ﴿وَزِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَخِي﴾ لذلك، وكان موصوفاً باللِّين والتُّؤَدة وطَلاقة اللسان، فاعتضَد به واستعان.

وقوله تعالى: ﴿اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾: قرأ ابن عامر: ﴿اشْدُدْ﴾ بفتح الألف على الجزاء؛ أي: أنا أشدُد[2] بذلك ظهري، وكذلك قرأ هو: ﴿**وأُشْرِكْهُ في أَمْرِي**﴾ بضمِّ الألف على وجه الجزاء إخباراً عن نفسه، والباقون: ﴿أَشْدُد﴾ بضم الألف على وجه الدعاء ﴿وَأَشْرِكْهُ﴾ بفتح الألف على الدعاء أيضاً[3]؛ أي: اجعله يا ربِّ شريكاً لي في النبوة وقوِّ به ظهري.

---

(١) «أداء» ليس من (ف).

(٢) في (أ): «أشد».

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٤١٨)، و«التيسير» (ص: ١٥١).

(٣٣ ـ ٣٦) ـ ﴿كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا﴾: في الصلوات[١]؛ أي: لنجتمعَ للصلاة لك والتنزيه لك.

وقوله تعالى: ﴿وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾: أي: في الصلوات وخارجَها بالثناء والحمد.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾: أي: لم تزَل عالماً بنا مُريداً[٢] لمصالحنا، فإن كنتَ تعلم أنه أصلَحُ لي ولأخي فأعطِنا سؤلنا.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾: أي: أُعطيتَ سؤلَك؛ أي: مسؤولك[٣]، وعدَه بالإجابة.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: لمَّا كان وقتُ دعائه إلى فرعون سأل أن يَصحبه أخوه، ولمَّا ذهب لسماع كلام الله تعالى بعد مواعدةٍ[٤] أربعين ليلة أَخلفه في قومه؛ لأن المحبة توجب التجرُّد والانفراد، وليس للغير مع المحبِّ مساغ.

وقال في قوله: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾: أعطيناك ما سألتَ، وتناسيتَ ابتداءَ حالك حين حفظناك في اليم، ونجينا أمَّك من الغم، وربَّيناك في حِجر العدو، فأين كان سؤالك واختيارُك ودعاؤك[٥]؟

* * *

(١) «في الصلوات» ليس في (أ) و(ف).

(٢) في (ف): «تبادر» بدل: «بنا مريداً».

(٣) في (ر) و(ف): «أعطيتك سؤالك ومسؤولك».

(٤) في (أ): «فواعده»، بدل: «بعد مواعدة».

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٤٥٤).

(٣٧ ـ ٣٨) ـ ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ﴾: أي: منَنَّا عليك الآن بإيتائك سؤلَك، وقد سبقت منا[1] منن أخرى عليك، ثم فسَّرها فقال:

﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ﴾: أي: ألهمناها، قاله الحسن[2].

* * *

(٣٩) ـ ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ﴾: أي: ارميه، هذا هو اللغة، ومعناه: ضعيه فيه.

قوله تعالى: ﴿فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾: أي: البحر، وذلك حين كان فرعون لعنه الله يأمر بقتل الذكور من الولدان وخافت أمه عليه، فألهمها الله ذلك.

وقوله تعالى: ﴿فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾: صيغة أمر ومعناه الإخبار، وتقديره: يُلْقِه بالساحل؛ أي: بالشطِّ، واليمُّ: النِّيل، وهو كقوله: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ [العنكبوت: ١٢]؛ أي: نحملْ خطاياكم.

ومعناه: يسير به الماءُ على الجانب لا في وسطه فيغرقَ.

وقوله تعالى: ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾: قيل: مَن أخَذه من الماء مِن خدَم فرعون.

وقيل: هو فرعون؛ لأن حاصل أَخْذِه كان عنده.

---

(١) في (أ): «وقد سلفت لنا».

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٤١) عن ابن عباس، وقال: وروي عن الحسن.

وذكر محمد بن إسحاق: أن فرعون رأى التابوتَ في اليم فأَمر بأخذه[١]، فأضيف إليه لأمره به.

وقوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾: أي: أحببتُك وحبَّبتُك إلى عبادي.

قال قتادة: جعل ملاحةً في عين موسى ما رآه أحد إلا علِق بقلبه حبُّه[٢]. فكان ذلك سبباً لحبِّ امرأة فرعون له[٣]، وهو كما يقال: ألقى الله عليه جمالاً وألبسه حُسناً[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾: أي: لتربَّى على رؤيتي كما أُحبُّ، ومجازه: أن مَن صنع لإنسانٍ شيئاً وهو ينظر إليه صَنعه له كما يحب، ولا يتهيَّأ له خلافه، فقال تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾؛ أي: لتربَّى كما أريد كأنَّ الذين يربُّونك يرونني[٥].

وقيل: ﴿عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾؛ أي: على حفظي؛ أي: وأنت في حفظي.

وقال الخليل: يقال صنعتُ الفرس، وهو فرسٌ صنيع، وهو الذي أحسن أهلُه القيام عليه[٦]، وسيفٌ صنيع: قد أُحسن صقلُه[٧].

* * *

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٧).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٢٤٤).

(٣) «له» زيادة من (أ).

(٤) في (أ): «ألبسه الله جمالًا وألقى عليه حسناً».

(٥) في (ر) و(ف): «كأن الذي يربيك برؤيتي».

(٦) انظر: «العين» (١/ ٣٠٥).

(٧) انظر: «الصحاح» (مادة: صنع).

(٤٠) ـ ﴿ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ﴾: وكانت مشت لتتعرَّف حال موسى، ورأتهم يطلبون له مُرضعةً فقالت: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ﴾؛ أي: يَضمه إلى نفسه فيربِّيه، وأرادت بذلك المرضعةَ، وإنما ذكَّر الفعل للَفظ ﴿مَن﴾.

قوله تعالى ﴿فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ ﴾: أي: أجابوا أختَ موسى إلى ذلك واسترضَعوا أمَّ موسى له فرجع إليها، و(رجعناك) متعدٍّ هاهنا.

وقوله تعالى: ﴿كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا ﴾: برؤيتك ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ لفُرقتك.

وقوله تعالى: ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا﴾: بعد كِبَرك، وهو القِبْطي الذي استغاثه عليه السِّبْطي، فوكزه فقضى.

وقوله تعالى: ﴿فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ ﴾: أي: غمِّ قتلِه وخوفه.

﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ﴾: قيل: هو مصدر؛ أي: امتحنَّاك امتحاناً بذلك كلِّه.

وقيل: هو جمع؛ أي: ابتليناك ببليةٍ.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو ما سبق في هذه الآية.

وقال مجاهد: أخلصناك إخلاصاً[1].

وقيل: خلَّصناك تخليصاً، من قولهم: فتن الصائغ الذهبَ والفضة بالنار، والتخليص: التنجيَة، والإخلاص: التصفية.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٧٠ ـ ٧١).

وقوله تعالى: ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾: أي: خرجتَ إليها خائفاً وكنتَ عند شعيب سنين ـ قيل: عشرَ سنين ـ ترعى غنمه مهراً لصفُّورا بنت شعيب.

وقال وهبٌ: لبث بمدين ثمانٍ وعشرين سنة؛ عشرَ سنين مهراً لصفُّورا، وثماني عشرةَ سنة بعدها حتى ولد منها الأولاد.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ﴾: أي: انتهيتَ إلى الوقت الذي أردتُ انبعاثك فيه بالرسالة.

قال ابن كيسان: أي[1]: على رأس أربعين سنةً، وهو القَدْرُ الذي يُبعث فيه الأنبياء عليهم السلام.

* * *

(٤١) ـ ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾: أي: اختصَصْتُك لأمر أستكْفيكه.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: ﴿جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ﴾؛ أي: عدَدْنا أيام كونك في مدين، وكان أهل حضرتنا [من] الملائكة الذين عرفوا شرفك منتظِرين لك فجئتَ على قدَر[2].

قال: وذُكر أن فرعون لعنه الله كان يسمَّى: أبا موسى، ولم يكن بأبٍ[3] له، وكانت أمُّ موسى تسمى: ظئر موسى، وما كانت ظئراً له، فحيث كان الدعوى لم يكن معنى، وحيث كان المعنى لم يكن دعوى، هكذا كانت القصة[4].

---

(١) في (ف) و(أ): «أي».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٤٥٧)، وما بين معكوفتين منه.

(٣) في (ر): «بابن».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٤٥٥).

وقد بينا بعض قصة موسى في سورة الأعراف، ونذكر هاهنا بعض ما يتصل بهذه الآيات:

قال وهب: إن موسى لمَّا قضى الأجل الذي كان بينه وبين شعيب فوفَّاه عشرَ حججٍ[١] فصَل من أرض مدين مقبلاً يؤمُّ الشام ومع موسى امرأتُه وولده وعبدُه، فانطلق يسير في بريَّة الشام وأكبرُ[٢] همه طلبُ أخيه هارون وأختِه مريم وهما بمصر في مملكة فرعون، همُّه لقاؤهما والحيلةُ لخروجهما من مصر إن استطاع، فسار غيرَ عارف بالطريق غيرَ أنه يؤمُّ المغرب ويرى أنه الوجهُ[٣] إلى مصر، فلم يزل على ذلك حتى أنحاه السير[٤] إلى جانب الطور الغربي الأيمن في عشيةٍ شاتيةٍ شديدةِ البرد ذاتِ رياحٍ وأمطار وجليد، فنزل حين أمسى وجنَّه الليل واشتدَّ عليه الظلام والبرد والريح، وأخذ امرأتَه الطلقُ، فعمد إلى زندٍ له فقدحه فلم يُوْرِ شيئاً، فاجتهد فلم يزدَدْ إلا شحاحاً، فألقاه وجعل ينظر يميناً وشمالاً هل يسمع صوتاً، أو يرى أحداً قد اختلف على الرائي وأخطأ الطريق؟ فبينما هو كذلك إذ رأى ناراً غيرَ بعيد، فلما نظر إليها قال لأهله: ﴿ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾؛ أي: دلالةً على الطريق، فانطلق يؤمُّها فتتباعدُ عنه مرةً وتتقرَّب أخرى، فلما طال ذلك همَّ أن يرجع عنها فإذا ذكر الحاجة انطلق إليها، فلم يزَل كذلك حتى وصل إليها وما كاد، فإذا بنارٍ عظيمةٍ بيضاء ليس لها حَرٌّ[٥] ولا دخان، وهي على ذلك تعمل عمل

---

(١) في (ر): «سنين».

(٢) في (ف): «وأكثر».

(٣) في (ر): «يؤم المغرب ويروى أنه توجه».

(٤) في (أ): «ألجأه السير»، وفي (ر): «أنجاه النير».

(٥) بعدها في (ر) و(ف): «ولا برد».

النار، تتوقَّد في جوف شجرةٍ شديدةِ الخضرة، ولا تزداد النار إلا تضرُّماً ولا الشجرة إلا خضرة وحُسناً، فأعجبه ولم يَدْر ما يصنع، وظن أنها شجرة أَوقَد عليها مُوقِد فنالها الوقود، فوقف يطمع أن يسقط منها شيء فيقتبسَه، فلما طال ذلك عليه وخاف الضيعة عليه و[1]على أهله، جمع ضِغثاً من دقاق الحطب ثم أهوى به إليها ليقتبس من لهبها، فمالت إليه كأنها تريده فاستأخر عنها وهابها، ثم عاد إليها فلم يزل يطمع فيها ويدور حولها كلما همَّ بها أقبلت عليه كأنها تريده، ثم خمدت حتى كأنْ لم تكن، فتعجب من ذلك غاية التعجُّب، ووقف متحيراً لا يدري أيرجع أم يقيم، ونظر إلى أعلاها فإذا هي أشد ما كانت خضرةً، والأرض عليها شعاع منها كشعاع الشمس يكلُّ عنها البصر، فخر مرعوباً[2] لا يملك من نفسه شيئاً؛ إذ نودي: يا موسى، اخلع نعليك إنك بالوادي المقدس طُوى، وهو اسم للوادي، وكان نعلاه من جلد حمار ميت، فأسرع الإجابةَ وتابع التلبية: لبيك لبيك لبيك، استئناساً بالكلام، وسكن رعبه وقال: أسمع كلامك ولا أراك فأين أنت؟ قال: أنا فوقك وأمامك وخلفك ومحيط بك وأقرب إليك من نفسك، فلما سمع موسى هذه الصفة علم أنها لا تنبغي إلا لله، قال: كذلك أنت إلهي.

قال رحمه الله: هذا لا يراد به إثبات المكان والجهة، بل هو بيان إحاطة العلم وقرب الكرامة.

وقال الله جل جلاله له: ادن، فجمع يديه في العصا وتحامل به[3] حتى قام وما كاد، فأُرعدت فرائصُه، وانقطع لسانه، وانكسر قلبه، وفتَرت قوته، وصار كالميت

---

(١) «عليه و» ليس في (أ).

(٢) في (ر): «مذعوراً».

(٣) «به» زيادة من (أ).

إلا أن روح الحياة تجري فيه، وأراد أن يخطوَ فأرعشت قدماه، ثم أراد أن يدنو للمشي فلم يستطع، وأرسل الله ملكاً فشد[1] له ظهره وعضُديه، فزحف نحو الشجرة وهو خائف مكروب، فقال الله تعالى له: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ﴾ قال: وما تصنع بها؟ قال: ﴿أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾ قد علمتَها.

وفي التوراة بهذه الزيادة والمآرب ما عدَّدناها في تفسير الآية.

قال: ألقها، فظن موسى أنه يقول له: ارفضها ولا تخف، فتنغَّض بها[2] فألقاها على وجه الرفض خلفه، ثم سمع حسًّا فالتفت فإذا هو بها قد خلقها الله تعالى حيةً، وهي أعظم ثعبان نظر إليها الناس، أسودُ في مثل بدن البُختيِّ العظيم بل أهولُ منه، تدبُّ على أربع قوائم غلاظٍ شدادٍ قد صارت شعبتاها فمًا سعتُه اثنا عشر ذراعاً فيه أضراس وأنياب له صريف، وقد خُلق[3] المحجن له عرفاً، ولها عينان تلمعان كالبرق، تلفح منها ريح السَّموم، لا تُصيب شيئاً إلا أحرقته، فتمر بالصخرة العظيمة فتبتلعها، وللصخور في جوفها قعقعةٌ، وتمر بالشجرة العظيمة فتجتثُّها بنابها وتقضمها، وجعلت تسعى كأنها تطلب شيئاً تريد أن تأخذه، فذهب موسى على وجهه مُدْبراً ولم يعقِّب ولا يلوي على شيء، فعارضه ملَك فقال: أما[4] تستحي من ربك؟ يكلِّمك وتهرب منه، قال: إنما أهرب من الموت، قال: وهل يملك أحدٌ موتاً أو حياة دون الله تعالى؟ قال: لا، ورجع والحيةُ على حالها.

---

(١) في (أ): «يشد».

(٢) في (أ): «ارفضها ولا تتقص بها».

(٣) في (أ): «حلق».

(٤) في (ر): «ألا».

قال الله تعالى: ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ فلما أراد أن يتناولها لفَّ يده بثوبه من مخافتها، فقال الله تعالى: اكشف عن يدك ثم أدخلها بين أضراسها وأنيابها، فإن القدرة التي كوَّنتْها كما ترى هي تصرِفُ عنك ما تُحاذر منها، وتقيك شرور(١) خلقي، فكشف موسى عليه السلام عن يده ثم أدخلها بين لَحييها حتى وجد وخز أضراسها، فلما قبضها إليه تحولت عصاً كما كانت، ويده في موضعها المعتاد بين الشعبتين.

فقال الله تعالى له: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ [النمل: ١٢]؛ أي: من غيرِ برَصٍ، فأدخلها ثم أخرجها عليها نورٌ يلتهب ويكلُّ عنه البصر، فأنِس موسى وسكَن وذهب عنه الرعب، فقال الله تعالى له: اسمع قولي وارْعَ عهدي واحفظ وصيتي، فإني وقَفْتك(٢) اليوم موقفاً لا أجعل لأحد من خلقي سلطاناً عليك، ولا ينبغي لبشر من بعدك أن يقوم مقامك مني، قرَّبتك حتى سمعت كلامي.

وعلى موسى عليه السلام يومئذٍ جُبَّةٌ من صوفٍ ومِدْرعةٌ من صوفٍ وإزارٌ من صوفٍ وقلنسوةٌ من صوفٍ ونعلان، والله تعالى يكلِّمه ويَعهد إليه، ويقول له: انطلق برسالتي فإنك بعيني، وإن معك يدي وبصري(٣)، وإني ألبستك جبةً من سلطاني تستكملُ بها القوة في أمري، فأنت جند عظيم بعثتُك إلى خلقٍ ضعيف(٤) من خَلقي، بَطِر نعمتي وأمِن مكري، غرَّته الدنيا عني حتى جحد حقِّي وأنكر ربوبيتي وعُبِد دوني، وزعم أنه لا يَعرفني، وإني أحلف بي اليوم ـ وأيُّ شيء مثلي ـ أنْ لولا الحجةُ

(١) في (ر): «وتكفيك شر».

(٢) في (ر): «أوقفك».

(٣) في (ف) و(أ): «ونصرتي».

(٤) «ضعيف» زيادة من (أ).

والعدل اللَّذان وضعتُ بيني وبين خلقي لبطشتُ به بطشة جبارٍ يغضب لغضبه السماء والأرض والجبال والبحار، فإنْ أذنتُ للسماء حصَبَتْه، وإنْ أذنتُ للأرض ابتلعَتْه، وإنْ أذنتُ للجبال دمَّرته، وإنْ أذنتُ للبحار غرَّقته، ولكنه هان عليَّ وسقط من عيني وصغُر عندي، ووسِعه حِلمي، واستغنيتُ عن خَلقي، أنا الغنيُّ لا غنيَّ غيري، فبلِّغه رسالتي وادعُه إلى عبادتي وتوحيدي، وحذِّره نقمتي، وذكِّره بأيامي، وأخبره أنه لا يقوم شيء لغضبي، وقل له فيما بين ذلك قولاً ليِّناً لعله يتذكر أو يخشى، ولا يروعنَّك ما ألبستُه من لباس الدنيا، فإن ناصيته بيدي، وأَخْبِره أني أنا الغفور، والمغفرةُ[١] أسرعُ مني إلى الغضب والعقوبة.

وقل له: أجب ربك إنه واسع المغفرة، قد أمهلك منذ[٢] كذا وكذا، في كلها أنت مبارزٌ[٣] للمحاربة بصدِّ عباده عن سبيله، وهو يمطر عليك السماء، وينبت لك الأرض، وألبسك العافية لم تسقم ولم تهرم، ولم تفتقِر ولم تُغلب، ولو شاء لم يفعل لك ذلك[٤]، ولكنه ذو حِلم عظيم.

ثم لم يُسمعه شيئاً من ذلك سبعةَ أيام ولياليها وهو في ذلك المقام، ثم قيل له بعد سبعٍ: أجب ربك يا موسى فيما كلَّمك، ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ [طه: ٣٥]، ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٣٦] فجاهِدْه بنفسك وأخيك وأنتما محتسِبان[٥] بجهاده، فإني لو شئتُ أن آتيَه بجنودٍ لا

---

(١) في (أ): «وأخبره أني إلى العفو والمغفرة».

(٢) في (ف): «مذ»، وفي (ر): «مدة».

(٣) في (ر) و(ف): «مبارزه».

(٤) في (ف) و(أ): «لم يجعل بك ذلك فعله».

(٥) في (ف): «محسنان».

قِبَل له بها فعلتُ، ولكن ليعلمَ هذا العبد الضعيف الذي أعجبته نفسُه وجموعه أن الفئة القليلة ـ ولا قليل مني ـ تغلب الفئة الكثيرة بإذني، فلا يعجبنَّكما زينتُه ولا ما متِّع به، ولا تمدَّا إلى ذلك أعينكما فإنها زهرةُ الحياة الدنيا، ولو شئتُ لأزيِّنكما من الدنيا بزينةٍ يعلم فرعون لو يَنظر إليها أن مقدرته تعجز عن بعضِ ما أوتيتُما فعلتُ، ولكني أرغبُ بكما عن ذلك وأَزْويه عنكما، وكذلك أفعل بأوليائي، إني لَأَذُودهم عن نعمة الدنيا ورخائها[1] كما يذودُ الراعي الشفيقُ غنمه من مراعي الهلكة، وأجنِّبهم عن ذلك كما يجنِّب الراعي الشفيقُ إبله عن مَبارك الغرَّة، وما ذلك لهوانهم عليَّ، ولكن ليستكمِلوا كرامتي.

اعلم يا موسى أنه لم يتصنَّع لي المتصنِّعون بمثل الزهد في الدنيا، وأنه لم يتقرَّب إليَّ المتقربون بمثل الورع عما حرَّمت، وأنه لم يتعبَّد العابدون بمثل البكاء من خوفي.

قال وهب: فانطلق موسى إلى فرعون وشيَّعته الملائكة يصافحونه، وخلَّف موسى أهلَه في الموضع الذي تركهم فيه[2]، فلم يزالوا مقيمين حتى مرَّ بهم راعٍ من أهل مدين فعرفهم، فحملهم إلى شعيبٍ فمكثوا عنده حتى بلَغهم خبر موسى بعدما جاوز ببني إسرائيل البحر وغرق فرعون وقومه، فبعث بهم شعيب إلى موسى بمصر.

ثم مضى موسى صلوات الله عليه منطلقاً على وجهه لا علم له بالطريق، وليس معه زادٌ ولا حمولةٌ ولا صحبة ولا شيء إلا العصا، يظلُّ صائماً ويبيت طاوياً، يصيب من ثمار الأرض ومن الصيد شيئاً قليلاً، حتى ورد أرض مصر.

فأوحى الله تعالى إلى هارون عليه السلام يبشره به، ويخبره أنه قادم عليه وقد

---

(١) في (ر): «ورحابها»، وفي (ف): «ورجائها».

(٢) «فيه» ليست في (أ) و(ف).

جعله وزيراً له ورسولاً إلى فرعون وقومه، وإذا كان يومُ السبت لغُرةِ[١] ذي الحجة قبل طلوع الشمس، فأبكِرْ[٢] إلى شط النيل، فإنها الساعة التي تلتقي[٣] أنت وأخوك فيها.

فأقبل موسى في ذلك الوقت، وخرج هارون من عسكر بني إسرائيل، حتى التقيا على شط النيل، وذلك في يوم وِرْد الأُسْد للنيل[٤]، وكان لفرعون لعنه الله أُسْدٌ يحرسونه في غيضةٍ محيطة بالمدينة من حولها، وكانت تَرِدُ الماء غبًّا، فصادف موسى عليه السلام هارونَ يوم وِرْدها.

وكان فرعون في مدينةٍ حصينة عليها سبعون سوراً، بين كلِّ سورين رساتِقُ وأنهارٌ ومزارعُ واسعةٌ، في ربَض كلِّ سور سبعون ألفَ مقاتل، ومن دون المدينة غيضةٌ ملتفَّة غرسها فرعون وسقاها بالنيل ثم أسكنها الأُسد فتناسلت وكثرت، ثم جعلها جنوداً من جنوده يحرسونه، وجعل خلال الغيضة طرقًا، كلُّ طريق يفضي بمَن يسلكه[٥] إلى باب من أبواب المدينة معلومةٍ ليس لتلك الأبواب طرقٌ غيرُها، فمَن أخطأها وقع في الغيضة فأهلكته الأُسد، وكانت إذا وردت النيل ظلَّت عليه يومها ثم تَصْدُر ليلاً.

فالتقى موسى وهارون يوم وِردها، فمدَّت إليهما أعناقها ورؤوسَها، وأَشخصت أبصارها صغارِها وكبارها، وذعرت منهما ذعراً شديداً، فانهزمت نحو الغيضة يتلو بعضُها بعضاً وهي تَضْغو صغاء الثعالب، وتَعْوي عوي الكلاب، ونزع الله هيبتها

---

(١) أي: لأول، وفي (ر): «لعشر».

(٢) في (ف): «باكر».

(٣) في (ف): «تلتقيان».

(٤) في (ر) و(ف): «النيل».

(٥) في (ر) (ف): «كل طريق يمر بعض من يسلكه».

وأذهب زئيرها، وكان لها ساسةٌ يَسوسونها، فلما رأوا ذلك سُقِط في أيديهم ولم يشعروا من حيث أتوا، فانطلقا في تلك المسبعة حتى وصلا إلى باب المدينة الأعظم الذي هو أقربها إلى دار فرعون، فلما انتهيا إلى الباب وجدا حرَّاسه مشتغلين بشأن الأُسد، وذلك ليلة الاثنين الثالث من ذي الحجة، فأقاما عند الباب بقية العشر لا يمكنهما الدخول لمنع الحراس، وهم في كرب شديد بحالِ الأسد، وهما مقيمان وبهما جراءة وتهاون بهم، فكلمهما واحد منهم منتهراً وقال: ما هذه الجرأة؟! أما تدريان ببابِ مَن أنتما؟! فقال موسى: أعلم ذلك، ولو شئتَ أخبرناك مَن ربُّه، قال: مَن هو؟ قال موسى: إن هذا الباب وما دونه وما خلفه وأنا وأنت وفرعون وجميع أهل الأرض وأهل السماء عبيدٌ لرب العالمين صاغرين داخرين، وفرعون أصغر الصاغرين، ومَلَكةُ رب العالمين، فهاله ذلك، فذكر للآخرين فقالوا: هذا أعظم(١) من مُصيبتا في الأُسد، وما نظن ذلك إلا من جهتهما وسحرِهما، فرفعوا ذلك إلى مَن هو أكبرُ منهم وأقربُ إلى فرعون، وأَخبر بعضهم بعضاً حتى انتهى الخبر إلى فرعون، فدعا بهما فدخلا عليه، ثم القصةُ على ما مر في سورة الأعراف(٢).

***

(٤٢) ـ ﴿ ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ ﴾: أي: هارون ﴿بِـَٔايَٰتِي﴾؛ أي: بحجَجي وأدلَّتي؛ أي: معها.

---

(١) في (أ): «أعجب».

(٢) رواه بنحوه الإمام أحمد في «الزهد» (٣٤٢)، ومن طريقه ابن الجوزي في «التبصرة» (١/ ٢٢٢). وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٥٤) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتِم.

قال الكلبيُّ والضحاك: الآيات هي اليد والعصا[١]، وإنما جمع لأن الآية الواحدة علَمٌ على أمور كثيرة فتُجمع لأجلها، وإذا صح ذلك في الواحدة ففي الآيتين أولى.

وقيل: معناه: اذهبا فإني أُمدُّكما بآياتي بعد هذا، وهو كقول الملك لأميره: اذهب فإن جندي معك؛ أي: أُمِدُّك بهم إذا احتجتَ.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾: أي: لا تَفْتُرا ولا تضعُفا، وقد وَنِيَ يَنِي وَنْياً فهو وانٍ؛ أي: فَتَر[٢]، وتوانى في الأمر؛ أي: قصَّر.

وقوله تعالى: ﴿ذِكْرِي﴾ يحتمِل ذكرَهما جلالَ الله تعالى عند فرعون لعنه الله وقومِه، ودعاءَهم إلى توحيده.

ويحتمِل الوعظَ؛ أي: عِظاهم بوعظي.

ويحتمِل مواصلة ذكر الله تعالى والثناءِ عليه، فإن الله تعالى ناصرُ مَن ذكره.

ويحتمِل الذكر بالقلب، فإن ذلك يقوِّي العزيمة على الأمور.

* * *

(٤٣) ـ ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾.

وقوله تعالى: ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ﴾: في هذا التكرار بهذه الصيغة فائدةُ الاجتماع عند الذهاب إليه، والأول ـ وهو قوله: ﴿اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ﴾ ـ يحتمِل الاجتماع ويحتمِل الافتراق، ويحتمِل أن يكون الأولُ إلى الكل والثاني إلى فرعون على الخصوص.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ طَغَى﴾: فسَّرناه.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٢٨)، و«تفسير الثعلبي» (٦/ ٢٤٥).

(٢) «أي فتر» ليس في (أ).

(٤٤) ـ ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾: أي: ارْفُقا ولا تُغْلظا، فإن المترَفين إذا أُغلظ لهم في الوعظ ازدادوا عتوًّا وتكبُّراً.

وقوله تعالى: ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾: أي: على أرجى الوجوهِ للاتعاظ والخشية.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ يَخْشَىٰ﴾ بمعنى: ويخشى، وقد بيِّن في آية أخرى: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ [النازعات: ١٨ ـ ١٩] وهذا من القول الليِّن، وذكر هاهنا ما هو منه وهو قوله: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ الآية [طه: ٤٧].

وقوله تعالى: (لعل) ليس لخفاء حاله على الله جلَّ جلالُه، فإنه عالمٌ بما يكون وبما لا يكون أنه لو كان يكونُ كيف يكون، لكنْ أمرٌ لهما بالدعاء على الرجاء، وإذا كان الداعي راجياً فهو أحرص على الدعاء، وذلك أبلغ في إلزام الحجة.

وقال الحسين بن الفضل رحمه الله: هو على غير فرعون، ومعناه: لعله يتذكَّر متذكِّرٌ أو يخشى خاشٍ، وقد كان ذلك من كثيرٍ من الناس.

وقال أبو بكر الورَّاق: (لعل) من الله تعالى واجبٌ، وقد كان ذلك، لكن فعَل ذلك حين أدركه الغرق، فكان في حالة اليأس فلم ينفعه[(١)].

وقال السدِّي: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ ليِّناه فقولا له: يا أبا العباس[(٢)].

وقيل: قولا له: أيها الملك.

وقيل: معناه: والْطُفْ به يا موسى فإنه ربَّاك، ويسمَّى بذلك أباك، فأحسِنْ مراعاته وأتمِمْ مكافأته، ولا تواجهه بمكروه في أول قدومك عليه.

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٦/ ٢٤٥).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٦/ ٢٤٥)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٧٤) بلفظ: (كنياه).

وقال القشيري رحمه الله: هذا رفقُه بمن جحده، فكيف رفقُه بمن وحَّده؟ هذا رفقُه مع الكفار فكيف رفقه مع الأبرار[(١)]؟

وقال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله: إلهي هذا رفقُك بمن يقول: أنا ربكم الأعلى، فكيف رفقُك بمن سجد لك على التراب وقال: سبحان ربي الأعلى[(٢)].

* * *

(٤٥) ـ ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَا﴾: أي: قال موسى وهارون: ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾؛ أي: أن يَعْجَل علينا فرعون بعقوبةٍ، أو لا يسمعَ منا، أو لا يتركَنا نبلِّغه.

وقيل: ﴿يَفْرُطَ عَلَيْنَآ﴾: على موسى وهارون ﴿أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾: على بني إسرائيل.

وقيل: ﴿يَفْرُطَ﴾ بالضرب، ﴿أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ بالقتل.

* * *

(٤٦) ـ ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ﴾: أي: ناصرُكما ومعينُكما وحافظُكما، كما قال خَبَراً[(٣)]: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

وقوله تعالى: ﴿أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾: ما يجري بينكما من كلام أو فعل.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٤٥٩).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٦/ ٢٤٦)، ولفظه: (هذا رفقك بمن يقول: أنا الإله، فكيف رفقك بمن يقول: أنت الإله؟)

(٣) في (أ): «كما قال»، وفي (ر) و(ف): «قال خبراً».

وقيل[١]: أسمع إنْ فرط في القول، وأرى إن طغى[٢] في الفعل، فأمنع ذلك عنكما.

* * *

(٤٧) - ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَأْتِيَاهُ﴾: أي: فرعونَ ﴿فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ إليك ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾؛ أي: أطلِقْهم من الاستعباد، كما يقال: أرسلتُ الصيد.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾: بالاستعمال في الأعمال الشاقة، وكان يفعل ذلك.

وقوله تعالى: ﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ﴾: أي: معجزةٍ ظاهرة دالةٍ على صدق دعوانا أننا رسولاه.

وقوله تعالى: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾: أي: السلامةُ من المكاره والعقوبات في الدنيا والآخرة من الله تعالى إنما هو لمن اتَّبع هدى الله؛ أي: إرشادَه، فقَبِله وسلك طريقه، والسلام بمعنى السلامة، وهما كالرَّضاع والرَّضاعة، و﴿عَلَى مَنِ﴾ بمعنى: لمن.

* * *

(٤٨) - ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا﴾: أي: أوحَى الله تعالى إلينا؛ أي: أعلمَنا ﴿أَنَّ الْعَذَابَ﴾؛ أي: عذابَ الله الذي لا فتورَ له ولا انقطاع إنما هو ﴿عَلَى مَنْ كَذَّبَ﴾

---

(١) «وقيل» ليس من (ف).

(٢) في (ر): «فرط».

بآيات الله كتكذيبك بما جئنا به من الآيات ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾؛ أي: أعرض عن طاعة الله كإعراضك.

قال مقاتل: هذه الآية أرجى آيةٍ في القرآن: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ... أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾[1].

وقال القشيري رحمه الله: قوله: ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ﴾ دليلٌ على أنَّ الخوف الذي تقتضيه جِبلَّة الإنسان لا يلام صاحبه عليه.

قال: ولم يخافا على أنفسهما شفقةً عليهما، ولكنْ قالا: نخاف أن يحلَّ بنا مكروهٌ عن جهته فلا يحصلَ منا ما تأمرنا به من القيام بأمرك، فكان ذلك الخوف لحقِّ الله تعالى لا لحظِّ أنفسهما.

وقال: لم يخافا من فرعون ولكن خافا من تسليط الله تعالى إياه عليهما، ولكنهما راعَيَا آداب الخطاب.

وقال: تلطَّفا في استجلاب هذا الخطاب من الحقِّ سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ﴾، وإلا فأنَّى بالخوف لمن بعثه الله تعالى نبيًّا وقرَّبه نجيًّا[2].

* * *

(٤٩) ـ ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾: وفي الكلام إضمار: أنهما أتيا فرعون[3] فقالا له ما أمرهما الله تعالى أن يقولا.

وقيل: الإضمار عند قوله تعالى: ﴿فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ﴾ فأَتَياه فقالا له ذلك

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٦/ ٢٤٦) وعزاه لبعض التفاسير.

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٤٦٠).

(٣) في (ف): «أنهما أنبأا فرعون».

وقالا أيضاً: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ إلى آخره، فقال فرعون: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾ حين قالا له: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ﴾.

وقال: ﴿يَٰمُوسَىٰ﴾ مقتصراً عليه لأنه علم أن الرياسة[1] لموسى، وهو كقول القائل: مَن ربُّ هذا العالَم يا فلان.

* * *

(٥٠) ـ ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾.

﴿قَالَ﴾: أي: قال موسى مجيباً له حيث خاطبه فرعون على الخصوص: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾.

قال مجاهد رحمه الله: أعطى كلَّ شيءٍ حيٍّ[2] صورتَه التي خلقَها له؛ أي: قدَّرها له، ثم هداه إلى مطعمه ومشربه ومسكنه ومنكحه وضروبِ هدايته.

وقال الحسن: هدَى كلَّ شيء لِمَا يُصلحه.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ﴾؛ أي: مِثْلَه ونظيرَه في مثل خِلْقته وهيئته، فإناثُ كلِّ جنسٍ من الحيوانات نظيرُ ذكورها، و﴿أَعْطَىٰ﴾ بمعنى: مكَّنه منه[3].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾: ثم أَلهم ما به التناسلُ والنماءُ والاغتذاءُ وأسبابُ البقاء إلى حين الفناء[4].

---

(١) في (أ): «الرسالة».

(٢) في (ر) و(ف): «أعطى كل حي».

(٣) روى هذه الأخبار بنحوها الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٧٩ ـ ٨٠)، والواحدي في «البسيط» (١٤/ ٤١٤).

(٤) في (ف) و(أ): «القضاء».

وقال الضحاك: أعطى اليدَ البطش، والرجلَ المشي[1]، واللسان النطق، والعين البصر، والأذن السمع[2].

وقال سعيد بن جبير: هدى الذَّكَر لإتيان الأنثى من كلِّ جنس[3].

وقيل: ﴿خَلْقَهُۥ﴾؛ أي: جوارحَه وآلاته ومعاونه التي خلقها له[4]، ثم هداه لاستعمالها في مواضعها حتى تمَّ له المعاش بها، ويقال: فلانٌ حسن الخلقة؛ أي حسنُ الجوارح والتركيب.

وقيل: فيه تقديم وتأخير؛ أي: أعطى خلقَه كلَّ شيء؛ أي: أعطى مخلوقيهِ كلَّ نِعَم الدنيا ثم دلَّهم على توحيده.

* * *

(٥١ ـ ٥٢) ـ ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ۝٥١ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾: أي: قال فرعون معترِضاً على موسى: ما بال القرون الأولى عبدوا غيرَ ربك وسلكوا غيرَ طريقك؟ وهو اعتراضٌ فاسد وتقليدٌ بغير حجة.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾: قال موسى: علمُ تلك القرون عند ربي؛ أي: شركُ أولئك وكفرُهم ليس يخفَى على ربي بل هو عالمٌ بهم.

---

(١) في (ر): «السعي».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٢٤٧).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٢٤٧) عن سعيد بن جبير وابن عباس، ورواه بنحوه عن ابن عباس الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٧٩ ـ ٨٠).

(٤) «له» زيادة من (أ).

وقوله تعالى: ﴿فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾: أي: أثبتَ ذلك في كتابٍ عنده يَنشره يوم القيامة، ويُثبت ذلك عليهم ويَجزيهم عليه.

وقيل: اعترَض على قوله: ﴿أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ قال: فما بال القرون الأولى وقد كذَّبوا وتولَّوا؟ قال: معاصيهم محفوظةٌ عنده فسيجزيهم بها ويعذِّبهم عليها.

وقوله: ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي﴾؛ أي: الكتاب[1] ﴿وَلَا يَنسَى﴾؛ أي: ما فيه.

وقيل: أي: ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي﴾ عن علم الأشياء؛ أي: لا يعدِلُ عنها ﴿وَلَا يَنسَى﴾ ما عَلِم؛ أي: لا يذهبُ عن ذكره.

وقيل: ﴿لَا يَضِلُّ﴾: لا يخطئ ﴿وَلَا يَنسَى﴾: لا يترك.

وقيل: لا يخطى في سعادة الناس وشقاوتهم، ولا ينسى ثوابهم وعقابهم.

وقيل: لا يخطئ في القضاء[2] والقِسمة، ولا ينسى في المدة والمهلة.

وقيل لا يخطئ في الأقوال والأفعال، ولا ينسى الأرزاق والآجال.

* * *

(٥٣) ـ ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى﴾.

وقوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾[3]: قرأ عاصم وحمزة والكسائي: ﴿مَهْدًا﴾ بغير ألفٍ، وقرأ الباقون: ﴿مِهاداً﴾[4]، وهما لغتان كالفَرْش والفِرَاش.

---

(١) «أي: الكتاب» ليس من (ف).

(٢) في (ر): «العطاء».

(٣) في (ر) و(ف): «مهاداً».

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٤١٨)، و«التيسير» (ص: ١٥١).

وقيل: المهد في الأصل مصدرٌ، والمهادُ اسم.

وهذا صفةُ الأول: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ﴾ ولعله كان شَرَع في هذا الكلام، فقطَع عليه فرعون بهذا الاعتراض، فأجابه ثم عاد إلى تتميم الكلام الأول.

ويجوز أن يتمَّ الكلام الأول ثم يكون هذا تقريراً لقوله: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾ لأنه هو ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدًا﴾ الآية، ومَن هذا صفتُه فإنه لا يضلُّ ولا ينسى؛ أي: ربي هو الذي جعل لكم الأرض موضعَ قرار كالمهد[1] الذي يُنام فيه[2] ويُستقرُّ عليه، والمهادِ الذي يُجلس عليه ويُستقر عليه، وقد وصفها الله تعالى بكونها فراشاً وبساطاً وقراراً.

وقوله تعالى: ﴿وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلًا﴾: أي: وجعل لكم فيها طرقاً، والمسلَك: الطريق، والسلوك: الدخول، والسَّلْك: الإدخال، وتقديره: وطرَّق لكم فيها طرقاً تدخلونها وتَمضون فيها إلى مقاصدكم في حوائجكم.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾: وهو المطر الذي يكون به الزرعُ والثمار ﴿فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ﴾ صرف الكلام من المغايبة إلى الإخبار عن نفسه وهو من أقسام البلاغة.

وقيل: تَم كلام موسى، ثم هذا مما أخبر الله تعالى به وصلاً بكلام موسى.

وقيل: هذا كلام موسى: فأخرجنا نحن بالحراثة والغرس ذلك.

وقوله: ﴿بِهِۦٓ﴾؛ أي: بالماء ﴿أَزۡوَٰجًا﴾؛ أي: ألواناً وأصنافاً ﴿مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ﴾؛ أي: مختلفةِ المناظر والطُّعوم والأرائح مع اتحاد الماء والتربة، وذلك دلالةٌ على قدرة الله تعالى على ما يشاء.

---

(١) في (ر): «مواضعَ قرار؛ أي: مواضع فراش كالمهد».

(٢) في (ر) و(ف): «عليه».

(٥٤) ـ ﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى﴾.

وقوله تعالى: ﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ﴾: أمرٌ بمعنى الإخبار؛ أي: لتأكلوا منها أنتم وتَرعوا أنعامكم منها(١)، وهذا كقوله: ﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ [النازعات: ٣٣]: اللباب لكم والقشور لأنعامكم.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى﴾: أي: العقولِ؛ جمع نُهْيةٍ؛ لأنها تَنْهَى عن القبيح، ولأنها يُنتهى إليها في إمضاء الأمور.

وخصَّ بكونها آياتِ أهل(٢) النهى لأنهم أهل التفكُّر والاعتبار والتدبُّر.

وهذا كلُّه احتجاج من موسى على فرعون في إثبات الصانع جواباً لقوله: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا﴾.

* * *

(٥٥) ـ ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾.

وقوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ﴾: وهذا بناء على قوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾ على قولِ مَن جعله خبراً من الله عن نفسه، فإن جُعل ذلك خبراً من موسى فهذه الآية ابتداءُ الإخبار من الله تعالى عن نفسه.

﴿مِنْهَا﴾؛ أي: من الأرض ﴿خَلَقْنَاكُمْ﴾؛ أي: خلقنا أباكم آدمَ من تراب، وفي الخبر: أن ملَك الأرحام يصنع(٣) النطفة على كفِّه، ويجعل فيها تربةً من موضع قبره، فإذا مات دُفن في موضعِ رفعِ تلك التربة(٤).

---

(١) في (ف): «وتزرعوا منها لأنعامكم».

(٢) في (ر) (ف): «أولي».

(٣) في (ف): «يضع».

(٤) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (١/ ٢٦٧)، وأبو نعيم ـ كما في «تفسير القرطبي» =

﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾: إذا متُّم فدُفنتم ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ﴾؛ أي: ومن الأرض نبعثكم يوم القيامة ﴿تَارَةً أُخْرَىٰ﴾؛ أي: كما خلقناكم أول مرة منها.

* * *

(٥٦ ـ ٥٧) ـ ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ۝٥٦ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ﴾: أي: فرعونَ ﴿ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا﴾ يجوز أن يكون هذا خبراً عن الآية التي أَراها إياه أولَ ما أراهُ من قلب العصا حيةً، وهي وإن كانت واحدةً فهي تدلُّ على ما يدلُّ عليه كلُّ الآيات، فهي في المعنى ككلِّ[1] الآيات، وتكذيبُها تكذيبُ كلِّها.

وقيل: كلُّ الآيات: إيجاد المعدوم وإعدام الموجود، وقد اجتمع في العصا وقلبِها حيةً وإعادتها إلى حالتها الأولى كلُّ ذلك معنًى.

وقيل: أراد به كلَّ الآيات التي كانت لموسى، وهي في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ [الإسراء: ١٠١] وقد أراها كلَّها له آياتٍ في كلِّ المدة من حين أتاه إلى حين[2] أغرقه الله تعالى في البحر، والآية إشارة إلى ذلك.

وقوله تعالى: ﴿فَكَذَّبَ﴾: أي: لم يصدِّق بالآيات ﴿وَأَبَىٰ﴾ الانقياد لها ﴿قَالَ﴾؛ أي: فرعون: ﴿أَجِئْتَنَا﴾ يا موسى استفهام بمعنى التوبيخ.

= (٨/ ٣١٨ ـ ٣١٩) ـ عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً. ورواه عبد بن حميد وابن المنذر ـ كما في «الدر المنثور» (٥/ ٥٨٤) ـ عن عطاء الخراساني.

(١) في (ر): «لكل».

(٢) في (ف): «أن».

وقوله تعالى: ﴿لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا﴾: أي: أرضِ مصر ﴿بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾؛ أي: بتخييلك وتسميةِ الآيات لتخدعهم بها، فيجتمعون معك[١] على محاربتنا وإخراجنا من أرضنا، وهذا لا يتمُّ لك ولا ندعُك تفعله.

* * *

(٥٨) ـ ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ﴾: أي: فلَنعارضنَّك بسحرٍ مثلِ سحرك ليتبيَّن للناس أن ما أتيتَ به ليس من عند الله حيث أَمكنَنا معارضتُه.

وقوله تعالى: ﴿فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾: أي: نتواعدُ يوماً نلتقي فيه لإبراز ما تدَّعي أنت أنه معجزةٌ، وإبراز ما أذكُر أنه معارَضةٌ منا.

وقوله تعالى: ﴿لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ﴾: أي: الوعدَ ﴿مَكَانًا سُوًى﴾ قال قتادة والسدي: أي: عدلاً بيننا وبينك.

وقيل: مستوياً يتبيَّن للناس ما بيننا[٢] فيه، قاله ابن زيد[٣].

وقرأ ابن عامر وحمزةُ وعاصمٌ بضم السين، والباقون بكسرها[٤]، وهما لغتان.

و﴿مَكَانًا﴾ ترجمةٌ عن ﴿مَوْعِدًا﴾، وقيل: معناه: أي: بمكان.

وقال الحسين بن الفضل: هذا غاية عجزه وحمقه، حيث[٥] ادعى الربوبية ثم لم

(١) في (أ): «لك».

(٢) في (ف) و(أ): «بينا».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٩٠).

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٤١٨)، و«التيسير» (ص: ١٥١).

(٥) «حيث» زيادة من (أ).

يمكِنْه أن يقول: لاستأصلنَّك ولأريقنَّ دمك، بل قال: لأجمعن سحرةً يعارضونك بالتمويه والتخييل.

* * *

(٥٩) ـ ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾.

وقوله: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ﴾: أي: قال موسى: الوقت الموعود ـ أي: الأجل المضروب ـ يومُ الزينة، وهو يومٌ معروف كان لهم يتزيَّنون فيه.

قيل: كان يومَ عاشوراء، وقيل: كان يومَ النيروز[1]، وقيل: كان يومَ سوقٍ لهم.

وقوله تعالى: ﴿وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾: أي: يُخْرِجُهم يومُ العيد إلى الخروج، فكأنهم حُشروا فيه، لا أنَّ حاشراً حشرهم.

وقيل: بل اتَّفقوا على أنْ يَحشر لهم حاشرٌ لئلا يتخلَّف أحدٌ، وخصَّ الضحى لأن النهار حينئذ أضوأُ، فيكون الناس فيه أبصرَ، وللمُخْرَجات أَبْيَنَ.

وقيل: أرادوا أن الأمر قد يمتدُّ فيما بينهم فيتَّسعُ الوقت لأمرهم وإن طال.

* * *

(٦٠) ـ ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ﴾: قيل: أعرض عن قبول الحق الذي أتى به موسى.

وقيل: عن كل أمر إلا هذا.

وقيل: ترك ما كان فيه، وقصَد فجمع أمره.

---

(١) في (ف): «النوروز».

وقولـه تعالـى: ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ﴾: أي: سـحرَتَه المختاليـن[١]، مصـدر بمعنى النعـت للجمع.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتَىٰ﴾: أي: أتى للموعد مع سحرته.

وقيل: (جمع كيده)؛ أي: مكرَه؛ أي: هيَّأ أسبابه.

* * *

(٦١) ـ ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ﴾: أي: لفرعون وسحرته: ﴿وَيْلَكُمْ﴾؛ أي: وعيداً لكم[٢].

وقوله تعالى: ﴿لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بإضافتكم إليه أنه أقدَرَكم على إحداث الأعيان وقلبِها بما تخيِّلونه.

وقولـه تعالـى: ﴿فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ﴾: قـال قتـادة وابـن زيـد والسُّـدي: أي: يستأصلَكم[٣].

وفي قراءة حمزة والكسائي وعاصم في روايةِ حفص بضم الياء وكسر الحاء من أَسْحَتَ، والباقون بفتح الياء والحاء من سحت[٤]، وهما لغتان.

---

(١) في (ر): «المحتالين».

(٢) في (أ): «وعيداً» وفي (ر): «وعيد لكم»، وفي (ف): «وَعَدَ لكم».

(٣) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٩٤)، ورواه أيضا عن ابن عباس بلفظ: (فيهلككم)، وهكذا لفظ السدي أيضاً.

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٤١٩)، و«التيسير» (ص: ١٥١).

وقوله تعالى: ﴿خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾: أي: حُرم خيرَ الآخرة مَن كذَب على الله.

(٦٢ ـ ٦٣) ـ ﴿فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَىٰ ۝٦٢ قَالُوٓاْ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾: أي: فتشاوروا؛ كما قال: ﴿إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾ [الكهف: ٢١]، وهو أخذُ بعضهم القول من بعضٍ، كقوله تعالى: ﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾ [الطور: ٢٣] هو أخذ بعضهم الكأس من بعض.

وقوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَىٰ﴾: أخفَوا ذلك التشاوُرَ بحيث لم يسمعه موسى وهارون وقالوا في ذلك: ﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ قاله السدي: أن النجوى ما ذُكر بعده.

وقال قتادة: قالوا: إن كان هذا ساحراً فإنا سنغلبه[1]، وإن كان[2] من السماء كما زعم فسترون[3].

وقال وهب: النجوى أنهم لمَّا سمعوا قوله: ﴿لَا تَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾ قالوا: ما هذا بقول ساحر[4].

وقوله تعالى: ﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ قرأ أبو عمرو: ﴿إِنَّ﴾ بالتشديد ﴿هذينِ﴾ بالياء، وهو الظاهر من لغة أكثر[5] العرب، قالوا: إن مذهبه أن يترك ﴿هَٰذَٰنِ﴾ في المصحف كما كتب بالألف وإذا قرأ قرأ بالياء، كما روي عن عثمان رضي الله عنه

---

(١) في (أ): «فإنا سنقتله»، وفي (ر) و(ف): «فسنغلبه»، والمثبت من «تفسير الطبري».

(٢) في (ف) و(أ): «يك».

(٣) في «تفسير الطبري»: (وإن كان من السماء فله أمر).

(٤) روى هذه الأقوال الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٩٥ ـ ٩٧).

(٥) في (أ): «أهل».

أنه لما[١] نظر في المصحف قال: أَرى فيه لحناً وستُقِيمُه العرب بألسنتها[٢].

---

(١) «لما» ليست في (أ) و(ف).

(٢) رواه ابن أبي داود في «المصاحف» (ص: ١٢١ و١٢٢)، وجاء عنده في رواية بلفظ: (... شيئاً من لحن...).

وقد تكلم كثير من العلماء على هذا الخبر سنداً ومتناً، وعلى رأسهم الباقلاني في «الانتصار للقرآن» (٢/ ٥٣٢) وما بعدها، فأطال في تفنيده ورده من حيث المتن والسند، ثم قال في توجيهه على فرض صحته: (إنهُ يمكنُ ـ إن كانت هذه الرِّواية صحيحةً ـ أن يكونَ عثمانُ أرادَ بقوله: «أرى فيه لحناً وستقيمه العربُ بألسنتِها»، أن فيه لحناً في لغةِ بعضِ العربِ وعلى مذهَب قبيلةٍ منهم لا يتكلمونَ بتلك الكلماتِ على الوَجهِ الذي أُثبِتَ في المصحف، وأن من لَم يألف الكلامَ بتلك الحروفِ على ذلكَ الوجهِ اعتقدَ أنه لحن وأنه لا يُقرأ به).

وللآلوسي رحمه الله كلامٌ حسنٌ في رده وبيان حقيقته، حيث قال في «روح المعاني» (١/ ١٦١): وأما قول عثمان: «إن في القرآن لحناً... إلخ» فهو مشكل جدًّا؛ إذ كيف يُظن بالصحابة ـ أولاً ـ اللحن في الكلام فضلاً عن القرآن وهم هم؟ ثم كيف يظن بهم ـ ثانياً ـ اجتماعهم على الخطأ وكتابته؟ ثم كيف يظن بهم ـ ثالثاً ـ عدم التنبه والرجوع؟ ثم كيف يظن بعثمان عدم تغييره؟ وكيف يتركه لتقيمه العرب؟ وإذا كان الذين تولوا جمعه لم يقيموه وهم الخيار فكيف يقيمه غيرهم؟ فلعمري إن هذا مما يستحيل عقلاً وشرعاً وعادة. فالحق أَنَّ ذلك لا يصح عن عثمان، والخبر ضعيف مضطرب منقطع. وقد أجابوا عنه بأجوبة لا أراها تقابل مؤنة نقلها، والذي أراه أن رواة هذا الخبر سمعوا شيئاً ولم يتقنوه فحرَّفوه، فلزم الإشكالُ وحلُّ الداء العضال، وهو ما روي بالسند عن عبد الله بن عبد الأعلى قال: لما فُرِغ من المصحف أُتي به عثمان فنظر فيه فقال: «أحسنتم وأجملتم، أرى شيئاً سنقيمه بألسنتنا»، وهذا لا إشكال فيه؛ لأنه عُرض عليه عقيب الفراغ من كتابته فرأى فيه ما كتب على غير لسان قريش، ثم وفى بذلك عند العرض والتقويم ولم يترك فيه شيئاً، ولا أحسبك في مرية من ذلك. اهـ.

قلت: وهذا أكثره مأخوذ عن السيوطي في «الإتقان» (٢/ ٣٢٢)، وفيه من الزيادة ما له ارتباط بما ذكره المؤلف أعلاه وردٌّ عليه، وهو قوله نقلاً عن ابن الأنباري: ومن زعم أن عثمان أراد بقوله: «أرى فيه لحناً»: أرى في خطه لحناً إذا أقمناه بألسنتنا كان لحن الخط غير مفسد ولا محرف من جهة تحريف =

قال: فأنا أترك المكتوبَ كما تركه هو، وأُقِيمه كما أخبر به.

وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائيُّ وعاصم في رواية أبي بكر: ﴿إِنَّ﴾ بالتشديد ﴿هَٰذَٰنِ﴾ بالألف والتخفيف[1]، وقرأ عاصم في رواية حفص: ﴿إِنْ﴾ بالتخفيف ﴿هَٰذَٰنِ﴾ بالألف والتخفيف، وقرأ ابن كثير: ﴿إِنْ﴾ بالتخفيف و﴿هـذانِّ﴾ بالألف والتشديد[2].

= الألفاظ وإفساد الإعراب، فقد أبطل ولم يصب؛ لأن الخط منبئ عن النطق فمَن لحن في كَتْبه فهو لاحن في نطقه، ولم يكن عثمان ليؤخر فساداً في هجاء ألفاظ القرآن من جهةِ كَتْبٍ ولا نطق، ومعلوم أنه كان مواصلاً لدرس القرآن متقناً لألفاظه موافقاً على ما رسم في المصاحف المنفذة إلى الأمصار والنواحي، ثم أيد (يعني ابن الأنباري) ذلك بما أخرجه أبو عبيد قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن عبد الله بن مبارك: حدثنا أبو وائل شيخ من أهل اليمن، عن هانئ البربري مولى عثمان قال: كنت عند عثمان وهم يعرضون المصاحف، فأرسلني بكتف شاة إلى أبي بن كعب فيها: (لم يتسن) وفيها: (لا تبديل للخلق) وفيها: (فأمهل الكافرين)، قال: فدعا بالدواة فمحا أحد اللامين فكتب: ﴿لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠] ومحى (فأمهل) وكتب: ﴿فَمَهِّلِ﴾ [الطارق: ١٧]، وكتب: ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ [البقرة: ٢٥٩] ألحق فيها الهاء، قال ابن الأنباري: فكيف يُدَّعَى عليه أنه رأى فساداً فأمضاه، وهو يُوقَف على ما كُتب، ويُرفع الخلاف إليه الواقع من الناسخين ليحكم بالحق ويلزمهم إثبات الصواب وتخليده؟!. اهـ.

أما قراءة أبي عمرو هنا فقال السمين في «الدر المصون» (٨/ ٦٤): (واضحةٌ من حيث الإِعرابُ والمعنى... ولكنهم استشكلُوها من حيث خطُّ المصحف؛ وذلك أنَّ رَسْمَه «هذن» بدونِ ألفٍ ولا ياءٍ، فإثباتُه بالياء زيادةٌ على خطِّ المصحف، قال أبو عبيد: رأيتُها في الإِمام مصحفِ عثمان: «هذن» ليس فيها ألفٌ. وقال أبو إسحاق: لا أُجيز قراءةَ أبي عمرو لأنَّها خلافُ المصحفِ).

قلت: وأبو إسحاق هو الزجاج، وكلامه في «معاني القرآن» (٣/ ٢٦٤)، وقد تعقبه الآلوسي في «روح المعاني» (١٦/ ٣٧٤) بقوله: (وليس بشيء؛ لأنه مشترك الإلزام، ولو سلم فكم في القراءات ما خالف رسمه القياس مع أن حذف الألف ليس على القياس أيضاً).

(١) في (أ): «والتشديد»، وسقطت من (ر) و(ف)، والصواب المثبت.

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤١٩)، و«التيسير» (ص: ١٥١).

فمَن قرأ ﴿إِنْ﴾ بالتخفيف فمعناه: (ما)؛ أي: ما هذان لساحران؛ أي: إلا ساحران[1].

وتشديد ﴿هذانِّ﴾ من قراءة[2] ابن كثير للفرق بين الأسماء المتمكِّنة وغيرِ المتمكنة في التثنية.

فأما تشديد ﴿إِنَّ﴾ والألف في ﴿هَٰذَٰنِ﴾ وهو المكتوب في المصاحف[3] وعليه أكثر القراء، فله وجوه:

أحدها: أنه على لغة كنانةَ وبني الحارث بن كَعب: أنهم يجعلون التثنية بالألف على كلِّ حال، فيقولون: جاءني الرجلان، و: رأيت الرجلان، و: مررت بالرجلان؛ قال شاعرهم:

فأَطْرَقَ إطراقَ الشجاعِ ولو يَرَى ... مساغاً لناباه[1] الشجاعُ لصمَّما[2]

---

(١) قوله: «إلا ساحران» يعني: أن اللام على هذا الوجه ـ الذي تكون فيه (إن) نافية بمعنى (ما) ـ تكون بمعنى: (إلا) وهو قول الكوفيين، قال السمين في «الدر المصون» (٨/ ٦٤): أمَّا الكوفيون فيزعمون أنَّ (إنْ) نافيةٌ بمعنى (ما)، واللامُ بمعنى (إلاَّ)، وهو خلافٌ مشهورٌ، وقد وافقَ تخريجُهم هنا قراءةَ بعضِهم: (ما هذانِ إلا ساحران).

(٢) «قراءة» من (ف).

(٣) كذا قال، وقد تقدم عن أبي عبيد أنها في الإمام: (هذن) بغير ألف، وكذا ذكر الداني في «المقنع في رسم المصاحف» (ص: ٢٤).

(١) في (أ): «لباباه»، وفي (ر): «لناتاه»، وفي (ف): «لناناه»، والصواب المثبت.

(٢) البيت للمتلمس بن عبد المسيح الضبعي، كما في «العين» (٧/ ٩٢)، و«الأصمعيات» (ص: ٢٤٦)، و«الشعر والشعراء» لابن قتيبة (١/ ١٧٨)، و«تهذيب اللغة» (١٢/ ٩٠)، ونسبه ابن السيد في «الحلل» (ص: ٢٨٥) لعمرو بن شأس الأسدي، ودون نسبة في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٨٤). ورواية الخليل والأصمعي: (لنابيه).

وقيل: تقديره: إنه هذان، فلم يعمل في ﴿هَٰذَٰنِ﴾.

وقيل: ﴿إِنَّ﴾ بمعنى: نعم، وفي بعض الآثار: لعن الله ناقةً حملتْني إليك، فقال له: إنَّ وصاحبَها؛ أي: نعم، قال الشاعر:

بكر العـواذلُ في الصبـا ... ح يَـلُـمْـنَـنـي وألومُهنَّهْ

ويَقُلْنَ شـيـبٌ قـد عـلا ... كَ وقد كبرتَ فقلتُ إنهْ[1]

أي: نعم.

وعلى هذين القولين اللام في ﴿لَسَٰحِرَٰنِ﴾ لام قسمٍ تأكيداً للخبر.

وقوله تعالى: ﴿يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا﴾: هو كما قال فرعون: ﴿أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ﴾ [طه: ٥٧] وقد فسَّرناه.

وقوله تعالى: ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ﴾: أي: ويَصْرِفا وجوه السادات من قومكم والأشرافِ من أهل أرضكم إلى أنفسِهما[2] فيذهبا بهم؛ أي: يُميلاهم إلى أنفسهما، فهمَّتُهما الرياسة، وهو كقولهم: ﴿أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: ٧٨].

قـال الفـرَّاء: تقول العـرب: هؤلاء طريقـةُ قومهـم، وطرائق قومهم، قـال تعالى

---

(١) البيت لعبيد الله بن قيس الرقيات، وهو في «ديوانه» (ص: ٦٦)، و«الكتاب» (٣/ ١٥١)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٣١)، و«اللمع» لابن جني (ص: ٤٣). وفي المصادر عدا الديوان: (في الصبوح)، ورواية الديوان:

بكرت علي عواذلي يلحينني وألومهنه

(٢) في (ف): «نفسهما».

خبراً عنهم: ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ [الجن: ١١] ويقولون في الواحد: هذا طريقةُ قومه، ونظيرةُ قومه، وجمعه: الطرائق والنظائر(١).

و﴿ٱلْمُثْلَىٰ﴾: تأنيث الأمثل، وهو الأفضل، والطريقةُ مؤنثةٌ لفظاً فلذلك أُنِّث نعتها.

وقيل: معناه: أنهم يقولون: أرسل معنا بني إسرائيل، وليسا يريدان به تخليصَهم عن الاستعباد، بل يريدان أن يخرجاهم من بينكم فيتكثَّرا بهم، وإنما سمَّوهم الأشراف مع أنهم كانوا يستعبدونهم؛ لشرفهم بالانتساب إلى الأنبياء.

وقيل: أرادوا به: ويذهبا بدينكم المختار، من قولهم: فلان حسن الطريقة؛ أي: المذهب، وهو كقول فرعون: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ [غافر: ٢٦]، والأمثل على هذا هو الأصح، من قولهم تماثل المريض؛ أي: صحَّ.

* * *

(٦٤) ـ ﴿فَأَجْمِعُواْ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُواْ صَفًّاۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَأَجْمِعُواْ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُواْ صَفًّا﴾: قرأ أبو عمرو: ﴿فاجمَعُوا﴾ بألف الوصل من(٢) الجمع، وهو كما مر: ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ﴾ [طه: ٦٠]، وقرأ الباقون بقطع الألف من الإجماع وهو العزم(٣)، قال الشاعر:

يا ليتَ شِعري والمنَى لا يَنفعُ … هل أغدُوَنْ يوماً وأمري مُجمَع(٤)

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٨٥).

(٢) في (أ): «مع».

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٤١٩)، و«التيسير» (ص: ١٥٢).

(٤) البيت دون نسبة في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٨٥)، و«تفسير الطبري» (١٢/ ٢٣١)، و«الأضداد» =

ومعنى الأول: لا تدَعوا من كيدكم شيئاً إلا جئتُم به، ومعنى الثاني: فأَحْكِموا احتيالكم حتى لا يتبيَّنَ لِمَا يفعله موسى[1] فضلٌ على ما تفعلونه.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا﴾: قيل: أي: صفًّا واحداً لإلقاء حبالكم وعصيِّكم، فهو أهولُ وأهيَب.

وقيل: بل معناه: صفوفاً، فقد كان فيهم كثرةٌ؛ أي: صفًّا صفًّا.

وقيل: ﴿صَفًّا﴾؛ أي: موضعاً قد تواعَدوه كمصلَّى العيد للمؤمنين.

وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ﴾: أي: غلَب، فاجتهِدوا أن تستَعْلُوا ـ أي[2]: تَغلِبوا ـ فتُفلحوا؛ أي: فتفوزوا بما تَرْجونه من الزينة والعزِّ عند فرعون وقومه، فقد كانوا قالوا: ﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ [الشعراء: ٤٢] فيحتمِل أنهم أرادوا بالإفلاح الأجرَ والقربة.

***

(٦٥ ـ ٦٦) ـ ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾.

﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ﴾: أي: منَّا، وهذا على وجه الاقتدار عند أنفسهم.

وقيل: بل كان للاحترام، فنالهم بركتُه.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟﴾: أي: أنتم مبتدِئون فسترون، فكان وعيداً على السحر لا أمراً به.

= لابن الأنباري (ص: ٤١)، و«الصحاح» (مادة: جمع).

(١) في (ف): «بما يفعله» بدل: «لما يفعله موسى».

(٢) في (ر): «أو»، وفي (ف): «أن».

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ﴾: وهاهنا مضمر؛ أي: فألقوا فإذا حبالُهم وعِصِيُّهُم.

﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ﴾: من الخيال؛ أي: يمثَّل عنده ﴿مِن سِحْرِهِمْ﴾؛ أي: احتيالهم وتمويههم ﴿أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ سعيَ الحيات.

و﴿يُخَيَّلُ﴾ بالياء التي هي للتذكير؛ لكونه فعلَ السعي، فإن تقديره: يخيل إليه سعيها، أو: كونُها ساعيةً.

***

(٦٧) ـ ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً﴾: قيل: أَحسَّ ووَجد، وقيل: أَضمَر.

وقوله: ﴿فِي نَفْسِهِۦ﴾ الكنايةُ ترجع إلى ﴿مُّوسَىٰ﴾ وقد ذكر بعده، وهو في الظاهر سبقُ الكناية على المكنيِّ، لكن قوله: ﴿فَأَوْجَسَ﴾ فعل وهو دال على الفاعل فكان مراداً مثبتاً(١) معنًى على التقديم وإن تأخَّر نظماً.

قيل: كان خوفَ طبيعةٍ، والعاقل قد يخاف طبعاً عند رؤية الأشياء الفظيعة في أول وهلة، ثم يتأمَّل فيسكن.

وقيل: لم يخف موسى أن يغلبوه، لكنْ لمَّا شاهَد الكثرة خاف أن يظنَّ بعض الناس أن الغلبة لهم، فأمَّنه الله تعالى عن ذلك بقوله تعالى: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾.

وقيل: كان لا يُلقي العصا إلا بوحي، ولمَّا أبطأ الوحي خاف تفرُّقَ بعض الناس قبل أن يؤمر بالإلقاء فلا يَعلم بغلبته كلُّ الناس.

***

---

(١) في (ف): «فكان مراد مبين»، وفي (ر): «فكان مراد مبيناً».

(٦٨) ـ ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾: أي: العالي، كما قال الشاعر:

فتلك طريقٌ لستُ فيها بأوحَدِ[١]

أي: بوحيد، فإنه لم يكن في السحر علوٌّ حتى يكونَ هو أعلى منهم.

وقيل: بل كانوا يَعْلون على الذين لا يعلمون السحر عند الناس، فتبيَّن أنه هو الأعلى، وأنه[٢] الغالب لا المغلوب.

* * *

(٦٩) ـ ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾: وهو العصا، ﴿تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟﴾ قرأ ابن عامر بالتشديد ورفعِ الآخِر[٣] نعتاً له لا جزاءً[٤]، وقرأ عاصم في رواية حفصٍ بالتخفيف وجزمِ الآخِر على الجزاء[٥]، وقرأ الباقون بالتشديد والجزم[٦]؛ أي: تلتقم وتبتلع ما عملوا من الحبال والعصي.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ﴾: قرأ حمزة والكسائي: ﴿كَيْدُ سِحْرٍ﴾، وقرأ

---

(١) نسب لطرفة في «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٣٠١)، و«تفسير الطبري» (٢٤/ ٤٧٨)، ونسبه ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٤/ ٣٣٥) للشافعي، و(٥/ ٤٩٢) لطرفة.

(٢) في (أ) و(ف): «وأنت».

(٣) بعدها في (أ) و(ف): «على التكلف».

(٤) في (ر): «لا خبراً»، والمراد بالنعت الحال والله أعلم.

(٥) «وقرأ عاصم في رواية حفص بالتخفيف وجزم الآخر على الجزاء» ليس من (ف).

(٦) انظر: «السبعة» (ص: ٤٢٠)، و«التيسير» (ص: ١١٢ و١٥٢). وقراءة ابن عامر هي من رواية ابن ذكوان عنه.

الباقون: ﴿كَيْدُ سَـٰحِرٍ﴾[1]؛ أي: لا حقيقة له وهو تخييلٌ.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾: لا نفاذَ لِمَا يفعله، ولا فوز له بما يأمله.

﴿حَيْثُ أَتَىٰ﴾ قيل: أي: حيث كان؛ لأن الذهاب والإتيان يعبَّر بهما عن الكون، يقال: أينما ذهبت فأنت محروم أين كنتَ.

* * *

(٧٠) ـ ﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَـٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾: ها هنا مضمرٌ؛ أي: ألقى موسى عصاه فتلقَّفَتْها ﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾؛ أي: فوقعوا لله ساجدين.

قال الأخفش: من سرعةِ ما سجدوا كأنهم أُلقوا، يعني: علموا أنه ليس بسحر بل هو معجزة، فآمنوا بالله وسجدوا لله.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَـٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾ الذي أرسلهما، فكان إيماناً بالله ورسولَيه.

* * *

(٧١ ـ ٧٢) ـ ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَـٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾: أنكر عليهم إيمانهم توهُّماً أنه بلغ في سلطانه ونفاذ أمره المبلغَ الذي لا يجب أن يُعتقد دينٌ إلا بإذنه، وهذا غاية جهله وعظمته عند نفسه.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٢١)، و«التيسير» (ص: ١٥٢).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾: أي: لرئيسُكم الذي علَّمكم السحر.

﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾: التقطيع: تكثيرُ القَطع وتكريره، والخلاف: أن تكون اليد اليمنى مع الرِّجل اليسرى، ظنَّه تشديداً فوقع تخفيفاً.

وقوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾: أي: على جذوعها تشهيراً لعقوبتكم، وخصَّ النخل لطول جذوعها، ويشبَّه المفرِطُ الطولِ بالنخلة السَّحوق.

وقوله تعالى: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ (٧١) قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ﴾: أي: لن نختارك ولن نُؤْثِر رضاك.

وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: من الشواهد البيِّنة أن موسى عليه السلام نبيُّهُ.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى فَطَرَنَا﴾: وعلى الذي فطرنا؛ أي: خلقَنا وأعطانا العقل الذي ميَّزْنا به بين السحر والمعجزة.

وقيل: ﴿وَٱلَّذِى فَطَرَنَا﴾ قسَمٌ؛ أي: وحقِّ الذي خلقَنا.

﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾: أي فاصنَعْ ما أنت صانعٌ، وأَمْضِ ما أنت مُمْضٍ، قال تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ﴾ [فصلت: ١٢]؛ أي: صنعَهن، وقضى الأمر؛ أي: أمضاه، ومعناه: وإن صنعتَ ما صنعتَ فلسنا براجعِين.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ﴾: أي: كلُّ ما تصنعُه وتمضيه بسلطانك اليوم فإنما تصنعه في هذه الحياة الدنيا، وهو مُنْقضٍ زائلٌ، ونحن نَمضي إلى النعيم الباقي الدائم.

* * *

(٧٣) - ﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا﴾: أي: بالكفر والسحر وسائر المعاصي.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ﴾: عطفٌ على ﴿خَطَٰيَٰنَا﴾ ولهذا الإكراهِ وجهان:

أحدهما: ما قاله الحسن: إن دعوة السلطان إكراه؛ لأنهم لو تُركوا لم يأتوه[1]، أشار إلى قوله: ﴿وَأَرْسِلْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١١] فكان حشرُهم إكراهاً لهم.

والثاني: ما قال ابن عباس رضي الله عنهما، قال: غلمانٌ له كان دفَعَهم إلى السَّحَرة ليعلِّموهم السحر[2]، فلم يكن إكراهاً على عين الفعل ليزول بهم الإثم، وإنما كان الإكراه في الأصل وكانوا مختارين في الفعل فكان ذنباً فَرَجَوا مغفرتَه بالإيمان.

﴿وَٱللَّهُ خَيْرٌ﴾: ثواباً لمن آمن به وأطاعه[3] ﴿وَأَبْقَىٰٓ﴾ عقاباً لمن عصاه، وهو ردُّ قول فرعون: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾.

وقيل: ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ يرجعان إلى الثواب.

وقيل: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرٌ﴾ منك ﴿وَأَبْقَىٰٓ﴾ سلطاناً منك.

***

---

(١) لم أجده عن الحسن، وذكره الرازي في «تفسيره» (٢٢/ ٧٨) عن عمرو بن عبيد دون قوله: (لأنهم لو تركوا لم يأتوه). وتعقبه بقوله: وهذا ضعيف؛ لأن دعوة السلطان إذا لم يكن معها خوف لم تكن إكراهاً.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ١١٨).

(٣) في (أ): «لمن أطاعه».

(٧٤) ـ ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا﴾: أي: وافَى القيامةَ مشركاً ﴿فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ﴾؛ أي: فإن جزاءه جهنمُ يُدخَل فيها ويعذَّب بها ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾: لا يموت فيستريحَ ولا يحيى حياةً ينتفعُ بها.

* * *

(٧٥) ـ ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: أي: ومَن وافى القيامة وقد عمل الصالحات بعد الإيمان ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ﴾ عند الله ﴿ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾.

* * *

(٧٦) ـ ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾.

ثم فسَّرها فقال: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾: أي: إقامةٍ لا خروج عنها ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾: من تحت قصورها وأشجارها المياهُ في الأنهار ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ دائمين فيها.

وقوله تعالى: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾: أي: تَطهَّر من المعاصي وتشرَّب[1] بالطاعات.

قيل: انتهى كلام السحرة عند قوله: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ وما بعده ابتداءُ كلام من الله تعالى.

وقيل: كلُّه كلام السحرة، وإنما علموا هذا مع قُرب عهدهم بالإيمان إمَّا لسماعهم موسى كأنه حين دعاهم إلى الإيمان أخبرهم هذا، وإمَّا من بعض بني

(١) في (ر) و(ف): «وشرف».

إسرائيل فيما كانوا يخبِرون به مِن كلامِ مَن سلَف من الأنبياء، وقد مرت قصة موسى مع السحرة في سورة الأعراف بفوائدها.

* * *

(٧٧) ـ ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ﴾: أي: أوحينا إليه بعد أن تابَعْنا الآيات إلى فرعون فلم يزدَدْ إلا عتوًّا ﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى﴾؛ أي: أن أَخْرِج بني إسرائيل ليلاً ﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا﴾؛ أي: اتَّخِذْ لهم طريقاً يابساً في البحر بضربِكَ البحرَ بعصاك، فينفلق فيصير فيه طرقٌ لقومك لكلِّ سبطٍ طريق.

وقوله تعالى: ﴿لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا﴾: فيه وأنت آمِنٌ من أن يدركك فرعون ﴿وَلَا تَخْشَىٰ﴾ غرقاً، وقرأ حمزةُ: ﴿لا تَخَفْ دَرَكاً﴾ مجزوماً على النهي، ثم قوله: ﴿وَلَا تَخْشَىٰ﴾ على الاستئناف[1]؛ كما قال تعالى: ﴿يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ بالجزم ثم قال: ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ [الحشر: ١٢] فرَفع.

ولو قيل: ﴿وَلَا تَخْشَىٰ﴾ على قراءته مجزومٌ[2] أيضاً على النهي[3] بطريقين:

أحدهما: أن الألف بعد الشين للإشباع.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٢١)، و«التيسير» (ص: ١٥٢).

(٢) في (ر) و(ف): «مجزوماً».

(٣) بعدها في (ر) و(ف): «جاز»، وهو جواب «لو» على ما في هاتين النسختين، أما على ما أثبتناه من (أ) فالجواب سيأتي في آخر الكلام كما سننبه عليه إن شاء الله.

والثاني: أن بعضَ العرب لا يحذفُ حرفَ العلة للجزم؛ قال الشاعر:

هُــزِّي إليــك الجــذعَ يجنيــكِ الجنَــى[(١)]

لاستقام[(٢)].

(٧٨) ـ ﴿ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ ﴾: أي: فسَرى بهم فأَتْبعهم فرعون؛ أي: لحِقَهم ﴿بِجُنُودِهِۦ ﴾؛ أي: كاد يلحقُهم.

وقوله تعالى: ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾: أي: فأتاهم منه ما أتاهم.

وقيل: غطَّاهم منه ما غطَّاهم، وهو عبارةٌ عن تعظيمِ الأمر، يقال: أصاب فلاناً ما أصابه، ويقال: إن كان فلانٌ عصى[(٣)] فقد جرى عليه ما جرى، وهو قريبٌ من قولهم: فلانٌ ما فلان، ونظيره في القرآن: ﴿ٱلْحَاقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَاقَّةُ﴾ و: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴾، وهذا بيان أنه ليس بكلامٍ مجمَلٍ لا يفهم.

وقيل: هو إشارة إلى ما ذكر قبل نزول هذه الآيات في مواضع أُخر من بيان قصتهم[(٤)]، أنهم غرقوا وغشيهم ماء البحر، فهذه إشارةٌ إلى أنه أصابهم ما بينَّاه في

---

(١) الرجز في «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٦١) و(٢/ ١٨٧)، و«تفسير الطبري» (١٦/ ١٢٢)، و«البسيط» للواحدي (١٤/ ٤٧٥). قال الفراء: وأنشدني بعض بني حنيفة، فذكره، وقبله:

قــال لهــا مــن تحتهــا ومــا استوى

(٢) «لاستقام» من (أ)، وهي جواب «لو» في قوله: «ولو قيل: ﴿وَلَا تَخْشَىٰ ﴾...».

(٣) في (ف): «يعصي»، وفي (ر): «يقضي».

(٤) في (أ): «في موضع آخر من بيان قصصهم».

مواضع أُخر قبل هذا، ويكون هذا إذكاراً للتفصيل المتقدم، وقد بينَّا هذه القصة أيضاً في سورة الأعراف(١).

* * *

(٧٩) ـ ﴿ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ ﴾: أي: عدَل بهم عن سبيل الرشاد ﴿وَمَا هَدَىٰ ﴾؛ أي: ما هداهم إلى الحق؛ أي: ما أرشدهم.

وقيل: هذا إشارةٌ إلى قوله: ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾ [غافر: ٢٩]، فقلَّدوا فرعون في ذلك فضلوا.

وقيل: ﴿وَمَا هَدَىٰ ﴾ تقريرُ قوله: ﴿ وَأَضَلَّ ﴾.

* * *

(٨٠) ـ ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ ﴾: ثم بعد ما أنجاهم من فرعون وقومه، وغرق أولئك(٢)، وأنعم عليهم في التِّيه بما أنعم، ذكَّرهم آلاءه وحثَّهم على شكرها، فقال: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾؛ أي: أولادَ يعقوب ﴿قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ ﴾ فرعونَ.

وقيل: منه ومن قومه، ويكون العدوُّ جمعاً بمعنى الأعداء، كما قال: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ ﴾ [المنافقون: ٤].

---

(١) في (ف): «وشاهد القصة أيضاً في سورة البقرة» بدل: «وقد بينا هذه القصة...».

(٢) في (ر): «وغرق فرعون وقومه» وليست العبارة في (ف).

وقوله تعالى: ﴿وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ﴾[1]: قرأ أبو عمرو وأهلُ البصرة وأبو جعفرٍ: ﴿ووعَدْناكم﴾، وقرأ حمزة والكسائي وخلف: ﴿أنجيتكم﴾ ﴿ووعدتكم﴾ وقرأ الباقون: ﴿أَنجَيۡنَٰكُم﴾ ﴿وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ﴾: وهو حين أُمر موسى عليه السلام باختيار سبعين رجلاً يحضرون معه الطورَ لنزول التوراة، و﴿ٱلۡأَيۡمَنَ﴾ نصبٌ لأنه نعتُ قوله: ﴿جَانِبَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ﴾: أي: في التِّيه.

***

(٨١) ـ ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾: أي: لذائذه، فقد كانا كذلك.

وقيل: كلوا من حلالاته، فقد كانا ينزلان لم يَجْرِ عليهما يدُ إنسان تَثْبُتُ به حرمةٌ أو شبهة.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ﴾: قيل: لا يظلمْ بعضُكم بعضاً فنأخذَه من صاحبه[3].

وقيل: لا تأخذوا منه فوق الحاجة.

وقيل: لا تأخذوا فوق قُوتِ اليوم.

---

(١) في (ف): «ووعدناكم».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٢٢)، و«التيسير» (ص: ٧٣ و١٥٢)، و«النشر» (٢/ ٣٢١). وقراءة يعقوب من العشرة كقراءة أبي عمرو وأبي جعفر.

(٣) في (ف): «فيأخذ من مباحه».

وقيل: لا تدَّخروا لغدٍ، إلا ما نزل يومَ الجمعة فإنه كان يُدَّخر منه لغدٍ، فإنه ما كان[(١)] ينزل ذلك يوم السبت.

وروي أنهم وجدوا ذلك يوماً أسمن وأحلى من كلِّ يوم، فادخروا لغدٍ ففسَد كلُّه، قال رسول الله ﷺ: «لولا بنو إسرائيل ما دوَّد طعامٌ ولا خَنَز لحمٌ»[(٢)] يعني به هذا.

وقيل: لا تحرِّموا طيبات ما أحلَلْتُ لكم فإنه طغيانٌ كاستحلالِ الحرام.

وقيل: الطغيان كفران هذه النعمة.

وقوله تعالى: ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى﴾: قرأ الكسائي بضم الحاء، ﴿ومن يَحْلُلْ﴾ بضم اللام؛ أي: ينزل، وقرأ الباقون بالكسر[(٣)]؛ أي: يجب، وهو وعيدٌ على الطغيان.

قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ﴾: أي: هلك.

وقيل: أي: سقط في النار، والأول من الثاني، فإن أصله السقوطُ من عُلوٍ إلى أسفلَ من غير شيء يمسكه في مَهْواه ولا يتخلص منها، وهو كقوله: ﴿إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾ [الليل: ١١] في المعنيين.

***

(٨٢) ـ ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ﴾: أي: كثيرُ المغفرة؛ أي[(٤)]: أُتْبع الوعيدَ الوعدَ، وعلى ذلك أكثرُ آيات القرآن؛ ليكون العبدُ بين الخوف والرجاء.

---

(١) في (ف): «فإنه كان لا».

(٢) رواه مسلم (١٤٧٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «لولا بنو إسرائيلَ لم يَخْبُثِ الطعامُ ولم يَخْنَزِ اللحمُ، ولولا حوَّاءُ لم تَخُنْ أُنثى زوجَها الدَّهرَ». قوله: (يخنز) بفتح النون وكسرها: تغير وأنتن.

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٤٢٢)، و«التيسير» (ص: ١٥٢).

(٤) قوله: «أي: كثير المغفرة أي» ليس في (أ).

﴿لِمَن تَابَ﴾: قال: ابن عباس رضي الله عنهما: لمن تاب من الشرك ﴿وَءَامَنَ﴾؛ أي: وحَّد ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾: وأدى فرائضه ﴿ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ﴾: لم يشكَّ[1].

وقال قتادة: ﴿تَابَ﴾ من الذنوب ﴿وَءَامَنَ﴾؛ أي: دام على ذلك ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾: أخلص ﴿ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ﴾ لزم الإسلام حتى يموت[2].

وقال أبو فضيل[3] الأشعريُّ: ﴿ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ﴾: للسنَّة والجماعة[4].

وقال الضحاك: ثم استقام[5].

وقال في رواية: ﴿ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ﴾ لكتاب الله وسنَّة رسوله.

وقال ابن زيد: عَلِمَ كيف يعمل[6]؛ أي: عمل على وفق العلم.

وقيل: ثم عَلِم أن له ثواباً على عمله، وروي هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما[7].

وقال القشيري رحمه الله: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ﴾: كثير المغفرة بقليل التوبة ﴿لِّمَن تَابَ﴾

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ١٢٧).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ١٢٧ ـ ١٢٨).

(٣) في (أ): «فضل»، والمثبت من (ر) و(ف)، وكلاهما لم أجده، ولعل فيه تحريفاً، انظر التعليق الآتي.

(٤) في (ر): «لزم السنة والجماعة». وفي «تفسير الثعلبي» (٦/ ٢٥٦): (قال فضيل الناجي وسهل التستري: أقام على السنّة والجماعة). وروى ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٥/ ٥٩١) نحوه عن سعيد بن جبير، ولفظه: ثمَّ استقام لِفرقةِ السُّنة والجماعة.

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٢٥٦).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ١٢٨) بلفظ: (أصاب العمل)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٢٥٦) بلفظ: (تعلَّم العلم ليهتدي كيف يعمل).

(٧) رواه سعيد بن منصور والفريابي كما في «الدر المنثور» (٥/ ٥٩١).

عن الزلة ﴿وَءَامَنَ﴾: لم ير أعماله من نفسه بل بتوفيق الله ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾: لاحَظَ عمله بعين الاستصغار[١] وحالتَه بعين الاستقرار ﴿ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ إلينا بنا[٢].

***

(٨٣ ـ ٨٤) ـ ﴿۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾: يتصل بقوله: ﴿وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ﴾ وأضمر هاهنا: فتعجَّل موسى فقلنا له: ﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ﴾.

قيل: كان اختار سبعين رجلاً للميقات بأمر الله تعالى، فتعجَّل هو وخلَّف السبعين وأمرهم أن يتَّبعوه، فقال الله: ﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾؛ أي: عمَّن اختَرْتَهم وهم السبعون، فـ﴿قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى﴾ يلحقونني.

وقيل: كان وعَدهم[٣] أن يؤتيَهم الكتاب ويكلِّمَهم، فتعجَّل موسى واستخلَف هارون في بني إسرائيل ومعهم السامريُّ ليسير بهم على أَثَره فيَلحقوه، فقال الله تعالى: ﴿۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى﴾؛ أي: يجيئون[٤] على أثري.

وقوله تعالى: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾: أي: إلى الموضع الذي وُعِدْتُ ﴿لِتَرْضَىٰ﴾؛ أي: حرصاً على وجود رضاك بالتعجُّل إلى وعدك.

وقيل: هم أولاءِ بالقرب مني مع هارون قد استخلفتُه عليهم وعجِلْتُ أنا.

---

(١) في (ف) و(أ): «الاستغفار».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٤٦٩ ـ ٤٧٠).

(٣) في (ر) و(ف): «وعد الله».

(٤) في (أ) و(ر): «يحبون».

وقال الحسن: ﴿هُمْ أُولَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى﴾؛ أي: ينتظرونني من بعدي ما آتيهم به، لا يعني أنهم يتبعونه[1]، ومعنى ﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ﴾؛ أي: كيف سبَقْتَهم؟

* * *

(٨٥) - ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ﴾: الذين خلَّفْتَهم مع هارون عاملناهم معاملةَ المختبِر ليظهرَ منهم بفعلهم ما كان في علمنا أنهم يفعلونه.

وقوله تعالى: ﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ﴾: دعاهم إلى عبادة العجل واتِّخاذه إلهًا، ونَسب الضلال له لأنه سببُه.

(٨٦) - ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ﴾: أي: على قومه بما صنعوه من عبادة العجل ﴿أَسِفًا﴾: شديدَ الغضب.

وقيل: حزيناً على ما ينالهم بسببه.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾: هو إنزال التوراة ليقِفوا بها على ما عليهم ولهم في دينهم، ويستحقُّوا بالعمل بها الكرامةَ، ويتخلَّصوا به من العقوبة، وهو إشارة إلى قوله: ﴿وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ﴾.

وقيل: الوعدُ الحسن: الذي لا خُلف فيه.

وقيل: سماه حسناً لأنه كان فيه نفعُهم ورفعُهم.

---

(١) انظر: «تفسير يحيى بن سلام» (١/ ٢٧١).

وقيل: الوعد هو العهد، وهو قوله: ﴿وَلَا تَطْغَوْاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ﴾ الآية، بدليل قوله: ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ﴾.

وقيل: معناه: أوَطالَ عليكم الزمانُ ـ كما يقال: كان ذلك في عهد فلانٍ ـ فنسيتُم بسببِ طول الزمان ما أُمرتم به؟!

قوله تعالى: ﴿أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: أي: أم تعمَّدتُم ذلك من غير نسيان، وفعلتُم ذلك فعلَ مَن يريد أن يقع عليه غضبُ الله تعالى بقصده خلافه[1].

وقيل: ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ﴾ بنِعَم الله عليكم[2] من الإنجاء، وإعطاء المنِّ[3] والسلوى، وتظليلِ الغمام، وسائرِ النِّعم التي تُوجب عليكم أن تشكروا له وتعبدوه، لا أن تعبدوا مِن دونهِ عجلاً، وهو كقوله: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد: ١٦] ﴿أَمْ أَرَدتُّمْ﴾ مع قرب العهد ﴿أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾.

وقيل: أوطال عليكم انتظارُ الوعد؛ لأنهم لمَّا انتظروا عشرين يوماً بلياليها عدُّوا ذلك أربعين، فكأنهم استطالوا الأربعين.

وقوله تعالى: ﴿فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى﴾: قال مجاهد: عهدي[4]، وله وجهان:

ما عاهدتمونيه[5] من اللحوق بي فلم تفعلوا.

الثاني: ما عاهدتُموني من الإقامة على الدين وعبادةِ الله تعالى فلم تفعلوا.

ويجوز أن يجري هذا المعنى على حقيقة الوعد: كنتم وعدتموني اللحوق بي،

---

(١) «بقصده خلافه» ليس في (ف).

(٢) في (أ): «بي وبنعم الله بما لي عليكم».

(٣) في (ر) و(ف): «والإعطاء من المن».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ١٣٢).

(٥) في (ر): «عاهدتموني».

والثاني: وعدتموني الإقامة على الدين وعبادةَ الله فلم تفعلوا[١].

وعلى هذين المعنيين يجوز إضافة الوعد إلى موسى: كنتُ واعدتُكم أن يكلمني الله بحضرتكم، وكنت واعدتُكم أن أرجع إليكم ومعي الكتاب الذي فيه شرفُكم وجمالكم ونجاتكم.

***

(٨٧) ـ ﴿قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا﴾: قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بكسر الميم، وقرأ نافع وعاصم غيرَ المفضَّل بفتحها، وقرأ حمزة والكسائيُّ وخلفٌ بضمها[٢].

وقيل: الفتح والكسر لغتان؛ كالرَّطل والرِّطل، والحَجْر والحِجْر، وهما القدرة والملك والسلطان؛ أي لم نُخلف الوعد ونحن مالكون أمورَ أنفسنا ولنا سلطانٌ على أَمْرنا نملك به الرأيَ والتدبير، بل اضطُرِرنا إلى ذلك، فإنْ كان هذا من الذين عبدوا العجل فهو إقرارٌ بالخطأ واعتذار عن الفعل، وإن كان هذا من الذين لم يعبدوه فمعناه: لم نُطقْ منعهم عن ذلك، ولم نتفرغ للُّحوق بك؛ لوقوعنا في هذا المهِمّ[٣]،

---

(١) قوله: «كنتم وعدتموني اللحوق بي والثاني وعدتموني الإقامة على الدين وعبادة الله فلم تفعلوا» من (أ)، وفي (ف) بدلاً منه: «كنتم وعدتموني الإقامة على الدين».

(٢) بعدها في (أ): «وقرأ الباقون بكسرها» وهو تكرار لا لزوم له. وانظر القراءات المذكورة في «السبعة» (ص: ٤٢٢ ـ ٤٢٣)، و«التيسير» (ص: ١٥٣)، و«والنشر» (٢/ ٣٢١ ـ ٣٢٢). وقرأ أبو جعفر بفتح الميم ويعقوب بكسرها.

(٣) في (ر): «الأمر».

أو لأن السامري لمَّا صرفهم إلى ذلك وقال: ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾ [طه: ٨٨] لم يلحقوا بك[1]، ولم يمكنَّا الانفراد باللحوق.

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ﴾: قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر[2] بالفتح والتخفيف؛ أي: احتملنا، وقرأ الباقون بضم الحاء والتشديد؛ أي: حمَّلوها علينا.

﴿أَوْزَارًا﴾؛ أي: أحمالاً ﴿مِّن زِينَةِ﴾؛ أي: الحليِّ المستعارة من قوم فرعون.

وقيل: أي: احتملنا آثاماً بأخذِ حليِّهم ﴿فَقَذَفْنَٰهَا﴾ عنَّا خروجاً عن إثمها.

وعلى الأول: ﴿فَقَذَفْنَٰهَا﴾؛ أي: فطرحناها عن أنفسنا وعن أولادنا.

﴿فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ﴾: أي: كما ألقيناها.

* * *

(٨٨) ـ ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ﴾: أي: السامريُّ لبني إسرائيل ﴿عِجْلًا﴾: ولدَ بقرةٍ؛ أي: في هيئته ﴿جَسَدًا﴾: مجسَّداً ﴿لَّهُۥ خُوَارٌ﴾؛ أي: صوتٌ كصوت العجل، ﴿فَقَالُوا۟﴾؛ أي: الذين عبدوا العجل: ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ﴾.

وفي التفسير: قاله السامريُّ والذين وافقهوه.

﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾: أي: المستحِقُّ للعبادة.

---

(١) قوله: «لم يلحقوا بك» ليس في (أ).

(٢) في (أ): «قرأ أهل البصرة غير ورش وأهل الكوفة غير حفص» بدل: «قرأ أبو عمرو وحمزة...»، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في «السبعة» (ص: ٤٢٣)، و«التيسير» (ص: ١٥٣).

وقيل: قذفناها[1] في حفيرةٍ اتَّخذها السامري لذلك.

وقوله تعالى: ﴿فَنَسِىَ﴾: قيل: معناه: قال السامري: فنسي موسى أنه هو وضلَّ عنه فذهب يطلب غيره، أو: ذهب يطلبه في موضع آخر ونسي أن يذكر لكم أن هذا إلهُه.

***

(٨٩) ـ ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾.

وقيل: بل معناه: قال الله جلَّ جلالُه: فنسي السامري؛ أي: ترك دينَ الإسلام وبدَّله بعبادة العجل، أو نسي الاستدلال على أن العجل لا يجوز أن[2] يكون إلهاً، بدليل أنه قال: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾: وهذا النسيان بمعنى التركِ والإعراض عن التأمل.

﴿أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾؛ أي: لا يردُّ، وهو كقوله: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ﴾ الآية [الأعراف: ١٤٨]، وإنما لم يُنصب ﴿يَرْجِعُ﴾ بـ﴿أَنْ﴾ لإضمار الهاء، وتقديره: أنه لا يرجعُ.

وقيل: لأن (لا) بمعنى (ليس) فلم تعمل.

وقد مرت القصة بفوائدها والأقاويلِ فيها في سورة الأعراف.

وقالوا: الذهب الذي كان غنيمةً لهم صار سببَ الفتنة، فكيف بذهب الحرام والشبهة؟

وقال القشيري رحمه الله: لمَّا قالوا: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨] وقد رأوا عبدةَ الأصنام وكانت على صورة العجل، وسمع السامري ذلك، وتقرَّر عنده أنه مستكنٌّ في قلوبهم، صاغ العجل على تلك الصورة.

---

(١) في (ف): «فقذفناها» بدل: «وقيل: قذفناها».

(٢) «يجوز أن» من (أ).

وفيه بيان أن دقائق الهوى إذا استكنَّت في القلب، فما لم يُنقش ذلك الشركُ بمنقاش[١] الورع يخشى أن يَلقى صاحبُه يوماً فتنةً[٢].

* * *

(٩٠) ـ ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ﴾: أي: للَّذين عبدوا العجل من قبلِ رجوع موسى إليهم: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ﴾؛ أي: إنما جَعل الله تعالى هذا العجل فتنة يمتحن به ثباتكم على الإيمان.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى﴾: أي: كونوا على ديني الذي هو الحق.

وقيل: أي: فاتبعوني في مسيري إلى موسى.

وقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى﴾: بذلك.

* * *

(٩١) ـ ﴿قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ﴾: أي: لن نزال على هذا العجل مقيمين نعبده ﴿حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ فننظرَ هل يعبدُه كما عبدناه؟ وهل صدَق السامري فيما قال: هذا إلهكم؟

* * *

(٩٢ ـ ٩٤) ـ ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى

---

(١) في (ر): «بمناقيش»، وفي (ف): «بمناقش».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٤٧٢).

﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ۝٩٣﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ﴾: يعني: فتركهم هارون حتى رجع موسى وخاطب قومه بما ذكرناه، ثم عاتب هارونَ فقال: ما منعك يا هارون إذ رأيتَهم ضلوا ﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾؛ أي: أن تتَّبعني[1] فتلحقَ بي مع مَن أطاعك ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾.

وقيل: أن تتَّبعني فيما قلت لك: ﴿ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ﴾: قرأ عاصم في رواية حفص: ﴿يَبْنَؤُمَّ﴾ بالفتح على معنى: يا ابن أمَّاه، والباقون بالكسر على معنى: يا ابن أمِّي[2].

وقوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ﴾: أي: فأخذ موسى ذلك منه، كما قال في سورة الأعراف: ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ﴾ [الأعراف: ١٥٠] فحذف هاهنا اختصاراً[3].

فقال له هارون: لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي، واعتذر بقوله: ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾.

---

(١) في (ف): «أي تتبعني»، وسقطت من (ر)، والمثبت من (أ) والمراد به أن (لا) زائدة. انظر: «الكشاف» (٣/ ٨٣)، و«تفسير البيضاوي» (٤/ ٣٧).

(٢) في (أ): «قرأ ابن عامر وأهل الكوفة غير المفضل وحفص إلا الجرار بالكسر على معنى: يا ابن أمي، وقرأ الباقون بالفتح على معنى: يا ابن أماه». وانظر: «السبعة» (ص: ٤٢٣)، و«التيسير» (ص: ١١٣)، وفيهما: قرأ حمزة والكسائي وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر بكسر الميم، وابنُ كثير ونافع وأبو عَمْرو وحَفْص عن عاصم بفتحها.

(٣) في (أ): «اقتصارا».

قيل: أي: خفتُ إن لحقتُ بك مع الذين لم يعبدوه وخلَّفت هؤلاء أن تقول لي: فرَّقْتَهم، وكان نقلُ الكل متعذِّراً إذ قالوا: ﴿لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ﴾.

وقيل: خشيتُ أنْ لو أمرتُهم أن يتَّبعوني في اللحاق بك أن تتَّبعني طائفةٌ وتصيرَ مع العابدين طائفةٌ وتشكَّ طائفةٌ.

وقال ابن جريجٍ: خشيتُ أنْ لو عنَّفتُ عليهم أن يصيروا أحزاباً يَقتل بعضُهم بعضاً[١].

وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى﴾؛ أي: لم تحفَظ قولي: وأَصْلِحْ؛ أي: لم تنتظِر أمراً حادثاً به.

(٩٥ ـ ٩٦) ـ ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ﴾: أي: ما شأنك العظيم؛ أي: ما هذا العظيمُ الذي دعاك إلى ما صنعتَ؟! أقبَلَ عليه فسأله عن الأمر[٢] موبخاً له بعدما خاطب هارونَ بما خاطب.

وقيل: معناه: ما خطبتَ وما طلبتَ بما فعلتَ؟

قوله تعالى: ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ تَبْصُرُوا بِهِ﴾[٣]: قرأ حمزةُ والكسائي وخلف بتاء المخاطبة يخاطِبُ به موسى وقومَه، وقرأ الباقون بياء المغايبة[٤]، يعني: القومَ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ١٤٧).

(٢) في (أ): «السبب».

(٣) في (أ): «يبصروا به».

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٤٢٤)، و«التيسير» (ص: ١٥٣)، و«النشر» (٢/ ٣٢٢).

وقيل: معنى كلامِه: علمتُ بما لم تعلموا به، و﴿بَصُرْتُ﴾؛ أي: صرتُ بصيراً؛ أي: عليماً، والبَصارة والبَصيرة: العلم، من بَصَر القلب.

وقيل: أي: رأيت ما لم تروه، من بَصَر العين.

ومعنى القولين: رأيت ترابَ حافر فرسِ جبريل ـ صلواتُ الله عليه ـ في البحر ولم يروه، وعلمت أنه يُحيي الجمادَ إذا ألقي فيه ولم يعلموا، أو علمت صنعة[(١)] العجل من الذهب ولم تعلموه.

وقوله تعالى: ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾: أي: من تراب فرس جبريل.

وقرأ الحسن: (فقبصْتُ قبصةً) بالصاد غير المعجمة[(٢)]، والأول بجميع الكفِّ وهذا بأطراف الأصابع.

وقوله تعالى: ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾: أي: ألقيتُها في العجل ﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى﴾؛ أي: زيَّنت نفسي أن أفعله، ففعلتُه اتِّباعاً لهوايَ وهو اعترافٌ بالخطأ واعتذارٌ منه.

قال وهبٌ: وكان السامري أبصر جبريل على الرَّمَكة[(٣)]، فقبض قبضةً من ترابِ قدمها وصيَّرها في ثوبه، وحدَّثته نفسه إنْ أخذ من موطئها[(٤)] كان خليقاً أن يكون فيه

---

(١) في (ر): «صيغة».

(٢) في (أ): «بالصاد المعجمة من تحتها». وهذه القراءة فيها وجهان: (قُبصة) بالضم، نسبت للحسن وقتادة ونصر بن عاصم، و(قَبصة) نسبت للحسن أيضاً وجماعة. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٢)، و«الكشاف» (٣/ ٨٤).

(٣) الرمكة: الفرس. انظر: «القاموس» (مادة: رمك).

(٤) في (ف): «مواطئها»، وفي (ر): «موطنها».

عجيبةٌ، وكان السامري من أهل باجرما من بني إسرائيل، وكان فرعون يعبد البقر وقومُه كذلك، قبل أن يقول: أنا ربكم الأعلى، وكانوا لا يعبدون إلا كلَّ بقرة فتيةٍ حسنة، فإذا كبرت أخرجوها وجاؤوا بأفتى منها، ولما مضى عشرون يوماً وعشرون ليلة ولم يرجع موسى إليهم جاءهم الشيطان وقال: إن موسى ليس من شأنه الخُلف والكذب، ولو كان هو حيًّا لرجع إليكم، فقد مضت عشرون يوماً وعشرون ليلة وذلك أربعون، فاتَّخذوا إلهاً فإنه قد مات.

فلما وقع هذا فيهم اختلفوا وتنازعوا، واجتمع أكثرهم على أن يتَّخذوا عجلاً من البقر يعبدونه، فقال لهم السامري: فلو جعلتُموه من الذهب كان أحسنَ وألطف، فاتفقوا على أن يأتيَ كلُّ واحد منهم بذهب بمثل عين الجرادة ليشتركوا في ذلك، فاتخذ السامري منه عجلاً وألقى فيه ذلك التراب، فخار، فقال السامري: هذا إلهكم وإله موسى، فاحتوَشوه وأطافوا به، وهو في ذلك لا يتحرك ولا يخطو، إلا أن ذلك الخوارَ يسمع منه، فعكفوا عليه وأحبُّوه ما لم يحبوا شيئاً قط مثلَه.

* * *

(٩٧) ـ ﴿قَالَ فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدٗا لَّن تُخۡلَفَهُۥۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا﴾.

ورجع موسى ورآهم على ذلك، فخاطبهم وخاطب هارون وخاطب السامري كما مر في هذه الآيات، ثم قال للسامري: ﴿فَٱذۡهَبۡ﴾ وأخرجَه من عسكر بني إسرائيل ﴿فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾؛ أي: لا مماسَّةَ بينك وبين الناس ولا مخالطةَ ولا مؤاكلةَ ولا مشاربة ولا معاملة، تضييقاً عليه وعقوبة له[1]؛ كما يُفعل ذلك بالجاني الذي التجأ إلى الحرم في شريعتنا.

---

(١) «له» من (أ).

وقيل: كانت مقتصرةً على المسِّ الحقيقي دون غيره.

وقيل: كان مأموراً بأن يَهيم في البرية مع الوحوش[١] والسباع.

وقوله تعالى: ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ﴾؛ أي: ما عشت ﴿أَن تَقُولَ﴾؛ أي: لمن أراد مخالطتك جاهلاً بحالك فذكِّره بهذا، وقل: ﴿لَا مِسَاسَ﴾ ليَعرف ذلك.

وقيل: كان هذا حالَه وحده.

وقيل: بقي في أولاده وهم في قرية، ولا يخالطهم غيرُهم ولا يخالطون أيضاً غيرَهم.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾: قرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿لن تُخْلِفَه﴾ بكسر اللام؛ أي: لا تجدُه خُلْفاً؛ قال الأعشى:

فمضت وأخلفَ من قُتيلةَ موعداً[٢]

وقرأ الباقون: ﴿لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾ بفتح اللام على ما لم يسمَّ فاعلُه[٣]؛ أي: لن يُخْلِفك الله، وهو عذاب الآخرة.

وقوله تعالى: ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ﴾: أي: الذي اتخَذْتَه إلهاً.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾: أصله: ظَلِلْتَ، حذفت إحداهما للتخفيف كراهيةَ إظهار التضعيف، وهو كقول الشاعر:

---

(١) في (ر) و(ف): «بأن يقيم في البرية والوحوش».

(٢) انظر: «ديوان الأعشى الكبير» (ص: ٢٧٧)، و«مجاز القرآن» (٢/ ١٠٧)، و«أدب الكاتب» (ص: ٤٤٧)، و«الكامل» للمبرد (٢/ ٤٣)، و«تفسير الطبري» (١٨/ ٢٦١)، وجاء في المصادر عدا «مجاز القرآن»: (فمضى)، وصدره:

أَثْوَى وقَصَّرَ لَيْلَهُ لِيُزَوَّدَا

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٤٢٤)، و«التيسير» (ص: ١٥٣).

خــلا أن العتــاق مــن المطايــا أَحَسْــنَ بــه فهــنَّ إليــه شُــوسُ[١]

أي: أَحْسَسْنَ.

ومعناه: أمضيتَ نهارك وأنت وأصحابُك عاكفينَ على عبادته.

وقوله تعالى: ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾: بالتشديد؛ أي: بالنار، وبالتخفيف على قراءة عليٍّ رضي الله عنه[٢]؛ أي: لنَبْرُدنَّه بالـمِبْرَد ـ والصرفُ من بابِ دخل وضرب ـ وهو طريقُ تحريقه، فإن النار لا تعمل في الذهب بالتفريق إلا بهذا الطريق.

وقيل: قد يُجعل عليه شيءٌ إذا جُعل في النار عَمِلت فيه وصيَّرته رماداً، ويَعرف ذلك أهل الصنعة.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ﴾: أي: لنُذَرِّينَّه ﴿فِي ٱلْيَمِّ﴾؛ أي: البحر ﴿نَسْفًا﴾ تأكيدٌ له بالمصدر، وقد نَسَف الطعام بالـمِنْسَف[٣]: إذا ذرَّاه ليطير عنه قشورُه.

* * *

(١) البيت لأبي زبيد الطائي، كما في «شرح كتاب سيبويه» للسيرافي (٥/ ٤٧٢)، و«المحتسب» لابن جني (١/ ٢٦٩) و(٢/ ٧٦)، و«الأمالي» لابن الشجري (١/ ١٤٦)، ودون نسبة في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٨)، و«المقتضب» للمبرد (١/ ٢٤٥)، و«تفسير الطبري» (١٦/ ١٥٤)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤١٦). والبيت من أبيات في وصف قوم سروا والأسد يقفو آثارهم لينتهز منهم فرصة. وقال ابن الشجري: الأشوس: الذي ينظر بأحد شقّي عينيه تغيُّظاً، وقيل: هو الذي يصغِّر عينيه ويضمُّ أجفانه، والهاء التي في «به» و«إليه» تعود على الأسد، ولأبي زبيد معه حديث.

(٢) أي: ﴿لنَحْرُقنه﴾ بفتح النون وضم الراء، وهي قراءة أبي جعفر من العشرة من رواية ابن وردان عنه، وقرأ في رواية ابن جماز: ﴿لنُحْرِقنه﴾ بضم النون وكسر الراء. انظر: «النشر» (٢/ ٣٢٢).

(٣) في هامش (أ): «المنسف: غربال».

(٩٨) ـ ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾: أي: عمَّ فعلِـم كلَّ شـيء، ولا يخفى عليه خافيـةٌ، فهو المستحِقُّ للعبادة، لا العجلُ الذي لا علمَ لـه ولا قدرة.

قال وهبٌ: لمَّا وقف موسى على العجل حمل صخرة فشدَخ بها رأسه، ثم كسره، ثم وضعه في مِرْجَلِ نحاسٍ، ثم لم يزَلْ يُوقِدُ حتى أحرقه، ثم طحنه وجمع إليه عبَدته وقال لهم: انظروا إلى ما صار إليه أمرُ إلهكم، لو كان إلهاً كما زعمتُم ما احترق ولا انْطَحَن ولا أطاقه موسى، ثم أمر السامريَّ فبال عليه في ذلك ليصغِّره إليهم ويحقِّره عندهم، فعندها[1] قالوا: ادعُ لنا ربَّك يَتُبْ علينا ويغفرْ لنا، فأوحى الله إلى موسى: إن في قلوبهم مرضاً من حب العجل لم يخرج منها بعدُ، فانبِذْ طحين العجل في اليم ثم مُرهم فليشربوا منه، فإن ذلك يبين لهم[2] أمرهم.

ففعل وشربوا، فلم يبقَ منهم أحد كان في نفسه حبُّ العجل إلا اصفرَّ لونه وورم وجهُه وحَبِنَ بطنه[3]، فقالوا: يا موسى! لا تُخرجُنا منه إلا توبةٌ خالصة، فمُرنا بما شئتَ فإنك لو أمرتَنا أن نقتل أنفسنا لفعلنا، وكان ذلك هيناً علينا لرِضى ربِّنا.

فأوحى الله تعالى إليه: إني قد حكمتُ عليهم بالتوبة التي حكَموها على أنفسهم، لا أقبلُ منهم توبةً غيرَها، وإن لم يفعلوا مددتُ لهم في هذا السَّقم وغمرتُهم فيه لا أُميتهم ولا أخفِّفُ عنهم.

---

(١) «فعندها» زيادة من (ف).

(٢) في (ر): «لك».

(٣) أي: انتفخ، قال في «القاموس» (مادة: حبن): الحَبَن محركة: داء في البطن يعظُم منه ويَرِم، وقد حبن كعُنِيَ وفَرِح حَبْنا، ويحرك.

فلما رأوا الجِدَّ واشتدَّ عليهم السَّقَم، أخذوا الخناجر فنحروا أنفسهم، فكانت عِدَّةُ قتلاهم يومئذٍ سبعين ألفاً، وبقيت طائفةٌ رُحموا وكُشف عنهم، وجَعل الله تلك البليَّةَ(١) شهادةً لقتلاهم وتوبةً لمن بقي منهم.

* * *

(٩٩) ـ ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾: أي: يا محمدُ كما قصَصْنا عليك هذه القصةَ نقصُّ عليك قِصصَ مَن سبَق من الأنبياء والأمم؛ لنُعْلِمك ما لم تكن تعلمُ أنه لك مَسْلاةً وتثبياً(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا﴾: أي: وقد أعطيناك من عندنا كتاباً فيه ذكرُ ما بالناس حاجةٌ إليه من أمور دِينهم ودنياهم، وفيه وعظٌ لمن يتذكَّر، وشرفٌ لقومك إذ هو بلسانهم، والذكر اسمٌ لكلِّ ذلك.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: قوله: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾ لتعلَم أنَّا لم نبلِّغْ أحداً مَبْلَغكَ، وأنه لم يكن منَّا لأحدٍ مِثْلُ ما لك، نحفظُ سرَّك ونُخفي أمرك ونُطلِعك على أحوال الكافَّة، ولم نُطلِع أحداً على سرِّك(٣).

* * *

(١٠٠ ـ ١٠١) ـ ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ۝١٠٠ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾: أي: عن هذا الذكر فلم يَقبلْه ولم يَعمل به

(١) في (ر) و(ف): «الليلة».

(٢) في (ر): «وتنبيهاً».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٤٧٦).

﴿فَإِنَّهُۥ يَحۡمِلُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وِزۡرًا﴾؛ أي: حملاً ثقيلاً، وهو إثمُ الكفر[1] بالقرآن.

وقوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهِۖ﴾: أي: مؤبَّدين في عذاب ذلك الوِزر، والعذابُ مضمَرٌ.

وقيل: في ذلك الوزر، وهو الحِمل.

وقوله تعالى: ﴿وَسَآءَ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ حِمۡلٗا﴾: أي: وما أسوأَ هذا الوِزْرَ حِملاً لمن أعرضَ عنه.

* * *

(١٠٢) ـ ﴿يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ وَنَحۡشُرُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ زُرۡقٗا﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾: بدلٌ عن قوله: ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ حِمۡلٗا﴾ وهو[2] بيان للنفخة الثانية التي هي للبعث.

وقرأ أبو عمرو: ﴿نَنفخ﴾ بالنون مفتوحةً[3]؛ لموافقةِ ما بعدَه.

وقوله تعالى: ﴿وَنَحۡشُرُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ زُرۡقٗا﴾: قيل: ازْرَقَّت عيونهم من شدة العطش.

وقيل: أي: عَمِيتْ؛ كما قال: ﴿وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا﴾ [الإسراء: ٩٧] كأنها تُرى زرقاً وهي عمياءُ.

وقيل: أي: نُشوِّه خلقتَهم فتسودُّ وجوهُهم وتَزرقُّ عيونُهم.

* * *

(١٠٣ ـ ١٠٤) ـ ﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيۡنَهُمۡ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا عَشۡرٗا ١٠٣ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذۡ يَقُولُ أَمۡثَلُهُمۡ طَرِيقَةً إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا يَوۡمٗا﴾.

---

(١) في (أ): «الكفران».

(٢) في (ف): «وهذا».

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٤٢٤)، و«التيسير» (ص: ١٥٣).

وقوله تعالى: ﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾: أي: يتسارُّون[١] فيما بينهم.

وقوله تعالى: ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾: أي: ما لبثتُم في الدنيا إلا عشرَ ليالٍ بأيامها؛ أي: لعظيمِ ما عايَنوا من الأهوال يخيَّل إلى بعضهم أنهم لم يعيشوا في الدنيا إلا عشرةَ أيام.

وقوله تعالى: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾: أي: لا يخفى علينا ما يتسارُّون[٢] به وإن كان همساً، إذ يقول أفضلُهم حالاً ومذهباً عند نفسه وعند أصحابه في العلم والحفظ والتذكُّر[٣]: ما لبثتُم إلا يوماً، وهو كقوله: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٦]، وكقوله: ﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [المؤمنون: ١١٢ ـ ١١٣].

وقال الحسن: يقلِّلون لبثَهم في الدنيا لطولِ ما هم لابثون في النار[٤].

* * *

(١٠٥ ـ ١٠٦) ـ ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ﴾: أي: سيسألونك عن الجبال: ما يصنع الله بها في هذا اليوم؟ كذلك قال الحسن: إن مشركي العرب سألوا النبي ﷺ فقالوا:

---

(١) في (ر) و(ف): «يتشاورون».

(٢) في (ر) و(ف): «يتشاورون».

(٣) في (أ): «والذكر».

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٤٢٥) بلفظ: إن لبثتم في الدنيا إلا عشراً؛ لما شاهدوا من سرعة القيامة.

فكيف هذه الجبال في اليوم الذي تذكر؟ فنزلت الآية: ﴿فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾[(١)] ولذلك أجاب بالفاء، وتقديره: إذا سألوك فقل.

وأما في سائر السؤالات فلم يذكر الفاء في جواب: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى﴾ [البقرة: ٢٢٢]، و: ﴿عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٢٢٠]، و: ﴿عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ﴾ [البقرة: ٢١٩]، و: ﴿عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا﴾ [الأعراف: ١٨٧]، و: ﴿عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ﴾ [الإسراء: ٨٥]، و: ﴿عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُواْ﴾ [الكهف: ٨٣]؛ لأنها سؤالاتٌ تقدَّمت فورد جوابها، ولم يكن فيه معنى الشرط والجزاء فلم يذكر الفاء.

﴿يَنسِفُهَا﴾ قال الخليل: يقلَعُها[(٢)].

وقال أبو عبيدة: يستأصلها ويُطيِّرها[(٣)].

وقيل: يذهب بها ولا يُبقي منها شيئاً.

وقيل: يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فيذرِّيها ويفرِّقها؛ كما في قوله: ﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾ [طه: ٩٧] وهو كقوله: ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾ [الواقعة: ٥ ـ ٦].

وقوله تعالى: ﴿فَيَذَرُهَا﴾: أي: فيدعُ مواضعها ﴿قَاعًا﴾: أرضاً ملساء ﴿صَفْصَفًا﴾: مستويةً.

---

(١) ذكره السمعاني في «تفسيره» (٣/ ٣٥٥).

(٢) انظر: «البسيط» (١٤/ ٥٢١) وعزاه للكلبي. وقاله الهروي في «الغريبين» (مادة: نسف)، والثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٢٦٠)، والبغوي في «تفسيره» (٥/ ٢٩٤).

(٣) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٢٩).

قال ابن عباس ومجاهد وابن زيد: ﴿قَاعًا صَفْصَفًا﴾: مستوياً أملسَ لا نباتَ فيه ولا حجارة ولا حصًى[١].

* * *

(١٠٧ ـ ١٠٨) ـ ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا﴾: اعوجاجاً ﴿وَلَآ أَمْتًا﴾؛ أي: تفاوتاً بارتفاع وانخفاض، وقيل: اضطراباً؛ يقال: مد حبلَه حتى ما ترك فيه أمتاً، وملأ سقاءَه حتى ما ترك فيه أمتاً؛ أي: انثناءً. وقال الشاعر:

مـا فـي انجـذابِ سـيرِه مـن أَمْـتِ[٢]

وقيل: الأمت: غلظُ موضعٍ وسهولةُ موضعٍ، يقول: ليس فيها أودية ولا جبال بحيث ينظر الناظر فيها فلا يرى بعضها، أو يسير السير فيها فيحتاج إلى[٣] أن يميل يمنةً أو يسرةً.

وقال مقاتل: ﴿قَاعًا﴾: لا تراب فيه[٤].

وقيل: ﴿قَاعًا﴾: صحراء ﴿صَفْصَفًا﴾: لا شجر فيه ولا جبل.

---

(١) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١٦/ ١٦٣).

(٢) الرجز للعجاج كما في «تهذيب اللغة» (١٤/ ٢٤٣)، ودون نسبة في «غريب الحديث» للحربي (١/ ٢١٥)، و«تفسير الطبري» (١٦/ ١٦٧)، و«النكت والعيون» (٣/ ٤٢٧)، وروايته في المصادر عدا الطبري:

مـا فـي انطـلاقِ رَكْبِـه مـن أمْـتِ

(٣) «إلى» من (ف).

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٤١).

وقيل: ﴿عِوَجًا﴾ بالشقوق و﴿أَمْتًا﴾ بالتلال.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ﴾: أي: داعي اللهِ تعالى إلى الموقف، قيل: هو إسرافيل بالنفخ في الصور على صخرةِ بيت المقدس.

وقوله تعالى: ﴿لَا عِوَجَ لَهُۥ﴾: أي: لا انحرافَ عنه، بل يستقيمون سراعاً إليه، كما قال: ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ﴾ [القمر: ٨] وقال: ﴿سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ [المعارج: ٤٣].

وقوله تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾: أي: خضع الناس وسكنوا لهيبةِ الرحمن، فلا تعلو أصواتهم.

﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾: قيل: أي: صوتاً خفيًّا؛ كما قال تعالى: ﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾ [طه: ١٠٣].

وقيل: إلا نَفَساً. وقيل: إلا أنيناً.

وقيل: ﴿إِلَّا هَمْسًا﴾؛ أي: صوتَ أقدامهم مشياً إلى الداعي، فأمَّا أن ينطقوا فقد شغلتهم هيبةُ ذلك اليوم عن النطق، وهذا في حال إجابة الداعي، ثم يتكلَّمون في موقف السؤال.

وقال مجاهد: الهمس: إخفاءُ الكلام(١).

وقال الحسن: الهمس: صوتُ الأقدام(٢).

قال أبو زبيد الطائي يصفُ الأسد:

فباتــوا غافليــن وبــات يَسْــري بصيــرٌ بالدُّجَــى هــادٍ همــوسُ(٣)

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ١٦٩) بلفظ: (تخافت الكلام)، وفي رواية (خفض الصوت).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ١٦٩) بلفظ: (وطء الاقدام)، وفي رواية: (همس الأقدام).

(٣) البيت في «غريب الحديث» للحربي (٣/ ١١٠٩)، و«الزاهر» لابن الأنباري (٢/ ٦٥)، و«مقاييس =

وقال الإمام القشيري رحمه الله تعالى في قوله: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ قال: تنقطعُ الأوهام، وتقف الأفهام، وتنحسر العقول، ويندرس العلم، وتتحيَّر المعارف، وتتلاشى نعوت الخلق، ويستولي سلطان الحقيقة، فعند ذلك لا عينٌ ولا أثر، في الحضور خرس، وفي البساط فناء، وإنما الصيحة على الباب(١).

* * *

(١٠٩) - ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا﴾.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا﴾: أي: ﴿لا تنفع الشفاعة﴾ مشفوعاً له ﴿إِلَّا﴾ أن يكون الشافعُ قد ﴿أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ في الشفاعة ﴿وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا﴾؛ أي: رضي ما يقوله من الشفاعة، بأنْ تكون شفاعتُه لمن يجوز أن يُغفر له، وهو المسلم دون الكافر، وهو كقوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقيل: أي: ﴿لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا﴾ لـ﴿مَنْ أَذِنَ﴾ الله بالشفاعة فيه ﴿وَرَضِيَ﴾ للمشفوع ﴿لَهُۥ قَوْلًا﴾؛ أي: يكون المشفوع له ممن رضي الله قوله في الدنيا، وهو إن كان قائلاً كلمة الشهادة معتقِداً لها(٢)، وهو كقوله: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٣]، وقال: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

وقيل: هذا في ردِّ مَن يعبد الملائكة طمعاً في شفاعتهم، وهو كقوله: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٦].

= اللغة» لابن فارس (٢/ ٣٣٨)، والرواية في المصادر: (فباتوا يدلجون وبات...)، وقد تقدم قريباً بيت آخر من القصيدة، وذكرنا ثمة قصتها.

(١) «وإنما الصيحة على الباب» من (أ). وانظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٤٧٧)، وفيه: (... وعلى البساط فناء، وللرسوم امتحاء، وإنما الصحة على الثبات).

(٢) في (ر): «فتنفعه» بدل: «معتقداً لها».

(١١٠ ـ ١١١) ـ ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: هم الملائكة ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ الساعة ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ الدنيا.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾: أي: بعِلْم[1] ذلك، وهو مذكور في قوله: ﴿يَعْلَمُ﴾ دلالةً.

وقيل: ﴿بِهِۦ﴾؛ أي: بما أحاط به علم الله.

وقيل: ﴿بِهِۦ﴾؛ أي: بالرحمن، فقد ذُكر قبله؛ أي: لا يحيطون علماً بالله فإنه ليس بمحاط به، بل يعلمون الله بما تبلغُه عقولهم وما أعلمَهم من ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ﴾: أي: خضعت وذلَّت، وكنَى بالوجوه عن الناس؛ لأن آثار الخضوع والذل[2] في الوجوه؛ كما قال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٤].

﴿لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ﴾: لله الواحدِ القهار، الحيِّ القيوم الذي لا يموت، وهو قائمٌ بتدبير خلقه، وقائم على كلِّ نفس بما كسبت.

وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾: أي: يئس من رحمة الله وثوابه مَن[3] حَمَل إلى موقف القيامة ظلماً؛ أي: شركاً، وهو وضعُ العبادة في غير موضعها.

* * *

(١) في (أ) و(ر): «يعلم»، وسقط هذا الموضع من (ف)، والصواب المثبت.

(٢) في (أ): «الذل والخشوع».

(٣) في (ف): «أي: ليس يئس من رحمة الله وثوابه إلا من».

(١١٢ ـ ١١٣) ـ ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا (١١٢) وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾: ولم يحمل ظلماً ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا﴾ قال الضحاك: هو أن يُزاد في سيئاته ﴿وَلَا هَضْمًا﴾؛ أي: يُنقص من حسناته(١).

وقد هضمَني فلانٌ حقِّي؛ أي: نَقَصَني، وامرأةٌ هَضيمُ الحشا؛ أي: ضامرةٌ، والضمور: نقصانٌ عن حدِّ غيره، وقد هضَمتِ المعدة الطعامَ؛ أي: غيَّرته ونَقَصتْه.

وقرأ ابن كثير: ﴿فلا يَخَفْ﴾ على النهي(٢)، وهو بمعناه.

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾: أي: وكالذي قدَّمنا ذكرَه أنزلنا عليك هذه السورةَ قرآناً بلغة العرب ليَعقلوه.

وقوله تعالى: ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ﴾؛ أي: القولَ ﴿مِنَ الْوَعِيدِ﴾: بأنواع العذاب ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: ما خوَّفْتَهم به ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾: أو يجدِّدُ لهم ذكرَ نِعم الله تعالى.

وقيل: تذكُّراً واتِّعاظاً(٣).

وقيل: شرفاً، و﴿أَوْ﴾ بمعنى الواو.

* * *

(١١٤) ـ ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾.

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٤/ ٥٣٧ ـ ٥٣٨).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٢٤)، و«التيسير» (ص: ١٥٣).

(٣) في (ر) و(ف): «وإيقاظاً».

وقوله تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّ﴾: تنزَّه الله عما أضافه إليه المشركون مما لا يليق به، وهو الملك الحق، فهو الغني الذي لا يَلحقه حاجةٌ، وملوك الخلق محتاجون، فليسوا ملوكاً[1] على الحقيقة.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥ﴾: هو كقوله: ﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ﴾ [القيامة: ١٦]، وكان لحرصه[2] على أخذ القرآن عن جبريل يَعْجَل بقراءته قبل استتمام جبريل إيحاءَه إليه، فقال الله تعالى: لا تعجل به إلى أن يتم وحيُه وإلقاؤه إليك.

وقيل: ولا تَعْجَلْ بقراءته على أصحابك قبل أن يبين[3] لك معناه.

﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾: بفوائده.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: كان رسول الله ﷺ أعلمَ البشر، وممن شهد له الحقُّ بخصائص العلم بقوله: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُ﴾ [النساء: ١١٣]، ثم قال له: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ ليُعلَمَ أن ما يخصُّ الله تعالى به أنبياءه وأولياءه من لطائف العلوم لا حصر له.

وقال: طلب موسى زيادة العلم فأُحيل على الخضر، وكان أولُه: ﴿إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا﴾ [الكهف: ٦٧] وآخرُه: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَ﴾ [الكهف: ٧٨]، ولما احتاج نبيُّنا ﷺ لزيادة العلم قال له: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾، ولم يُحِلْه إلى غيره، فشتَّان ما بين المنزلتين.

---

(١) في (ف): «فاستوى ملكاً» بدل: «فليسوا ملوكاً».

(٢) في (أ): «يُحرِّضه»، وفي (ف): «يحركه».

(٣) في (ر): «يتبين»، وغير واضحة في (أ).

وقال(١): ولمَّا قال ﷺ: «أنا أعلمُكم بالله وأخشاكم له»(٢)، قال تعالى له: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ فنقله عن الدعوى إلى التضرُّع والدعاء(٣).

***

(١١٥) ـ ﴿وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ﴾: أي مِن قبلِ هؤلاء الذين صرَّفنا لهم الوعيد في القرآن، وهذا تسليةٌ للنبي ﷺ، وتعريفٌ له أن طاعة بني آدم للشيطان وتَرْكَهم التحفُّظَ عن وساوسه أمرٌ قديم، فلا يُهِمَّنك.

﴿وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ﴾؛ أي: أوصينا وأَمَرْنا، وهو قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ﴾ [طه: ١١٧].

قوله تعالى: ﴿فَنَسِيَ﴾: أي: خَفِيَ عليه الحال ﴿وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا﴾: أي: قصداً.

ومنهم مَن قال: ﴿فَنَسِيَ﴾؛ أي: ترك ﴿وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا﴾؛ أي: ثباتاً على العهد.

وقد بينَّا في سورة البقرة تفسير الزلة وأقاويلَ الناس فيها وما هو الصحيح منها.

***

(١١٦ ـ ١١٧) ـ ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ ١١٦ فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ﴾.

---

(١) «وقال» من (أ).

(٢) » رواه البخاري (٢٠)، ومسلم (١١١٠) من حديث عائشة رضي الله عنها ولفظ البخاري: «إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا»، وهو عند مسلم بلفظ: «والله إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بما أتقي».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٤٨٠).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ﴾: فسَّرناه في سورة البقرة أيضاً.

وقوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ﴾: لم يسجد لك ولم يَرَ فضلك، وقال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف: ١٢].

قوله: ﴿وَلِزَوْجِكَ﴾؛ لأنها سكنُك وموضعُ أُنْسك، فصار عدوًّا لها بعداوتك.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا﴾: أي: فلا يكونَنَّ[١] سبباً لخروجكما بأنْ تطيعاه فيما يوسوسُ إليكما في مخالفةِ أمري.

وقوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْجَنَّةِ﴾: أي: هذه الجنة التي أنتما فيها ﴿فَتَشْقَىٰٓ﴾؛ أي: فتتعبَ في الدنيا بالكسب، ولذلك قال: ﴿فَتَشْقَىٰٓ﴾ ولم يقل: فتشقيا؛ لأن الكسب على الزوج خاصة.

* * *

(١١٨ ـ ١٢٠) ـ ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا﴾: أي: في الجنة ﴿وَلَا تَعْرَىٰ﴾؛ أي: عن الملابس؛ أي: هي مُعدَّةٌ فيها أبداً، وكذا الطعام.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾: قرأ عاصم في رواية أبي بكر ونافعٌ: ﴿وإنَّك﴾ بالكسر عطفاً على قوله: ﴿إِنَّ لَكَ﴾، وقرأ الباقون بالفتح عطفاً على قوله: ﴿أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا﴾[٢].

---

(١) » في (أ): «تكونن».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٢٤)، و«التيسير» (ص: ١٥٣).

و﴿لَا تَظْمَؤُا﴾: ولا تعطش؛ لوجود الأشربة فيها.

﴿وَلَا تَضْحَىٰ﴾؛ أي: لا تبرز للشمس؛ لأنك في منازل الجنة، وفي ظلٍّ ظليلٍ لا شمسَ فيها ولا زمهرير.

وقوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾: فسرناه في أول سورة الأعراف.

وقوله: ﴿لَّا يَبْلَىٰ﴾؛ أي: لا يضعف ولا ينقطع كالثوب إذا بَلِي.

***

(١٢١) ـ ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾: فسَّرناه هناك أيضاً.

وقوله تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾: العصيان: وقوع الفعل على خلاف الأمر والنهي، وقد يكون عمداً فيكونُ ذنباً، وقد يكون خطأً فيكون زلةً، وقد أوضحنا ذلك في سورة البقرة.

﴿فَغَوَىٰ﴾؛ أي: تغيَّر حاله عليه، قال الشاعر:

فمَـن يَلْـقَ خيـراً يَحْمَـدِ النَّـاسُ أَمْرَهُ ... ومَن يَغْوِ لا يَعْـدَمْ على الغِيِّ لائِمَا[1]

جعل الغيَّ في مقابلةِ لقاء الخير.

---

(١) البيت للمرقش الأصغر. انظر: «المفضليات» (ص: ٢٤٧). وتقدم عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾.

ويقال: ﴿فَغَوَىٰ﴾؛ أي: فجهل موضعَ الحظِّ، قال امرؤ القيس:

فقالــت يميــنُ اللهِ مــا لَــكَ حيلــةٌ وَمــا إنْ أَرَى عنكَ الغِوَايــةَ تَنْجَلِي[1]

أي: الجهالةَ.

***

(١٢٢ ـ ١٢٣) ـ ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾: أي: اختاره.

وقال القشيري رحمه الله: إن الذي اصطفاه أولاً بلا علَّة، اجتباه ثانياً بعد الزلَّة[2].

قوله: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾: وفقه للرجوع إليه ﴿وَهَدَىٰ﴾؛ أي: وهداه إلى الاعتذار والاستغفار؛ قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ [البقرة: ٣٧] وقال: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ﴾: فسرناه أيضاً هناك في الأعراف.

﴿فَلَا يَضِلُّ﴾: في الدنيا ﴿وَلَا يَشْقَىٰ﴾: في الآخرة.

وقيل: لا يضلُّ عن الجنة، ولا يشقى في النار.

وهذا[3] لمن اتَّبع الهدى؛ أي: الكتاب. وقيل: أي: الرسول.

***

(١) انظر: «الديوان» (ص: ٣٨)، و«شرح القصائد السبع» لابن الأنباري (ص: ٥٢).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٤٨٥).

(٣) في (ر) و(ف): «وقيل هذا».

(١٢٤ ـ ١٢٥) ـ ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى ﴾: أي: كتابي فلم يَقبله ولم يعمل به، بخلافِ مَن اتَّبع الهدى.

وقيل: هو الإعراض عن قراءته حتى ينساه.

وقيل: عن توحيدي كما قال: ﴿حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ﴾ [الفرقان: ١٨].

وقيل: عن طاعتي؛ كما قال تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وقيل: عن العلم؛ كما قال: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ [النحل: ٤٣].

وقيل: عن الذكر باللسان؛ كما قال: ﴿ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١].

وقيل: عن الذكر بالقلب؛ كما قال: ﴿ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

وقيل: أي: عن وعظي؛ كما قال: ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ [طه: ١١٣].

وقيل: عن الصلاة؛ كما قال تعالى: ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٣٧]، وقوله: ﴿إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى﴾ وقوله: ﴿فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩].

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾: أي: ضيقةً، قال مجاهد: أي: في الدنيا[(١)].

ومعناه: أنهم إذا كانوا لا يعتقدون الخَلَف في الإنفاق ضيَّقوا على أنفسهم[(٢)]،

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ، وروى الطبري في «تفسيره» (١٦/ ١٩٣) عنه قوله: ﴿ضَنكًا﴾: ضيقة. وروى عنه عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم قوله: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ قال: رزقا. انظر: «الدر المنثور» (٥/ ٦٠٩).

(٢) بعدها في (ر) و(ف): «في الإنفاق».

وإذا أنفقوا ولم يرجو خَلَفاً ضاقت عليهم القلوب، والمؤمن يتَّسع قلبه في ذلك لرجاء الخَلَف والثواب، ويطيب بالقناعة.

وقال أبو سعيد الخدري وأبو هريرة رضي الله عنهما: هي عذاب القبر(١).

وقال قتادة: هي النار(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾: قيل: أي: عن الحجة والحيلة والاهتداء إلى ما ينفعه.

وقيل: يحشر بصيراً إلى أن يحاسب ويقرأ الكتب، ثم يصير أعمى، ثم يساق إلى النار(٣).

قوله: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾: أي: يا ربِّ، لم عاقَبْتَني بهذا؟ وبأيِّ ذنبٍ أعميتَني؟ يظنُّ أنه لم يكن له ذنب.

وقيل: هذا قبل أن يَظهر خطأُ ما كان عليه في الدنيا: وقد كنتُ بصيرَ العين في الدنيا.

---

(١) رواه عن أبي سعيد رضي الله عنه موقوفاً عبد الرزاق في «تفسيره» (١٨٤٤)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٨٣٧)، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ١٩٦). ورواه الحاكم في «المستدرك» (٣٤٣٩) مرفوعاً وصححه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه رواه موقوفاً عبد الرزاق في «المصنف» (٦٧٠٣)، وهناد في «الزهد» (٣٥٤)، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ١٩٧)، والحاكم في «المستدرك» (١٤٠٥).

ورواه أبو يعلى في «مسنده» (٦٦٤٤)، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ١٩٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٣١٢٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ١٩٤).

(٣) «ثم يساق إلى النار» من (أ).

وعلى القول الآخَر: لِمَ جعَلْتني لا أهتدي لشيءٍ وقد كنتُ عالماً بوجوه الحيَل مهتدياً إليها.

***

(١٢٦ ـ ١٢٧) ـ ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا﴾: أي: تركتَها وتناسَيْتَ عنها ﴿وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾: أي: تترك في العقوبات كالمنسيِّ لا يُذكر ولا يُخلَّص.

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ﴾: وجاوَزَ الحدَّ في المعصية حتى انتهى إلى الشرك.

وقوله تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾: أي من المعيشة الضَّنْك في الدنيا وفي القبر، ومن العمى في القيامة.

***

(١٢٨ ـ ١٢٩) ـ ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾: أي: أفلم يبيِّنْ[1] لهم، استفهامٌ بمعنى الإثبات.

وقوله تعالى: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾: ﴿كَمْ﴾ في موضع الرفع، وتقديره:

(١) في (أ): «أفلم يتبين»، وفي (ر) و(ف): «أولم نبين». والصواب المثبت؛ لأن الأول لازم، والثاني فاعله ضمير الجلالة، وكلاهما لا يستقيم مع ما سيأتي، حيث فيه أن للفعل فاعلاً ظاهراً أو آخر مقدراً، ومفعولاً مضمراً مقدراً أو آخر مذكوراً.

كثرةُ مَن أهلكنا من القرون، وهو فاعلُ ﴿أَفَلَمۡ يَهۡدِ﴾، والمفعول مضمَرٌ؛ أي: أفلم يبيِّن للمشركين كثرةُ القرون المهلَكين بمخالفة الأمر أن حالهم كذلك.

ويجوز أن يكون الفاعل هو القرآن، و﴿كَمۡ﴾ في موضع النصب لأنه مفعولٌ؛ أي: أفلم يبيِّن القرآنُ للمشركين كثرةَ مَن أهلكنا.

﴿يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡ﴾: أي: الذين يمشون؛ كقولك: أنت الرجلُ أحبُّه؛ أي: الرجل الذي أحبُّه؛ أي: يمشي هؤلاء المشركون في مساكن أولئك المهلَكين، وهم عادٌ وثمودُ وقومُ لوطٍ وشعيبٍ، وكانت العرب تسير للتجارة وغيرها في بلادهم.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ﴾: أي: أصحابِ[1] العقول؛ أي: يتفكَّرون في أنهم كفروا وعصَوا فاستُؤصلوا، فلا يفعلوا كذلك لئلا يُفعل بهم كذلك.

ذكَر إهلاكَ الأولين ثم أخبر عن سبب تأخير إهلاك الآخرين فقال: ﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامٗا وَأَجَلٞ مُّسَمّٗى﴾: فيه تقديم وتأخير، ومعناه: ولولا قولٌ سبَق من ربِّك أنه لا يعذِّب هذه الأمةَ بالاستئصال في الدنيا، ولولا أجلٌ مسمًّى وهو الساعةُ التي سبق القول بتأخير العذاب إليها، لجاءهم العذاب عاجلاً ولازمهم[2]، وهو كقوله: ﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِۚ وَلَوۡلَآ أَجَلٞ مُّسَمّٗى لَّجَآءَهُمُ ٱلۡعَذَابُ﴾ [العنكبوت: ٥٣].

وقيل: الأجل المسمَّى في الدنيا، ومعناه: ولولا كلمةٌ سبقت من ربِّك في أنَّ لإهلاكِ هؤلاء وقتاً معلوماً قد جعَله وقتاً لذلك وسماه له، لكان الهلاكُ لزاماً،

---

(١) «أصحاب» زيادة من (ف).

(٢) في (ر): «ولاذ بهم» وليست في (ف).

فالهلاك مضمر، و﴿لِزَامًا﴾؛ أي: مُلازماً عاجلاً، وقد حلَّ ذلك الأجَل وأهلكهم؛ قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو يومُ بدر(١).

وروى مجاهد عن ابن عباس(٢): ولولا ما بيَّن لأمة محمد، وعَهِدَ إلى إبراهيم في الصحف، وإلى موسى في التوراة، وإلى عيسى في الإنجيل: أنه يستخلفُهم ويمكِّن لهم، لعجَّل لهم العذاب بذنوبهم.

* * *

(١٣٠) ـ ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾: أي على ما يقول هؤلاء المشركون في الله تعالى وفيك من الأباطيل.

وقوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾: أي: صلِّ مسبِّحاً لربِّك حامداً له ﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾: صلاة الفجر ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾: صلاة العصر.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ﴾: أي: ساعاته، جمع إِنًى وأناءٍ(٣)، وهي صلاةُ العتمة لأنها تصلَّى بعد مضيِّ آناءٍ من الليل.

وقوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ﴾: أي: فصلِّ له.

وقوله تعالى: ﴿وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾: جمعُ طرَف، وأقلُّ الجمع ثلاثةٌ، وأراد بها

---

(١) لم أجده عن ابن عباس، ورواه ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٥/ ٦١٠) عن السدي.

(٢) قوله: «هو يوم بدر وروى مجاهد عن ابن عباس» من (أ).

(٣) في (ف): «وأنى».

هاهنا صلاة الظهر والمغرب، وصلاةُ الظهر[1] في آخر طرف النهار الأول، وفي أولِ طرف النهار الآخر، وهي في طرفين منه، والطرفُ الثالث غروبُ الشمس، وهو عندها يصلِّي صلاة المغرب.

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾: قرأ الكسائي وعاصم في رواية أبي بكر بضم التاء؛ أي: يرضيك الله، وقيل: أي: تكونُ مرضيًّا عند الله بطاعتك؛ كما قال: ﴿وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾ [مريم: ٥٥].

وقرأ الباقون بفتحها[2]؛ أي: يعطيك من الثواب ما تريده فترضى؛ كما قال: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى: ٥]، و(لعل) من الله تعالى إيجاب؛ أي: ولعل الله يرضيك بالإعلاء عليهم في الدنيا وترضَى بذلك.

* * *

(١٣١) ـ ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾: أي: أشكالاً؛ أي: رجالاً متشاكِلين في الذهاب عن الصواب والتمتُّع[3] بكثير الإمتاع، والإمتاع: الإلذاذ بالمناظر الحسنة والأصوات المطربة والروائح الطيبة والمناكِح المونقة[4].

وقوله تعالى: ﴿زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: أي: زينتَها وحُسنها، ونصبُه بـ﴿مَتَّعْنَا﴾.

---

(١) «والمغرب وصلاة الظهر» ليس في (ف).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٢٥)، و«التيسير» (ص: ١٥٣).

(٣) في (ف) و(أ): «والتمتيع».

(٤) في (ر) و(ف): «الموفقة».

وقولـه تعالـى: ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾: أي: لنختبِرَهم بما أعطيناهـم، يقول: ولا تنظرنَّ إلـى مـا وسَّـعنا على هـؤلاء المشـركين فـي الدنيا متاعـاً لهم إلـى حين؛ فـإن ذلك هـو من زينـة الحياة الدنيا إلـى أن[1] تنقضـي، أعطيناهم ذلك لنشـدِّد عليهم المحنة بالتعبُّد[2].

قال أبو رافع: استسلف النبيُّ ﷺ من يهوديٍّ طعاماً فأبى أن يُسلفه إلا برهْنٍ، فحزن رسول الله ﷺ بذلك فأنزل الله تعالى هذه الآية[3].

قوله: ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ﴾: أي: وما يُعطيه الله تعالى رسولَه والمؤمنين في الآخرة من الثواب على صبرهم وقمعِهم أنفسَهم من النزاع إلى ما متَّعنا به هؤلاء ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ من ذلك؛ لأنه باقٍ، ولأنه يؤدي إلى رضا الله تعالى، وهذا فانٍ ويؤدي إلى سَخَط الله تعالى.

***

(١) في (أ): «التي» بدل: «إلى أن».

(٢) في (أ): «أعطيناهم ذلك لنسدد عليهم المحبة بالتعبد»، وفي (ف): «أعطفناهم عليك لنشدد عليهم المحنة بالتعبد»، وسقطت العبارة من (ر).

(٣) رواه مطولًا ومختصراً البزار في «مسنده» (٣٧٦٣)، والروياني في «مسنده» (٦٩٥) و(٧١٥)، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢١٤)، والطبراني في «الكبير» (٩٨٩)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٠٤). وفي إسناده موسى بن عبيدة الربذي، قال أحمد: لا يكتب حديثه. وضعفه النسائي وابن عدي. والخبر تعقبه ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٤/ ٧٠) بقوله: (وهذا معترض أن يكون سبباً؛ لأن السورة مكية والقصة المذكورة مدنية في آخر عمر النبي ﷺ، لأنّه مات ودرعه مرهونة بهذه القصة التي ذكرت).

قلت: وهذا الحديث الذي أشار إليه رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢١٠٩)، والترمذي (١٢١٤)، والنسائي (٤٦٥١)، وابن ماجه (٢٤٣٨)، عن ابنِ عباسٍ قال: «تُوُفِّي رسولُ اللهِ ﷺ ودرعُه مرهونةٌ عند يهوديٍّ بثلاثين صاعًا من شعيرٍ لأهلِه». قال الترمذي: حسن صحيح.

(١٣٢) ـ ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ﴾: أي: أهلَ بيتك، وقيل: أمَّتك ﴿وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾: واثبُتْ ودُم عليها.

وقوله: ﴿لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا﴾: أي: لا نسألك أن تَرزق نفسكَ وإياهم ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ وإياهم[1].

وقيل: لا نطلب منك ما[2] تحتاج إلى الاحتيال في تحصيله[3] مع ضِيق أسبابه عليك، بل نكلِّفك عملاً ببدنك[4]، ونُثيبك عليه ثواباً لا يَعْدلُه ثواب.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ﴾: أي: العاقبة المحمودة ﴿لِلتَّقْوَىٰ﴾؛ أي: لأهل التقوى.

وقيل: العاقبة: الجنة.

وكان بكر بن عبد الله المزنيُّ إذا أصاب أهلَه خصاصةٌ يقول: قوموا فصلُّوا فإن الله تعالى أمر رسوله به، ويقرأ هذه الآية[5].

قال الإمام القشيري رحمه الله: لمَّا قال: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ فأدَّبه في أنْ لا تنظرْ[6] إلى زينة الدنيا، وقِف على وجه الأرض بقدمٍ واحدة تصاوُناً عنها، حتى

(١) في (أ): «﴿لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ أي: نرزق نفسك وإياهم».

(٢) بعدها في (أ) و(ف): «لا».

(٣) في (أ): «تخليصه».

(٤) في (ر): «بيدك».

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٢٦٧).

(٦) في (أ): «ينظر».

قيـل لـه: ﴿طه﴾؛ أي: طـأ الأرض بقدمـك، ولا[١] كلُّ هـذه المجاهـدة وكلُّ هـذا التباعُـد حتى تقـف بقـدم واحدة.

وقال في قوله: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكَ﴾: هما شيئان: وجود الرزق وشهود الرازق، فوجودُ الرزق قوتُ النفوس، وشهود الرازق[٢] قوت القلوب.

وقال: خفَّف على الفقراء مقاساةَ الضرر وتأخُّر الرزق بقوله: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكَ﴾[٣].

***

(١٣٣) ـ ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا﴾: أي: قال هؤلاء الكفارُ: هلَّا يأتينا محمدٌ ﴿بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾: بعلامةٍ تدل على صحة نبوته، يلبِّسون بهذا الكلام على ضعَفتهم.

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾: أي: الآيةُ الدالةُ على نبوته بما وجدوه[٤] في الكتب المتقدمة من البشارة، وذكرِ نبوته، ووصفِ أصحابه وأمته، وهذا إن كان في أهل الكتاب فهو ظاهر، وإن كان في مشركي مكة فهم كانوا يسألون أهل الكتاب عن ذلك فيخبرونهم به.

وقيل: هذا في سؤال آية التعنُّت[٥]، ومعنى الآية: أولم يأتهم بيانٌ[٦] في الكتب

---

(١) في «اللطائف»: (ولمَ).

(٢) «فوجود الرزق قوت النفوس وشهود الرازق» ليس في (أ).

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٤٨٨ ـ ٤٨٩).

(٤) في (أ): «بما وجده»، وفي (ر): «لما وجده»، وفي (ف): «لما وجدوه». والصواب المثبت.

(٥) في (ر): «في سؤال البعث»، وفي (ف): «في سؤال آية البعث».

(٦) في (ر) و(ف): «بيانه».

أن الأمم السابقة لمَّا هم سألوا الآيات وكفروا حين جاءت استأصلناهم، فكذلك لو أعطيناهم ما سألوا وكفروا به نستأصلهم[1].

* * *

(١٣٤) ـ ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم﴾: أي: هؤلاء ﴿بِعَذَابٍ﴾ يعاجلهم به ﴿مِّن قَبْلِهِۦ﴾: من قبلِ إرسال الرسل وإنزال الكتب ﴿لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾: أي: هلَّا أرسلت ﴿فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ﴾ جواب الاستفهام بالفاء فنُصب.

وقوله تعالى: ﴿مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾: بالعذاب، فقد قطعْنا هذا العذر بما أَرسلنا وما أَنزلنا.

وقيل: كان الذلُّ في يوم بدر، والخزيُ يوم القيامة.

وقيل: الذل في يد ملك الموت، والخزي في يد مالك.

* * *

(١٣٥) ـ ﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾.

﴿قُلْ﴾ يا محمد لهم: ﴿كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ﴾ منَّا ومنكم، مترقِّبٌ عاقبةَ أمره ﴿فَتَرَبَّصُوا۟﴾: أي: أنتم عاقبةَ أمركم فنحن متربصون.

وقيل: أنتم تتربصون موتنا لتستريحوا منا، ونحن نتربَّص بكم العذاب.

وقوله تعالى: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾: أي: عند الموت ﴿مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ﴾؛

---

(١) في (ف): «بها استأصلهم»، وفي (ر): «به يستأصلهم».

أي: الدائنون بالدِّين المستقيم[١] ﴿وَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ﴾؛ أي: ومَن المهتدِي أنحن أم أنتم؟

روى الحسن عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «لا يَقرأ أهل الجنة من القرآن شيئاً إلا يس وطه»[٢].

والحمد لله على كثير[٣] إنعامه، ونشكره على سوابغ إكرامه، والصلاة على أفضل أنامه، محمدٍ الأبطحيّ والرسولِ العربيّ وآله وأصحابه المستحقِّين لإحسانه وامتنانه، اللهم بحقِّ هذه السورة وآياتها نجِّني من النار ودركاتها[٤]، والحمد لله رب العالمين.

* * *

---

(١) في (ف): «القيم».

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٢٣٥)، وهو مرسل.

(٣) في (ف): «كثيراً على».

(٤) من قوله: «والحمد لله على كثير إنعامه...» إلى هنا ليس في (أ).

سُورَةُ الأَنبِيَاءِ

سُورَةُ الأَنبِيَاءِ

عليهم السلام

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الذي قصَم القرى الظالمة وأنشأ بعدها قوماً آخرين، الرحمنِ الذي أنزل القرآن ذكراً مباركاً فلسنا له منكرين، الرحيم الذي أرسل المصطفى محمداً رحمة للعالمين.

وروى أبي بن كعب عن النبي ﷺ أنه قال: «من قرأ سورة الأنبياء حاسبه الله حساباً يسيراً، وسلَّم عليه كلُّ نبي ذُكر فيها اسمُه»[1].

وسورة الأنبياء مكيةٌ، وهي مئة واثنتا عشرة آيةً، وقيل: إحدى عشرة؛ للاختلاف في آية: ﴿مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٦].

وهي ألفٌ ومئةٌ وخمسٌ وستون كلمة، وأربعةُ آلاف وتسعُ مئةٍ وتسعةٌ وتسعون حرفاً[2].

وانتظامُ أول هذه السورة بآخر تلك السورة: أنه قال: ﴿فَتَرَبَّصُواْ فَسَتَعْلَمُونَ﴾ وهذا العلم حين يعرف الناس حسابهم، وأولُ هذه: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾[3].

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٢٦٨)، وابن مردويه كما في «الكاف الشاف» لابن حجر (ص: ١١٢). وإسناده ساقط ضعيف كما في «بصائر ذوي التمييز» (١/ ٣٢٢).

(٢) في (أ): «وسبعون حرفاً». وفي «البيان» للداني (ص: ١٨٧): أربعة آلاف وثماني مئة وتسعون حرفاً.

(٣) في (أ) و(ر): «وهذا العلم حين يقترب للناس حسابهم».

وانتظام السورتين: أن (سورة طه) في ذكر الله تعالى وقدرته وجلاله، وذكرِ القرآن وإنزاله، وإرسالِ الرسل ونصرتهم، وتوبيخِ الكفار وعقوبتهم، ونفعِ الطاعة وضررِ المعصية، وهذه السورة كذلك.

* * *

(١) ـ ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾: أي: دنا للناس وقتُ حسابهم على أعمالهم، وهو يوم القيامة، وهو تنبيهٌ على قِصَر ما بقي من مدة الدنيا ليستعدُّوا للآخرة ولا يركَنوا إلى الدنيا.

﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾: عن هذا ﴿مُعْرِضُونَ﴾ عن التأمل فيه والاستعدادِ له[1].

* * *

(٢) ـ ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ﴾: من شيءٍ من القرآن ﴿مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ﴾: لم يكن أتاهم قبل ذلك مما هو ذكرٌ؛ أي: وعظٌ وإذكارٌ لِمَا يلزمُهم التفكُّرُ فيه، وذكرٌ لِمَا بهم الحاجة إليه من مراشد[2] دينهم ودنياهم.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا اسْتَمَعُوهُ﴾: من النبي ﷺ أو غيرِه ممن يَتْلوه.

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾: يستهزؤون به، يشتغلون عنه بأمور دنياهم لا يتفكرون فيه.

---

(١) في (ف): «وهم في غفلة معرضون مر تفسيره».

(٢) في (ر): «أمر».

وقيل: نزلت الآية في أهل مكة: أبي جهل والوليدِ بن المغيرة وغيرهما، وكانوا ينكرون البعث والحساب.

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: لمَّا نزلت ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ عمَد ثابت بن قيس إلى نخلة[1] له فصرَمها وتصدَّق بها، وترك عياله بلا شيءٍ، فشكَوا إلى رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ [الأنعام: ١٤١][2].

ولما نزلت: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ أراد المهاجرون والأنصار أن يتلفوا أموالهم فمنعهم النبي ﷺ فقالوا: أيَّ شيء ننفق؟ فأنزل الله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩][3].

وقوله تعالى: ﴿مُّحْدَثٍ﴾ قال مقاتل: يُحدِثُ الله الأمرَ بعد الأمر[4].

وقال الحسين بن الفضل رحمه الله: الذكر هاهنا هو الرسول، يدل عليه قولهم بعده[5]: ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾، ولو كان المراد من الذكر القرآنَ لقالوا: هل هذا إلا أساطير الأولين، ونحوَه، ونظيرُ هذا قوله: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ۝٥١ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [القلم: ٥١ ـ ٥٢].

---

(١) في (أ): «تحمل».

(٢) لم أجده هكذا، لكن روى الطبري في «تفسيره» (٩/ ٦١٥) عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١] عن ابن جريج قال: نزلت في ثابت بن قيس بن شماس، جَدَّ نخلاً فقال: لا يأتين اليوم أحدٌ إلا أطعمته، فأطعم حتى أمسى وليست له ثمرة، فقال الله: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾. وذكره الواحدي في «البسيط» (٨/ ٤٨١) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) سورتا القمر والأنبياء مكيتان، ومع ذلك ذكر المؤلف منهما ثابت بن قيس وهو من الأنصار، وذكر الأنصار أيضاً، ويقع أمثال ذلك عند المفسرين، وهو خطأ، وعليه اقتضى التنبيه.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٦٩)، و«تفسير الثعلبي» (٦/ ٢٦٩)، واللفظ له.

(٥) «بعده» ليس من (أ).

(٣) ـ ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾: أي: متشاغلةً عن التأمُّل فيه، من قولهم: لَهِيْتُ عن الشيء أَلْهَى عنه، من حدِّ عَلِم؛ أي: غفلتُ عنه، قال: ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ﴾ [المنافقون: ٩].

و﴿لَاهِيَةً﴾ نصب على الحال من قوله: ﴿يَلْعَبُونَ﴾، أو حالٌ مع(١) حال، وتقديره: إلا استمعوه لاعبين لاهيةً قلوبهم.

﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: جمع الفعلَ المتقدِّمَ على الاسم، وله وجوه:

قال الكسائي: فيه تقديم وتأخير، وتقديره: والذين ظلموا أسروا النجوى.

وقال الفرَّاء: بل تقدم الاسم: ﴿لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ ﴿وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ ﴿مَا يَأْتِيهِمْ﴾ ﴿اسْتَمَعُوهُ﴾ ﴿يَلْعَبُونَ﴾ ﴿قُلُوبُهُمْ﴾(٢).

وقيل: هذا مستعمل في العربية أيضاً وموجود في أشعارهم، قال قائلهم:

---

(١) في (أ): «من».

(٢) المعنى والله أعلم: أن الضمائر في كل ما ذكر تعود كلها على ما تقدم من قوله: ﴿لِلنَّاسِ﴾، وكذا قوله: ﴿وَأَسَرُّوا﴾ الضمير فيه يعود على ما عادت عليه الضمائر التي في الكلمات المذكورة، يبينه قول الواحدي في «البسيط» (١٥/ ١٥): (قوله: ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى﴾ فعلٌ قد تقدمت الأسماء عليه، وهم الذين ذكرهم في قوله: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾، وقد تكرر ذكرهم إلى أن قال: ﴿وَأَسَرُّوا﴾ فجاء قول: ﴿وَأَسَرُّوا﴾ معطوفا عليها، وصارت الأسماء مضمرة في هذا الفعل).

وعبارة الفراء في «معاني القرآن» (١/ ٣١٦): (إنما قيل: ﴿وَأَسَرُّوا﴾ لأنها للناس الذين وصفوا باللهو واللعب، و﴿الَّذِينَ﴾ تابعة للناس مخفوضة؛ كأنك قلت: اقترب للناس الذين هذه حالهم، وإن شئت جعلت ﴿الَّذِينَ﴾ مستأنفة مرفوعة، كأنك جعلتها تفسيرًا للأسماء التي في ﴿وَأَسَرُّوا﴾).

واهتدَيْـــنَ النبـــالُ للأغـــراض(١)

وقال أبو تمام:

وأشـجيتُ أيامـي بصبرٍ حَلَـون لـي عواقبُـه والصبـرُ مثـلُ اسـمه صبرُ(٢)

يقول: يُعرضون عنه بأنفسهم، ويموِّهون على ضعَفتهم، فيتسارُّون فيما بينهم ويقولون: ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ استفهام بمعنى النفي؛ أي: ما هو إلا آدميٌّ مثلكم يأكل ويشرب، ويكون منه ما يكون منَّا، فكيف صار رسولاً من بيننا؟!

قوله تعالى: ﴿أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾: استفهام بمعنى التوبيخ والاستنكار؛ أي: يقولون للضَّعَفة: ليس هو برسول بل هو ساحر، أفتأتونه لاستماع هذا الكلام الذي هو سحرٌ وأنتم تعلمون أنه سحر، وهذا منكم خطأٌ وسَفَهٌ.

وقيل: وأنتم ترونه بشراً مثلَكم، وسمَّوا كلامه سحراً على معنى أنه يَرُوقُ ويَرُوعُ ويأخذ بالقلوب.

وقال القشيري رحمه الله: ﴿وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ﴾ الغفلة على قسمين:

غافل عن حسابه لاستغراقه بدنياه.

وغافل عن حسابه لاستهلاكه في مولاه.

فالأولون لا يستفيقون من غفلتهم إلا في عسكر الموتى، وهؤلاء لا يستفيقون من غفلتهم إلا برؤية المولى(٣).

---

(١) عجز بيت لأبي تمام، وهو في «ديوانه» بشرح التبريزي (٢/ ٣١٣)، و«تفسير الثعلبي» (٦/ ٢٧٠)، و«تفسير القرطبي» (١٤/ ١٧٤)، وصدره:

بـك عـاد النصـال دون المسـاعي

(٢) انظر: «الموازنة بين شعر أبي تمام والمتنبي» (١/ ١٣٢).

(٣) في (ر): «فالأولون لا يستفيقون من غفلتهم إلا بشوق مقلق أو خوف مزعج والآخرون لا =

(٤) ـ ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾: قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفصٍ: ﴿قَالَ رَبِّي﴾ وكذا في مصاحف[1] أهل الكوفة.

وقرأ الباقون: ﴿قُلْ﴾[2]؛ أي: يا محمد قل للَّذين أسرُّوا النجوى: ﴿رَبِّي يَعْلَمُ﴾ قولَ كلِّ قائلٍ هو في السماء أو في الأرض.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾: وهو السميع لأقوالهم، العليم بأفعالهم وأسرارهم.

ووجه القراءة الأولى: قال لهم محمد حين قالوا متسارِّين: ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾: إن الله يعلم ما قلتُم وسيجازيكم عليه.

* * *

(٥) ـ ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾.

﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾: أي: لتحيُّرهم تضطرب[3] أقوالهم، وهاهنا مضمر: قالوا: ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ ثم لم يثبتوا على هذا ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾؛

= يستفيقون...». وانظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٤٩١)، وفيه: (فالأولون لا يستفيقون من غفلتهم إلا من سكرة الموت، وهؤلاء لا يرجعون عن غيبتهم أبد الأبد لفنائهم في وجود الحق تعالى).

(١) في (ر) و(ف): «مصحف».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٢٨)، و«التيسير» (ص: ١٥٤).

(٣) في (ف): «أي: ليخبرهم باضطراب»، وفي (ر): «أخبر باضطراب».

أي: تخاليط[١] وتهاويل من الرؤيا رآها في نومه فتوهَّمها[٢] وحياً من الله إليه، ثم لم يثبتوا على هذا حتى قالوا: ﴿بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ﴾؛ أي: اختلقه من نفسه وكذَب به على الله تعالى، ثم لم يثبتوا على هذا حتى قالوا[٣]: ﴿بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ وما أتى به شعرٌ، كلامٌ يَنْظِمُه هو.

وقيل: أسروا النجوى فقال بعضهم: هو سحر، وخالفهم فريق فقالوا كذا، وفريق قالوا كذا.

﴿فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾: لمَّا كانوا علماءَ بضروب الكلام، وكانوا يعلمون أنه ليس بسحرٍ ولا بشعرٍ ولا برؤيا، تحكَّموا واقترحوا فقالوا: ﴿فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ﴾؛ أي: بمعجزةٍ كمعجزات[٤] موسى وعيسى وغيرهما، فأمَّا هذا القرآن فإنَّا لا نرضى به آيةً، فردَّ الله عليهم هذا فقال:

* * *

(٦ ـ ٧) ـ ﴿ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ۝٦ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾.

﴿ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ ﴾: أي: لم يؤمن أهلُ القرى الذين أهلكناهم وقصَصْنا عليكم أخبارهم مع مجيء الآيات التي اقترحوها.

وقوله: ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾: أي: أهؤلاء المقترحون يؤمنون لو أتيناهم بما اقترحوا، وهي استفهام بمعنى النفي.

---

(١) في (ر): «مغاليط».

(٢) في (ر): «فيزعمها».

(٣) «حتى قالوا» من (أ)، وفي (ف): «وقالوا»، وليست في (ر).

(٤) في (ر): «كمعجزة».

وقيل: ما آمنتْ قبل هؤلاء قريةٌ قد سبق لها الهلاك على الكفر، أفأهل مكة يؤمنون وقد سبق لهم أنهم يموتون على الكفر.

وقيل: قوله: ﴿فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ﴾ قاله عبد الله بن أبي أميةَ المخزومي.

وقال القشيري رحمه الله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ يسمعُ أنين المذنبين سرًّا من الخلق حذاراً أن يَفْتضِحوا، ويسمع مناجاة العابدين بنعت التسبيح إذا تهجَّدوا، ويسمع شكوى المحبِّين إذا مسَّتهم البُرحاء ولشدةِ الاشتياق ضجُّوا[1].

وقوله تبارك وتعالى: ﴿وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً يُوحَى إليهم﴾[2]: هو ردُّ قولهم: ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ استبعَدوا الرسالة من البشر[3] وقالوا: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الفرقان: ٢١] قال[4]: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا﴾ الرسلَ ﴿قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ بشراً لم يكونوا ملائكة ﴿يوحى إليهم﴾[5]؛ أي: مع ذلك كان يأتيهم الوحي من عندي على ألسُن الملائكة.

وقوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟﴾: أي: يا أهل مكة ﴿أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾: أهلَ الكتب المتقدمة ممن تقرأ التوراة والإنجيل والزبور، وذلك لأنهم كانوا يذكرون أقاصيصَ الأنبياء والأمم ﴿إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ والعرب لم تكن تعرف ذلك ولا تذكُره، فكان

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٤٩٢).

(٢) في (ر): «نوحي»، وهي قراءة حفص، والمثبت قراءة باقي السبعة. انظر: «السبعة» (ص: ٤٢٨)، و«التيسير» (ص: ١٣٠).

(٣) في (أ): «استبعدوا إرساله» وفي (ف): « استبعدوا الرسالة» ليس فيهما: «من البشر».

(٤) في (ر): «فنزل».

(٥) في (ر): «نوحي إليهم».

أولئك يسمَّون[1] أهلَ الذكر، وكان أهل مكة يعتمدون على قولهم، فأمرهم بسؤالهم ليقع لهم العلم بإخبارهم بأن الأنبياء قبله كانوا من البشر.

وقيل: ﴿أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ﴾: مؤمنو أهل الكتاب.

وقال علي رضي الله عنه: ﴿أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ﴾ العلماء بالقرآن[2]. قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا ذِكۡرٞ مُّبَارَكٌ﴾ [الأنبياء: ٥٠] وهذا دعاءٌ إلى مساءلة أهل العلم من المؤمنون ومناظرتهم والاجتماعِ معهم على البحث والنظر ليخرجوا بذلك عن التقليد.

* * *

(٨ ـ ٩) ـ ﴿وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ۝٨ ثُمَّ صَدَقۡنَٰهُمُ ٱلۡوَعۡدَ فَأَنجَيۡنَٰهُمۡ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهۡلَكۡنَا ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾: أي: وما جعلنا كلَّ واحد منهم جسداً ـ كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ يُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا﴾ [غافر: ٦٧]؛ أي: يخرج كلَّ واحد منكم طفلاً ـ ﴿لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾؛ أي: كانوا في طباع البشر محتاجين إلى ما يُقيم أبدانهم.

وقيل: الجسد كنايةٌ عما لا يتصرَّف ولا يتحرَّك ولا يحتاج إلى غذاء.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ﴾: لا يموتون؛ أي: فكذلك أنت يا[3] محمد، والرسالة لا توجب الخروجَ من البشرية.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ صَدَقۡنَٰهُمُ ٱلۡوَعۡدَ﴾: من النصرة والنجاة ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُمۡ﴾ مما أحلَلْناه بقومهم المكذِّبين.

---

(١) «يسمون» ليس من (أ).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢٢٩) بلفظ: (نحن أهل الذكر).

(٣) «أنت يا» ليس في (أ)، وفي (ف): «يا».

وقوله تعالى: ﴿وَمَن نَّشَآءُ﴾: أي: وأنجينا مَن نشاء، وهم المؤمنون بهم.

وقوله تعالى: ﴿وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ﴾: المجاوزين الحدَّ بالكفر والشرك، ودلَّ الإخبار بإهلاك المسرفين أن ﴿وَمَن نَّشَآءُ﴾ غيرُهم.

***

(١٠) ـ ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ﴾: أي: إلى نبيكم، والإنزال إلى النبي إنزالٌ إلى أمته لأنهم مخاطَبون[1] به.

وقوله تعالى: ﴿كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾: أي: شرفُكم، من قولهم: فلان مذكورٌ في الناس، وإنما صار شرفاً لهم لأنه منزَّلٌ على رسول هو منهم، والمنزَل بلسانهم، والناسُ يتفاخرون بكتبٍ يؤلِّفُها لهم حكماؤهم، فكيف بكتابٍ أنزله الله تعالى على شريفٍ منهم؟

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: أفلستُم عقلاءَ تعرفون مواضع حظوظكم، فكيف غفلتُم عن تحصيل الشرف بالإيمان بهذا الكتاب ومُعاوَنةِ مَن أتى به.

وقيل: ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾: أي: ذكرُ ما بكم إليه حاجةٌ.

وقال ابن جريج: فيه حديثُكم[2].

وقال الحسن: فيه دينكم[3].

---

(١) في (أ): «مخالطون».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢٣٢) من طريق ابن جريج عن مجاهد، ومن طريق ابن أبي نجيح عنه.

(٣) رواه ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٥/ ٦١٧) =

وروى جابر عن النبي ﷺ أنه قال: «لا ينبغي لعالمٍ أن يسكت على علمه، ولا ينبغي لجاهل أن يسكت على جهله، وقد قال الله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾»[1].

* * *

(١١) ـ ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ ﴾: وهذا ترهيب بعد ترغيب؛ أي: وكم كسرنا، وهو عبارة عن الإهلاك، يقال: كُسر الجيش.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أهلكنا[2].

وقال الضحاك: دمَّرنا.

وقال أبو العالية: خرَّبنا.

وقال ابن كيسان: هزمنا وقتلنا، وأنشد قولَ تبَّعٍ اليمانيِّ:

ولقد قَصَمْتُ يهودَ خيبرَ كلَّهم ... فتركتُ خيبرَ غيرَ ذاتِ يهودِ[3]

وقال الفراء: القصم بالقاف: كسر بينونة، والفصم بالفاء: كسر بغير بينونة.

= بلفظ: فيه دينكم، أمسك عليكم دينكم بكتابكم. ورواه أيضاً أبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٢٩١)، ولفظه: أمسك عليكم دينكم أخلاق القرآن.

(١) لم أجده حديثاً، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٢٢٨)، والزمخشري في «الكشاف» (١/ ٤٥١)، عن محمد بن كعب قوله.

(٢) لم أجده عن ابن عباس، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢٣٣) عن ابن جريج ومجاهد وابن زيد.

(٣) لم أقف على هذه الأقوال.

وقوله تعالى: ﴿مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً﴾: أي: من أهل قرية كانوا ظالمين؛ أي: مشركين.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا﴾: أي: خلقْنا ﴿قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾ غيرَهم.

***

(١٢ ـ ١٣) ـ ﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ﴾: أي: رأوا عذابنا ﴿إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ﴾؛ أي: أخذوا يهربون خارجين منها يحركون أقدامهم عَدْواً، والركض ذلك.

وقوله تعالى: ﴿لَا تَرْكُضُواْ﴾: أي: قيل لهم: لا تَفِرُّوا ﴿وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ﴾؛ أي: إلى نعمكم التي خوَّلتموها[1] وتوسَّعْتُم فيها حتى بَطِرْتُم بها وكفرتُم وأعرضتُم.

وقال الخليل: المترَف: الموسَّع عليه عيشُه، القليل فيه همُّه[2].

﴿وَمَسَٰكِنِكُمْ﴾: أي: وأتوا[3] مساكنكم ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ﴾ قال قتادة: يعني: عن دِينكم[4].

---

(١) في (أ): «حولتموها».

(٢) انظر: «العين» (٨/ ١١٤).

(٣) في (أ) و(ف): «وإلى».

(٤) كذا ذكر، والذي في المصادر خلافه، فقد روى عبد الرزاق في «تفسيره» (١٨٥١)، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦)، والثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٢٧١)، وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٥/ ٦١٨) عن قتادة قوله: ﴿وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ﴾ يقول: ارجعوا إلى دنياكم التي أترفتم فيها ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ﴾ من دنياكم شيئاً، استهزاء بهم. وكذا ذكره الماوردي في «النكت والعيون» =

معناه: يطلب منكم الإيمان وتؤمرون[١] به، وذكره بكلمة (لعل) وبكلمة (السؤال) استهزاءً بهم وتوبيخاً، كأنه قيل لهم: ارجعوا حتى يأتيكم رسولُكم فيسألكم أن تؤمنوا به.

وتحقيقه: قد فاتكم ذلك بترككم التدبير في وقته ويتمنون أن يكون كذلك ولا يكون.

وقال قتادة[٢]: ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ﴾ من دنياكم شيئاً، وهو استهزاء بهم أيضاً[٣]؛ أي: قيل لهم: ارجعوا إلى مساكنكم[٤] لعلكم يأتيكم رسولُكم محتاجاً إلى ما في أيديكم فيسألكم من ذلك، فتُعطونه فيمتنع عن دعائكم إلى الإيمان.

وقال ابن عباس ومقاتل رضي الله عنهم: كانت[٥] هذه قريةً باليمن تسمَّى: حاصوراء، قتَلوا نبيهم حنظلةَ عليه السلام، فسلَّط الله عليهم بخت نصَّرَ حتى قتلهم وسباهم، فلمَّا استَحرَّ فيهم القتل هربوا وانهزموا، فقالت لهم الملائكة على طريق الاستهزاء: ﴿لَا تَرْكُضُواْ﴾؛ أي: لا تَعْدوا ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ﴾؛ أي: عن قتل نبيِّكم لمَ قتلتُموه[٦]؟

= (٣/ ٤٣٩)، والواحدي في «البسيط» (١٥/ ٣٢)، والبغوي في «تفسيره» (٥/ ٣١٢). قال الواحدي: (والمعنى على هذا: أن الملائكة قالت لهم: ارجعوا إلى نعمكم ومساكنكم لعلكم تسألون شيئًا من دنياكم، فإنكم أهل ثروة ونعمة، استهزاء بهم، كما ذكره قتادة. وهذا في الحقيقة توبيخ لهم...)، ثم قال: (وقول قتادة في هذه الآية هو الصحيح، وذكرت أقوال، وهي بعيدة في المعنى).

(١) في (أ): «وتؤمنون».

(٢) «وقال قتادة» ليس في (ف).

(٣) انظر ما تقدم قبل تعليقين.

(٤) في (أ): «مسالكهم»، وفي (ف): «مسألتكم».

(٥) في (ف): «وكانت» وليست في (أ).

(٦) ذكر نحوه ابن عبد ربه في «العقد» (٣/ ٣٣٦)، والسهيلي في «التعريف والإعلام» (ص: ١١٢)، =

وقال ابن جريج: ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ﴾[1] عن سبب كفركم، لِمَ كفرتُم؟ ولا يكون لكم حجةٌ.

* * *

(١٤ ـ ١٥) ـ ﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾: أي: أنفسَنا بكفرنا، ولا ينفعهم هذا الاعترافُ.

وقوله تعالى: ﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ﴾: أي: تلك الكلمة، أو تلك الدعوى ﴿دَعْوَىٰهُمْ﴾؛ أي: دعاءهم ـ كقوله تعالى: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا﴾ [يونس: ١٠]؛ أي: دعاؤهم فيها ـ بالويل والثبور على أنفسهم.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ﴾: أي: محصوداً بالسيف كحصيد الزرع، ووُحِّد كما في قوله: ﴿جَسَدًا﴾، أو معناه: حصيدةً، فيكون جمعاً، والفعيل إذا كان للمفعول لم تدخله الهاء.

= والطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٨١) عن أهل التفسير والأخبار، واسم المدينة عندهم: حضور، واسم نبيهم الذي قتلوه: شعيب بن ذي مهدم. وزاد السهيلي والقرطبي: وقتل أصحاب الرس في ذلك التاريخ نبياً لهم اسمه حنظلة بن صفوان...) إلى آخر القصة.

وذكر نحو هذه القصة أيضا الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢٧) عن الضحاك، لكن عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ [الحج: ٤٥].

(١) «أي: عن قتل نبيكم لم قتلتموه وقال ابن جريج لعلكم تسألون» من (أ).

وإن كان هذا بغير السيف فمعناه: الساقط؛ لأنه يقابل القائم، قال تعالى: ﴿مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ [هود: ١٠٠].

و﴿خَٰمِدِينَ﴾: ميتين كخمود النار.

***

(١٦ ـ ١٧) ـ ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾: أي: وما خلقتُ ذلك وأنا أريد به اللعب؛ بل خلقتُ الخلق للابتلاء بالأمر والنهي، ثم أبعثُهم بعد الموت لأجازيَهم في الآخرة على الخير الشر.

وهذه الآية في إثبات وحدانيته، وما قبلها في إثبات رسالة رسوله وحقِّيَّة[1] كتابه.

ثم ذكر بعدها تنزيهَه عن الصاحبة والولد، فقال تعالى: ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا﴾:

قال الحسن ومجاهد: أي: زوجة[2].

وقال قتادة: اللهو بلغة أهل اليمن المرأة[3]؛ لأنها يُلهى بها ويُصرَف الهم.

---

(١) في (ر) و(ف): «وحقيقة».

(٢) رواه عن مجاهد الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢٣٨ ـ ٢٣٩). أما الحسن فذكر عنه الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٤٤٠) أن المعنى: (ولداً). وروى عنه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢٣٨) قوله: اللهو: المرأة. وروى عنه عبد بن حميد وابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٥/ ٦٢٠) قوله: ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا﴾ قَالَ: النِّساء. وروى عنه يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ٣٠٢)، وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٥/ ٦٢٠) قال: اللَّهو بلسان اليمن المرأة. وهو عين قول قتادة الآتي.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٨٥٣)، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢٣٩)، وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٥/ ٦٢٠).

وقيل: يقع اللهو على الزوجة والولد.

وقوله تعالى: ﴿لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾: أي: من عندنا لا من عندك.

وقيل: لو اتخذنا ولداً لم يكن ذلك ما تنحتونه من الأوثان المتَّخذة من طينٍ وخشبٍ وحجارة، بل كنا نتَّخذه نحن من عندنا؛ أي: كيف يكون ما تنحتونه ولداً لنا.

وقيل: لو اتخذنا صاحبةً وولداً لم يكن ذلك من أهل الأرض من الأجسام الأرضية والأخلاط الكدرة[1]، بل من الجواهر الكريمة الشريفة الذي منها خُلق أهل السماء.

وقيل: الأول أصح؛ لأن الجواهر لا تتفاضل لأعيانها.

وقوله تعالى: ﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾: قيل: هو على الشرط: لو جاز ذلك لفعلنا، لكنَّا لسنا ﴿فَٰعِلِينَ﴾[2] لاستحالة ذلك.

وقال مجاهد وقتادة وجماعةٌ: تم الكلام عند قوله: ﴿لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾ ثم قوله: ﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ معناه: ما كنَّا لنفعلَ ذلك[3]، و﴿إِن﴾ للنفي كما في قوله: ﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٣].

* * *

(١٨ - ١٩) - ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾.

---

(١) في (ف): «القذرة».

(٢) «لو جاز ذلك لفعلنا، لكنا لسنا ﴿فَٰعِلِينَ﴾» ليس من (أ).

(٣) رواه عن قتادة عبد الرزاق في «تفسيره» (١٨٥٣)، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢٣٩)، وعن مجاهد عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٥/ ٦٢٠).

وقوله تعالى: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ ﴾: أي: ليس الأمر كما تتوهمون من قوة الباطل، وأنكم تُتركون على ضلالكم وتمويهِكم على الضَّعَفة، ﴿ بَلْ ﴾؛ أي: لكن ﴿نَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾؛ أي: نرمي بالحق ﴿عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ ﴾: فيقهر الحقُّ الباطل ويعلُوه، كما يفعل القاتل بالمقتول إذا أصاب دماغه.

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُوَ ﴾: أي: الباطل ﴿زَاهِقٌ﴾؛ أي: هالك ذاهبٌ كالحي تزهَق نفسه فيموت.

وقوله تعالى: ﴿وَلَكُمُ الْوَيْلُ﴾: أي: الوعيد والعذاب الشديد في الآخرة ﴿مِمَّا تَصِفُونَ﴾؛ أي: تُضيفون إلى الله تعالى ما لا يليق به.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾: أي: هم خلقُه وملكُه، فكيف يكون شيء منه شريكاً له أو ولداً أو صاحبة؟

قوله: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ ﴾: أي: الملائكةُ الذين عنده، وهو بيانُ قربِ المنزلة دون قربِ المكان، فإن الله تعالى عن ذلك علوًّا كبيراً، وهم الذين يعبدهم كثير من المشركين.

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ ﴾: أي: لا يتعظَّمون عنها بل يداومون عليها ﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾؛ أي: لا يَكلُّون ولا يَملُّون ولا يَعيَوْن.

***

(٢٠ ـ ٢٢) ـ ﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾: على المواظبة ﴿لَا يَفْتُرُونَ ﴾: لا يضعفون ولا يعيَون.

وقوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ﴾: أي: يُحيون الموتى، استفهام بمعنى التوبيخ، و﴿أَمِ﴾ بمعنى ألف الاستفهام لأنه لم تتقدَّمه ألف الاستفهام ليكونَ عطفاً عليه.

وقيل: هو عطف على ذلك تقديراً، ووجهه: أفخلَقْنا[1] السماوات والأرض لعباً، أم الملائكةُ الذين يعبدوننا في السماء معبودين، أم هل ما اتَّخذتُموه[2] من الأصنام في الأرض يُحيي الموتى ويَضرُّ وينفع فيكونَ في ذلك موضعُ شبهة.

وقيل: يجوز أن يكون ﴿أَمِ﴾ في هذه الآية عطفاً على قوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ويجوز انتقال الكلام من المخاطبة إلى المغايبة.

وقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾: أي: لو توهِّم وجود السماوات والأرض بصانعَين لفسدتا؛ لِمَا يجري بين الصانعَين من التمانع؛ لأنهما لا يخلوان من أن يكونا قادرين، أو عاجزين، أو أحدهما عاجزاً والآخرُ قادراً، والعاجز لا يكون إلهاً، وفي كونهما قادرين مع جواز ممانعةِ أحدهما صاحبَه ما يوجب استحالة وجود[3] فعلهما؛ أو[4] يَحتاج كلُّ واحد إلى موافقة صاحبه لحصول مراده، والحاجةُ نقصٌ يستحيل معها الإلهيَّةُ، فإذا لم يكونا إلهين خلا العالم عن مدبِّر له، وفي ذلك مما يوجب انتقاضَ أمور العالم، وفي وجود العالم على ما هو عليه من الاتِّفاق[5] دليلُ صانع واحد.

---

(١) في (أ): «أفجعلنا».

(٢) في (ر) و(ف): «اتخذوه».

(٣) «وجود» من (أ).

(٤) في (ر): «إذ».

(٥) في (أ): «الإتقان».

وقوله تعالى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾: أي: نزِّهوا الله ﴿رَبِّ ٱلْعَرْشِ﴾ العظيم[1] ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾؛ أي: من الولد والشركاء.

***

(٢٣ ـ ٢٤) ـ ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ۝٢٣ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾: أي: من أفعال الربوبية ﴿وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ عما كلِّفوا به[2] من العبودية.

وقيل: إنما يُسأل مَن يُحتمل وقوعُ الخطأ في فعله، ولا يُحتمل ذلك في فعل الله تعالى فلا يُسأل، وإشراكُ الكفار بالله الأصنامَ، ووصفُهم إياه باتخاذ الصاحبة والولد، ضلالٌ وخروج عن الصواب والحكمة فيُسألون.

وقيل: ﴿وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ يرجعُ إلى المسيح والملائكة الذين هم متعبَّدون مسؤولون محاسَبون، فكيف يكونون شركاء لله؟

وقوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾: قيل: الإعادة لتجديد إفادة؛ فإن الأول إنكار عليهم من حيث العقلُ، والثاني من حيث الخبر؛ أي: أيقولون ذلك عقلاً وهم يُنشرون الأموات فيقعَ لهم شبهةٌ، أم يقولون من جهة الخبر أنَّا أخبرنا في الكتب أنهم آلهةٌ، وليس كذلك، فلا إنشار ولا إخبار، وذلك قوله تعالى:

﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾: على أنه في الكتب ﴿هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى﴾؛ أي: هذا الكتاب ـ وهو القرآن ـ وكتابُ مَن قبلي وهو التوراة والإنجيل ليس ذلك في شيء

---

(١) «العظيم» ليست في (أ).

(٢) «به» من (ر).

منها؛ بل كلُّها دالة على التوحيد ونفي الصاحبة والولد والشريك، فقد بطل اتخاذ الآلهة من الجهات كلها.

﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡحَقَّ﴾: من أين يُتعرَّف ومن أيِّ جهة يُطلب ﴿فَهُم مُّعۡرِضُونَ﴾ عن الحقِّ كذلك.

* * *

(٢٥ ـ ٢٦) ـ ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وما أرسَلْنا مِن قَبْلِكَ مِن رسولٍ إلا يُوْحَى[١] إليه أنَّه لا إلهَ إلَّا أنَا فاعْبُدون﴾: تقرير ذلك؛ أي: ولم نرسل قبلك رسولاً إلا أوحينا إليه بالتوحيد وتجريدِ العبادة لله، دون الشرك[٢] الذين يَدين به هؤلاء، وهذا كلُّه كلام واحد.

وقيل: تم الكلام عند قوله: ﴿قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡۖ﴾ ومعناه: ولا برهان لهم، ثم ابتدأ كلاماً فيه حثٌّ على التوحيد وزجرٌ عن الشرك: ﴿قُلۡ﴾ يا محمد: هذا القرآن ﴿ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ﴾؛ أي: بيانُ حال أهل عصري: أنَّ مَن آمن أو كفر فإلى ماذا يصيرون؟ ﴿وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِي﴾: بيانُ مَن آمَنَ بالأنبياء ووحَّد، وبيانُ مَن كذَّبهم وأشرك: أنهم إلى ماذا صاروا؟ ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡحَقَّ﴾؛ أي: ليس بهم رغبةُ معرفةِ الحق ﴿فَهُم مُّعۡرِضُونَ﴾ عنه، وكذلك ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ﴾ كلامٌ آخرُ في تنبيههم.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا﴾: أي: قال طائفة من العرب: اتخذ الله الملائكةَ بناتٍ ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ﴾؛ أي: تنزَّه الله تعالى عن ذلك وتقدَّس.

---

(١) في (ر): «نوحي»، وهما قراءتان سبعيتان، قرأ بالنون حفص وحمزة والكسائي، والباقون بالياء. انظر: «السبعة» (ص: ٤٢٨)، و«التيسير» (ص: ١٥٤).

(٢) في (ر): «الشريك».

وقوله تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾: أي: ليس كما قالوا، لكنهم ﴿عِبَادٌ﴾ لي ﴿مُّكْرَمُونَ﴾؛ أي: أكرمتُهم ورفعتُ منزلتهم[(١)].

* * *

(٢٧ ـ ٢٨) ـ ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِالْقَوْلِ﴾: أي: لا يقولون شيئاً لم يؤذَن لهم فيه.

وقيل: هو إبطال ظنِّ المشركين، فإنهم كانوا يعبدون الملائكة طمعاً في شفاعتهم، فقال: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِالْقَوْلِ﴾؛ أي: لا يقولون شيئاً لم يؤذن لهم فيه.

ثم قال: ﴿وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾: ذكر طاعتهم في القول والعمل جميعاً.

وقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: مما لم يبلُغوه بعدُ: ماذا يعملون فيه؛ ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾؛ أي: ويعلم ما مضى من أزمنتهم فخلَّفوه ما عملوا فيه؛ أي: أحصى ذلك عليهم وحفظه ليحاسبهم، فهم مستعبَدون محاسبون، فكيف يتقدمون بين يدي الله فيشفعون لمن لم يأذن لهم فيه.

﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾: أي: لمن هو مرضيٌّ عند الله بالتوحيد، ومن شفاعتهم ﴿لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ هو استغفارهم الآن، قال تعالى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ الآية [غافر: ٧].

وقوله تعالى: ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾: أي: خائفون.

* * *

---

(١) في (ف): «عنهم زلتهم».

(٢٩ ـ ٣٠) ـ ﴿ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾.

﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ﴾: أي: من دون الله ﴿فَذَٰلِكَ﴾ القائلُ ﴿نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾ على ادعائه الشركةَ في الألوهية.

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: أي: هكذا نفعل بمن ادَّعى ما ليس له أن يدَّعيَه، وهذا الوعيد في حقِّهم مع العصمة كوعيدِ الأنبياء، وقد مر تأويلُه مرات.

وقال ابن عباس وقتادة والضحاك: الوعيد تحقَّق في إبليس خاصة[١].

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾: وهذا بيان دلالة التوحيد، والرَّتق: السد، ومنه الرَّتْقاء: وهي المرأة التي فرجها ملتحمٌ، والفَتْق: الشَّق، وصرفُهما من باب دخل.

ومعناه: أولم ير الكفار بالأبصار، وهو استفهامٌ بمعنى الإثبات؛ أي: قد رأوا ﴿أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾؛ أي: تكونان مرتوقتَين، مصدرٌ أريد به النعت فلم يثنَّ لذلك، وإنما ثُني ﴿كَانَتَا﴾ مع أن السماوات والأرض جمع؛ لأنهما صنفان.

قوله: ﴿فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾: أي: فنفتق السماء بالمطر والأرضَ بالنبات قواماً للعالَم.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾: أي: وجعلنا من ماء السماء كلَّ شيء على وجه[٢] الأرض حيًّا ﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾: أي: أفلا يصدِّقون بأن ذلك لم يكن

---

(١) رواه عن قتادة عبد الرزاق في «تفسيره» (١٨٥٦)، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢٥٤)، وعن الضحاك ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٥/ ٦٢٥). وزاد الواحدي في «البسيط» (١٥/ ٥٥) نسبته للسدي والكلبي.

(٢) «وجه» ليست في (أ).

بنفسه بل بمكنونِ كونه، وإلى هذا التأويل ذهب عطيةُ وعكرمة وابن زيد وجماعة[١].

وتأويل آخر: أولم يعلم الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا ملتصقتَين ففتقناها بالهواء، وهو قول الحسن وقتادةَ وجماعةٍ[٢].

والرؤية[٣] على هذا من رؤية بصر القلب وهي العلم؛ أي: فليعلموا ذلك.

وقيل: السماوات كانت طبقةً واحدة ففتقها الله تعالى فجعلها سبعاً، وكذلك الأرضون.

وعلى هذين القولين معنى قوله: ﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: أفلا يصدِّقون بهذا وقد أتاهم الخبر به عن الله تعالى.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه سئل عن الليل: أكان قبل النهار أو النهارُ كان[٤] قبل الليل؟ فقال: الليل، وقرأ هذه الآية، ثم قال: فهل يعلمون كان بينهما إلا ظلمة[٥].

* * *

(٣١) ـ ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾: أي: جبالاً ثوابتَ ﴿أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾؛ أي: لئلا تضطرب بهم؛ ليَتِمَّ القرار عليها والتمكُّن فيها.

---

(١) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢٥٧ ـ ٢٥٨).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢٥٥ ـ ٢٥٦) عن ابن عباس والحسن وقتادة.

(٣) في (أ): «وأولم ير» وفي (ف): «وألم».

(٤) «كان» من (أ).

(٥) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧١٧)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٣٦٨).

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا﴾: قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿فِيهَا﴾؛ أي: بين الجبال[١]؛ أي: طرقاً واسعة؛ جمع فجٍّ، ومنه: تفاجَّ؛ أي: فتح ما بين رجليه للبول.

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: كانت الجبال مصمتةً، فلما أغرق الله قومَ نوح فرَّقها فجاجاً[٢].

وقيل: ﴿فِيهَا﴾؛ أي: في الأرض، فيعمُّ الجبال والسهول.

وقوله تعالى: ﴿سُبُلًا﴾: أي: مسالكَ، وهو كقوله تعالى: ﴿لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً﴾ [نوح: ٢٠].

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾: أي: ليهتدوا بها إلى البلاد المقصودة، ودخل فيها (لعل) لأنه قد ينقطع الاستدلال[٣]، وقد يقع فيه الخطأ.

* * *

(٣٢ ـ ٣٣) ـ ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ (٣٢) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا﴾: أي: مُظِلًّا عليكم كالسقف ﴿مَحْفُوظًا﴾ في موضعه عن السقوط؛ كما قال: ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [الحج: ٦٥] وقال تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ الآية [البقرة: ٢٥٥].

وقيل: ﴿مَحْفُوظًا﴾ بالشهب من الشياطين؛ كما قال: ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ [الحجر: ١٧].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢٦٢).

(٢) ذكره الرازي في «تفسيره» (٢٢/ ١٣٩)، وفيه: (كانت الجبال منضمة...).

(٣) في (أ): «لأنه يقطع بالاستدلال».

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا﴾: أي: آياتِ السماوات والأرض ﴿مُعْرِضُونَ﴾ لا يتفكَّرون فيها، بخلاف المؤمنين الذين يتفكَّرون في خلق السماوات والأرض ويقولون: سبحانك ﴿مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا﴾ [آل عمران: ١٩١].

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾: الليلَ ليسكنوا فيه والنهارَ ليتصرفوا فيه.

﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾: أحدهما سراجُ الليل والآخر سراج النهار، ليُعلم بهما الشهورُ والسِّنون، ويقومَ بهما مصالح العباد.

وهذا كلُّه آيات يُستدل بها على وحدانية الله تعالى ونعمِه يجب بها شكر الله تعالى.

وقوله: ﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾: أي: كلٌّ من الشمس والقمر والنجوم في فلك.

قال الضحاك: أي: هذا المجرى الذي يجري فيه الشمس والقمر(١).

وقال الحسن: الفلَكُ طاحونة كهيئة فَلْكة المغزل(٢).

وقيل: هو موج مكفوف، فلذلك قال: ﴿يَسْبَحُونَ﴾ كما يسبح الإنسان في الماء.

قال ابن جريج: يَجرون(٣).

وقيل: يسرعون، وقيل: يدورون.

وجمع بالواو لأنه وصَفَها بالفعل الذي يكون مثلُه من العقلاء، وهو كقوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤]، وكقوله: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢٦٥).

(٢) في (ر): «فلك المغزل»، وذكره بهذا اللفظ يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ٣١١). وذكره باللفظ المثبت الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢٦٦)، ويحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٨٠٩).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢٦٧) من طريق ابن جريج عن مجاهد، ومن طريق ابن أبي نجيح عنه.

﴿يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٥]، وكقوله: ﴿ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ﴾ [النمل: ١٨]، وقال النابغة:

تمزَّزْتُها والدِّيكُ يدعو صباحَه إذا ما بنُو نعشٍ دَنَوا فتَصوَّبوا[1]

***

(٣٤ ـ ٣٥) ـ ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾: لمَّا ذكر لهم هذه الآيات قالوا: ما أتى به ﴿أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر﴾ وقال في آية أخرى: ﴿شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ [الطور: ٣٠]؛ أي: الموت، يموت كما مات شاعر بني فلان فنستريحُ منه ومِن سبِّه لأصنامنا وتسفيهه لأحلامنا، فنزلت: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾؛ أي: الخلودَ في الدنيا، فليس في الموت ما يُبطل النبوة.

وقوله تعالى: ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾: استفهام بمعنى النفي؛ أي: لا يخلدون بل يموتون كما تموت.

وقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾: أي: كلُّ نفسِ حيوان ﴿ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾؛ أي: تذوق الموت لا محالةَ ﴿وَنَبْلُوكُم﴾؛ أي: نختبرُكم في الدنيا ﴿بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ﴾: بالمكروه والمحبوب ﴿فِتْنَةً﴾؛ أي: امتحاناً وتعبُّداً بالصبر في المكروه، والشكرِ في المحبوب.

وقوله تعالى: ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾: بالموت والبعث فنجزيكم بما عملتُم.

***

(١) البيت في «الكتاب» (٢/ ٤٧) برواية: (شربت بها)، و«الأزمنة» لقطرب (ص: ٢٩) برواية: (سريت بهم)، و«مجاز القرآن» (٢/ ٣٨)، و«المقتضب» (٢/ ٢٢٦)، و«تفسير الطبري» (١٥/ ٥٤٥)، والرواية عندهم كالمؤلف.

(٣٦) - ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ﴾: أي: ما يتخذونك ﴿إِلَّا هُزُوًا﴾ يَسْخرون بك.

وقوله تعالى: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾: استفهام بمعنى التعجب؛ أي: يقولون: أهذا الذي يَعيب آلهتكم، وهو كقولهم: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٠]؛ أي: يَعيبهم.

وقيل: يذكرهم بالذم والسوء.

وقوله تعالى: ﴿وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾: أي: بذكر الله الذي خلقهم بما هو أهلٌ أنْ يُذكر به كافرون؛ أي: يُنكرون عليك ذكر آلهتهم بالسوء، وذكرَ الله تعالى بصفاته الحسنى.

وقيل: ﴿بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾؛ أي: توحيده؛ كما قال: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ [الزمر: ٤٥]، وقال: ﴿إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ﴾ [غافر: ١٢].

وقيل: الذكر اسم للقرآن هاهنا، ومعناه: هم بكتاب الله كافرون.

وأعاد كلمة ﴿هُمْ﴾ فقال: ﴿وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ لأن الأولى إشارة إلى المشركين بمكة[1] بمنزلة تسميتهم، والثانية تحقيق لاختصاصهم بهذا[2]، كقولك: زيد هو الذي فعل كذا؛ أي: اختَصَّ به وانفرد.

---

(١) في (أ): «إلى مشركي مكة».

(٢) بعدها في (ر) و(ف): «القول».

(٣٧ ـ ٣٨) ـ ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾: أي: عَجولاً، وقد ذكر ذلك في آيةٍ[1]، وهو كقوله: ﴿خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ [الروم: ٥٤]، وقال في آية أخرى: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨] وهو كقولك: خُلقتَ من الشرِّ.

أي: خُلق مستعجِلاً ما يشتهيه ويريده بطبعه، وهؤلاء المشركون يستعجلون أيضاً في طلب الآيات، فقال تعالى: ﴿سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى﴾ التي تطلبونها دلالةً على صحة[2] رسالة محمد ﷺ ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ في سؤالها.

وقيل: يستعجلون العذاب بقولهم: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾.

وقيل: هذا في حق النَّضْر بن الحارث، وقوله: ﴿سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى﴾؛ أي: عجائبي في عقوبتهم ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ ذلك، وكان ذلك يوم بدر.

ثم النهيُ عن الاستعجال ـ مع أنه طُبع على العجلة ـ لمخالفةِ الطبع، وعليه الثوابُ كما في الشهوات.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾: أي: الموعود ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ هو أحد وجهي استعجالهم، وذلك قوله تعالى:

* * *

(٣٩ ـ ٤٠) ـ ﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾.

---

(١) وهو قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ [الإسراء: ١١].

(٢) في (ر): «صدق».

﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: أي: لو علموا حالهم إذا دخلوا جهنم وهم حينئذ لا يمكِنُهم أن يمنعوا عن أنفسهم ما يضطرم من النار في وجوههم وظهورهم لعظمها وكثرتها، ولأن أيديَهم مغلولةٌ حينئذ ولا ينصرهم غيرهم؛ أي: لا يمنع العذاب عنهم، والنصرة: المنع، قال الله تعالى خبراً: ﴿فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ﴾ [هود: ٦٣].

وقيل: لا تنصرهم الآلهةُ التي رجَوها.

وجوابه محذوف، وهو أبلغُ لِمَا مرَّ مرات، وأحدُ وجوه الجواب هاهنا: لم يستعجلوا.

وقيل: إضمار الجواب بعد تمام الآية التي تليها.

قوله تعالى ﴿بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً﴾: أي: النار فجاءةً ﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾ قيل[1]: فتحيِّرهم.

وقيل: فتَجْهَدهم وتَلفح وجوههم وظهورهم عِياناً؛ كالرجل يَبْهَت الرجل في وجهه.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾: أي: يُمْهَلون؛ أي: لا تؤخَّر عنهم طرفةَ عين، والجمع بين هذه الصفات بيانُ غايةِ شدة عذابهم.

* * *

(٤١ ـ ٤٢) ـ ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَٰنِ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ﴾: أي: نزل ﴿بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا﴾؛ أي: جراءَ ما كانوا ﴿بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ مر تفسيره مرات.

---

(١) في (ر) و(ف): «أي».

وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم﴾: أي: قل يا محمد لهؤلاء المستعجِلين: مَن يحفظكم ﴿بِالَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَٰنِ﴾؛ أي: من عذاب الرحمن، وكان مشركو العرب مقرِّين بأن الله تعالى هو الخالق والرازق والحافظ، فإذا سألتَهم عن ذلك واعترفوا بأنْ لا حافظ من عذاب الله، ثبت أنه قادرٌ على أن يعجِّل لهم العذاب، فإنه لا يؤخِّره لعجزه ولكن ليبلُغ الكتاب أجلَه.

وقوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ﴾: وفيه إضمارٌ لتفيد كلمة ﴿بَلْ﴾[1]: ليسوا جاهلين أنْ لا كالئ لهم من عذاب الله تعالى، ﴿بَلْ هُمْ عَن﴾ تدبُّر[2] ﴿ذِكْرِ﴾ الله؛ أي: وعظِه ﴿مُّعْرِضُونَ﴾.

* * *

(٤٣ ـ ٤٤) ـ ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ (٤٣) بَلْ مَتَّعْنَا هَٰؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَٰلِبُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا﴾: وفيه إضمار أيضاً لتكون ﴿أَمْ﴾ على حقيقتها[3]: أيستعجلون العذاب ظنًّا منهم أنهم يمتنعون من عذاب الله تعالى بأنفسهم ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا﴾.

ثم ردَّ عليهم ذلك فقال: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾: أي: يُجارون ويُحفظون، يقال في الدعاء: صَحِبَكَ الله؛ أي: كان الله

---

(١) في (ف): «أنهم» بدل من «لتفيد كلمة بل». وكلمة «لتفيد» غير واضحة في (أ) و(ر).

(٢) «تدبر» ليست في (أ).

(٣) في (ف): «الحقيقة».

لك مجيراً وحافظاً، وفي الحديث: «اللهم اصْحَبنا بصحبةٍ واقْلِبنا بذمَّةٍ»[١].

وقوله تعالى: ﴿ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ﴾: أي: ليس لهم آلهةٌ تمنعهم من دوننا ولا جارٌ يُجيرهم من عذابنا ليكون إصرارهم على الكفر اتِّكالاً عليهم، لكنْ متَّعناهم بالحياة الدنيا وبسَطنا لهم في عزِّها ونعيمها، وكذلك فعلنا بآبائهم فطال عليهم العمر فألِفوه واستطابوا الدَّعَةَ، فقست قلوبهم، فلما جاءهم مَن يدعوهم إلى خلافِ ما ألِفوه استثقلوا تركَ ما هم عليه وظنوا أنَّ ما هم فيه لا يزول عنهم، فأعرضوا عن التدبُّر.

ثم بيَّن خطأهم في ذلك فقال: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ﴾: أي: أفلا يُشاهدون ما نفتحه على محمدٍ من بلاد الكفر مما حول مكة، فنَنْقص من قراهم ونزيد في ملك محمد وما يهلكه[٢] من رؤساء هؤلاء[٣].

قوله تعالى: ﴿أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾: أي: أفكفَّارُ مكة يغلبون بعد أن نقصنا من أرضهم[٤]؛ أي: ليس كذلك، بل يغلبهم رسول الله ﷺ وينصرُه الله تعالى.

وفي نقص الأطراف أقاويلُ أُخر ذكرناها في سورة الرعد، وهذا القول هاهنا أقرب إلى النظم.

---

(١) قطعة من حديث رواه الإمام أحمد في «المسند» (٩٢٠٥)، والترمذي (٣٤٣٨)، والمحاملي في «الدعاء» (٢٧)، والحاكم في «المستدرك» (٢٤٨٤)، والخطيب في «الكفاية في علم الرواية» (ص: ١٧٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. ولفظ أحمد: (بنصح)، والترمذي: (بنُصْحك) بدل: (بصحبة). قال الترمذي: حسن غريب.

(٢) في (ر) و(ف): «يهلك».

(٣) السورة مكية، ولم يكن هناك فتح ولا نصر، وقد تكرر هذا عند المؤلف.

(٤) في (ر) و(ف): «أطرافهم».

وقيل: نقصُ الأطراف تنبيهٌ على ذهاب[١] الكل، قال قائلهم:

طوى العصرانِ ما نَشَراهُ مني ... فأبلى جِدَّتي نشرٌ وطَيُّ

أَراني كلَّ يوم في انتقاصٍ ... ولا يَبْقَى مع[٢] النُّقصان شيُّ[٣]

***

(٤٥ - ٤٦) - ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ۝٤٥ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ﴾: أي: ﴿قُلْ﴾ يا محمد للمستعجِلين: ﴿إِنَّمَآ أُنذِرُكُم﴾ بالعذاب بوحي الله[٤] لا من تلقاء نفسي.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾: ويحقُّ عليهم أن يسمعوا إنذارك، لكن لا يسمع الصمُّ الدعاء إذا ما ينذرون، وقد أصمَّهم الاغترار بالمهلة.

وقيل: معناه: ﴿إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ﴾ والله تعالى يُنزل العذاب متى شاء، ولكنكم لصَمَمكم[٥] معرضون عن التدبر.

وقرأ ابن عامر: ﴿ولا تُسمِعُ﴾ بالتاء مضمومة على خطاب النبي ﷺ ﴿الصمَّ﴾ بالنصب على أنه مفعول[٦]؛ أي: لا تستطيع أنت أن تسمع الصم الدعاء.

---

(١) بعدها في (ف): «بعض»، وهو خطأ.

(٢) في (ف) و(أ): «على».

(٣) البيتان لابن أبي الدنيا كما في «تاريخ بغداد» للخطيب (١٤/ ٣١٠)، ودون نسبة في «لطائف الإشارات» (٢/ ٢٣٧ و٥٠٤).

(٤) لفظ الجلالة «الله» من (أ).

(٥) في (ف): «صممتم»، وفي (ر): «صممتم وأنتم».

(٦) انظر: «السبعة» (ص: ٤٢٩)، و«التيسير» (ص: ١٥٥).

وقوله تعالى: ﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ﴾: أي: شيء قليل، وهو من قولهم: نَفَح الوردُ: إذا فاح شيءٌ من رائحته، قال الشاعر:

وعَمْـرةُ مـن سَـرَواتِ النِّسا ... ءِ تنفـحُ بالمسـكِ أردانُها[1]

ونفح لفلان من عطائه[2]؛ أي: أعطاه شيئاً منه، قال أبو تمام:

وانفَـحْ لنا مـن طِيبِ خِيْمِكَ نفحةً ... إنْ كانت الأخلاقُ مما تُوهَبُ[3]

يقول عز وجل: ولئن أصابت هؤلاء المستعجِلين بالعذاب[4] ﴿نَفْحَةٌ﴾؛ أي: شيء قليل من ﴿عَذَابِ رَبِّكَ﴾ ﴿لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾؛ أي: لأقرُّوا على أنفسهم بظلمهم عليها، ولنادوا بالويل جزعاً مما أصابهم، أَخبرَ أنه لا طاقة لهم باحتمالِ قليلِ العذاب فكيف بالكثير؟

* * *

(٤٧) ـ ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: أي: ونحضِر الموازين التي لا جَور فيها ـ بل هي كلُّها قسطٌ؛ أي: عدلٌ ـ لوزن الأعمال يوم القيامة.

---

(١) البيت لقيس بن الخطيم كما في «الأغاني» (١٦/ ٣٥)، وعمرة هي بنت رواحة أخت عبد الله بن رواحة وأم النعمان بن بشير. انظر: «أسد الغابة» (٧/ ٢١٩)، و«الإصابة» (٨/ ٣١).

(٢) في (ر) و(ف): «عطاه».

(٣) انظر: «الموازنة بين شعر أبي تمام والمتنبي» للآمدي (١/ ٣٣٢).

(٤) «بالعذاب» ليست في (أ).

﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾: أي: لا[١] يُنقص شيءٌ من عمله ولا يُحمل عليه ذنبُ غيرِه.

﴿كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ﴾: وإن كان عملُها قَدْرَ حبةٍ من خردل ﴿أَتَيْنَا بِهَا﴾؛ أي: أحضرنا تلك الحبة فوزنَّاها وحاسبنا عليها.

وقوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾: أي: مُحْصِين مثبِتين مقاديرَ[٢] ما عملوا، لا حاجة بنا إلى غيرنا في محاسبةٍ يومئذ.

وقيل: ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ في الدنيا مُحْصِين لأعمالهم.

ومعنى الجمع في الموازين: تعظيمُ شأنها وإن كان الميزان واحداً؛ كقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ﴾ [المؤمنون: ٥١] يعني: النبيَّ ﷺ.

ولأن أعمال كل واحد توزن به فهي ميزان في حقِّه وميزان في حقِّ كلِّ واحد، فصار جمعاً بإضافته إلى الجمع.

ولأن الميزان مجموع أشياءَ بها كلِّها يقع الوزن، فكلُّ شيء منه آلةُ وزنٍ فكان ميزاناً، فكان بجملته موازينَ معنًى.

ولأن ﴿الْمَوَازِينَ﴾ يجوز أن تكون جمع الموزون، فكان جمعاً للموزونات لا للميزان.

و﴿الْقِسْطَ﴾: نعت الموازين؛ قال الفرَّاء: هو مصدرٌ فصلح نعتاً للجمع؛ كما للرضا والعدل[٣].

وقال الفراء: ﴿لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ في معنى: في يوم القيامة[٤].

---

(١) في (ف) و(أ): «بأن» بدل: «أي: لا».

(٢) في (ف): «مثبتين مقدار»، وفي (ر): «مبينين مقدار».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٠٥).

(٤) المصدر السابق.

وقيل: معناه: لأهلِ يومِ القيامة، ولأمرِ يومِ القيامة.

ثم القولُ بحقيقة الميزان يوم القيامة من[١] مذهب أهل السنة والجماعة[٢]؛ لورود الأحاديث[٣] الصحيحة فيه[٤].

وقال الحسن: للميزان لسان وكفَّتان توزن به الأعمال[٥]، فيحتمل أن يجعل في إحدى كفتيه صحف الحسنات وفي الأخرى صحف السيئات، أو كما شاء الله تعالى.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: تُوزن الأعمال بميزان الإخلاص فما فيه الرياءُ لا يُقبل، وتوزن الأحوال بميزان الصدق فما فيه الإعجابُ[٦] لا يُقبل، وتوزن الأنفاس بميزان الصفاء فما فيه الحظوظُ لا يُقبل[٧].

وقد مر في قوله تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾ [الأعراف: ٨] زوائدُ وفوائد.

* * *

(٤٨) ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا﴾: ثم اقتصَّ الله تعالى على نبيِّه ﷺ أخبارَ كثير من الأنبياء، وما قاسَوه مع قومهم في إقامة دين الله تعالى، وما أنعم الله عليهم من حميد العاقبة، يُسلِّيه بذلك ويبشِّره الله تعالى،

---

(١) «من» من (أ).

(٢) «والجماعة» من (أ).

(٣) في (ر): «لورود الكتاب والأحاديث».

(٤) انظر ما تقدم عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾ [الأعراف: ٨] وقد أشبعنا الكلام فيه ثمة.

(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٢٠١).

(٦) في (ر): «العجب».

(٧) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٥٠٥).

ويعرِّف الكفار أنهم عليهم السلام كانوا بشراً عاشوا ما قدِّر لهم ثم قبضهم الله إلى رحمته، فمحمد ﷺ كأحدهم، فقال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا﴾.

قيل: هذه الثلاثُ كلها في(١) التوراة:

هي فرقانٌ يُفْرَق به بين الحق والباطل والهدى والضلال.

وهي ضياءٌ يُهتدى به إلى الحق ويُتوصَّل به إلى سبيل النجاة.

وهي ذكرٌ؛ أي: تعريفٌ لِمَا بالناس من حاجةٍ إليه، ووعظٌ وتنبيه.

وعطفُ بعض هذه الصفات على البعض كالعطف في قوله تعالى: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: ٣٩].

وقيل: بل ﴿ٱلْفُرْقَانَ﴾ هو نصرهما على العدو، والفرقان: النصر؛ قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ [الأنفال: ٤١]، أو فرقُ البحر قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾ [البقرة: ٥٠]، والضياء اسم للتوراة، والذكرُ الوعظ.

وقوله تعالى: ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾: وفي الحقيقة الضياء والذكر للكلِّ، لكن انتفع بذلك المتَّقون فخصَّهم بالإضافة إليهم؛ كما قال: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٥].

* * *

(٤٩ ـ ٥٠) ـ ﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾: هو وصف المتقين.

---

(١) في (أ): «هي».

قال نفطويه: ﴿يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾؛ أي: لم يروه.

وقيل: يحذَرون ما حذَّرهم الله تعالى وبلَّغه الأنبياءُ من الأشياء التي تكون في القيامة وهي غيب.

وقيل: ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾؛ أي: بالسرِّ حين يغيب عنهم الناس يُجِلُّون الله تعالى ويخافون مقامه.

وقوله تعالى: ﴿وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾: أي: حذِرون من قيام الساعة وما يَظهر فيه من معاصيهم وتقصير طاعاتهم.

﴿وَهَٰذَا﴾: وهو[1] القرآن المنزل عليك ﴿ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ﴾ مَن تبرَّك به اتَّصلت له البركات؛ من الاهتداء إلى المَراشد، والنجاةِ من العقاب، والوصول إلى الثواب.

وقوله تعالى: ﴿أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾: قيل: أي: جاحدون أنه منزلٌ من عند الله تعالى، استفهام بمعنى التوبيخ.

وقيل: ﴿مُنكِرُونَ﴾؛ أي: مستنكرون[2] نزولَه على محمد؛ كما قال تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾ [يونس: ٢]، وقال: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١].

أي: لا معنى لإنكاركم، فقد أنزلنا التوراة على موسى وهارون، وأرسلنا رسلاً إلى قومهم على ما ذكره من بعده[3].

وقال القشيري: الخشية بالغيب: إطراق السريرة في أوان الحضور باستشعار

---

(١) في (أ): «وهذا».

(٢) في (ر) و(ف): «مستكثرون».

(٣) في (أ): «بعد»، وكلمة «من» ليست في (ر).

الوجل من جريان سوء الأدب والحذر من أن يبدو من الغيب بغتات التقدير مما[١] يوجب حَجبة العبد[٢].

* * *

(٥١ ـ ٥٢) ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ﴾: أي: ولقد أعطينا إبراهيم الخليل هداه.

وقيل: وفَّقناه للحق وعصمناه من عبادة الأوثان.

﴿مِن قَبْلُ﴾: أي: من قبل الوحي؛ أي: دلَلْناه على معرفتنا بالآيات حين جنَّ عليه الليل فرأى كوكباً ثم القمرَ ثم الشمسَ على ما مرت قصته.

وقيل: يعني: محاجَّة القوم قبل الوحي.

وقيل: أي: الفهمَ والعقل قبل البلوغ.

وقيل: أي: من قبلِ موسى وهارون، والرُّشد على قول هؤلاء النبوةُ.

وقوله تعالى: ﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾: أي: بصلاحه للنبوة؛ أي: على علمنا بذلك آتيناه النبوة، وهو كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الدخان: ٣٢].

وقيل: كنا عالمين بطاعته لنا.

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ﴾: أي: الأصنام المصوَّرة وتماثيلُ الناس ﴿ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾: أي: على تعظيمها وعبادتها مُقيمون.

---

(١) في (ف): «يبدو من الغيب شأن التقدير مما»، وفي (ر): «يبدو من الغيب شيء مما». وفي «اللطائف»: (يبدو من الغيب من خفايا التقدير ما)

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٥٠٦).

(٥٣ ـ ٥٦) ـ ﴿قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ﴾: كعبادتنا لها.

﴿قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: أي: ظاهر.

وقيل: أي: مُظهِرٍ عن نفسه أنه ضلال، وهو لازمٌ ومتعدٍّ.

ووجهُ ظهور هذا الضلال: أنكم عبدتُم خشباً وطيناً وحجارة لا تعقل ولا تضرُّ ولا تنفع، ولا تدفع عن نفسها شيئاً[1].

وقوله تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ﴾: أي: أمُحِقٌّ أنت في هذا[2] القول جادٌّ فيه أم لاعبٌ ممازح؟! استعظاماً منهم إنكارَه عليهم.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: أي: لستُ بلاعبٍ فيما قلتُ لكم، بل أنا جادٌّ فيه محقِّقٌ له؛ لأن هذه التماثيل ليست بربكم، ﴿بَل رَّبُّكُمْ﴾؛ أي: مدبِّرُكم والقائم عليكم هو خالق السماوات والأرض ومدبِّرهما وممسكهما؛ لِمَا فيها من الدلائل أنها مصنوعة لصانعٍ واحدٍ قادرٍ عليهم، لا يُشبه المصنوعات بوجهٍ من الوجوه كأصنامكم هذه التي هي مصنوعة.

﴿ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ﴾: أي: أنشأهن من غير شيء.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾: أي: أنا أشهد أن المستحِقَّ للعبادة والربوبية هو خالقُ السماوات والأرض.

---

(١) «شيئاً» ليست في (أ) و(ف).

(٢) في (ف): «محقق أنت في هذا» وفي (ر): «محقق أنت هذا».

(٥٧ ـ ٥٨) ـ ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم﴾: أي: أحلف بالله تعالى لأحتالنَّ في إصابة أصنامكم بالمكروه، ولم يرض بالمجادلة باللسان حتى قصد الفعلَ بما لا يفعله إلا مَن أخلص في الذبِّ عن دين الله بنيَّته، ووطَّن على مكروهٍ يناله في الله نفسَه.

وقوله تعالى: ﴿بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾: أي: بعد غيبتكم عني، وذلك لانتهاز الفرصة لِمَا أراد.

وقيل: إنه قال هذا سرًّا[1] لم يسمعه الجميع وإنما سمعه واحد، وهو الذي قال: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٠].

وقيل: إن القوم كانوا عزموا على الخروج إلى عيدٍ لهم، فاحتال إبراهيمُ عليه السلام للتخلُّف عنهم بقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان لهم في كلِّ سنةٍ مَجمَعٌ وعيد، فإذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الأصنام فسجدوا لها ثم رجعوا إلى منازلهم، فقالوا من الليل لإبراهيم: نحن خارجون غداً إلى عيد لنا أفتصحبُنا[2]؟ ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ أي: فعلم من النجوم[3]؛ لأنهم كانوا يقصدون بالنجوم[4]، وقوله تعالى: ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾؛ أي: سأسقم.

---

(١) في (ر) و(ف): «بسر».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٤٨).

(٣) في (ر): «فعلم في علم النجوم»

(٤) أي: كانوا يتعاطون علم النجوم فعاملهم من حيث كانوا لئلا ينكروا عليه. انظر: «تفسير الثعلبي» (٨/ ١٤٨)، و«البسيط» للواحدي (١٩/ ٧٠)، كلاهما عن ابن عباس أنه قال ذلك.

وقيل: أي: نظر في نبات الأرض، والنجمُ نبتٌ ليس لها ساق، قال تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم: ١]، وقال تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن: ٦].

وقال: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ والإنسان لا يخلو من سقم، فتركوه، فلما خرجوا إلى عيدهم دخل بيت الأصنام وبيده فأسٌ، وكان في البيت تسعون صنماً ما بين[1] خشبٍ وحديد ورصاص ونحاس وفضة وذهب، فكان في صدر البيت أكبرُها من ذهب، وفي عينيه جوهرتان تضيئان في الليل، فكسر رؤوسها ووضع الفأس على عاتق الكبير وخرج.

وقوله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا﴾: قرأ الكسائي: ﴿جِذاذاً﴾ بكسر الجيم والباقون بضمها[2].

قال الفرَّاء: الضمُّ مثل الحُطام والرُّفات، وبالكسر: جمع جَذيذ[3]، وهو من الجذِّ؛ أي: القطع، قال تعالى: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨].

وقال الخليل: هو القطع المستأصِل الوحيُّ[4].

وقال أبو عبيدة: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا﴾؛ أي: مستأصَلين، قال جرير:

بنو المهلَّبِ جذَّ الله دابرَهم ... أمسَوا رماداً فلا أصلٌ ولا طرفُ[5]

هاهنا مضمر: فتولوا عنه مدبرين فكاد أصنامهم ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا﴾؛ أي: فتاتاً.

قوله: ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾: أي: إلا صنماً كبيراً لم يجذَّه.

---

(١) في (ر): «صنما من»، وفي (ف): «صنما بين».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٢٩)، و«التيسير» (ص: ١٥٥).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٠٦).

(٤) انظر: «العين» (٦/ ١١). والوحي: السريع.

(٥) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٤٠). والبيت في «ديوان جرير» (١/ ١٧٦) برواية: (آل المهلب...).

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ﴾: أي: إلى كبيرهم ﴿يَرْجِعُونَ﴾ على عادتهم في الرجوع من العيد للسجود له.

وقيل: للأكل عنده، وكانوا إذا خرجوا إلى العيد وضعوا في بيت أصنامهم طعاماً، وإذا رجعوا أكلوا ذلك وقالوا: باركتِ[1] الأصنام عليه.

أي: كان على رجاءِ أن يرجعوا إليه فيشاهدوا هذه الحالة، فيبحثوا عن السبب، فيجد سبيلاً إلى تنبيههم على ضلالهم، وإذا رأوا كسرَها وعجزها عن الدفع تنبَّهوا على جهلهم في عبادتهم.

وقيل: ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾؛ أي: إلى دين الله.

وقيل: إلى قول إبراهيم.

* * *

(٥٩ ـ ٦٠) ـ ﴿قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٩ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾.

قوله: ﴿قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ﴾: وهاهنا مضمر أيضاً؛ أي: فرجعوا إليها ورأوا ما فعل بها فقالوا: ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا﴾ ﴿إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: قد ظلم نفسَه مَن فعَل هذا وهو يعلم أنا إذا علمنا به أهلكناه.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾: أي: قال الذين سمعوا منه قولَه: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾.

وقد[2] قيل: سمع ذلك واحد وأخبر هو، وذُكر جمعاً لأن الجمع رضُوا بقوله،

---

(١) في (أ): «بركت»، وفي (ر): «بركة».

(٢) «قد» من (أ).

فكأنهم قالوا ذلك، وهو كقول السلولي: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: ٨].

ويحتمِل أن السامع الواحد أخبر بذلك جمعاً، فقالوا ذلك بإخباره.

ويحتمِل أن واحداً سمع منه هذه الكلمة، وآخرُ في موضع آخر عيباً منه لها، وآخر في موضع آخر، فصاروا جمعاً، وذلك قوله: ﴿فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾؛ أي: يَعِيبهم، وهو كقوله: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ [الأنبياء: ٣٦]؛ أي: فإذا كان هو يَعيبهم فالظاهر أنه فعَل بهم ذلك.

وقوله تعالى: ﴿يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾: أي: اسمه هذا.

* * *

(٦١ ـ ٦٢) ـ ﴿قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ﴾: أي: أحضِروا إبراهيم وأشهِروه للناس ليَنظروا له، ومعنى: ﴿عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ﴾؛ أي: بحيث يَرونه ويشاهدونه.

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾: قيل: أي: يُؤدُّون الشهادة عليه أنه هو الفاعل ذلك، فيكون لنا حجةٌ في أخذه.

فهؤلاء الكفار لم يقبلوا في كسرِ ما يعتقدونه إلهاً لهم قولَ طاعنٍ إلا بحجةٍ، فكيف حالُ مَن يَقبل من الملوك قول النمَّام على رجلٍ لم يَثبت ذلك عليه.

وقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾: أي: على كسر الأصنام.

وقيل: لعلهم يسمعون منه حين أُحضر لها طعناً في أصنامهم، فيستدلون بذلك على أنه فعل ذلك، أو قد يعترف بذلك فيشهدون؛ أي: يصيرون شهداء عليه.

وقيل: بل[١] معناه: يشهدون ما نعاقبه به؛ أي: يحضرون ويشاهدون[٢].

فكان له ثلاث تأويلات.

والآخر قول ابن إسحاق قال: ﴿يَشْهَدُونَ﴾ ما يُصنَع به[٣].

وقوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا﴾: وهاهنا مضمر أيضاً؛ أي: فأحضَروه فقالوا له: أنت فعلتَ هذا بآلهتنا ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾؟ يحتمِل أن يكون هذا استخباراً منه لأنهم لم يتيقَّنوا به، ويحتمِل أن يكون استنكاراً عليه.

* * *

(٦٣) ـ ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ﴾: أَوهمهم أن كبير الأصنام كسر سائرها والفأسُ على عنقه دليلُه، فأمرهم بسؤالهم إنْ كانوا ينطقون ليشهدوا له بما يدَّعي، وهذا من معاريضِ الكلام ولا كذب فيه، وله ثلاثة أوجه:

أحدها: فيه تقديم وتأخير، تقديره: فعله كبيرهم هذا إن كانوا ينطقون فاسألوهم، علَّق فعلَه بنطقهم، يعني: فإن نطقوا فهو فاعل ذلك، ومقتضاه[٤]: إن لم ينطقوا فليس هو بفاعل ذلك.

والثاني: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ﴾ وهاهنا وقف؛ أي: فعَله مَن فعَله، عنَى به نفسه، ثم قال: ﴿كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ وهاهنا وقف وهو مبتدأ وخبر، ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ﴾ وهذا كلام آخرُ تام.

---

(١) «بل» ليست في (ر).

(٢) في (أ): «أي يحضرونه ويشهدونه».

(٣) رواه الطبري «تفسيره» (١٦/ ٢٩٩).

(٤) كلمة: «مقتضاه» من (أ).

والثالث: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ عنى به نفسه، وأضاف نفسه إليهم لاشتراكهم في الحضور ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾ وهذا كلام آخر.

وإنما أتى بهذا التعريض تمهيداً لأمرٍ يُلزِمُهم به الحجةَ، وكذلك قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ كان من المعاريض، هم فهموا به قيام السقم فتركوه، وهو أراد به أنه سيَسقم في المستقبل، فتخلَّص عنهم ومهَّد ذلك للكيد بالأصنام[1].

***

(٦٤ ـ ٦٥) ـ ﴿فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَـٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾.

﴿فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾: أي: تفكَّروا في أنفسهم فيما قال لهم راجعين إلى عقولهم.

قوله تعالى: ﴿فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾: هذا الرجلَ في مسألته، فاتركوا مسألتَه واسألوا آلهتكم فهي حاضرتُكم.

وقال ابن إسحاق: ﴿فَرَجَعُوٓا۟﴾ عنه فيما ادَّعوا عليه من كسرهن إلى أنفسهم فيما بينهم[2] فقالوا: لقد ظلمناه، وما نراه إلا كما قال[3].

وقيل: ﴿فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ فلاموها، فقال بعضهم لبعض: ﴿إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ إبراهيمَ حين تزعمون أنه كسرها والفأسُ على عنق الصنم الأكبر، فهو أولى أن يكون كسَرها.

---

(١) في (ر) و(ف): «لكيد الأصنام».

(٢) في (ر) و(ف): «إلى أنفسهم فلاموها»، والمثبت موافق للفظ الخبر.

(٣) رواه الطبري «تفسيره» (١٦/ ٣٠١).

قوله تعالى ﴿نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ ظاهره: ثم قلبوا على رؤوسهم فصارت رؤوسهم سفلاً وأرجلهم عُلْواً، وله معانٍ:

أحدها: القهر والغلبة والذلُّ حيث لزمتهم الحجة.

والثاني: انعكاس الأمر عليهم، أرادوا أن يحتجوا لأنفسهم فصار ذلك حجةَ إبراهيم عليهم، قالوا: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾ وهذا على قصدهم ردَّ كلامه وأمرِه بالسؤال، فصار ذلك اعترافاً بعجزها، فصارت حجةَ إبراهيم عليهم.

والثالث: التحيُّر(١) والتكلُّم بالهذيان، يقال: هذا كلام منكوس.

وقيل: معنى قوله: ﴿ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾؛ أي: ثم رُدُّوا إلى رؤوسِ أمورهم من الجهالة والضلالة والبَطالة.

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾؛ أي: قالوا: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾.

* * *

(٦٦ ـ ٦٧) ـ ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾: أي: جماداً لا ينطق ولا ينفع ولا يضر ﴿أُفٍّ لَّكُمْ﴾ كلمة توبيخٍ واستثقال وكراهية.

وقيل: معناه: قذراً لكم.

وقوله تعالى: ﴿وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: أي: أنتم وهم مكروهون عند العقلاء ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أن عبادةَ مَن هذا وصفُه لا تجوز.

ثم قوله في صفة الأصنام: ﴿يَنطِقُونَ﴾ بالواو لِمَا أنهم وصفوها بصفة العقلاء.

---

(١) في (ف): «التعجيز».

(٦٨ ـ ٦٩) ـ ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ۝٦٨ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ﴾: ولمَّا لم يجدوا عليه حجةً قالوا: حرِّقوه بالنار.

قال ابن عمر رضي الله عنهما: أشار به عليه رجل من أكراد فارس اسمه: هيرز(١).

وقوله تعالى: ﴿وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ﴾: بإهلاك مَن يسبُّها ويَعِيبُها ﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾: ناصرين آلهتكم.

وقوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا﴾ وهاهنا أيضاً مضمرٌ، وهو قوله: فأوقَدوا له ناراً وألقَوه فيها فـ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا﴾ ﴿وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾.

وقصة ذلك: أن إبراهيم عليه السلام لما بيَّن لهم عيبَ أصنامهم قال له نمرود لعنه الله: أرأيت إلهك ما هو؟ صفه لي، فقال: ﴿رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨] إلى آخر تلك القصة.

ثم حبسه نمرود اللعين في السجن سبع سنين، فدعا أهلَ السجن إلى الإيمان والإسلام، فأسلم كثير منهم، ثم أخرجه واتَّفقوا على تحريقه بالنار، وبنَوا له بنياناً طويلاً طولُه ستُّون ذراعاً، ونادى نمرود في الناس بجمع الأحطاب، فاشتغل كلُّ الناس بجمع الحطب وحمله على كل الدوابِّ أربعين يوماً، فملؤوا البنيان منه وبلَّطوا جداره وسدُّوا أبوابه بالنحاس المذاب، وقذفوا فيه النارَ فاشتعل لهبُها وسطع

---

(١) رواه دون تسمية الكردي: الطبري «تفسيره» (١٦/ ٣٠٥). وفيه عنعنة ابن إسحاق وضعف ليث بن أبي سليم. ورواه الطبري أيضاً عن مجاهد، وروى عن شعيب الجبائي قال: إن الذي قال: ﴿حَرِّقُوهُ﴾ (هيزن) فخسف الله به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة.

دخانها، فملأ كلَّ شيء حتى غَشِيَ مدينتهم وما حولها، وأظلم عليهم، وسُمع من النار أمثالُ وقع الحديد على الحديد، وتطايَرَ شررُها كالصخر، وكان يسمع وهجُها على مسيرة ليلة، ولم يقرب شيء منها إلا احترق بحرِّها.

ثم بنوا بنياناً شامخاً ونصبوا فوقه منجنيقاً، ثم وضعوا إبراهيم عليه السلام في المنجنيق فقذفوا به في النار، فلما وقع فيها إبراهيم وهي كالجبال أطفأها الله تعالى، فخمدت ونشَّت نشيشَ النار التي يصبُّ عليها الماء.

قال وهب: فبلغني أن السماء والجبال والبحار وما فيها من الخلق ضجُّوا إلى الله تعالى ضجةً واحدة ـ إلا الثقلين ـ قالوا: ربنا ليس في أرضك مَن[1] يعبدك ويوحِّدك غيرَ إبراهيم حُرق بالنار من أجلك فأذن لنا في نصرته، فأوحى الله تعالى إليهن: إن استغاث بشيء منكن فلْيَنْصُره ولْيُعِنْه، وإن استغاث بشيء من خلقي فلْيُعِنْه ولْيَنْصُرنه، وإن دعاني فأنا وليُّه وناصرُه، وكفى بي وليًّا وناصراً أمنعه منهم وأَحُول بينه وبينهم[2].

وقال محمد بن إسحاق: قيَّدوه ورموا به من القرارة[3] من مضربٍ شاسع، فاستقبله جبريل في الهواء فقال له: يا إبراهيم، ألك حاجة؟ قال: أمَّا إليك فلا، فأتاه ميكائيل وقال: إن أردتَ أخمدتُ النار فإن خزائن الأمطار والمياه بيدي، قال: لا أريد، فأتاه شمسائيل وهو خازن الريح فقال: إن شئت طيَّرتُ النار في الهواء، قال: لا حاجة لي إليكم؛ حسبي الله ونعم الوكيل، فقال جبريل: إن لم تسألنا فاسأل الله، فقال: حسبي من سؤالي علمُه بحالي[4].

---

(١) في (أ): «أحد».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٢٨١) عن محمد بن إسحاق.

(٣) القرارة: الأرض. ووقع في (ر) و(ف): «العرارة»، ولعله تحريف. وفي المصادر: (رموه في المنجنيق...).

(٤) ذكره الثعلبي في «عرائس المجالس» (ص: ١١٦) عن المعتمر عن أبي بن كعب عن أرقم، والبغوي =

وقيل: كان من دعائه: لا إله إلا أنت سبحانك ربَّ العالمين، لك الحمد ولك الملك لا شريك لك[١].

وقال وهب: قال إبراهيم: يا أحدُ يا صمدُ بك أستعينُ وبك أستغيثُ وعليك أتوكلُ، حسبي الله لا إله إلا هو ونعم الوكيل، يا ربِّ إنك تعلم إيماني لك وعدوانَ قومي فيك، فانصرني عليهم ونجني من النار، فقال الله تعالى: ﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ فبردت يومئذ على أهل المشرق والمغرب فلم ينضج بها كُراع[٢].

وقال كعب: ما انتفع أحد من أهل الأرض يومئذ بنار، ولا أحرقت النار شيئاً إلا وثاقَ إبراهيم[٣].

وقال وَهْبٌ: بقيت كذلك سبعة أيام.

= في «تفسيره» (٥/ ٣٢٧) عن أبي بن كعب قوله، والقرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٢٢٧) عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ. ولعله كله وهم، وصوابه: المعتمر عن ابن كعب عن أرقم، هكذا جاء في «تفسير الثعلبي» (١٨/ ١٥٢) ط: دار التفسير، وهكذا روى الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٠٩) بعض هذه القصة، انظر التعليق الآتي.

وقوله: (حسبي من سؤالي علمُه بحالي) ذكره ابن عراق في «تنزيه الشريعة» (١/ ٢٥٠) بلفظ: (علمه بحالي يغني عن سؤالي) وقال: قال ابن تيمية: موضوع.

قلت: وجاء في «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (١/ ١٨٣): ليس له إسناد معروف، وهو باطل، بل الذي ثبت في الصحيح [البخاري (٤٥٦٣)] عن ابن عباس أنه قال: (حسبي الله ونعم الوكيل).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٠٩) من طريق المعتمر عن ابن كعب عن أرقم. وابن كعب لعله محمد بن كعب القرظي.

(٢) رواه دون الدعاء الإمام أحمد في «الزهد» (٤١٧)، والدينوري في «المجالسة» (٦٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٠)، وابن عساكر في «تاريخه» (٦/ ١٨٣)، جميعهم عن بكر بن عبد الله المزني.

(٣) رواه يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٨٣٧)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (١٨٦٨)، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٠٧).

وقـال السـدي: فلمـا أشـرف إبراهيم علـى النار صـارت كالإكليـل، وأخذت الملائكـة بضبعـي إبراهيـم فأقعدوه علـى الأرض فإذا عيـنُ ماءٍ عـذبٍ وورد أحمرُ ونرجسٌ[١].

وكان إبراهيم في ذلك الموضع سبعةَ أيام، ولم يقدر أحد أن يقرب من النار، وما شكُّوا في موته واحتراقه، فلما جاؤوا يستطلعون فإذا هو قائم يصلي.

وقيل: بقي فيها[٢] أربعين يوماً.

وقال وَهْبٌ: وجعل الله ما حوله روضةً خضراء، وفرش له ما يشتهي، وألبسه وبنى فوقه قبةً، وجعل بينه وبين النار حجاباً من ثلج، وكانت النار توقَّد فوق ذلك وحول ذلك حتى نظر إلى ضوئها أهل الشام، وذاب النحاس الذي سدَّت به الأبواب، واحترق الجدار وصار رماداً، وخرج منها إبراهيم صحيحاً سالماً، فانطلق يمشي حتى قعد إلى أمه وهي في مجمع[٣]، وأسلمت سارة يومئذ، وهي أولُ مَن آمن به، وأرسل الله تعالى ريحاً عاصفاً فنسفت رماد تلك النار عن وجه الأرض وذراه في وجوههم وعيونهم، وقام إبراهيم داعياً إلى الله فقال لأبيه وقومه: ﴿مَا تَعۡبُدُونَ﴾.

وعن عائشة رضي الله عنها: أنها كانت تأمر بقتل الأوزاغ وتقول: إنهن كنَّ ينفُخْنَ على إبراهيم عليه السلام[٤].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٢٦٢).

(٢) في (أ): «في النار».

(٣) في (ف): «مجتمع».

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٤٥٣٤) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً، وله شاهد رواه البخاري (٣٣٥٩) عن أُمِّ شَرِيكٍ رضي الله عنها: أن رسولَ الله ﷺ أَمَر بقتلِ الوَزَغِ، وقال: «كان يَنفُخُ على إبراهيم عليه السَّلامُ»، ورواه مسلم (٢٢٣٧) مختصراً بذكر قتل الأوزاغ.

وقوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: كوِّنها برداً وسلامةً على إبراهيم[(١)]؛ كما قال: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [البقرة: ٦٥].

وقيل: خاطبها وركَّب فيها تمييزاً وأمرها أن تسلِّم على إبراهيم.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لو لم يقل: ﴿وَسَلَامًا﴾ لأهلكته النار ببردها[(٢)].

* * *

(٧٠ ـ ٧١) ـ ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ (٧٠) وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾: أي: قوم نمرود أرادوا أن يكيدوا بإبراهيم؛ أي: يحتالوا لإهلاكه ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾؛ أي: الأخيَبين؛ لأنه إذا سعى ولم يدرِك ما طلبه فقد خَسر سعيُه.

وقوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾: أي: خلَّصنا إبراهيم وابنَ عمه لوطاً من نمرود وقومه وأرضهم، وأخرجناهما منها إلى أرض الشام.

وقيل: كانوا مُكوثاً في أرض العراق، فخرج مهاجراً إلى أرض الشام وفيها بركة الدِّين؛ لأنها منزل الأنبياء وبركةُ الدنيا لكثرة الماء والأشجار؛ هذا قول قتادة[(٣)].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إلى مكة؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ [آل عمران: ٩٦][(٤)].

---

(١) «أي: كونها برداً وسلامة على إبراهيم» ليس في (ف). وفي (ر): «وسلاماً» بدل: «وسلامة».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٠٦)، والفرْيابيّ وعبد بن حميد وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٥/ ٦٤٠).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣١١ـ٣١٢)، عن قتادة ورواه أيضاً عن أبي بن كعب والحسن وغيرهم.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣١٤).

(٧٢ ـ ٧٣) ـ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ۝٧٢ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ﴾: ولداً ﴿وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾؛ أي: زائدة على ما دعا، فإنه قال: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصافات: ١٠٠] وهو سؤال الولد.

وقوله تعالى: ﴿وَكُلًّا﴾: أي: إبراهيم وإسحاق ويعقوب ﴿جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ﴾ في الدِّين.

وقيل: ﴿صَٰلِحِينَ﴾ للنبوة والسفارة.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً﴾: في الأرض يؤتَمُّ بهم ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾؛ أي: يَهْدون عبادنا إلى الحق بأمرنا إياهم به.

وقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ﴾: أي: أمرناهم ﴿فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾؛ أي: الطاعات ﴿وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾ لا للأصنام، فأنتم يا معاشر العرب أولادُ إبراهيم فاتَّبعوه في ذلك كلِّه.

* * *

(٧٤ ـ ٧٥) ـ ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ۝٧٤ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا﴾: على الناس في الخصومات ﴿وَعِلْمًا﴾: معرفةً بأمور الدين.

وقيل: ﴿حُكْمًا﴾ على العباد ﴿وَعِلْمًا﴾ بالحُكم.

وقوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾: أي: من أهلها،

وهي سَدُوم، وهي مدينة ويدخل فيها ما حولها من القرى، والخبائث: الكفرُ، وإتيانُ الذُّكران، والمنكرُ الذي كانوا يأتونه في ناديهم من التضارُط وحذفِ المارة بالحصى ونحوِ ذلك.

وهذه خبائثُ لنفور القلوب عنها وقبحِها في العقول السليمة، ونجاتُه منها: هي خروجه منها حتى لم يُصِبْه عذاب أهلها.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا﴾: أي: قومُ لوط ﴿قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ﴾: أي: خارجينَ عن طاعة الله تعالى.

﴿وَأَدْخَلْنَاهُ﴾: أي: لوطاً ﴿فِي رَحْمَتِنَا﴾؛ أي: نعمتنا، وهي جمع: من التوفيق للإيمان، والإكرامِ بالنبوة، وإهلاكِ مَن كذَّبه، وتخليصِه، وتخليصِ مَن اتَّبعه.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾: أي: ثواباً له على صلاحه كما أهلكنا قومه عقاباً لهم على فسادهم.

وقيل: ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ﴾ في النبوة ﴿إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ لها.

* * *

(٧٦ ـ ٧٧) ـ ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (٧٦) وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ﴾: قيل[1]: واذكر نوحاً، وقيل: أي: ونجَّينا نوحاً، وقيل: ورَحِمْنا نوحاً.

والأصح: وآتينا نوحاً رشدَه، عطفاً على قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ﴾.

---

(١) في (ر) و(ف): «أي».

﴿إِذْ نَادَىٰ﴾ أي: دعا ربَّه، كما قال: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾ [القمر: ١٠] وسائرِ ما ذكر من دعائه ﴿مِن قَبْلُ﴾؛ أي: كان هو قبل إبراهيم وإسحاق ويعقوب ولوطٍ.

وقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾: أي: دعاءَه ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ﴾؛ أي: المؤمنين به من ولده وقومه.

وقوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾: أي: الغمِّ الذي يأخذ بالنَّفَس.

وقيل: الغرق، وهو هاهنا الطوفان.

وقيل: هو أذى قومه.

وقوله تعالى: ﴿وَنَصَرْنَٰهُ﴾: أي: منعناه ﴿مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ وهم كفار قومه؛ أي: من شرِّهم، وكذلك قولُه: ﴿مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ﴾ [هود: ٣٠]: مَن ينصرنا من بأس الله.

وقيل: أي: فانتقمنا له ﴿مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾.

وقال أبو عبيدة: وأعنَّاه على القوم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ﴾: وفي هذا كلِّه تسليةٌ للنبي ﷺ، وتبشيرٌ له بالخلاص، وتثبيتٌ على الصبر.

* * *

(٧٨) ـ ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾: عطف على ما مر ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ﴾: اختلفت الروايات في هذه القصة:

روى محمد بن إسحاق عن الزهري: أن رجلاً أدخل ماشيتَه في زرع رجل فأفسدته، والنُّفُوش: الرعيُ ليلاً، فارتفعا إلى داود عليه السلام، فقضى بغنم صاحب الغنم لصاحب الزرع، فانصرفا فمرَّا على سليمان، وكان سليمان يومئذ ابنَ إحدى عشرةَ سنة، فقال: بماذا قضَى بينكما نبيُّ الله، فقال: قضى بالغنم لصاحب الزرع، فقال: إن الحُكم غيرُ هذا فانصرِفا معي، فأتى أباه فقال: يا نبيَّ الله، قضيتَ على هذا بغنمه لصاحب الزرع؟ قال: نعم، قال: يا نبيَّ الله، إن الحكم على غير هذا، قال: وكيف يا بني؟ قال: يُدفع الغنم إلى صاحب الزرع فيصيب من ألبانها وسمونها وأصوافها، ويُدفع الزرع إلى صاحب الغنم ليقوم عليه، فإذا عاد الزرع إلى الحالة التي أصابته الغنم عليها رُدَّت الغنم إلى صاحب الغنم ورُدَّ الزرع إلى صاحب الزرع، فقال داود عليه السلام: لا يَقطع الله فهمَك، وقضى بما قضى به سليمان(١).

وقوله تعالى: ﴿إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ﴾: أي: دخلت فيه ليلاً فرعَتْه وأكلته وأفسدته.

قال الخليل: الإبل النَّوافشُ: التي تتردَّد بالليل في المراعي بلا راعٍ، وهي كالهوامل بالنهار(٢).

وقال قطربٌ: ﴿نَفَشَتْ﴾: إذا تفرَّقت بلا راعٍ، ومنه: (العِهْن المنفوش)؛ أي: المتفرِّق.

وقوله تعالى: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ﴾: أي: الحكمِ الذي جرى بين داود وسليمان والقوم ﴿شَاهِدِينَ﴾: حاضرين عالمين به.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٢٧)، وروى نحوه عن ابن مسعود وابن عباس وابن زيد وغيرهم.

(٢) انظر: «العين» (٦/ ٢٦٨).

وقيل: ﴿لِحُكْمِهِمْ﴾: لحكم داود وسليمان، وجمَع التثنيةَ لأنها لأول الجمع، ونظيره: ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ﴾ [النساء: ١١]؛ أي: أخَوان.

* * *

(٧٩) ـ ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا﴾: أي: القصةَ[1] ﴿سُلَيْمَٰنَ﴾ دون داود.

وقيل: الحكومةَ؛ لدلالةِ ﴿يحكمان﴾ عليها.

وقوله تعالى: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا﴾: أي: وكلًّا من داود وسليمان أعطينا ﴿حُكْمًا﴾ أي: النبوة التي يُنفَّذ بها الحكمُ على الأمة.

وقوله تعالى: ﴿وَعِلْمًا﴾: أي: ومعرفةً بمُوجِبِ الحكم.

ويحتمِل ﴿وَكُلًّا﴾ منهما ومن سائر الأنبياء المذكورين في هذه السورة.

وقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ﴾: كان داود عليه السلام إذا سبَّح سبَّحت الجبال والطير معه فيَسمع تسبيحهن، وكان ذلك معجزة له، وقوله تعالى: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ﴾ [سبأ: ١٠]؛ أي: سبِّحي النهارَ كلَّه.

قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾: قيل[2]: كنا قد قضينا أنَّا فاعلو ذلك.

وقيل: كنَّا فاعلين ذلك به كما نفعله بأنبيائنا الذين نخصُّهم بالمعجزات.

* * *

---

(١) في (أ): «القضية».

(٢) في (ر): «أي».

(٨٠) ـ ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾: أي: اتِّخاذَ الدروع بإلانة الحديد له؛ كما قال: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ [سبأ: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾ [سبأ: ١١].

وقيل: هو أولُ مَن عمِلها.

وقوله تعالى: ﴿لِيُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ﴾: أي: ليُحرزكم، وفيه ثلاثُ قراءات: بالياء والتاء والنون[1]، فالياءُ مردودةٌ على الله أو على اللَّبوس، والتاءُ على الصَّنعة، والنونُ على قوله عز وجل: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ﴾.

والبأس: الحرب؛ أي: تقيكم في الحروب من القتل والجراح[2]؛ كما قال تعالى: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾ [النحل: ٨١].

واللبوس: ما يلبس من ثوب أو درع، قال الشاعر:

البَسْ لكلِّ حالةٍ لَبوسَها ... إمَّا نعيمَها وإمَّا بوسَها[3]

وقوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾: استفهام بمعنى الأمر.

وقيل: معناه: أن داود عليه السلام لمَّا كان[4] هو أولَ مَن عمِل ذلك، فتوارثَها

---

(١) قرأ ابن عامر وحفص: ﴿لِتُحْصِنَكُم﴾ بالتَّاء، وأبو بكر بالنُّون، والباقون بالياء. انظر: «السبعة» (ص: ٤٣٠)، و«التيسير» (ص: ١٥٥).

(٢) في (أ): «والجرح».

(٣) الرجز لبيهس الفزاري؛ كما في «أمثال العرب» للمفضل الضبي (ص: ١١١)، و«الفاخر» للمفضل بن سلمة (ص: ٦٣)، ودون نسبة في «العين» (٧/ ٢٦٢)، و«إصلاح المنطق» (ص: ٢٣٦)، و«البسيط» للواحدي (١٥/ ١٤٢).

(٤) «لما كان» من (أ).

الناس إلى وقت رسول الله ﷺ وبعده إلى يوم القيامة، فقال[1]: ﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾ لله تعالى على ما أنعم الله تعالى عليكم من هذا وغيره.

* * *

(٨١) ـ ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً﴾: على قراءة النصب؛ أي: وسخرنا لسليمان الريح، وعلى قراءة الرفع[2] (الريحُ) خبرُ اللام؛ كقولك: المال لزيد.

وقوله تعالى: ﴿عَاصِفَةً﴾: أي: شديدةَ الهبوب، نصبٌ على الحال، وقال في آية أخرى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً﴾ [ص: ٣٦]؛ أي: ليِّنةً، والتوفيقُ بينهما: أنها كانت مذلَّلةً له فتجري على ما يريد عاصفةً أو رُخاءً.

وقيل: كانت تسير سيراً ليِّناً في سرعةٍ، فيجتمع الوصفان في حالٍ واحدة.

وقوله تعالى: ﴿تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾: وهي الشام؛ لأن منزله كان بها، وكانت الريح تحملُه من نواحي الأرض إليها.

وقوله تعالى: ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ﴾: أي: فعلنا ذلك له، وكنَّا عالمين بأنه أهلٌ له، وعالِـمين بكلِّ شيء.

* * *

(٨٢ ـ ٨٣) ـ ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

---

(١) «فقال» من (أ).

(٢) هي قراءة عبد الرحمن الأعرج. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٥)، و«تفسير الطبري» (١٦/ ٣٣٢).

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾: أي: وسخرنا من الشياطين مَن يغوصون له في البحار بأمره؛ لاستخراج الدُّرر[1] وما يكون فيها، و(مَن) اسمُ جنس فصلح للجمع.

وقوله تعالى: ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾: أي: سوى ذلك، وقال في آية أخرى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾ [سبأ: ١٣].

وقيل: كانوا يعملون له من أمور الصناعات والأبنية.

وقيل: هم الذين عملوا له الحمَّام والنُّورة والطواحين والقوارير والصابون.

وقيل: إن نهر الملك[2] ببغداد حفرتْه له الشياطين، وألقت ترابه بين خانقين وقصر شيرين[3].

وقوله تعالى: ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ﴾: قيل: أي: كنا لهؤلاء الشياطين وأعدادِهم وأعمالهم حافظين لا يَؤُودنا حفظُ ذلك.

وقال الحسن: حفظناهم عليه لئلا يذهبوا ويتركوه.

قال: ولم يكن سليمان يسخِّر في هذه الأعمال إلا الكفار منهم[4].

وقيل: كنا لهم حافظين؛ أي: أن يمتنعوا عليه.

---

(١) في (ر): «لاستخراج الجواهر الدر».

(٢) نهر عظيم مخرجه من الفرات ويصبّ في دجلة، عليه نحو ثلاثمائة قرية. ويقال لذلك جميعه: نهر الملك، قيل: إن أول من حفره سليمان بن داود عليهما السلام، وقيل: إنه حفره الإسكندر لما خرب السواد. انظر: «معجم البلدان» (١/ ٣٧) و(٥/ ٣٢٤).

(٣) خانقين: بلدة من نواحي السواد في طريق همذان من بغداد، بينها وبين قصر شيرين ستّة فراسخ لمن يريد الجبال، ومن قصر شيرين إلى حلوان ستة فراسخ. انظر: «معجم البلدان» (٢/ ٣٤٠).

(٤) ذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ٣٣٢).

وقيل: وكنا للأنبياء حافظين، وكانوا لنا عابدين.

وقوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ﴾: عطفٌ على ما تقدم ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾؛ أي: دعاه.

وقوله تعالى: ﴿أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ﴾: أي: نالني في بدني ضرٌّ، وهو ما أصابه من المرض والداء والمصيبة في ماله وأهله.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾: أي: لا أحد أرحمُ منك؛ أي: فارحمني واكشِفْ عني الضرَّ الذي مسني.

* * *

(٨٤) - ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾: أجبنا دعاءه ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾؛ أي: وكشفنا ضرَّه[1] إنعاماً عليه.

وقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ﴾ قال وهبٌ: إن أيوبَ عليه السلام بنَ موص ابنِ رعويل[2]،..

---

(١) «أي: وكشفنا ضره» ليس في (ف).

(٢) في (أ): «موص بن روعيل»، وفي (ف): «موجر بن دوعيل»، وفي (ر): «موخر بن دوعيل»، وكله تحريف. والمثبت من «البدء والتاريخ» للمطهر بن طاهر (٣/ ٧٢) وقد ذكر هذا الخبر عن وهب، و«تاريخ الطبري» (١/ ١٩٤) وعزاه لبعضهم ولم يسمه. وقد اختلفوا في نسبه كما ذكر العيني في «عمدة القاري» (١٥/ ٢٨٢) ونقل فيه أقوالاً كثيرة، وانظر كذلك «تاريخ دمشق» (١٠/ ٥٨) وفيه: (ويقال: أيوب بن موص بن رعيل، ويقال: أيوب بن آموص بن رازح بن رعويل)، وبدأ في ذكر نسبه بقوله: (أيوب نبي الله ابن رازح بن آموص بن ليفزر بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل). وليس فيه شيء يضبطه.

النبيِّ عليه السلام كان زوجَ ليا[1] بنت يعقوب، وقيل: رحمة بنت يعقوب، وأبوه موص كان ممن آمن بإبراهيم يوم ألقي في النار، وكانت أم أيوب بنتَ لوطٍ النبيِّ عليه السلام، وكانت لأيوبَ البَثْنيةُ[2] كلُّها شرقُها وغربها وسهلُها وجبلها، وهي ولاية بالشام بقربِ دمشق، وكان موسَّعاً عليه غنيًّا كثيرَ الضيافة عظيم الصدقة.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: وكان إبليس يومئذ يصعد إلى السماوات فيسمع الملائكة يقولون: إن لله تعالى عبداً في الأرض يقال له: أيوب، من فضله كيت وكيت، فقال إبليس لعنه الله: لو سلَّطني الله عليه لَأضْطرَّنَّه إلى الجزَع والشكاية، فسلَّطه الله تعالى على ماله، فنزل إلى الأرض واستغوى جنوده، وذكر لهم ما وقع له، وكان لأيوب يومئذ ثلاثةُ آلاف بعيرٍ، في كلِّ خمسين منها عبدٌ له يرعاها، ولكلِّ عبد امرأةٌ وولد ومالٌ حسن، وسبعةُ آلاف شاةٍ، في كلِّ خمسٍ مئة منها عبدٌ له يرعاها، وله امرأةٌ[3] وولد ومال حسن، وخمسُ مئةِ أتانٍ لها أولادٌ، وخمسُ مئة فدانٍ بآلاته، كلُّ فدان في يد عبدٍ له، وله أهل وأولاد ومال، وكلُّ أتانٍ يحمل آلةَ كلِّ فدان، فقال عفريتٌ: لي من القوة ما إذا شئتُ تحوَّلت إعصاراً من النار أَحرق كلَّ شيء، فقال له: أنت للإبل ورعاتها، فجاءها وأحرقها كلَّها ورعاتها، وجاء إبليس متمثِّلاً بواحد من رعاتها، فأتى أيوب وقال: يا أيوب، هل علمتَ ما صنع ربك بإبلك؟ قال: إنها ليست بإبلي ولكنها عاريَّةٌ عندي، وهي مال ربي فهو أولى بها مني، قال: ما قَبَضها قبضاً جميلاً، لكن أرسل لها شواظاً من نار فأحرقها ورعاتَها، وترك الناس قياماً عليها

---

(١) في جميع النسخ: «إيليا» والمثبت من «تفسير الطبري» و«البدء والتاريخ».

(٢) في هامش (أ): «البثنية أراض معروفة في الشام لينة صالحة للزراعة». وقال ابن عساكر وقد ذكر هذا عن أيوب: بقرب نوى. انظر: «تاريخ دمشق» (١٠/ ٥٨)

(٣) في (أ): «أهل».

مبهوتين، منهم مَن يقول: ما كان أيوب يعبد شيئاً، ولا كان إلا[1] في غرور، ولو كان له ربٌّ يقدر على أن يمنع شيئاً لمنع وليَّه، ومنهم مَن يقول: بل ربُّه الذي عبده وتوكَّل عليه هو الذي فعل به لِيَفْجَع به أحبَّاءه ويُشمت به أعداءه[2]، ومنهم مَن يقول: بل كان أيوب مُرائياً، ولو كان صادقاً ما جازاه الله تعالى هذا الجزاء، فقال أيوب عليه السلام: الحمد لله حين أعطى وحين أخذ، والحمد لله حين أعار، والحمد لله حين نزع عاريَّته، خرجتُ من بطن أمي عارياً وأُردُّ إلى تراب كذلك، وأصير إلى الله، ولو علم الله فيك خيراً لقبض روحك مع تلك الأرواح فاستَشهدك وأجَرَني فيك، ولكنه علم منك شرًّا، فارجع عني مذموماً مدحوراً.

فرجع إبليس إلى أصحابه في شرِّ حال، واستشارهم، فقال عفريت آخر: أنا أصيح صيحة لا يسمع فيها[3] ذو روح إلا مات، فسلطه على الغنم فصاح بها فماتت ومات رعاتها، وعاد هو إلى أيوب وقال ما قال في المرة الأولى، وأجاب بما أجاب، ورجع إلى جنوده وأخبر آخرُ إبليسَ[4] أنه يصير ريحاً تنسف كلَّ شيء، فسلطه الله على الحرَّاثين والفدادين فأهلك الحرثَ والحراثين[5]، وعاد إبليس بالقصة كالأول، فسأل الله تعالى أن يسلِّطه على ولده ففعل، فأتى قصور أولاده وهم رجالٌ ونساء، وكهولٌ وشباب، ومُردٌ وأطفال، ومراضعُ وحواضن والمعلِّمون، فزلزلها حتى تداعت من قواعدها، ثم شدخهم بالخشب والجندل ورفع القصور فقلبها، ثم

(١) في (ر): «وإنما كان»، بدل: «ولا كان إلا».

(٢) في (ف): «ليحزن به أحباؤه ويشمت به أعداؤه».

(٣) في (ف): «لا يبقى بها»، وفي (ر): «لا يبقى به».

(٤) «إبليس» زيادة من (ف).

(٥) في (أ): «فأهلك الحروث»، وفي (ف): «فأهلك الحروث والحراتين».

جاء على صورة معلِّم يصيح ويَنُوح وأخبره بما صار إليه أولاده، فأجاب كذلك، فتحير إبليس وقال: إن أيوب يرى سلامةَ نفسه فيَهون عليه هلاك ماله وولده، ولو سلَّطني الله تعالى على جسده لظهر منه ما أقول، فسلَّطه الله على جسده، فجاء وهو ساجد فدخل تحت وجهه ونفخ في أنفه نفخةً من لهب النار اشتعل منها جسده واسودَّ وجهه وتمعَّط شعره، ونضح(١) دماغه ومخُّه، وظهر في جسده ثآليل مثل أليات الشاة، فاحتكَّ، فجعل يحكُّها بأظفاره وبالعظم والخزف، فوقعت فيه الأكلة والدُّود، وسال منه الصديد، وتأذى به الجيران، فبنوا له عريشاً ونقلوه إليه، فلبث فيه ثلاث سنين في أشد الجهد، وقطعه القريب والبعيد، وكانت امرأته تدور في القرية وتعمل للناس وتجيء بقُوْته، ولم تجد عملاً يوماً فباعت ذؤابتيها برغيفين فأتته بهما، فقال لها: أين ذؤابتاك؟ قالت: بعتهما برغيفين(٢)، فحينئذ قال: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾.

وقال بعضهم: ضعُف عن العبادة فقال: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ كذلك.

وقيل: إنما قال ذلك لأن الشيطان تمثَّل لهم وقال لهم: لا تستعملوا هذه المرأة فإنها تمسُّ بيدها هذا المريض فتُعْدي، فلم يستعملوها، فلم تجد شيئاً، فرجعت إليه بغير شيء فأخبرته بذلك فقال ذلك.

وقيل: تراءى لها وقال: أنا طبيب فاسقيه خمراً يبرأ، فذكرت له ذلك فقال ذلك.

وقيل: إنه تمثَّل ـ أي: إبليس(٣) ـ لأيوب وقال: إنها أخذت في فاحشة فقطعت ذؤابتاها لذلك، فاهتاج لذلك فقال ذلك.

---

(١) في (ف): «ونضج».

(٢) رواه بنحوه عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما أحمد في «الزهد» وابن أبي حاتم وابن عساكر؛ كما في «الدر المنثور» (٧/ ١٩٢). ورواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٥١ ـ ٣٥٣) عن وهب بن منبه، و(١٦/ ٣٦٠ ـ ٣٦٣) عن الحسن.

(٣) في (أ): «مثل»، وفي (ف): «تمثل»، بدل: «تمثل أي: إبليس».

وقيل: جاءه خليلان له بطعام، فلما نظرا إليه قالا: لو كان فيه خير لم يصيَّر كذا، ومالا[(١)] ولم يطعماه.

وقيل: إنما قال: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ حين وصل[(٢)] الدود إلى قلبه ولسانه، فخشي أن يمنع عن الذكر والشكر[(٣)].

وقيل: معناه: مسني الضر من شماتة الأعداء.

وقيل: إنما قال ذلك حين قال إبليس لامرأته: اسجدي لي سجدةً حتى أردَّ عليك المال والأولاد وأعافيَ زوجك، فأنا فعلتُ ذلك بكم، فذكرت المرأة له ذلك فقال: مسَّني الضرُّ مِن طمَع إبليس في سجود امرأتي له.

وقيل: إنما قال ذلك حين سقطت من جسده دودةٌ، فأعادها إليه[(٤)] فعضَّته عضة، فعجز عن الصبر عليه لاختياره ذلك.

وقيل: مكث في بلائه ثلاث سنين.

وقيل: سبع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام وسبع ساعات.

وقيل: ثماني عشرة سنة.

ثم في تسليط إبليس عليه وعلى ماله وولده زيادةُ غيظ على[(٥)] إبليس، وإظهارُ صدق أيوب، ورفعُ درجاته، وتضعيف كراماته، وقصةُ عاقبته تذكر في (سورة ص) إن شاء الله تعالى.

---

(١) «ومالا» ليتس في (أ) و(ف).

(٢) في (ف) و(أ): «قصد».

(٣) في (ف) و(أ): «ينفى عن ذكر الله وشكره»، بدل: «يمنع عن الذكر والشكر».

(٤) «إليه» من (أ).

(٥) «على» زيادة من (أ).

وقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾: قال الحسن: آتاه الله أهله وولده بأعيانهم ومثلَهم معهم مِن نسلهم في الدنيا، وهو قول ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم(١).

وقال الكلبي: آتاه الله ذلك في الآخرة.

وقال القاسم بن أبي بَزَّةَ: بعثني مجاهد إلى عكرمة أسأله عن قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ قال: قيل له: أهلك في الجنة، فإن شئتَ أحييناهم لك، وإن شئت كانوا لك في الجنة، قال: بل يكونون لي في الجنة، وعوِّض مكانهم في الدنيا(٢).

وقال وهب: كان له سبعةُ بنينَ وسبعُ بنات، فأحياهم الله تعالى وردَّهم عليه مع الأموال، وولد له مثلُهم، وكذلك قال كعب(٣).

وقال القشيري: سمي أيوبَ لكثرة إيَابه إلى الله تعالى.

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا﴾ [ص: ٤٤]، ثم إنه قال: إنه ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾(٤) فلم يكن جزعاً وتركاً للصبر بل إظهاراً لعجز البشر.

وقال: إنما قال ذلك شكراً لا شكايةً، ومعناه: مسني الضرُّ الذي تخصُّ به أولياءك، وذلك برحمتك وأنت أرحم الراحمين.

قال: وقيل: اشتَبه عليه وجهُ البلاء أنه تطهيرٌ أو تأديب، أو تعذيب أو تهذيب، أو

---

(١) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٦٦ ـ ٣٦٧).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٦٥ ـ ٣٦٦).

(٣) ذكره عن كعب الواحدي في «البسيط» (١٥/ ١٥٠)، ودون عزو: الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٢٠٩).

(٤) بعدها في (أ): «وقيل: ما دام في البلاء يعاد جبرائيل كل يوم فإذا برئ فقال: مسني الضر».

تقريب، أو تمحيص أو تخصيص، فقال: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ خوفاً عن[1] أن يكون تعذيباً.

قال: وقيل: أوحى الله تعالى إليه: إن سبعين[2] من الأنبياء طلبوا مني هذا البلاء[3] وأنا اخترته لك، فلما أراد الله كشفه قال: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ لفقدي ألم الصبر[4].

وقيل: كوشف بمعنًى من المعاني فلم يجد أَلَمَ البلاء، فقال: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ لفقدي ألم الضر.

قال: وقيل: ألف الاستفهام مضمرة في أوله: أمسَّني الضر، كما قال: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ﴾ [الشعراء: ٢٢]؛ أي: أوتلك نعمة، ومعناه: أيكون هذا؟ أُمسُّ الضرَّ وأنت أرحم الراحمين أشاهدُ فضلك ورحمتك؛ أي: ليس بمسِّ ضرٍّ[5].

***

(٨٥ ـ ٨٦) ـ ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ﴾: عطف على ما تقدم.

وقوله تعالى: ﴿كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾: مدَحهم بالصبر

وذو الكفل اختُلف فيه؛ قال الحسن: هو اسم نبيٍّ[6]، بدليلِ أنه ذُكر في عداد الأنبياء.

---

(١) «عن» من (أ).

(٢) في (ر) و(ف): «سبعين».

(٣) في (ف) و(أ): «هذا مني» بدل: «مني هذا البلاء».

(٤) «لفقدي ألم الصبر» ليس في (أ) و(ف).

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٥١٤ ـ ٥١٧).

(٦) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٤٦٤)، والواحدي في «البسيط» (١٥/ ١٥٣).

وقيل: هو إلياس، وقيل: هو زكريا كفيل مريم، وقيل: كان خليفةَ نبيٍّ في قومه بعد وفاته.

وقال قتادة ومجاهد ومَعْمَرٌ وابن جُريج -وهو مرويٌّ عن أبي موسى الأشعري-: لم يكن نبيًّا، وإنما كان رجلاً صالحاً كَفَل بأمورِ خيرٍ(١).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: كان في بني إسرائيل ملك قتل ثلاثَ مئة نبي في أول النهار، وأقام سوقاً فأخذ منه مثلهم فقتلهم(٢) آخر النهار؛ استخفافاً بهم وجراءة على الله تعالى، فانفلت منهم مئة نبيٍّ فكفلهم وخبأهم عنه، فسمي به(٣).

وقيل: اسمه عويذ(٤) بن آزر.

وقوله تعالى: ﴿كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ﴾: أي: النبوة ﴿إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ لذلك.

وقيل: أي: في رحمتنا في الآخرة إنهم من العاملين بطاعتنا.

* * *

(٨٧) - ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾: عطفٌ على ما مر، والنون: الحوت، وهو كقوله تعالى: ﴿كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ [القلم: ٤٨] وهو يونس بن متَّى.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٧١-٣٧٣) من طريق معمر عن قتادة عن أبي موسى، ومن طريق ابن جريج عن مجاهد.

(٢) في (أ): «بقتلهم»، وفي (ر): «قتلهم». وقوله: «فأخذ منه مثلهم» من (ف).

(٣) ذكره الجرجاني في «درج الدرر» (٢/ ٣٢١) عن الكلبي.

(٤) في (ر) و(ف): «عويد»، وفي المصدر السابق: «عايوذا».

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان يونسُ وقومه يسكنون فلسطين، فغزاهم ملك فسبى منهم سبعةَ أسباط ونصفَ سبط، وبقي سبطان ونصفُ سبط، فأوحى الله تعالى إلى أشعيا[1] النبيِّ عليه السلام أن سرْ إلى حزقيا الملِكِ وقل له حتى يوجِّهَ نبيًّا قوياً أميناً، فإني ألقي في قلوب أولئك الرعب[2] حتى يرسلوا معه بني إسرائيل، فقال له الملِك: فمَن تَرى؟ وكان في مملكته خمسة من الأنبياء، فقال: يونس، فإنه قويٌّ أمين، فدعا الملك يونس فأمره أن يخرج، فقال يونس: هل أمرك الله بإخراجي؟ قال: لا، قال: هل سمَّاني لك؟ قال: لا، قال: هاهنا غيري أنبياءُ أقوياءُ أمناءُ، فخرج مغاضِباً للملك، فأتى بحرَ الروم فإذا هو بسفينةٍ محشوَّةٍ فركبها، فلما لجَّجت السفينة تكفَّأت حتى كادوا يغرقون، وذكر حديث القرعة[3].

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بُعث يونس إلى قرية فردُّوا عليه ما جاءهم به، فأوحَى الله إليه: أني أرسل عليهم العذاب في يوم كذا وكذا فاخرج من بين أظهُرهم، فأَعْلم قومه الذين قد أَوعدهم، فقال بعضهم لبعض: ارْمُقوه، فإن هو خرج فإنه كائن ما وعدكم به، فرمقوه حتى إذا كانت تلك الليلة التي يجيء العذاب في صبيحتها فخرج ليلاً، ورآه القوم فحذِروا وخرجوا إلى بَرَازٍ من الأرض وفرَّقوا بين كلِّ ذات ولدٍ وولدِها، ثم عجُّوا إلى الله تعالى وتابوا، فصرف الله عنهم العذاب، وكان يونس عليه السلام ينتظرُ العذاب، فأُخبر بما فعل قومه وبما صُرف العذاب عنهم، فلم يرجع يونس إليهم خشيةَ أن يُنسب إلى الكذب، ومضى على وجهه[4].

---

(١) في (ر) و(ف): «شعيب».

(٢) في (ف): «الوعيد»، وليست في (أ).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٣٠١) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس.

(٤) إلى هنا رواية الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٧٥) من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس.

حتى أتى سفينةً فركب فيها، حتى إذا توسطت ركدت لا تتقدم ولا ترجع، فقال أهل السفينة: إن لسفينتنا شأناً! قال يونس: قد والله عرفتُ شأنها، قالوا له: وما شأنُها؟ قال: ركبها رجل ذو خطيئةٍ عظيمة، قالوا: ومَن هو؟ قال: أنا، فاقذفوني من سفينتكم في البحر وانطلِقوا لشأنكم، فقالوا: والله ما كنَّا لنطرحَك من بيننا أبداً حتى نُعذر[1] في شأنك، فقال لهم: فاستهِموا حتى ننظرَ مَن وقع عليه السَّهم، فاقترعوا فأُدْحِضَ سهم يونس، فقال: قد أخبرتكم فاقذِفوني في البحر، فقالوا: لا نفعل حتى نعذر[2] في شأنك، ففعل ذلك ثلاث مرات وإن الحوت عند رجل السفينة فاغراً فاه ينتظر أمر الله فيه، فقال لهم يونس: إنكم والله لن تصنعوا شيئاً، وإنكم لتَهْلِكُنَّ أو لتَقْذِفُنَّني منها، فقذفوه منها إلى البحر فالتقمه الحوت وانطلق به إلى مسكنه في البحر، فأقام في بطنه ثلاثاً[3] ثم أمره الله تعالى فخرج به حتى لفظه فطرحه[4] في ساحل البحر، فطرحه مثل الصبي المولود لم ينقص من خلقته شيءٌ، وذلك لأنه نادى في الظلمات: ظلمةِ الليل، وظلمةِ البحر، وظلمةِ بطن الحوت: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ معترِفاً بزلَّته تائباً منها، فأنبت الله عليه شجرةً من يقطينٍ، وفجَّر تحت خده عيناً من ماءٍ، فنبت كما ينبت الصبي حتى استوى وصار كما كان[5].

(١) في (ر): «تغدو».

(٢) في (ر): «تغدو».

(٣) في (أ): «ثلاثة أيام».

(٤) «فطرحه» من (أ).

(٥) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣١٨٦٦)، والنحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٤٤١)، وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٧/ ١٢٣)، عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً. وصحح إسناده الحافظ في «الفتح» (٧/ ١٢٣).

وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «لمَّا أراد الله تعالى حبسَ يونس بن متى في بطن الحوت، أوحى الله إلى الحوت: أنْ خُذه، ولا تخدِش له لحماً، ولا تكسر له عظماً، فأخذه ثم هوى به إلى مسكنه في البحر، فلما انتهى إلى مسكنه في أسفل البحر فسمع يونس حسًّا، فقال في نفسه: ما هذا؟! فأوحى الله إليه وهو في بطن الحوت: إن هذا تسبيحُ دوابِّ البحر، فعند ذلك سبَّح وهو في بطن الحوت، فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا: يا ربنا إنَّا لنسمع صوتاً ضعيفاً بأرض غريبةٍ! قال: ذاك عبدي يونس عصاني فحبستُه في بطن حوت في البحر، فقالوا: يا ربنا! العبد الصالح الذي كان يصعد منه في كلِّ يوم وليلةٍ عملٌ صالح؟ قال: نعم، قال: فَشَفَعوا له عند ذلك، فأمر الله تعالى الحوت فقذفه بالساحل»[1].

وقوله تعالى: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾: أي: أنْ لن نضيِّقَ عليه، قال الله تعالى في سورة (والفجر): ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ﴾ [الفجر: ١٦]؛ أي: ضيَّق.

وقوله تعالى: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: والظلمات ثلاثٌ على ما ذكرنا في القصة.

وقيل: ابتلع الحوتَ الذي ابتلع يونسَ عليه السلام حوتٌ آخر، ثم ابتلع

---

(١) رواه البزار في «البحر الزخار» (٨٢٢٧) من طريق ابن إسحاق عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٨٥) وجاء فيه: ابن إسحاق عمن حدثه، عن عبد الله بن رافع به. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٩٨): رواه البزَّار عن بعض أصحابه ولم يُسمِّه، وفيه ابنُ إسحاقَ وهو مُدَلِّسٌ، وبقيةُ رجالِه رجالُ الصَّحيح. قلت: ومع ذلك فشيخ ابن إسحاق مبهم كما في رواية الطبري. وذكر له ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٢٢) شاهداً من طريق يزيد الرقاشي قال: قال: سمعتُ أنسَ بنَ مالكٍ ولا أعلمُ إلا أن أنسًا يرفعُ الحديثَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ...، فذكر نحو حديث أبي هريرة. قال ابن كثير: ويزيدُ الرَّقَاشيُّ ضعيفٌ، ولكنْ يَتقوَّى بحديث أبي هريرة المتقدِّم، كما يَتقوَّى ذاك بهذا. واللهُ أعلمُ.

ذلـك الحـوتَ حوتٌ آخر، فـكان في ظلمات بطـون الحيتان الثلاثة، قاله سـالم بن أبي الجعد[١].

وقوله تعالى: ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ﴾: وهذا توحيدٌ وتنزيه.

وقوله تعالى: ﴿إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: وهذا اعتراف بالزلة، وقد فسَّرناه في سورة البقرة عند ذكر زلة آدم، وهي فعلُ الفاضل وترك الأفضل، وكان الأفضل أن يرجع شفقةً على قومه وإن كان ذهابه فاضلاً لأنه غاضَبهم في ربه.

* * *

(٨٨) ـ ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ﴾: دعاءه، وهو ما ثبت في ضمن هذا الثناء.

وقوله تعالى: ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّ﴾: قيل: غمِّ الحبس، وقيل: غمِّ الزلة.

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: الذين يدعونني إذا ابتُلوا.

وقيل: وكذلك ننجي مَن تكلَّم بهذه الكلمات.

وقيل: نجيناه من البلاء لطاعته في الرخاء، وكذلك ننجي مِن المحنة مَن كان مطيعاً لنا في النعمة؛ قال الله تعالى: ﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ١٤٣ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٣ ـ ١٤٤].

قـال: أخذتـه الزَّلةُ برجلـه فسَـفَلتْه في البحـر، وأخذته الطاعـة بيـده فأَعْلَتْه إلى السـاحل، وكذلـك معصيـةُ كلِّ عـاصٍ تَسْـفُله فـي النـار أسـفلَ سـافلين، وتُعليـهِ[٢] طاعتُـه فـي أعلـى علِّيِّين.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٨٣).

(٢) في (ر): «وتنقله»، وفي (ف): «ونقلته».

وقيل: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ من الظلمات الثلاث: ظلمةِ الدنيا، وظلمةِ القبر، وظلمةِ النار.

وقال النبي ﷺ: «دعوةُ ذي النون ما دعا بها مؤمنٌ إلا استُجيب له»[1].

وقيل: صحب يونسُ النونَ سبعةَ أيام فلزمه الاسمُ فلا يفارقه، والمؤمن صحبه الإيمانُ سبعين سنة فكيف يفارقه الاسم؟

* * *

(٨٩) - ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا﴾: عطفٌ على ما تقدم.

وقوله تعالى: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ﴾: أي: دعا ربه: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾؛ أي: بلا ولدٍ يعينني على إقامة دِينك.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾: أي: أعلمُ أنك لا تضيِّع دينك، ولا تُخْلي الدنيا بعدي عن قائمٍ بحقِّك، وهذا على وراثة النبوة.

وقيل: معناه: ربِّ لا أسألك ولداً يرث[2] مالي نفاسةً على أخذِ ميراثي من غير ولدي، فإن الأموال كلَّها صائرةٌ إلى غير وارث سواك، وأنت خيرُ الوارثين لأن الموروث مِلكُك وعطيَّتك ومنك كان وإليك عاد.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٤٦٢)، والترمذي (٣٥٠٥)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٤١٧)، وفي «عمل اليوم والليلة» (٦٥٥)، والحاكم في «المستدرك» (١٨٦٢) وصححه، من حديث سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٢) بعدها في (أ): «من».

وقيل: معناه: إن تفضَّلت بهبةِ وارثٍ لي فهو منَّتُك[1] وإنعامُك، وإلا فكفى بك وارثاً، والله أعلم بما أراد.

***

(٩٠) - ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾.

﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ دعاءه ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾: قيل: عن العُقم، وقيل: أصلحنا أخلاقها.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾: الكناية عن زكريا وامرأته وأهل بيته.

وقوله تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾: أي: في الشدة والرخاء[2] ﴿وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾: خاضعين خائفين.

***

(٩١) - ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾: عطف على ما تقدم، وهي مريم، و﴿أَحْصَنَتْ﴾؛ أي: أحرزت فرجَها من السِّفاح.

---

(١) في (ف): «من منتك».

(٢) في (أ): «﴿وَيَدْعُونَنَا﴾ أي في الشدة والرخاء ﴿رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ أي: ويدعوننا كما قال: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾».

﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا﴾؛ أي: جبريلُ في جيبها ﴿مِن رُّوحِنَا﴾: من روحٍ خلقناها[1] نحن بعيسى على الخصوص، وهي إضافة تخصيصٍ كبيتِ الله وناقةِ الله.

ذكَر مريم ـ وهي ليست من الأنبياء ـ بعد ذكر الأنبياء ليَتِمَّ ما أُريد من ذكر عيسى، ألا تَراه قال: ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ فجعلهما معاً آيةً واحدة؛ لأن الآية كانت باجتماعهما، وهي الأعجوبة للخلق والدلالةُ على نفاذِ قدرة الله تعالى على ما يشاء، إذ وُلد عيسى من غيرِ أبٍ ووَلَدت هي من غيرِ زوج.

* * *

(٩٢ ـ ٩٣) ـ ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: قيل: هو خطابُ هؤلاء الأنبياء: إن هذا دينُكم ديناً واحداً، نُصب على القطع، وكان الأنبياء كلُّهم على دينٍ واحدٍ في التوحيد والطاعة، وإنما اختلفت شرائعُهم وأحكامهم، وهو كقوله خبراً عن الكفار: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: ٢٢]، وهي من الأَمِّ وهو القصدُ، وكلُّ ذي دِينٍ قاصدٌ إلى ما يَدِين به.

﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾: أي: وحِّدوني وأطيعوني؛ أي: اثبُتوا على هذا.

﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾: أي: تقسَّموا وتوزَّعوا أمرهم في أديانهم، يعني: بعضُ أممهم فعلوا ذلك فدانوا بأديانٍ مختلفة يهوديةٍ ونصرانيةٍ ومجوسيةٍ وإشراك.

قوله تعالى: ﴿كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾: فنجازي كلًّا جزاءَ مثله.

وقيل: هـذا خطابٌ للمشـركين، وقولُه تعالـى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾؛

---

(١) في (ف): «خلقنا».

أي: أنتم على دينٍ واحد وهو الكفر ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ آمِنوا بي ووحِّدوني وأطيعون ﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ فاختلفوا يهوداً ونصارى ومجوساً ومشركين(١) ﴿كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ﴾ فنجازيهم.

* * *

(٩٤ ـ ٩٥) ـ ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ﴾: أي: فإن سعيه مشكورٌ مقبول ﴿وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ﴾؛ أي: نحفظ عليه أعماله فنجزيهِ بها.

وقيل: تكتبها ملائكتنا بأمرنا فنُخرجُ لهم الكتبَ يوم القيامة فنحاسبُهم بها.

وقوله تعالى: ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ﴾: قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر: ﴿وحِرْمٌ﴾ بكسر الحاء، وقرأ الباقون: ﴿وَحَرَٰمٌ﴾(٢) والمعنى واحد.

وقوله تعالى: ﴿أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾: أي: كلُّ قرية أهلكناها بكفرها ـ أي: أهل قرية ـ فحرامٌ عليهم ـ أي: هم ممنوعون منه ـ أن يرجعوا إلى قريتهم أو إلى الدنيا فيتلافَوا ما فَرَط منهم؛ أي: فلْيجتهدوا قبل الهلاك إذاً فلا(٣) تدارُك بعد الهلاك.

و﴿لَا﴾ زائدة في قوله: ﴿لَا يَرْجِعُونَ﴾ كما في قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢]، وهذا كقوله: ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [يس: ٣١].

---

(١) في (ر): «ومسلمين».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٣١)، و«التيسير» (ص: ١٥٥).

(٣) في (ر): «إذ لا».

وقالت[١] عائشة رضي الله عنها وعيسى بن عمر[٢]: ﴿وحِرْمٌ على قريةٍ﴾؛ أي: واجبٌ وعزم، وعلى هذا التأويل ﴿لَا﴾ ليست بزائدةٍ بل هي ثابتة؛ أي: ثبَت هذا وتحقَّق ﴿إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ إلى الدنيا.

* * *

(٩٦ ـ ٩٧) ـ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ۝٩٦ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾: أي: لا يرجعون، بل يبقَون[٣] في قبورهم معذَّبين إلى أن تُفتح جهةُ يأجوج ومأجوج[٤] وهو السد.

وقوله تعالى: ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾: أي: من كلِّ مرتفعٍ من الأرض يُسرعون، و﴿يَنسِلُونَ﴾[٥] عدُّوه من باب ضرب.

وقوله تعالى: ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾: قيل: الواو زائدة، معناه: اقترب، جواباً لقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا﴾، و﴿ٱلْوَعْدُ﴾ بمعنى: الموعود، و﴿ٱلْحَقُّ﴾: الصِّدق.

وقيل: الواو للعطف، والجواب في قوله ﴿يَٰوَيْلَنَا﴾ على إضمارِ: (قالوا: يا ويلنا).

---

(١) في (ر): «وقرأت».

(٢) في (ر) و(ف): «وعيسى بن حزم».

(٣) في (ف): «يقفون».

(٤) «أي: لا يرجعون بل يبقون في قبورهم معذبين إلى أن تفتح جهة يأجوج ومأجوج» من (أ)، ووقعت في (ف) عقب قوله: «وهو السد».

(٥) في (أ) و(ف): «ونسلان الذئب».

وقيل: جوابه محذوف: نَدِموا، أو: عَلِموا، وقوله تعالى: ﴿وَٱقۡتَرَبَ﴾ العطفُ على الجواب المحذوف.

﴿فَإِذَا هِيَ﴾: قيل: ﴿هِيَ﴾ إشارةٌ إلى[1] الأبصار المذكورةِ بعدها؛ ابتدأ بالكناية ثم صرَّح بعدها للبيان.

وقيل: ﴿هِيَ﴾ عماد، وتقديره: فإذا أبصار الكفار شاخصةٌ؛ قال الشاعر:

بثوبٍ ودينارٍ وشاةٍ ودرهمٍ فهل هو مرفوعٌ بما هاهنا رأسُ[2]

أي: فهل رأسٌ مرفوعٌ.

يقول: إن القيامة إذا قامت شخصت ﴿أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾؛ أي: ارتفعت خوفاً لما ينالهم من الوعيد وتوقُّعاً لذلك ﴿يا ويلنا﴾؛ أي: يقولون: يا ويلنا ﴿قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ ذكروا أولاً ما يشبه العذرَ: كنَّا في غفلةٍ كمَن لا يعلم بالشيء فيستعدَّ له، ثم يقولون: بل أَنذرَنا الرسل لكنَّا ظلمنا أنفسنا بالتكذيب وتركِ استعدادنا لهذا[3].

* * *

(٩٨) ـ ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾: أي: مرميٌّ

---

(١) في (أ): «إشارة» بدل: «قيل: هي إشارة إلى».

(٢) البيت دون نسبة في «معاني القرآن» للفراء (١/ ٥٢) و(٢/ ٢١٢)، و«تفسير الطبري» (٢/ ٢١٥) و(١٦/ ٤١٠)، و«البسيط» (٣/ ١٧١) و(١٥/ ٢٠٤).

(٣) في (أ): «وترك الاستعداد لها».

به في النار، يقال: حصَبْتُه بالحصى[١]؛ أي: رميتُه بها؛ أي: تُرمون أنتم والأوثانُ في النار كالحطب يرمَى فيها[٢].

وقال الفراء: الحصَب: الحطَب بلغة أهل اليمن[٣].

وقال الهيثم بن عديٍّ: بلغة الحبشة[٤].

وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما بالضاد المنقوطة فوقها[٥]، وهو ما هيَّجْتَ به النار.

وقال قطرب: بالصاد المعجمة تحتها[٦] أيضاً: الوقود[٧].

وقوله تعالى: ﴿أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾: الأوثان والعبَّاد فيها داخلون[٨]، و﴿لَهَا﴾

---

(١) في (ر) و(ف): «بالحصباء»، والمعنى واحد.

(٢) في (ر) و(ف): «كالحصب يرمى بها».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢١٢).

(٤) انظر: «تفسير البغوي» (٥/ ٣٥٦) عن عكرمة.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢١٢)، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٥)، و«تفسير الطبري» (١٦/ ٤١٣).

(٦) في (ر): «بالضاد المعجمة تحتها»، والمثبت من (أ)، وسقط قول قطرب كله من (ف). ولعله يعني بقوله: «بالصاد المعجمة تحتها»: الصاد المهملة، قال ابن الصلاح في «معرفة علوم الحديث» (ص: ٢٩٦): (كما تُضبَطُ الحروفُ المعجمةُ بالنقط؛ كذلك ينبغي أن تضبطَ المهمَلاتُ غيرُ المُعجَمة بعلامة الإِهمال لتدلَّ على عدم إعجامها، وسبيلُ الناس في ضبطِها مختلف: فمنهم من يَقْلِبُ النقطَ؛ فيجعل النقطَ الذي فوق المعجمَات، تحت ما يشاكِلُها من المهمَلات؛ فينقط تحت الراء والصاد والطاء والعين ونحوِها من المهمَلات).

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤١١) عن ابن عباس.

(٨) في (ف): «خالدون».

لتقدُّم محلِّ الفعل[١]؛ كما في قوله: ﴿لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ٥] ﴿لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المؤمنون: ٨].

وقِرانُ الأصنام بهم لزيادة عذابهم[٢]؛ لأنها حجارة فتَحمى فيعذَّبون بها، ولزيادة حسرتهم؛ فإنهم عبدوها راجين نفعَها فحُرموه ونالهم بها زيادة ضرٍّ.

* * *

(٩٩ ـ ١٠٠) ـ ﴿لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ (٩٩) لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا﴾: أي: لأَمْكنَها دفعُ النار عن أنفسها فلم توقَع فيها.

قوله: ﴿وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: العابدون والمعبودون.

وقوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾: أي: للكفار ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾؛ أي: صوتاً لصممهم، وفي السماع نوعُ تفرُّج فلم يعطَوا ذلك.

وقيل: لا يسمعون ما يسرُّهم.

* * *

(١٠١) ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾:

روى محمد بن إسحاق: أن النبي ﷺ جلس يوماً مع الوليد بن المغيرة في

---

(١) في (أ): (ف): «وهذا لتقدم الفعل» وفي (ر): «وهذا لتقدير الفعل». ولعله يريد أن قوله: ﴿لَهَا﴾ اللام فيه للتقوية لتأخر الفعل.

(٢) في (ر) و(ف): «العذاب بهم».

المسجد، فجاء النَّضْر بن الحارث حتى جلس معهما، وفي المجلس غير واحد من رجال قريش، فتكلم رسول الله ﷺ، فعرَض له النضر بن الحارث، فكلَّمه رسول الله ﷺ حتى أفحمه، ثم تلا عليه وعليهم: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ ثم قام رسول الله ﷺ، وأقبل عبد الله بن الزِّبَعْرَى بنِ قيس ابن عدي السهمي حتى جلس، فقال الوليد بن المغيرة لعبد الله بن الزِّبعرى: والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب آنفاً وما قعد، وقد زعم أنَّا وما نعبد من دون الله من آلهتنا هذه حصبُ جهنم، فقال ابن الزِّبعري: أمَا والله لو وجدتُه لخَصَمْتُه، فسلوا محمداً: أكلُّ مَن عُبد من دون الله في جهنم مع مَن عبده، فنحن نعبد الملائكة، واليهودُ تعبد عزيراً، والنصارى تعبد المسيح، فعجِب الوليد بن المغيرة ومَن كان في المجلس مِن قول عبد الله بن الزبعرى، ورأوا أنه قد خاصم واحتج، فذُكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «نعمْ، كلُّ مَن أحبَّ أن يُعبد من دون الله فهو مع مَن عبَده، إنما يعبدون الشياطين ومَن أمَرتهم بعبادته»، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ إلى قوله: ﴿خَٰلِدُونَ﴾؛ أي: عيسى بن مريم وعزير ومَن عَبدوا من الأحبار والرهبان الذين مضَوا على طاعة الله فاتخذهم مَن بعدَهم من أهل الضلالة أرباباً من دون الله، وأنْزَل فيما ذكروا أنهم يعبدون الملائكة لأنها بنات الله، ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦] إلى قوله: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٢٩][(١)].

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٣٥٨-٣٥٩) عن ابن إسحاق، ورواه عنه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤١٧ - ٤١٨)، ورواه مختصراً الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٧٣٩)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٠٥)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٦٩): فيه عاصم بن بهدلة وقد وثق وضعفه جماعة. ورواه بنحوه دون ذكر الآية الإمام أحمد في «المسند» (٢٩١٨).

ثم اعتراضُهم إن كان على ظاهر الآية فهو فاسد؛ لأنه قال: ﴿وَمَا تَعۡبُدُونَ﴾ وذلك لا يتناول مَن[١] يَعقل، ولا يعمُّ الملائكة ونحوَهم، بل يقتصر على الأصنام.

أما لو قالوا: كلُّ معبود من دون الله هل يكون مع عابده في النار؟ وهذا سؤال عامٌّ[٢] يتناول الكلَّ، لكن جواب رسول الله ﷺ: «مَن أحبَّ أن يُعبد من دون الله فهو مع مَن عبَده» يقتضي إخراج هؤلاء من ذلك[٣]؛ لأنهم لا يرضون بذلك فلا يَلزمه كلامُهم، وكان نزول هذه الآية الثانية بعد سؤالهم زيادةَ إيضاحٍ لهم، وكان تنبيهاً أنهم بما سبقت لهم من الله الحسنى لا يكون لهم دخول النار.

وقوله: ﴿سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ﴾؛ أي: الجنة، كما قال: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ﴾ [يونس: ٢٦]، ومعناه: سبق لهم الوعدُ بها لإيمانهم وطاعتهم.

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ﴾؛ أي: عن النار مبعَدون لا يعذَّبون فيها.

وقيل: ﴿ٱلۡحُسۡنَىٰٓ﴾: السعادةُ، يعني: مَن سبقت له السعادةُ الأزلية؛ أي: الحكمُ منا بالسعادة.

قال الجنيد رحمه الله: سبقت العناية في البداية فظهرت الولاية في النهاية.

* * *

(١٠٢ ـ ١٠٣) ـ ﴿لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ١٠٢ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾.

---

(١) في (ف) و(أ): «ما».

(٢) «عام» من (أ).

(٣) «من ذلك» من (أ).

وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾: أي: صوتها، وهو قوله: ﴿إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا﴾ [الملك: ٧].

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ﴾: وذاك في الجنة، ولهم فيها ما يشتهون.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾: أي: فزعُ القيامة، فهو أكبر الأفزاع.

وروي أن الفزع الأكبر إذا ذُبح الموت.

وقيل[١]: إذا أُطبقت النار على أهلها.

وقيل: إذا أُمر بالكفار إلى النار[٢].

ورُوي: إذا نفخ في الصور النفخةُ الثانية.

وقال ذو النون المصري: هو فزع القطيعة.

وروي: إذا نادى المنادي ألَا إنَّ فلان بنَ فلان قد سُعِدَ سعادةً لا شقاوة بعدها أبداً، ألَا إن فلانَ بن فلان قد شَقِي شقاوةً لا سعادة[٣] بعدها أبداً.

وقوله تعالى: ﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: أي: تستقبلهم ﴿هَٰذَا يَوْمُكُمُ﴾؛ أي: يقولون لهم: هذا يومكم ﴿ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾؛ أي: توعدون فيه الكرامةَ من الله تعالى.

***

---

(١) في (أ): «وروي».

(٢) في (أ): «أمر العبد بالنار»، وفي (ر): «أمر بالعبد إلى النار».

(٣) في (أ): «فلان بن فلان شقيٌّ لا يسعد».

(١٠٤) ـ ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ﴾: أي: لا يَحزنهم الفزع الأكبر يوم نطوي السماء؛ أي: السماوات؛ كما قال: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ﴾ [الزمر: ٦٧]، وهو عبارةٌ عن نقض تركيبها.

وقوله تعالى: ﴿**كَطَيِّ السِّجِلِّ للكِتَاب**﴾: قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص: ﴿لِلْكُتُبِ﴾ على الجمع، وقرأ الباقون: ﴿للكتاب﴾ على الواحد(١).

والسجل هو الكتاب.

وقيل: هو اسم كاتبٍ مخصوصٍ وهو رجل.

وقيل: هو ملَكٌ من الملائكة.

ومعناه: كما يطوي الكاتبُ الصحيفة فيصغِّرها بالطَّيِّ بعد طولها وعرضها، فكذلك نجعل السماوات على طولها وعرضها، وعلى هذا يكون قوله: ﴿لِلْكُتُبِ﴾ داخلاً في المفعول؛ كقولك: أكرمتُك إكرام زيد لعمرو؛ أي: عمراً.

وقيل: السجلُّ: الصحيفة، ومعناه: كما تطوى الصحيفة، ويكون هذا إضافةَ المصدر إلى المفعول، والأولُ كان إضافةً إلى الفاعل، وكلُّ ذلك جائز، ثم قوله: ﴿للكتاب﴾ له ثلاثةُ معان:

للكتابة: فيكون مصدراً

وللمكتوب؛ أي: لأجْل ما كُتب فيه.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٣١)، و«التيسير» (ص: ١٥٥).

والثالث: على ما كُتب فيه، واللام بمعنى (على)؛ كما قال: ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧]؛ أي: فعليها.

﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾: أي: كما ابتدأناها أولَ ما خلقناها نُعيد خلقَها في القيامة.

وقيل: نجعلها سماءً واحدة كما كانت، قال الله تعالى: ﴿كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠]، وهو قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨] وهو قولُ الحسن: نعيدها بعد إهلاكها.

وقيل: هو مستأنفٌ؛ أي: نعيدُ الخلق يومَ القيامة كما خلقناهم أولَ مرةٍ حُفاةً عُراةً غُرلاً كما كانوا في بطون أمهاتهم، وهو قول الفراء[1]، يدلُّ عليه ما بعده، وهو قوله تعالى: ﴿وَعْدًا عَلَيْنَآ﴾ وكان ذلك للخَلْق؛ كما قال: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ [النحل: ٣٨].

وقوله تعالى: ﴿وَعْدًا عَلَيْنَآ﴾: أي: وعداً كائناً لا محالةَ، و(على) كلمة تحقيق.

﴿إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾: أي: محقِّقِين هذا الوعدَ فاستعِدُّوا له وقدِّموا صالح الأعمال للخلاص من الفزع الأكبر.

وقال القشيري رحمه الله: كانت السماء سقفاً مرفوعاً لأن الأولياء تحتها، والأرضَ فراشاً ممهداً لأنهم عليها، فإذا ارتحل الأحباب طُوي الفراش ونُقض السقف[2].

* * *

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢١٣)، ولفظه: انقطعَ الكلام عند (الكتب)، ثُمَّ استأنف فقال: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ فالكاف للخلق؛ كأنك قلت: نعيد الخلق كما بدأناهم أوَّلَ مرَّة.

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٥٢٥).

(١٠٥) - ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾: قرأ حمزة بضم الزاي، وهي جمع (زِبْرٍ) بكسر الزاي وهو الكتاب، فيكون جمعاً، وقرأ الباقون بفتحها[1]، فكان واحداً وهو الكتاب.

يقول: أثبتنا في الكتب المنزلة على الأنبياء، أو في زبور داودَ إذا كان على الواحد، أو في كتاب آخر مما أنزل.

﴿مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾: أي: بعد الكتابة في اللوح المحفوظ.

وقوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ﴾: أي: أرضَ الجنة ﴿يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ وينصرف إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾.

وقيل: الصالحون هم أمة محمد ﷺ.

قال وهب: كذلك قرأتُ في عدةٍ من كتب الله تعالى، وأضيفت إليهم لأنهم أكثر أهلها، فقد روي أنهم ثلثا أهل الجنة[2].

وقيل: معناه: أن أرض الشام يرثها الصالحون؛ أي: مؤمنو بني إسرائيل، كما قال: ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٢٩].

وقيل: معناه: أن أرض الدنيا ترثُها أمة محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٣١)، و«التيسير» (ص: ٩٨).

(٢) رواه الترمذي (٣١٦٩) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه، وفيه: إني لأرجو أنْ تكونوا رُبعَ أهل الجنة فكبَّروا، ثُم قال: إني لأرجو أنْ تكونوا ثُلُثَ أهل الجنة فكبَّروا، ثُم قال: إني لأرجو أن تكونوا نصفَ أهل الجنة فكبَّروا قال: ولا أدري؟ قال: الثُّلُثين أم لا؟ قال الترمذي: حسن صحيح.

﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٥٥]، وقال رسول الله ﷺ: «زُوِيتْ لي الأرض فأُرِيتُ مشارقَها ومغاربَها، وسيبلغ ملكُ أمتي ما زُوي لي منها»[١].

***

(١٠٦ ـ ١٠٧) ـ ﴿إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا﴾: يعني: إن فيما قصَصْناه عليكم لوُصولاً إلى الحق والصواب وإحرازاً للثواب ﴿لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ﴾؛ أي: للَّذين همُّهم عبادة الله والتذلُّل له[٢].

والبلاغ يعني البلوغ؛ كالصلاح والصلوح، والثبات والثبوت.

وقيل: ﴿لَبَلَٰغًا﴾؛ أي: لكفايةً؛ قال الشاعر:

تــزجَّ مــن دنيــاك بالبــلاغِ وباكــرِ المِعْــدةَ بالدِّبــاغِ
بكِسْــرةٍ ليِّنَــةِ الــمَضَاغِ بالملحِ أو ما خَفَّ من صِباغِ[٣]

وقيل: ﴿إِنَّ فِى هَٰذَا﴾؛ أي: في هذا القرآن.

وقيل: ﴿لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ﴾؛ أي: موحِّدين. وقيل: مطيعين.

وقال كعب: والذي نفسُ كعبٍ بيده هم أهلُ الصلوات الخمس[٤].

---

(١) رواه مسلم (٢٨٨٩) من حديث ثوبان رضي الله عنه.

(٢) في (ر) و(ف): «والتدين».

(٣) الرجز في «الصحاح» (مادة: صبغ)، و«أساس البلاغة» (مادة: زجا).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٣٨).

وقيل: أي: لكلِّ بشر؛ لأنهم عباد[١] الله.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ﴾: ذكَر بعد إنزال القرآن إرسالَ الرسول ﴿إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ لأنه بُعث داعياً إلى الله، ومرشداً إلى دينه، ومنقذاً من الضلالة، ومنبِّهاً على ما فيه الفوزُ بالنعيم المقيم والنجاةُ من العذاب الأليم، وذلك رحمةٌ عامة للمؤمنين والكافرين، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [الإسراء: ١٠٥]، فالتبشير والإنذار رحمةٌ أجراها الله تعالى على يديه.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: تمتِ الرحمة لمن آمن به في الدنيا والآخرة، ومَن لم يؤمنْ به عُوفي مما أصاب الأمم مِن قبلنا[٢].

وقال عكرمة: قيل: يا رسول الله، ألا تلعنُ قريشاً بما أتوا إليك؟ فقال لهم[٣]: «لم أُبعَثْ لعَّاناً إنما بعثتُ رحمةً للعالمين، يقول الله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾»[٤].

وما أتى به من القتال للدعوة إلى الإسلام، ومن الحدود للزجر عن الآثام، فهو استصلاح لهم كاستصلاح الوالدين الولدَ بالمعالجات في الأسقام، بالكيِّ والجراح والحَجم لبعض الآلام، فكان تحقيقاً للرحمة والإنعام.

***

(١) في (أ): «عبيد».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٣٨).

(٣) «لهم» ليست في (ر).

(٤) رواه عبد بن حميد كما في «الدر المنثور» (٥/ ٦٨٨)، وله شاهد عند مسلم (٢٥٩٩) من حديث أبي هريرة قال: قيل: يا رسولَ الله، ادعُ على المشركين، قال: «إني لم أُبْعَث لعَّانًا، وإنما بُعِثْتُ رحمةً».

(١٠٨ ـ ١٠٩) ـ ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۖ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾: وهو أصلُ ما أُرسل به إليهم ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ وهو كلمةُ[١] استبطاءٍ، وفيه أبلغُ تلطُّفٍ[٢] في الدعوة إلى الإسلام، وهو كقوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١]، وتحقيقه: فانتهُوا، وكذلك هاهنا: فأسلِموا.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾: أي: أعرضوا فلم يُسلموا ﴿فَقُلْ﴾ لهم: ﴿ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾؛ أي: لا مسالمة بيني وبينكم، فقد أعلمتُكم ذلك ظاهراً مكشوفاً صرتُ أنا وأنتم في علمه سواءً، وهو كقوله تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ [الأنفال: ٥٨]؛ أي: أعلِمْهم أنك قد نقضتَ ذلك العهد حتى تصيرَ أنت وهم في علم ذلك سواءً.

وهذا الإنذار كان إعلاماً بالمحاربة.

وقيل: كان إخباراً أنه لا يوافقُهم على ما هم عليه، وكانوا يطمعون في ممايلته إياهم، فقطع بهذا طمعهم.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾: قيل[٣]: وما أعلم أقريبٌ ما توعدون به من العذاب على تولِّيكم عن الإسلام أم بعيدٌ؟ وذلك إلى الله وعلمُه

---

(١) في (ف): «هذا كله» بدل: «وهو كلمة».

(٢) في (أ): «تبليغ بلطف» بدل: «أبلغ تلطف».

(٣) في (ر) و(ف): «فقل أي»، بدل: «قيل».

عنده[1]؛ أي: آذنتُكم بالحرب على السواء وما أدري[2] أقريب ذلك أم بعيد.

وقيل: ما توعدون من الساعة؛ أي: آذنتكم بالحرب في الدنيا، وما أدري متى تكون الساعة فتعذَّبون في الآخرة زيادةً على عذاب القتل في الدنيا.

***

(١١٠ ـ ١١٢) ـ ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾: ما تجهرون به من القول بشرككم ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ من ذلك، فليس تأخير العذاب عنكم لخفاءِ حالكم، بل هو معذِّبكم في الوقت الذي قدَّره لذلك.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ﴾: أي: لعل إمهالَكم وتأخيرَ العذاب عنكم تشديدٌ للمحنة عليكم بزيادة المعاصي الموجِبة لزيادة العقوبات فلا تظنُّوه خيراً.

وقوله تعالى: ﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾: أي: تمتيعٌ إلى مدةٍ، وهي وقتُ نزول العذاب في الدنيا، فإن كان هذا تخويفاً بعذابِ الآخرة فالحينُ هو الموت.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ ربِّ احكُمْ بالحقِّ﴾: قرأ عاصم في رواية حفص: ﴿قَٰلَ رَبِّ﴾ خبراً عن النبي ﷺ أنه قال هذا الدعاء، وقرأ الباقون: ﴿قُلْ﴾ أمراً له بذلك[3]؛

---

(١) بعدها في (أ): «وهو كقوله: أقريبٌ ما توعدون من الساعة».

(٢) قوله: «أقريب ما توعدون من الساعة أي آذنتكم بالحرب على السواء وما أدري» من (أ).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٤٣١ ـ ٤٣٢)، و«التيسير» (ص: ١٥٦).

أي: فوِّضِ الأمر إلى الله وقل: يا ربِّ احكم بالحق بيني وبين هؤلاء بنُصرتي عليهم، وإظهارِ حقِّي على باطلهم، وإنزال[1] نقمتك عليهم، وهو كقوله: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٨٩]، وعلى هذا: (الحق) هو ما يستحقونه.

وقيل: استُجيب هذا فيهم يومَ بدر.

وقيل: معناه: احكُم بحكمك وهو الحقُّ، فذكر النعت مكان المنعوت.

وقال قتادة: كان النبي ﷺ إذا شهد قتالاً قال: ﴿رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾: قرأ ابن عامر في روايةٍ بياء المغايبة[3]، والباقون بتاء المخاطَبة.

أمره بأن يخاطب الكفار فيقولَ لهم: ربُّنا هو الرحمن المستعان على إزالة ما تصفون من الشرك، وما تقولون في صفتي وصفة القرآن: ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ﴾ [الأنبياء: ٣] ﴿ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ [الأنبياء: ٥] ﴿ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾ [مريم: ٨٨]، هو المستعان على تغيير هذا، والحكمِ بيني وبينكم بالحق، ويكون ﴿قُلْ﴾ في أول الآية أمراً بشيئين: أي: قل داعياً ﴿رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾، وقل: متوعِّداً للكفار ﴿وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾.

ومَن قرأ بياء المغايبة فمعناه: قل للمؤمنين مبشراً لهم ومطيِّباً قلوبَهم: ربُّنا الرحمن يرحمكم وينصركم، المستعان على ما يصف الكفار من الباطل.

---

(١) في (ف): «حقي على ظلمهم وأنزل»، وفي (ر): «حقي على من ظلمني وأنزل».

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٨٩٤)، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٣٨).

(٣) هي رواية ابن ذكوان عن ابن عامر بخلف عنه، ورواية المفضل عن عاصم. انظر: «السبعة» (ص: ٤٣٢)، و«النشر» (٢/ ٣٢٥).

وقيل: بقية الآية تتمة للدعاء أيضاً؛ أي: و﴿قل ربِّ احكم بالحق﴾، واعترِف في دعائك هذا أن الله هو الرحمن والمستعان على ما تصفون، وهو ثناء مع الدعاء[1].

والحمد لله على نعمائه، والشكرُ على عموم آلائه، والصلاةُ على خاتم أنبيائه، ومبلِّغِ أنبائه، وعلى الباذلين مُهجَهم في قمع أعدائه.

* * *

(١) في (ف): «على ما يصف الكفار وهو الثناء مع الدعاء» بدل: «تصفون وهو ثناء مع الدعاء».

سُورَةُ الحَجِّ

سُورَةُ الحَجِّ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسـم الله الـذي يميـت الأحيـاء ويُحيـي الموتـى[1] وهو علـى كل شـيء قدير، الرحمـنِ الـذي رزقنا مـن بهيمة الأنعـام وأمرنا بإطعـام البائس الفقيـر، الرحيمِ الذي يتولَّانـا وينصرنا، فنعـمَ[2] المولى ونعـم النصير.

روى أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن قرأ سورة الحج أُعطي من الأجر بعددِ مَن حج أو اعتمر فيما مضى وفيما بقي»[3].

وسورة الحج مكيةٌ إلا ستَّ آيات منها يقال: إنها نزلت بالمدينة يومَ بدر في اليوم الذي اقتتلوا فيه: ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡ﴾ [الحج: ١٩] إلى قوله: ﴿صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [الحج: ٢٤][4].

وقيل: هي مدنية إلا آياتٍ منها[5] نزلت بمكة: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾ [الحج: ٥٢] إلى قوله: ﴿عَذَابُ يَوۡمٍ عَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٥][6].

---

(١) في (أ): «الأموات».

(٢) في (ف): «فهو نعم».

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ٢٨٩ ـ ٢٩٠)، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور، وقد تقدم الكلام عليه مراراً. وانظر: «الفوائد المجموعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

(٤) وهو قول ابن عباس وعطاء بن يسار. انظر: «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ١٨٩).

(٥) بعدها في (ر) و(ف): «يقال إنها».

(٦) وهو قول قتادة. انظر: «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ١٨٩).

وآياتها أربع وسبعون، وقيل: خمسٌ، وقيل: ستٌّ، وقيل: سبعٌ، وقيل: ثمانٍ[١].

والاختلاف في خمس آيات: ﴿ٱلْحَمِيمُ﴾ ﴿وَٱلْجُلُودُ﴾ ﴿وَعَادٌ وَثَمُودُ﴾ ﴿وَقَوْمُ لُوطٍ﴾ ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

وكلماتها ألف ومئتان وأربع وسبعون، وحروفها خمسة آلاف ومئتان وتسعة وثلاثون[٢].

وانتظام أول هذه السورة بآخر تلك السورة: أنه قال: ﴿مَا تُوعَدُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٤] وهي الساعة، وذكرها في أول هذه السورة.

وانتظام السورتين: أن تلك السورةَ في ذكر الإيمان والطاعة وثوابهما، وفي ذكر الكفر والمعصية وعقابهما، وهذه السورة كذلك.

* * *

(١) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٞ﴾.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ﴾: أي: فلا تخالفوه فيما أَمر ونهى، واذكروا جزاء ذلك في الآخرة يوم القيامة.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٞ﴾: الزلزلة: شدةُ الحركة على الحالة[٣] الهائلة، وهي تضعيف الزَّلَل.

---

(١) هي سبعون وأربع آيات في الشَّامي، وخمس في البَصْرِيّ، وست في المدنيين، وسبع في المكِّيّ، وثمان في الكوفي. المصدر السابق.

(٢) في المصدر السابق: «كلمها ألف ومئتان وإحدى وتسعون كلمة، وحروفها خمسة آلاف ومئة وخمسة وسبعون حرفاً».

(٣) «على الحالة» ليست في (أ).

وقيل: أراد بها شدائدها وأهوالها؛ كما قال: ﴿مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ﴾ [البقرة: ٢١٤].

وقيل: هي زلزلة الأرض؛ كما قال تعالى: ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ١ وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا﴾؛ أي: إن حركة الأرض بأهلها للبعث شيء عظيم.

ولا حجة فيها للمعتزلة في تسمية المعدوم شيئاً، فإن هذا اسم لها حالة وجودها.

وروي: أن النبي ﷺ كان في غزوة بني المصطلق إذ غشي الناسَ الكرى، فوقف النبي ﷺ وقرأ عليهم هذه الآية التي أنزلت عليه، فاجتمع إليه الناس وأطافوا به ثم أنصتوا، فقال: «أتدرون أيُّ يوم هذا؟» قالوا: اللهُ ورسوله أعلم، قال: «ذلك يوم القيامة يومَ[١] يقول الله تعالى لآدم: يا آدمُ ابعث بعثاً من ولدك إلى النار، فيقول آدم عليه السلام: وما بعث النار؟ فيقال له: من كلِّ ألفٍ تسعُ مئةٍ وتسعةٌ وتسعون إلى النار وواحدٌ إلى الجنة»، فشَقَّ ذلك على الناس مشقَّةً عظيمة، وقالوا: يا نبيَّ الله! فمَن ذا الناجي منا بعد هذا؟ فقال لهم: «إنكم في[٢] خليقتين لا يكونان في شيء إلا كثَّرتاه: يأجوج ومأجوج، فإن كملوا وإلا كملوا بالكفار والمنافقين»[٣].

---

(١) «يوم» ليست في (ف).

(٢) في (ر): «بين».

(٣) رواه بنحوه الترمذي (٣١٦٩)، والنسائي في «الكبرى» (١١٢٧٧)، من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه قال: كنَّا مع النبي ﷺ في مسيرٍ، فتفاوَتَ بين أصحابه في السَّير، فرَفَع رسول الله ﷺ صوته بهاتين الآيتين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ﴾، فلمَّا سمع بذلك أصحابُه عَرَفوا أنه قولٌ يقوله، فقال: «هل تدرون أيَّ يومٍ ذاكم؟»... الحديث، وفيه بدل «فإن كملوا وإلا كملوا بالكفار والمنافقين»: «ومَن مات مِن بني آدم وبني إبليس». قال الترمذي: حسن صحيح. =

وفي رواية أبي سعيد قال بعدما ذكر خطاب آدم: «فعند ذلك يَشيبُ الصغير وتضع كلُّ ذاتِ حملٍ حملَها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد»، فشق ذلك على الصحابة رضي الله عنهم، وقالوا: من كلِّ ألفٍ تسعُ مئة وتسعةٌ وتسعون ويبقى واحد، فأيُّنا(١) ذلك الواحد؟ ثم مضى رسول الله ﷺ حتى نزل ونزل الناس، ثم راحوا(٢) إلى رسول الله ﷺ كأنما على رؤوسهم الطير من هول ما سمعوا، فقال: «أبشروا، فمِن يأجوج ومأجوج ألفٌ ومنكم واحد، إني لأرجو أن تكونوا أكثر من شطر أهل الجنة»، فكبروا الله وحمدوه، ثم قال: ما أنتم في الأمم إلا كالشعرة السوداء في الثور الأبيض، أو كالشعرة البيضاء في الثور الأسود»(٣).

وفي رواية الحسن: فقال: «إن الأمم قد عُرضت عليَّ، فرأيتُ النبي يأتي في الثمانية، ورأيت النبي يأتي في الأربعة، ورأيت النبي يأتي في الاثنين، حتى رأيت النبي يجيء ليس معه أحد من أمته، حتى رأيتُ أمةً أعجبتني كثرتُها فقلتُ: يا رب، أمتي هذه؟ قال: بل هذا موسى ومَن معه من بني إسرائيل، ثم رأيت أمة أعجبتني كثرتها فقلت: يا رب، أمتي هذه؟ قال: بل هذا(٤) يونس ومَن معه من بني إسرائيل،

= وروى نحوه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٨٩٥)، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٥٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٣٥٤)، والحاكم في «المستدرك» (٧٩)، من حديث أنس رضي الله عنه. قال الحاكم: صحيح على شرطهما.

(١) في (ر): «فما».

(٢) في (ر) و(ف): «رجعوا».

(٣) رواه البخاري (٣٣٤٨)، ومسلم (٢٢٢). وفي البخاري بدل: «إني لأرجو أن تكونوا أكثر من شطر أهل الجنة»، فكبروا الله وحمدوه»: («إنِّي أرجو أنْ تكونوا ربُع أهل الجنَّة» فكبَّرنا، فقال: «أرجو أنْ تكونوا ثُلُثَ أهل الجنة» فكبَّرنا، فقال: «أرجو أن تكونوا نصفَ أهل الجنة» فكبَّرنا). ولفظ مسلم مثل البخاري لكن فيه: «شطر» بدل: «نصف».

(٤) «هذا» ليس من (أ).

ثم رأيت أمةً كذلك فقال: هذا عيسى ومَن معه، فقلت: يا رب، أين أمتي؟ قال: انظر، فنظرتُ قِبَل طريق مكة فإذا أنا بناسٍ كثير، ثم قال: انظر، فنظرتُ إلى طريق المشرق فإذا بناسٍ كثير، ثم قال: انظر، فنظرت تحتي فإذا هم بكلِّ نبيٍّ بُعث[١]، فقلت: يا رب رضيتُ رضيتُ، قال: مع هؤلاء سبعون ألفاً مع كلِّ واحد[٢] سبعون ألفاً ليس عليهم حساب ولا عقاب» فقام عكَّاشةُ بن مِحْصَنٍ الأسديُّ وقال: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: «أنت منهم» فقام رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله، ادعُ الله أن يجعلني منهم، فقال: «سبقك[٣] بها عكَّاشة»[٤].

وقيل: هي الزلزلة قبلَ يوم القيامة، وهي من أشراط الساعة.

* * *

(٢) ـ ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾: أي: تنسى ولدَها وتَسْلو عنه.

وقيل: الذهول عن الشيء: هو الذهاب عنه وتركُه دَهَشاً وحيرة، من حدِّ صنع.

والمرضعة: التي تُرْضِع، والمرضع: لها ولد رضيع.

---

(١) في (أ): «فنظرت تحتي فإذا كل ينتعش»، وفي (ر): «فنظرت تحتي فإذا كل نبي ينتعش». ولم أجد هذه العبارة في المصادر.

(٢) في (أ) و(ف): «مع كل سبعين ألفاً».

(٣) في (ر) و(ف): «سبق».

(٤) رواه بنحوه البخاري (٥٧٥٢) و(٦٥٤١)، ومسلم (٢٢٠). وبنحوه أيضا الإمام أحمد في «المسند» (٣٨٠٦) والبزار في «مسنده» (١٤٤١) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.

وقوله تعالى: ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾: أي: تُسقط الحبالَى أولادها من الفزع، والحمل بالفتح: ما كان في البطن، وبالكسر: ما كان على رأسٍ أو ظهر.

قالوا: وهذا يدل على أن هذه الزلزلة[1] في الدنيا؛ لأنه لا حملَ ولا إرضاع بعد البعث.

وقيل: بل هو يومَ القيامة، وإن ماتت حاملاً تبعث[2] حاملاً فتضع حملها للهول.

وقيل: هو مَثَلٌ؛ أي: هول ذلك اليوم على وجهٍ لو كان مثلُه في الدنيا لوضعت الحوامل وذَهَلت المراضع من شدته.

وقوله تعالى: ﴿وَتَرَى النَّاسَ﴾: خطاب لغيرِ معيَّنٍ؛ أي: أيها الناظر[3] ﴿سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾، قرأ حمزة والكسائي: ﴿سَكْرى﴾ فيهما[4]، والباقون بالألف فيهما[5]، وهما جميعاً جمع سكران، وسكران وسُكارى كالكسلان والكُسالى، وسَكْران وسَكْرى كالعطشان والعَطْشى.

أي: تراهم من الدَّهش على حالٍ يُشاكلُ السُّكْرَ وما هم بسكارى على الحقيقة، لا أنه[6] من الشراب.

ثم هذا ليس بتناقضٍ؛ لأنه لم يقل: هم سكارى وما هم بسكارى، بل قال: ﴿وَتَرَى النَّاسَ﴾، وهو كقولك في السراب: ترى هناك ماءً وليس بماءٍ، وهو معنى قول

---

(١) في (ف): «على أن هذا الولد لها».

(٢) في (أ): «ومن ماتت حاملا بعثت».

(٣) في (ف): «أي رأيها»، وفي (ر): «أي رأيتها».

(٤) في (أ): «سكرى وما هم بسكرى».

(٥) انظر: «السبعة» (ص: ٤٣٤)، و«التيسير» (ص: ١٥٦).

(٦) في (أ) و(ر): «لأنه».

الحسن: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾ من الخوف ﴿وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ من الشراب[1].

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾: أي: تراهم دَهْشَى وما هم بسكارى، ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ فأزال عقولهم وحيَّر قلوبهم.

* * *

(٣) ـ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ﴾: ومن الناس المأمورين بالتقوى في أول هذه السورة مَن يخاصم خصومةً شديدة ﴿فِى ٱللَّهِ﴾؛ أي: في دين الله.

وقيل: أي: يجادل رسولَ الله ﷺ فيما يُخبِر به عن الله أنه يَبعث العبادَ ويجازيهم، فيقول: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الأحقاف: ١٧]، و: ﴿مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨]، و: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا﴾ [الانعام: ٢٩] ونحوَه مما حُكي عنهم.

وقوله تعالى: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: أي بغير حجةٍ ولا شيءٍ يصح من جهة العلم.

وقوله تعالى: ﴿وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ﴾: أي: يأخذ هذا الإنكارَ وهذا الجدلَ من الشيطان بوسوسته، أو من شياطين الإنس بدعواهم، وقد قيل[2]: نزلت الآية في النضر بن الحارث، وكان يأخذ عن الأعاجم وعن اليهود والنصارى ما يطعن به على الإسلام، وهم شياطين الإنس.

* * *

(٤) ـ ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٥٨).

(٢) في (أ): «بدعوتهم وقيل»، وفي (ف): «بدعواهم وقيل»، وفي (ر): «يدعوهم وقد قيل».

وقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ﴾: أي: حُكم على هذا الشيطان لتمرُّده أنَّ ﴿مَن تَوَلَّاهُ﴾؛ أي: اتَّبعه ووالاه.

وقوله تعالى: ﴿فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ﴾: أي: الشيطان يُضلُّ هذا المتولِّي ﴿وَيَهْدِيهِ﴾ أي: يَدلُّه ﴿إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾؛ أي: النارِ الموقَدة.

وفتح الألف في قوله: ﴿فَأَنَّهُۥ﴾ لوقوع ﴿كُتِبَ﴾ عليه، وتقديره: كُتب عليه أنه يضلُّ مَن تولاه، إلا أنه لمَّا قدَّم السبب الذي يكون به الإضلال، وألقى عليه قوله: ﴿كُتِبَ﴾، ذكر بعده ما يقع عليه الفعل ففتَحه.

* * *

(٥) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ﴾: خاطب المجادِلين في الساعة وحاجَّهم بوجهين من الحجة:

أما أحدهما: فقال: ﴿إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ﴾؛ أي[1]: شكٍّ في أن الله يبعث الموتى ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾؛ أي: ابتدأنا خلقَ أبيكم منه.

﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾: ثم خلقناكم في بطون أمهاتكم من النطفة، وهي ماء مَهِين جارٍ[2].

---

(١) «ريب من البعث أي:» ليس في (أ) و(ف).

(٢) في (أ): «جماد»، وفي (ر): «حار».

﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾: ثم جعلنا النطفة علقة، وهي الدم الجامد.

﴿ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ﴾: ثم جعلنا العلقة مضغةً، وهي لحمة قَدْرَ ما يمضغ.

﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾: قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿مُّخَلَّقَةٍ﴾: ما كان حيًّا ﴿وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ ما كان سَقطاً[1]. وهي نعتُ المضغة، فما نُفخ فيه الروح فهو مخلَّقٌ، وما سقط بغيرِ روحٍ فهو ليس بمخلَّقٍ.

والتخليق في الأصل: التقدير، فما صوِّر أعضاؤه فهو مخلَّق، وما سقط وهو لحمة مجتمِعةٌ فليس بمخلق[2]، والتفعيل للتكرير، فما تكرَّر فيه الفعل فهو مخلَّق وما لا فلا، قال تعالى: ﴿خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ [الزمر: ٦].

وقال: ﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾ ﴿لنبين لكم﴾: قال الحسن: أي: هذا الخلقَ.

وقيل: لنبين لكم قدرتَنا على ما نشاء.

وقيل: أخبرناكم بما يزول به الرَّيب في أمر البعث.

وقوله تعالى: ﴿وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: أي: مَن قضينا له حياةً إلى مدةٍ[3] أقررناه في رحِم أمه إلى وقتٍ معلوم وهو وقت الولادة، وإنما قال: ﴿مَا نَشَآءُ﴾ ولم يقل: مَن نشاء[4]؛ لأنه أراد به الحمل.

وقيل: هو بيان المدة؛ أي: ما شئنا أن نقرَّه فيه ستة[5] أشهر أو أكثر.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» وصححه كما في «الدر المنثور» (٦/ ١٠).

(٢) في (ر): «وما سقط وهو لحم مجتمع فهو ليس بمخلق»، وسقطت الجملة من (ف).

(٣) في (ر) و(ف): «من قضينا له خيرة».

(٤) «ولم يقل من نشاء» ليس في (أ).

(٥) في (ف): «نقره في ستة» وفي (ر): «نقرره فيه تسعة».

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾: أي: صغاراً[١] لا تقومون بأمورِ أنفسكم، ولا تَعْقلون شيئاً، وإنما وحَّد لأنه على صيغة المصدر فصلح للجمع.

وقيل: أي: نخرج كلَّ واحد منكم طفلاً.

﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾: أي[٢]: ننقلكم من حالةٍ إلى حالةٍ إلى أن تبلغوا كمالَ القوى بالبلوغ.

وقرأ عاصم في روايةٍ: (ثم نخرجَكم) بالنصب، وكذا (نقرَّ) عطفاً على ﴿لِنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾[٣].

وقرأ[٤] العامة بالرفع على الاستئناف.

ثم قال: ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى﴾: أي: يَتوفَّاه الله تعالى بالموت شابًّا أو طفلاً.

﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾: أي: أخسِّه، وهو الهرمُ والخرَف.

وقوله تعالى: ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾: أي: يزولُ عقله فلا يَعقل شيئاً وإن كان عاقلاً عالماً قبل ذلك. هذا[٥] أحد وجهي الحجة.

والثاني: قوله: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً﴾: قيل: دارسةً بالية. وقيل: يابسةً لا نبات فيها؛ أي: في الشتاء.

---

(١) في (ف): «ضعافاً».

(٢) في (ف): «ثم».

(٣) نسبت لعاصم ويعقوب. انظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ١٠٨)، و«البحر المحيط» (١٥/ ٣١٣). والمشهور عنهما كقراءة الجماعة.

(٤) في (ف): «وقراءة».

(٥) في (ر) و(ف): «هو».

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ﴾: أي: المطر ﴿ٱهۡتَزَّتۡ﴾؛ أي: تحرَّكت بالنبات ﴿وَرَبَتۡ﴾؛ أي: انتفخت.

وقيل: أضعفت النبات بالمطر.

﴿وَأَنۢبَتَتۡ﴾: أي: أخرجت النبات ﴿مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ﴾؛ أي: من كلِّ صنفٍ حسن.

وقيل: فيه تقديم وتأخير: رَبَتْ واهتزَّتْ، تربو أولاً ثم تهتزُّ.

* * *

(٦ ـ ٧) ـ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾: أي: يصرِّف الأحوال بالإنسان وبالأرض ليَدلَّ على أن[1] لهما صانعاً خالقاً[2] لا صانعَ غيرُه، يقدر على ما يشاء.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾: أي: الذي قدر على إنشاء البشر مما ذكر، وإحياء الأرض الهامدة بالمطر، قادر على البعث بعد الموت[3]، وإقامةِ القيامة، ومجازاةِ الخلق على ما عملوا في الدنيا يومَ المحشر والمنشر.

وقال القشيري رحمه الله: ﴿وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾: يحيي النفوسَ بتوفيق العبادة،

---

(١) في (أ): «إنما كان لأن»، وفي (ف): «لا بما كان لأن»، بدل: «ليدل على أن».

(٢) في (أ): «حقاً».

(٣) في (ر) و(ف): «على بعث الموتى».

والقلوبَ بأنوار المشاهَدة، وأحوالَ المريدين بحُسنِ إقباله عليها، والأوقاتَ بموافقةِ الأمر، ثم بجميل الرضا وسكون الجأش عند جريان التقدير[١].

***

(٨) ـ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: وهؤلاء طائفةٌ أخرى من المجادِلِين بظاهر حرف العطف.

وقيل: هي في النضر بن الحارث أيضاً، والتكريرُ للمبالغة في الذم والتقريعِ، كقولك لآخر: أنت فعلتَ كذا أنت فعلتَ كذا، ولأن في كلِّ آيةٍ بيانَ نوعِ جدلٍ، وكان يجادل في أوقات في أشياء.

وقد[٢] قيل: نزل في شأنه بضعَ عشرةَ آية.

وقوله في هذه الآية: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، قيل: بغير علمٍ بصحةِ ما يقول، وقيل: بغيرِ علمٍ بعاقبة ما يقول.

﴿وَلَا هُدًى﴾: ولا دليلٍ يكون معتقِده مهتدياً من جهةِ دلائل النظر.

وقوله تعالى ﴿وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾: ومِن غير أن يَشهد له على قوله كتابٌ منزلٌ بنور الدعوى.

***

(٩ ـ ١٠) ـ ﴿ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٥٣١).

(٢) «قد» من (أ).

وقوله تعالى: ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ﴾: نصبٌ على الحال، ومعناه: مُعْرِضاً متكبِّراً، وترجمتُه: صارِفَ ناحيته وجنبه[١].

وقوله تعالى: ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي: يجادلَ ليستزلَّ[٢] عباد الله عن دين الله.

وقوله تعالى: ﴿لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾: عقوبةٌ مُهينةٌ فاضحةٌ، وقد قتل صبراً يوم بدر.

وقوله تعالى: ﴿وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾: بنار جهنم ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾؛ أي: يقال له ذلك في النار.

وقيل له هذا حين هدّد به في الدنيا؛ أي: ذلك الوعيدُ لك بكَسْبك الذي قدَّمْته.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾: أي: وبأنَّ الله ﴿لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾؛ أي: بواضعٍ الثوابَ والعقابَ في غير موضعهما.

* * *

(١١) ـ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾: أي: على وجه، وأصله: الطَّرَف والجانب؛ لانحرافه.

﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ﴾: سكن على الإيمان[٣] ﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾؛ أي: محنة ﴿انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾ ارتد عن الإسلام.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان الرجل يَقدم المدينة، فإن ولدت امرأته

---

(١) في (ف): «صادف بجنبه»، وفي (ر): «صادف بلحيته وجنبه».

(٢) في (ر): «ليستنزل».

(٣) في (ف): «إيمانه».

غلاماً ونُتِجت خيلُه قال: هذا دينٌ صالحٌ، وإن لم تلد امرأته غلاماً[(١)] ولم تُنْتَجْ خيله قال: هذا دِينُ سوء[(٢)].

وقيل: ﴿عَلَىٰ حَرْفٍ﴾: على شك. وقيل: على وجَل. وقيل: على انتظار.

وهذه الأقاويل متقاربةٌ في المعنى؛ لأن مَن كان على طرفِ شيء لم يكن مستقرًّا، فيضطرب ويخاف السقوط وينتظرُ ما يكون الحال.

وقوله تعالى: ﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةَ﴾: وخسرانُ الدنيا: أنه ارتدَّ لشدةٍ لَحِقَته، وبالكفر لا تزول تلك الشدة المقدَّرة بل تزداد، لو أُخذ فإنه يُقتل[(٣)] لردته، ثم عذابُ الآخرة من ورائه، فيخسرهما جميعاً.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾: الظاهر الذي لا يَخفى على أحد.

* * *

(١٢) ـ ﴿يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ﴾: وهو الصنم، فإنه بعد الردة يَفعل كذلك[(٤)].

---

(١) «غلاماً» من (ف).

(٢) رواه البخاري (٤٧٤٢)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٧٢ ـ ٤٧٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة.

(٣) في (ف): «بل زادت لو أخذ يقتل».

(٤) كذا جزم بأنه الصنم، وليس هذا محصوراً به، بل هو فعل البعض، فهناك من يدعو بشراً ويظن عنده النفع والضر كما يفعل كثير من الناس، وهناك من يعتقد ذلك في نوع من أنواع الحيوانات أو الجمادات، فلا مسوغ لحصر ذلك في الصنم.

وقوله تعالى: ﴿مَا لَا يَضُرُّهُۥ﴾ قيل[1]: أي: في الدنيا إن لم يعبده ﴿وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ﴾؛ أي: في الآخرة إن كان عبَدَه.

وقيل: لا يضره في الدارين ولا ينفعه في الدارين.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾: أي: في أقصى درجات البُعد والضلال[2]، فإنه يَتعب ولا يُثمر تعبُه[3] قط.

* * *

(١٣) ـ ﴿يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ﴾: اللام لام القسم، تقديره: يدعو والله مَن ضرُّه ﴿أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ﴾ وهذا في القيامة؛ أي: مَن ضرُّه بإدخال النار أقربُ من نفعه بالشفاعة التي كان يرجوها، ولم يُرِدْ به أن الشفاعة موجودةٌ لكنها بعيدةٌ، بل أراد أنها معدومةٌ أصلاً، وهذا خارجٌ مخرجَ كلام الناس في الشيء يرجوه الإنسان وذلك مما لا يكون، فيقال له: عدمُ هذا أقربُ من وجوده، ولا قربَ للعدم.

وقوله تعالى: ﴿لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ﴾: أي: يرجو الإنسان النصرَ والعون من مولاه وهو ابنُ عمه، ومن العشير وهو صاحبه ومُعاشره، فالوثنُ بئس موضعُ رجاءِ النصرةِ[4] والعون، فإنه مما لا يكون.

وروي: أنها نزلت في قوم من بني أسد بن خزيمة قدموا المدينة فأسلموا،

---

(١) «قيل» زيادة من (أ).

(٢) في (أ) و(ف): «أقصى درجات الضلال».

(٣) في (ر) و(ف): «بتعبه».

(٤) في (ف): «التصرف».

فأفسدوا طريق المدينة بالعَذِرات وقالوا: يا رسول الله، أتاك[1] العرب بأنفسها وأتيناك بأهالينا وأولادنا، فمنُّوا[2] بذلك على رسول الله ﷺ، وفيهم نزل[3]: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ [الحجرات: ١٧][4]، فكانوا إذا ارتفع مرادهم وصحَّت أجسامهم ونما مالهم قالوا: هذا دينٌ صالح، فإن كان غيرَ ذلك قالوا: هذا دين سوء[5].

وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: هذا رجل من المنافقين كان يُظهر تصديقاً ويُسِرُّ كفراً، فكان يبعث إلى نظرائه من المنافقين فيقول لهم: إن كانت الدائرةُ على محمد وأصحابه فأنا معكم، وإن كانت الدائرة عليكم والظَّفَر لمحمد وأصحابه فأنا معهم، فهو قوله الله تعالى: ﴿عَلَىٰ حَرْفٍ﴾.

* * *

(١٤ ـ ١٥) ـ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (١٤) مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا

---

(١) في (أ): «أتتك».

(٢) في (ف): «يمنون».

(٣) في (ر): «فنزل» بدل: «وفيهم نزل».

(٤) رواه النسائي في «الكبرى» (١١٤٥٥)، والبزار في «مسنده» (٥١٤١)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره دون عزو الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٩٦)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٤٩)، جميعهم في نزول قوله تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ وليس فيه ذكر آية الحج.

(٥) انظر ما تقدم قريباً عن ابن عباس ومجاهد وقتادة.

﴿ٱلْأَنْهَٰرُ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾: وهذا وعدٌ من عند الله على التحقيق بكلِّ حال، لا لمن[(١)] عبده على حرف.

وقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾: قال ابن عباس وقتادة رضي الله عنهم: ﴿يَنصُرَهُ ٱللَّهُ﴾؛ أي: محمداً ﷺ[(٢)]؛ أي: مَن ظنَّ من هؤلاء الذين يعبدون الله على حرفٍ أن الله تعالى لا ينصر محمداً على أعدائه وأحبَّ أن لا ينصره ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾؛ أي: فليعلِّق حبلاً إلى السماء العالية وليصعد ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ نصر الله عن محمد ﷺ الذي يَنزل من السماء.

وقوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ﴾: أي: غيظه؛ أي: لا يقدر[(٣)] على ذلك فلْيَصبِرْ ولْيَرْضَ به.

وقيل: أي: مَن استعجل النصر لنبيِّ الله وأظهر الضَّجر لتأخُّره مع تعذُّر وصوله إليه فليمدُد بسبب إلى السماء المعروفة فلْيتعلَّق به، ثم ليقطع حتى يخرَّ فيموت فلينظر هل يَذهبُ غيظه؟ أي: فلا معنى لضجره[(٤)] فلْيصبِر على مرارة الانتظار[(٥)].

وقال مجاهد والضحاك وابن عباس رضي الله عنهم في روايةٍ: ﴿أَن لَّن يَنصُرَهُ﴾ الهاء راجعةٌ إلى قوله: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ﴾؛ أي: مَن ساء ظنُّه بربِّه في حقِّ نفسه، وظنَّ أنه

---

(١) في (أ): «كمن».

(٢) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٧٨ ـ ٤٨٠).

(٣) في (ف): «يقدم».

(٤) في (ر): «لعجزه»، وفي (ف): «لغيظه».

(٥) في (ف): «على مراده بالانتظار».

لا يصل إلى نصره ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ﴾: سماءِ بيته[١]؛ أي: سقفِه، ولْيَختَنِق[٢] به فلينظر هل يشفيه ذلك من غيظه[٣].

وهو على بيان أنه إذا كان لا ينتفِع به[٤] فلا وجه إلا الصبرُ على بلائه.

وقال جماعة: النصر هو الرزق، يقال: أرض منصورة؛ أي: ممطورة، و: نَصَر الله مَن نصرَني؛ أي: أعطى الله مَن أعطاني، وهو قول جماعة من المفسرين أن معناه: لن ينصره الله؛ أي: لن يرزقه الله، وهو خارج على هذين الوجهين كما بيَّنَّا، ولفظ[٥] بعضهم: ﴿مَن كَانَ﴾ قانطاً من رزقِ الله ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ﴾؛ أي: فليختنق ﴿فَلْيَنظُرْ هَلْ﴾ يأتي ذلك برزقٍ لم يقدِّره الله تعالى[٦].

* * *

(١٦ ـ ١٧) ـ ﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ (١٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.

وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ﴾: أي: كالذي أنزلناه عليك في الوضوح والبيان

---

(١) في (أ): «فليمدد بسبب إلى سماء بيته».

(٢) في (ف): «وليقطع».

(٣) روي هذا القول عن الأئمة المذكورين لكن بحمل النصر على الرزق، وسيأتي.

(٤) في (ف): «لا نفع له».

(٥) في (أ): «كما يتناول لفظ».

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٨١ ـ ٤٨٣) عن ابن عباس ومجاهد والضحاك. ورواه عن ابن عباس أيضاً عبد بن حميد وابن أبي حاتم، وعن مجاهد أيضاً عبد بن حميد وابن المنذر. انظر: «الدر المنثور» (٦/ ١٥).

والحجة على مَن دعا من دون الله شيئاً أنزلنا القرآن كلَّه ﴿ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٍ﴾؛ أي: علامات يُهتدَى بها إلى الحق.

قوله تعالى ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يُرِيدُ﴾ أي: وأنزلنا أن الله يهدي من يريد، ولذلك فتح (أنَّ) في قوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ﴾ لوقوع (أنزلنا) عليه؛ أي: لا اهتداء إلا بإرادته(١).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ﴾: فسرناه في سورة البقرة.

وهذا مبتدأ وخبره: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾: وهو كقولك: إن زيداً إنَّ الخير عنده لَكثير، وهو الجواب بجملة تامة، وهو كقول جرير:

إنَّ الخليفـــة إنَّ الله سَـــرْبَله ... سـربالَ ملكٍ بـه تُرْجَـى الخواتيمُ(٢)

يقول: إن الله ليس بغافلٍ عن أعمال الأمم المختلفة الأديان، وعما يعتقدونه ويقولون به، وإنه يفصل بينهم؛ أي: يقضي بينهم(٣) يوم القيامة فيما هم فيه مختلفون، فيَمِيز المحقَّ منهم من الـمُبْطِل، ويجزي كل واحد على وَفق عمله.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾: عالمٌ به حاضرٌ له لا يَعْزُب عنه شيءٌ، فهو حافظٌ لذلك كلِّه حتى يوصِل إلى كلِّ واحد منهم يوم الحساب(٤) جزاءه؛ أي: فلينظر كلُّ امرئ ما يعتقِد وما يقول وما يفعل، وهو أبلغ وعيد.

* * *

(١) في (ر): «أي لا يهتدى إلا بإذنه».

(٢) البيت لجرير، وهو في «ديوانه» (٢/ ٦٧٢).

(٣) «يقضي بينهم» ليس في (أ).

(٤) في (ر): «القيامة».

(١٨) ـ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: أي: ألم تعلم يا محمد العلمَ الذي يقوم مقام العِيَان ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ من الخلائق ﴿وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ منهم ﴿وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ﴾؛ أي: الأشجار، جمع شجرة بحذف الهاء ﴿وَٱلدَّوَآبُّ﴾.

وسجود هذه الأشياء: ما[1] فيها من أمارات الحدث، وأمارات الحاجة إلى ممسِكٍ يمسكها ومقيمٍ يقمُها لولاه لبَطلت ولم تَثْبت طرفةَ عين.

وقيل: سجود هذه الأشياء سجود ظلِّها؛ كما قال: ﴿يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ﴾ [النحل: ٤٨].

وقيل: سجودها: خضوعها، فمَن كان من أهل السماوات وهم الملائكة ومن أهل الأرض من المؤمنين فخضوعهم بالصلاة وسائرِ وجوه التذلُّل، ومن كان كافراً فبسجود ظلِّه، وهكذا سجود الشمس والقمر والنجوم جريانها[2] بتسخير الله تعالى، وأما الجبال والشجر والدوابُّ فسجودها سجود ظلها[3].

وقوله تعالى: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾: المؤمنون بوجوههم اختياراً، وهو خصوصٌ من عمومِ قولهِ تعالى ﴿وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وذاك عمومُ سجود الظلال في المؤمنين والكفار جميعاً اعتباراً، فيجتمع في المؤمنين النوعان.

---

(١) في (ر) و(ف): «ما كان».

(٢) «جريانها» من (أ).

(٣) في (ف): «ظلالها».

وقوله تعالى: ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾: هم الكفار، وقيل: هو مستأنف.

وقيل: هو داخل في السجود أيضاً.

وقال: ﴿عَلَيْهِ﴾ ولم يقل: عليهم؛ للَفْظِه وهو واحد كالكثير، وقال: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦] فجَمع لمعناه.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ﴾: أي: ومَن يُهنه الله بالإضلال ﴿فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾؛ أي: من أحدٍ يُكرمه في الدنيا بالإيمان ولا[1] في الآخرة بنوعِ كرامة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾: من إكرام وإهانةٍ وكلِّ شيء.

* * *

(١٩) ـ ﴿۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾: المذكورون في هذه الآية وفي الآيات التي قبلها، فالحاصل فريقان: مؤمنون وكافرون، فهذان[2] الفريقان خصمان كلُّ فريق خصمٌ للآخر يخاصمه في دينه.

وقوله تعالى ﴿ٱخْتَصَمُوا۟﴾: جُمع لأن كلَّ فريق منهم جمعٌ، فهما جمعان.

وقوله تعالى ﴿فِى رَبِّهِمْ﴾: ففريق يُقرُّون به ويوحِّدونه ويصِفونه بصفاته وينزِّهونه، وفريق يكذِّبونه ويصفونه بما لا يليق به، ثم بيَّن جزاء كلِّ فريق فقال: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ إلى آخره.

---

(١) «لا» ليست في (أ).

(٢) في (أ): «وقال هذان».

وقولـه: ﴿ٱخۡتَصَمُواْ﴾؛ أي: يختصمون في الله تعالـى ويتحاربون[١] فيه، ويدَّعي كلُّ فريـق أنهـم هـم[٢] المحِقُّـون ومخالفوهـم هـم[٣] المبطلون، وهـذا القول على العموم.

وقيل: هو على الخصوص:

قال ابن سيرينَ: نزلت في القوم الذين تبارَزوا يوم بدر؛ ثلاثة من المسلمين وهم كواسطة القلادة من القلادة: عليُّ بن أبي طالب وحمزةُ بن عبد المطَّلب وعبيدةُ بن الحارث بن عبد المطلب، وفي ثلاثةٍ من المشركين، وكانوا كواسطة القلادة من القلادة: عُتبةُ بن ربيعة بن عبد شمس، وأخوه شيبةُ بن ربيعة بن عبد شمس، والوليد بن عتبة بن ربيعة، فبارَز عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه الوليد فقتله عليٌّ رضي الله عنه، وبارز حمزة رضي الله عنه عتبةَ فقتله حمزة، وبارز عبيدةُ رضي الله عنه شيبةَ فاختلفا ضربتين، فجرح[٤] كل واحد منهما صاحبه، ومال عليٌّ رضي الله عنه على شيبة فقتله، ثم احتمَل عليٌّ وحمزة رضي الله عنهما عبيدةَ حتى أتوا به النبيَّ ﷺ، فنزلت هذه الآية: ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ ـ عتبةُ وشيبةُ والوليد ـ الآيةَ، ونزل في علي وحمزةَ وعبيدةَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الآية[٥].

---

(١) في (أ): «ويتجادلون».

(٢) «هم» من (ف).

(٣) «هم» ليست في (ف).

(٤) في (أ): «فأتعس»، وفي (ر): «فانعسر».

(٥) ذكره عن ابن سيرين مختصراً الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١٣)، وكون قوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡ﴾ نزل في هذه القصة رواه البخاري (٣٩٦٦)، ومسلم (٣٠٣٣)، عن أبي ذر رضي الله عنه، وأقسم على ذلك.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في المسلمين واليهود، فقال المسلمون: ليس لله تعالى ولد، وقالت اليهود: عزيرٌ ابن الله(١).

وقيل: نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأبي جهل بن هشام لعنه الله.

وقوله: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ مثلُ قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾ [الحجرات: ٩] ثُنِّي الاسم لأنهما فريقان وجُمع الفعل لأنهما جمعان.

وقوله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾: أي: تُقطَّع، وذكر بصيغة الماضي لأنه كائن لا محالة، فهو كالثابت المتحقق. وتقطيعُ الثياب استعارةٌ عن اتخاذ الملابس لهم في النار.

وقيل: هي من نحاس وتصيرُ ناراً باشتعالها بالنار، وثيابُ الدنيا تقطعُ وتُخاط فذكر لهم ذلك، ويجوز أن يكون هذا ما ذكر في قوله: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ﴾ [إبراهيم: ٥٠].

وقوله تعالى: ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾: أي: الماء الحارُّ المغليُّ بالنار.

* * *

(٢٠ ـ ٢١) ـ ﴿يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ﴾: أي: يُذاب بالحميم ما في بطونهم

---

(١) لم أجده هكذا، لكن روى الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٩١) عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ قال: هم أهل الكتاب، قالوا للمؤمنين: نحن أولى بالله، وأقدم منكم كتاباً، ونبينا قبل نبيكم، وقال المؤمنون: نحن أحقّ بالله، آمنا بمحمد ﷺ، وآمنا بنبيكم، وبما أنزل الله من كتاب، فأنتم تعرفون كتابنا ونبينا، ثم تركتموه وكفرتم به حسداً. وكان ذلك خصومتهم في ربهم.

من الشحوم والأكباد والأمعاء والأفئدة ونحوِها[١]، وهو وصف الحميم بغاية شدة الحرارة تُصب على الرأس ويذوب به ما في البطون[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْجُلُودُ﴾: ظاهرُه عطفٌ على الأول، ومعناه: وتُحرَق الجلود، بإضمار فعل يشاكلُها ـ لأنها مما لا تذوب ـ كما قالوا ذلك في قول الشاعر:

علَفْتُها تبناً وماء بارداً[٣]

أي: وسقيتُها ماء بارداً.

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾: جمع مقمعة وهي المِدقَّة يُقمع بها؛ أي: يضرب بها ردعاً وزجراً وإذلالاً، يَضرب بها الزبانيةُ رؤوسَ الكفار، ﴿وَلَهُم﴾ بمعنى: أُعدَّ لهم ذلك يُضربون بها.

* * *

(٢٢) ـ ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾: ذكرنا[٤] له وجوهاً عند قوله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [المائدة: ٣٧].

---

(١) «ونحوها» ليس من (أ).

(٢) في (أ): «الأمعاء»، وفي (ف): «البطن».

(٣) صدر بيت أنشده الفراء لبعض بني دُبَير ـ قبيلة من أسد ـ يصف فرسه. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٤)، و«تفسير الطبري» (١/ ٢٦٤)، و«الكشاف» (٢/ ١٠٨)، و«الخزانة» (١/ ٤٩٩). وعجزه:

حَتَّى شَتَتْ هَمّالَةٌ عَيْناهَا

(٤) في (ر) و(ف): «ذكروا».

ورويَ[١]: أن جهنم تَجِيش فتُلقي مَن فيها إلى أعلى أبوابها، فيريدون الخروج منها فتعيدهم الزبانيةُ فيها بضربِ المقامع[٢].

وقال الكلبي ومقاتل: فيه تقديم وتأخير: قطعت لهم ثياب من نار ولهم مقامع من حديد يصب من فوق رؤوسهم الحميم، فيضربون بالمقامع على رؤسهم فتنشقُّ، ويصبُّ الحميم فيصل إلى الجوف فيذيب ما فيه[٣].

وقوله: ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾: أي: يقال لهم ذلك في النار.

* * *

(٢٣) ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾: وهو[٤] بيان جزاء الفريق الآخر ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾: هو جمعُ جمعٍ: سوارٌ وأسورةٌ وأساورُ.

وقال في سورة ﴿هَلْ أَتَىٰ﴾: ﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ [الإنسان: ٢١]؛ قيل: يجمع لهم الذهب والفضة جميعاً، وهو أجمل.

وقيل: بعضهم يحلَّى بالذهب وبعضُهم بالفضة.

---

(١) في (ر) و(ف): «ويروى».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٩٨) عن أبي ظبيان.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ١٢٠)، ولم يرتض الطبري هذا الوجه، وينظر كلامه عليه في «تفسيره» (١٦/ ٤٩٥).

(٤) في (ف): «وهذا».

وقيل: الفضةُ للرجال والذهبُ للنساء.

وقوله تعالى: ﴿وَلُؤۡلُؤٗا﴾: قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي: ﴿ولؤلؤٍ﴾ خفضاً عطفاً على ﴿مِن ذَهَبٖ﴾، وقرأ عاصم ونافع: ﴿وَلُؤۡلُؤٗا﴾ نصباً[1]، على معنى: ويحلَّون لؤلؤاً.

وقال سعيد بن المسيب: ليس من أهل الجنة أحدٌ إلا في يده ثلاثةُ أسورةٍ: واحدٌ من فضة، وآخرُ من ذهب، وآخرُ من لؤلؤٍ[2].

وقوله تعالى: ﴿وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ﴾: وهو من حرير الجنة لا يوجد من معناه في الدنيا إلا الاسم، ثم هو على ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلبِ بشر.

***

(٢٤) - ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾: وهُدي هؤلاء في الدنيا إلى كلمة التوحيد، وقيل: هو القرآن.

قوله تعالى: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ﴾: أي: صراطِ اللهِ المحمود وهو دينُ الإسلام، هو الطريق الموصل إلى ثواب الله.

وقيل: هدوا في الآخرة إلى الطيب من القول في الجنة، وهو ما قال: ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ﴾ [الزمر: ٧٤] ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف: ٤٣]، ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ﴾ [فاطر: ٣٤]، ﴿وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٣٥)، و«التيسير» (ص: ١٥٦).

(٢) رواه يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ١٨٤ و٣٦٠). وانظر: «الدر المنثور» (٦/ ١٥).

[يونس: ١٠] ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا﴾ [مريم: ٦٢]، ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾: طريقِ دار الإسلام، كما قال: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾ [يونس: ٩].

وقيل: ﴿ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾: هو البشارات في الآخرة.

وللقشيري[١] رحمه الله في القول الطيب عبارات[٢]: ذكرُ الله، ما صدر عن سرٍّ صافٍ[٣]، الثناءُ دون الدعاء بالحاجة، إرشاد المريدين إلى الله، الدعاء للمسلمين، الاستغفار من غير ذنب، ما أوجبه توهُّج القلب، ما قاله العبد في مقام الفناء وهو مستنطَق، المباسطة حالة البسط[٤].

* * *

(٢٥) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: عاد الكلام إلى ذكر مشركي العرب.

وقال ابن عباس ومقاتل: نزلت في عبد الله بن خَطَلٍ، وذلك أن النبي ﷺ بعثه مع رجلين أحدهما أنصاريٌّ والآخرُ مهاجريٌّ إلى بعض القرى، فافتخروا في الطريق بالأنساب، فقتل عبد الله بن خَطَلٍ الأنصاريَّ ولحق بمكة كافراً، فلما كان يومُ فتح مكة أمر النبيُّ ﷺ بقتله، فقتله أبو بَرْزَةَ الأسلميُّ وسعيد بن حُرَيثٍ القرشيُّ[٥].

---

(١) في (ر) و(ف): «وقال القشيري».

(٢) في (ف): «عبارة»، وفي (ر): «عبارة عن».

(٣) في (ر) و(ف): «صادق».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٥٣٦)، وفي ألفاظه اختلاف عما ذكر المؤلف، وفيه زيادة عبارات وإسقاط أخرى.

(٥) انظر: «تفسر مقاتل» (٣/ ١٢١ ـ ١٢٢).

وظاهر الآية عامٌّ يتناوله وغيرَه.

وقوله: ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ عطفٌ على ﴿كَفَرُواْ﴾ وهو مستقبَل وذاك ماضٍ، وله وجوه:

قيل: فيه مضمرٌ: إن الذين كفروا هلكوا، ثم بدأ: ويصدُّون.

وقيل: معناه: ومن شأنهم أنهم يصدون، ونظيره قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم﴾ [الرعد: ٢٨].

وقال الفراء: الواو زائدة، وتقديره: يصدُّون، جواباً للمبتدأ، وهو كقوله: ﴿وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: ١١٣]؛ أي: ليرضوه[1].

وقوله تعالى: ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: أي: يمنعون عن دين الله.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾: أي: ويصدون عن المسجد الحرام، وقيل: هو عتبة.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً﴾: يصلُّون فيه ويطوفون به، ويقيمون فيه سائر القُرب.

قوله: ﴿سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ﴾: المقيمُ بمكةَ ﴿وَٱلْبَادِ﴾؛ أي: الساكنُ في البدو والآتي إليه؛ أي ليس لأحد أن يمنع أحداً عنه.

وقيل: ﴿المسجدِ الحرام﴾ هو الحرمُ كلُّه، والناس سواءٌ في النزول بمكة حيث شاؤوا، وفي حرمة الاصطياد والاحتشاش فيه.

والسلف مختلِفون في جواز بيع بيوت مكة وإجارتها، وكانت بيوت مكة لا يُتخذ بها أبوابٌ حتى ظهرت السرقة فيهم، فقال عمر لرجل منهم ـ وهو أول مَن

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٢١).

اتَّخذ باباً ـ: أتَّخذتَ باباً لتحتجِب به[١]؟ فقال: لا، ولكنْ أحرزتُ المتاع عن السرقة، فقال له: إنه لا يحل لأهل مكة أن يأخذوا أجور بيوتهم[٢].

وفي جواز بيع أراضي مكةَ عن أبي حنيفة رحمه الله روايتان، قال في «الجامع الصغير»: لا يجوز، وروى ابن زياد عن أبي حنيفة رضي الله عنه[٣] أنه يجوز[٤]، وهو قول أبي يوسف.

وقوله تعالى: ﴿سَوَآءً﴾ قرأ عاصم في رواية حفص: ﴿سَوَآءً﴾ بالنصب لوقوع ﴿جَعَلْنَا﴾ عليه، وقرأ الباقون بالرفع على الابتداء[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ﴾: الباء زائدة، كما في قوله تعالى: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠].

وقيل: الإرادة بمعنى الهم؛ أي: مَن همَّ بإلحادٍ.

قيل: هو الشرك.

وقيل[٦]: هو توبيخ لمشركي العرب.

وقيل: هو القتل.

وقيل: هو استحلال الحرام[٧].

---

(١) في (أ): «فيه».

(٢) رواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٠١).

(٣) في (أ): «عنه» بدل: «عن أبي حنيفة رضي الله عنه».

(٤) انظر: «عيون المسائل» للسمرقندي (ص: ٢٦٧).

(٥) انظر: «السبعة» (ص: ٤٣٥)، و«التيسير» (ص: ١٥٧).

(٦) «قيل» من (أ).

(٧) في (أ): «الحرم».

وقيل: هو احتكار الطعام بمكة.

وقيل: هو ظلم الناس.

والإلحاد في اللغة هو الميل، وفي الشرع: الميل عن الحق إلى الباطل، فكان عاماً للشرك ولكلٍّ[1] معصية.

وقوله تعالى: ﴿بِظُلْمٍ﴾: قيل: الباء أداةُ تعديةٍ.

وقيل: هو بيان الوجه؛ أي: على وجهِ الظلم.

وقوله تعالى: ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: جزاءُ قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ﴾، وهذا وعيدٌ على الإرادة فكيف بالتحقيق؟

واختُلف في جواب أول الآية، وقد ذكرنا وجهين، والثالث: أن آخره جواب الكلامين جميعاً، ونظيره: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ﴾ وبعده: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾، وقوله: ﴿لَعَذَّبْنَا﴾ [الفتح: ٢٥] جوابُهما، وهذا لأن قوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في تقديرِ: مَن يكفر.

* * *

(٢٦) ـ ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾: وهو المسجد الحرام المذكورُ في الآية الأولى، يقول: واذكر يا محمد إذ مكنَّا لإبراهيم مكان هذا البيت؛ أي: موضعَه، حتى بناه على ما أَريناه منه، وهو البيت الذي تعبَّد قومك فيه غيري، ويصدونك وأصحابَك عن عبادتي فيه.

---

(١) في (ر): «عاماً في الشرك وكل».

قوله: ﴿أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا﴾: أي: قلتُ له: لا تشرك بي شيئاً، وقد بينَّا في سورة البقرة أصلَ البيت وكيفيةَ بناء إبراهيم ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾: قيل: طهِّره عن الأنجاس.

وقيل: عن الأوثان؛ أي: أخرجها عنه ونحِّها عنه.

وقيل: عن عبادة الأوثان.

وقيل: هو عام يتناول كلَّ ذلك.

﴿لِلطَّائِفِينَ﴾: أي: لأجلهم.

﴿وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾: هم المصلُّون، وهذه أركان الصلاة، وفصَل بين الأول وبين الأخيرين بالواو، وجمع بين الأخيرين بغير واوٍ؛ لأن القيام تعظيمٌ لله تعالى، والركوع والسجود تذلُّلٌ له، فاتَّحد هذان وغايرهما الأول.

* * *

(٢٧) ـ ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾: أي: نادِ فيهم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: لمَّا فرغ إبراهيم عليه السلام من بناء الكعبة قال: ربِّ قد فرغتُ من بناء الكعبة، قال: فأذِّن في الناس بالحج، قال: ربِّ وهل يبلغ صوتي ذاك[1]؟ قال: أذِّن وعليَّ البلاغُ، فصعد أبا قبيس وقال: يا أيها الناس، إني بنيتُ لله تعالى بيتاً فحُجُّوه[2].

---

(١) «ذاك» زيادة من (ف). وفي المصادر: (قال رب وما يبلغ صوتي).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣١٨١٨)، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥١٤)، والحاكم في «المستدرك» (٣٤٦٤) وصححه، من طريق قابوس عن أبيه عن ابن عباس.

وفي رواية: إن الله جل جلاله بنى بيتاً وأمركم أن تحجُّوه فحجُّوه[١].

وفي رواية: قال: إن الله تعالى قد كتب عليكم حجَّ البيت العتيق فحُجُّوه، فأجابوه من أصلاب الآباء وأرحام الأمهات: لبيك لبيك[٢].

وروي: أن الله تعالى أسمع صوته مَن قضى أنه يحج فأجابوه[٣].

وقال مقاتل بن حيان: هذا أمرٌ للنبي ﷺ أن ينادي بالحج، وفعَل ذلك في حجة الوداع.

وقوله تعالى: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾: وعده بذلك، وهو[٤] جزمٌ لأنه جواب ﴿وَأَذِّن﴾، والرجال: جمع راجلٍ.

﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾: أي: ركبانٌ على الإبل وغيرها من الدواب، وقد ضَمِرت لطول السفر.

وقوله تعالى: ﴿يَأْتِينَ﴾: أي: الضوامرُ ﴿مِن كُلِّ فَجٍّ﴾؛ أي: طريقٍ واسعٍ ﴿عَمِيقٍ﴾؛ أي: بعيدٍ، وقدَّم الرجال على الركبان إظهاراً لفضلهم[٥].

ورُوي: أن الراكب له بكلِّ خطوة سبعون حسنةً، وللماشي سبعُ مئةِ حسنةٍ من حسنات الحرم، كلُّ حسنةٍ مئةُ ألفِ حسنة.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥١٥)، والحاكم في «المستدرك» (٤٠٢٦) وصححه، من طريق عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥١٥) من طريق أبي الزبير عن مجاهد عن ابن عباس.

(٣) قطعة من الرواية السابقة.

(٤) «هو» ليست في (ف).

(٥) في (ر): «لإظهار فضيلتهم».

وقال مجاهد: حج إبراهيمُ وإسماعيل عليهما السلام ماشيين، وكانا إذا قرُبا من الحرم خلعا نعالهما[١].

وقال القشيري رحمه الله: قوله: ﴿يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ﴾ هذا ذُكر على وجه المدح لهم وسبيل الشكر عنهم، وكم قَدْرُ المسافة للدنيا بأجمعها[٢]، لكن جعل القَدْر لأفعالهم والعظمة لصنيعهم[٣]، وهو إظهار فضله وكرمه معهم[٤].

* * *

(٢٨) ـ ﴿لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ﴾: يقول: وأذِّن في الناس بالحج ليشهدوا منافع.

وقيل: أي: ليحضروا لأداء فرضه مشاهدَ ينتفعون بها في دينهم ودنياهم؛ كعرفاتٍ ومنًى والمشعرِ الحرام وغيرِها، وفيها الثواب في الآخرة والثناءُ والقبول في الناس، وسعةُ الرزق ببركته، وحصول الأرباح بالتجارة فيها، ولذلك اختلفت عبارات المفسرين فيها:

قال بعضهم: هي منافعُ التجارة.

وقال بعضهم: هي الأجر في الآخرة.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥١٨) دون قوله: «وكانا إذا قرُبا من الحرم خلعا نعالهما».

(٢) «بأجمعها» ليست في (أ). وفي «اللطائف»: (وكم قدر مسافة الدنيا بجملتها).

(٣) في (ر): «والعطية لسعيهم». وفي «اللطائف»: (ولكن لأجل قدر أفعالهم وتعظيم صنيعهم يقول ذلك).

(٤) انظر: «لطائف الإشارات»: (٢/ ٥٣٩).

وقال بعضهم: هي مناسك الحج.

وحجَّ بعض الصالحين فكان عند كلِّ ميلٍ يصلِّي في البادية[١] ركعتين، ويقول: قال الله تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾: قال الحسن وقتادة: هي أيام العشر، والأيام المعدودات هي أيام التشريق[٢]، وعليه أكثر السلف.

وقيل: الأيام المعلومات هي أيام النحر.

وقال هؤلاء: ذُكِرَ فيها ذِكْرُ اسم الله على الأنعام، وهو يختصُّ[٣] بها.

وقال الأولون: جعَل الله الأيامَ العشر وقتاً للمنافع والذكر على الذبائح ثم[٤] للمنافع أيام مخصوصة منها، وهو يومُ عرفةَ لعرفات، ويومُ النحر لمنًى والأفعالِ فيها وللطواف بالبيت بمكة، فكذا الذكر على الذبيح يختص بيوم النحر منها.

وقوله تعالى: ﴿عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾: وقد فسَّرناه[٥] في أول سورة المائدة، وهي الإبل والغنم والبقر؛ أي: وليتقرَّبوا إلى الله بالذبائح والنحائر ويذكروا اسم الله عليها: بسم الله، والله أكبر، اللهم منك ولك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، ونحو ذلك، ويحتمل الشكر لله تعالى على هذه النعم.

قوله تعالى ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾: أنتم ﴿وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾: الذي به بؤسٌ؛ أي: شدة.

---

(١) «في البادية» زيادة من (أ).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٢٣).

(٣) في (أ): «يخصص».

(٤) «ثم» ليست في (أ).

(٥) في (أ): «فسرناها».

وقال الخليل: البائس: الذي نزلت به بليةٌ أو فاقةٌ، فيُرحم لما به[١].

وقيل: البائس: الذي به ضرُّ الجوع، والفقير: الذي لا مال له.

* * *

(٢٩) ـ ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾: واللام[٢] لام الأمر، والتَّفَث: الوسَخ والدَّرَن في اللغة.

وقال نفطويه: معناه: ثم ليزيلوا عنهم أدرانَهم.

وقال القُتبي: التَّفَثُ: الأخذ من الشارب والأظفار، ونتفُ الإبطِ، وحلقُ العانة[٣].

وقال الكسائي: هو حلقُ الرأس، وقصُّ الأظفار، وأشباهُ ذلك.

وقال الفراء: هو نحرُ الإبل والبقر والغنم، وحلق الرأس، وتقليم الأظفار، وأشباهها[٤].

وقيل: ما بقي من الحج بعد الذبح والنحر من الحلق والتقصير.

وقيل: ما عليهم من الحج.

وقيل: مواقف الحج ومناسكه كلها[٥].

وقيل: هو عمل الحج كلُّه.

---

(١) في (ر): «لبأسه»، وفي (ف): «لبلائه». والمثبت موافق لما في «العين» (٧/ ٣١٦).

(٢) في (أ): «هي»، وفي (ف): «وهو».

(٣) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٢٩٢).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٢٤).

(٥) في (ف): «والمناسك».

هذه أقاويل المفسرين، وتوجيهُها على اللغة: أن التَّفَث اللُّغوي الذي هو الشَّعَثُ والغَبرُ والدَّرَن هو شعار الحج، قال النبيُّ ﷺ: «الحاجُّ الشَّعِثُ التَّفِلُ»[1]، وتقديره على هذا: ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ ﴾؛ أي: وليتمُّوا أعمال حجِّهم مستديمين بذلك الشعثَ والتَّفَل.

وقوله تعالى: ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ ﴾: أي: ومَن كان عليه نذرٌ بهديٍ فلْيَفِ به، وليس كلُّ أحد يلزمُه هديٌ، فلذلك ذكر النذر.

وقيل: النذر: الالتزام، ومَن شَرَع في حجٍّ[2] فقد التزَم أفعالَه، فهذا أمرٌ بإتمام الحج.

وقرأ عاصم في رواية أبي بكر: ﴿ولْيُوَفُّوا﴾ بالتشديد[3]، والتوفية والإيفاء بمعنًى.

وقوله تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾: وهذا أمرٌ بالطواف يوم النحر، وهو ركنٌ فيه[4]، والطواف الأول طوافُ التحية وهو سنَّةٌ، والطوافُ الأخير طوافُ الصَّدَر وهو واجبٌ، وهذا الطواف طوافُ الزيارة وهو ركنٌ لا حجَّ بدونه.

والبيت العتيق: الكعبة.

وروي عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أنه قال: سألتُ النبيَّ ﷺ عن البيت العتيق، قال: «أُعتقَ من الجبابرة، ولا ينالُه جبارٌ أبداً»[5].

---

(١) رواه الترمذي (٢٩٩٨)، وابن ماجه (٢٨٩٦)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً. قال الترمذي: هذا حديثٌ لا نعرفُه من حديث ابن عُمر إلا من حديث إبراهيم بن يزيدَ الخُوزِيِّ المكيِّ، وقد تَكَلَّم بعضُ أهل الحديث في إبراهيم بن يزيدَ من قِبَل حِفظِه.

(٢) في (أ): «حجه».

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٤٣٦)، و«التيسير» (ص: ١٥٧).

(٤) «فيه» ليس من (ف).

(٥) لم أجده عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، لكن رواه الترمذي (٣١٧٠)، والحاكم في =

وقال ابن عيينة: لأنه لم يملك قط[١].

وقال الكلبي: أعتق من الغرق زمان الطوفان[٢].

وقال بعض المفسرين: عَتَق في الجاهلية من أن يخرَّب أو يُقتلَ أهلُه.

وقال الحسن وابن زيد: ﴿ٱلْعَتِيقِ﴾: القديم، وهو أول بيت وضع للناس في الأرض[٣].

وقال مجاهد: خلق الله تعالى البيت العتيق قبل الأرض[٤] بألفي عام[٥].

وقيل: العتيق: الكريم، وفرس عتيق؛ أي: كريم، وسمي به لأنه كريمٌ على الله تعالى.

***

(٣٠) ـ ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾.

= «المستدرك» (٣٤٦٥)، والبيهقي في «الشعب» (٤٠١٠) من حديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنه. قال الترمذي: (هذا حديثٌ حسنٌ غريب، وقد رُوي هذا الحديثُ عن الزُّهريِّ، عن النبيِّ ﷺ مرسَلًا). قلت: مرسل الزهري رواه الترمذي أيضاً عقب الحديث، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٩٢٥) من طريق الزهري عن ابن الزبير موقوفاً.

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢٠) عن ابن عيينة ومجاهد، ورواه عن مجاهد الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٣٠).

(٢) رواه ابن المنذر وابن أبي حاتِم عن سعيد بن جبير كما في «الدر المنثور» (٦/ ٤١).

(٣) رواه عن ابن زيد الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٣٠ ـ ٥٣١).

(٤) في (أ): «قبل سائر الخلق».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٥٥٥) عن مجاهد، ورواه (٥/ ٥٩١) من طريق مجاهد عن عبد الله بن عمرو. ولعله مما نقل عن الإسرائيليات.

وقولـه تعالـى: ﴿ذَٰلِكَ﴾: أي: مـا قدَّمتُ ذكـرَه من أمـر الحج فهو كمـا قدَّمْتُه فالتزِمـوه ولا تخالفـوه، مبتدأ حُذف خبـره اختصاراً.

وقيل: معناه افعلوا ذلك، أضمر الأمر في أوله، أو هو بنفسه منصوب على الإغراء، تامٌّ[١] بغير إضمار.

﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾: أي: أمورَ الحج والعمرة والبيت، فراعاها ولم يتعدَّ حدودها.

﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾: أي: أنفع له من أنْ لا يعظِّمها؛ لأنه يثاب على فعله ويعاقب على تركه، وهذا ترغيب وترهيب، وعمومُه يشمل الحج وغيرَه.

والحرمات حقيقتُها: ما حرُم انتهاكُها[٢] ومُنع عن ارتكابها.

وقيل: ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾ ليس للتفصيل؛ أي: تعظيمُه خيرٌ له معدٌّ عند ربه مجازيهِ به[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾: فسرناه في سورة المائدة: أن المستثنى ما ذُكر في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ الآية [المائدة: ٣].

وقوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ﴾: أي: النَّجس ﴿مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ ﴿مِنَ﴾ للتبيين[٤] هاهنا لا للتبعيض؛ أي: اجتنبوا هذا النوع من الرجس فكلُّه خبيث؛ أي: اجتنبوا الأوثان أنْ[٥] تعظِّموها فتذبحوا لها وتذكُروا على ذبائحكم أسماءها.

---

(١) في (ر) و(ف): «قام».

(٢) في (ر): «إتيانها».

(٣) في (ر): «خير عند ربه يجازيه».

(٤) في (أ) و(ف): «للتجنيس».

(٥) في (أ): «أي»، وفي (ر): «فلا».

وقوله تعالى: ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ﴾: أي: الكذب، وهو ما يقال على[1] الذبائح من ذكر الأصنام، وما يتصل بها من كلمات هي شركٌ.

* * *

(٣١) - ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ﴾.

وقوله تعالى: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ﴾: نصبٌ على الحال؛ أي: مستقيمين[2] في تلك الحال على الدِّين الحقِّ.

﴿غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦ﴾: أي: بالله[3]، ختم الآية بوعيد الشرك، يقول: أمركم بالحج لتتقرَّبوا فيه بالقرابين إلى الله تعالى، لا أن تذبحوا للأصنام وتتكلموا بالشرك[4].

وقيل: ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ﴾؛ أي: بتسميتها آلهةً.

وقيل: ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ﴾ في التلبية وهو قولهم: لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكُه وما ملَك، وهذا قول مقاتل بن حيان[5]، وهذا على نظمِ آخِر الآية بأولها في أمور الحج.

وقيل هو ابتداءُ كلامٍ: ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ﴾؛ أي: المآثِم ﴿مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ﴾ وهو عبادتها وتعظيمُها ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ﴾؛ أي: الكذب في كلِّ شيء.

---

(١) في (أ): «في».

(٢) في (ف): «مشتغلين».

(٣) بعدها في (أ): «ثم».

(٤) في (ر): « وتتكلموا بكلمة الشرك».

(٥) رواه ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٦/ ٤٥). وانظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ١٢٤).

وروي عن خريم بن فاتك رضي الله عنه أنه قال: صلى رسول الله عليه السلام صلاة الصبح، فلما انصرف قام قائماً فقال[١]: «عُدلت شهادةُ الزور بالإشراك بالله تعالى»، ثم قرأ[٢] هذه الآية[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: قيل: أي: فمَثَلُه في بُعده من الهدى[٤] والحق وهلاكِه كمَن خرَّ من السماء ﴿فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ﴾: أي: تستَلِبه بسرعة ﴿أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ﴾؛ أي: تُسقطه ﴿فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾؛ أي: بعيد، وهو قولُ قتادة[٥].

وقيل: هو مَثَلُ حال الكافر في القيامة، يريد به أنه يكون يومئذٍ بهذه الصفة لا يملك لنفسه ولا يملك أحدٌ من الخلق له نفعاً ولا ضرًّا[٦]، ولا يمتنع من عذاب الله، فهو بمنزلةِ مَن خرَّ من السماء فهو يهوي من غير أن يقدر لنفسه على خلافِ ذلك، فتخطفه الطير وتقطِّع مخَّه[٧] بمخاليبها ومناقيرها، فلا يملك دفع ذلك، أو بمنزلةِ مَن تحمله الريح من موضعٍ مرتفع فترمي به في منحدَرٍ بعيد، وهو معنى قولِ ابن عباس رضي الله عنهما.

---

(١) في (ف): «ثم قال»، وفي باقي النسخ: «قال»، والمثبت من المصادر.

(٢) في (أ): «تلا».

(٣) رواه أبو داود (٣٥٩٩)، والترمذي (٢٣٠٠)، وابن ماجه (٢٣٧٢). قال ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٤/ ٣٤٩): إسناده مجهول.

(٤) في (ف): «الدين».

(٥) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٩٢٩)، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٣٨ ـ ٥٣٩)، ولفظه فيهما: هذا مثَل ضربه الله لمن أشرك بالله في بعده من الهُدى وهلاكه.
وكون معنى ﴿سَحِيقٍ﴾: بعيد، رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٣٩) عن مجاهد.

(٦) «ولا ضراً» ليس من (أ).

(٧) غير واضحة في (أ)، وقد تقرأ: «فمه» أو «خمه»، وسقطت الجملة من (ر) و(ف).

(٣٢) ـ ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾: أي: ذلك الذي عرَّفْتُكم من أمرِ[١] الشرك، وهو كما عرَّفتكم ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾: جمع شَعِيرة، والشعائر: هي أمور الحج؛ قال ابن زيد: منها رميُ الجمار، والسعيُ بين الصفا والمروة، ونحوُها[٢].

وقال مجاهد: هي البُدْن، وتعظيمُها: استسمانُها واستحسانُها[٣]، قال تعالى: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾.

ودليل القول الأول قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨].

﴿فَإِنَّهَا﴾: أي: هذه الفعلة، وهي تعظيمها ﴿مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾: هي تصحيحُ النية وتجريدها[٤] للتقرُّب إلى الله تعالى.

* * *

(٣٣) ـ ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: على القول الأول ـ أن الشعائر هي أمور الحج ـ هذه المنافع ما فسرنا في قوله تعالى: ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾ [الحج: ٢٨] وهي منافع المشاهد[٥] ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾: أي: مَحِلُّ إحرامها بالطواف بالبيت؛ أي: بعده.

---

(١) في (أ): «أهل».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٤١).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٤٠).

(٤) في (ر) و(ف): «وتحريرها».

(٥) في (ر) و(ف): «مشاهد المنافع».

وعلى القول الثاني ـ أن الشعائر البدن ـ فالمنافع: ركوب ظهورها عند الحاجة، وشرب ألبانها عند الضرورة، ثم مَحِلُّ الشعائر إلى البيت العتيق؛ أي: نحرُها يكون في الحرم، فالبيت العتيق عبارة عن كل الحرم كما قلنا في المسجد الحرام.

* * *

(٣٤) ـ ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾: قرأ حمزة والكسائي بكسر السين والباقون بفتحها[١]، ومعناهما واحد؛ أي: لكلِّ أهل دين سَلَفوا قبلكم شَرَعْنا قرابين.

وقوله تعالى: ﴿لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾: أي: ليتقرَّبوا بها ويذبحوها على اسم الله دون أسماء الأصنام.

﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾: أي: إلهكم وإلهُ الأمم كلِّها واحدٌ، والواجب أن يُتقرب إليه ويُذكر على الذبائح اسمُه دون اسم غيره.

وقوله تعالى: ﴿فَلَهُ أَسْلِمُوا﴾: أي: انقادوا بالعبودية[٢].

﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾: أي: المطمئنِّين إلى وعد الله، الخاشعين له، والخبت في اللغة هو المطمئن من الأرض.

وقال الخليل: الخبت: ما اتَّسع من بطون الأرض[٣].

فعلى هذا: المخبتُ هو الواسع الصدرِ في احتمال المكاره.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٣٦)، و«التيسير» (ص: ١٥٧).

(٢) في (أ): «لعبوديته».

(٣) انظر: «العين» (٤/ ٢٤١).

(٣٥) ـ ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: أي: خافت من عظمته، فعظَّمت شعائر الله وحَذِرت مخالفته.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾: في الزكوات والصدقات.

يقول: وبشِّر هؤلاء بكلِّ خير، وكلُّه تفسير المخبِت، إذ لا[1] يقدر على هذه الأشياء إلا الخاضع لله تعالى بالعبودية.

* * *

(٣٦) ـ ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾: هي جمع بَدَنةٍ؛ كالتَّمر جمع تَمْرةٍ، وهي الإبل التي تُهدى، سميت بها لبدانتها؛ أي: ضِخَمها، ونصبُها بالفعل المذكور بعدها على تقدير التقديم؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ﴾ [يس: ٣٩].

﴿مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: من أعلام دين الله.

وقوله تعالى: ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾: وهو نفعُ الدِّين والدنيا.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: الخيرات فيها كثيرة: الركوب، والحمل،

---

(١) في (أ): «إذ»، وفي (ر): «ولا».

وشرب الألبان، والانتفاع بالأوبار، ثم بالاعتبار بخلقها كيف سُخِّرت للناس على قوَّتها وصُورتها، ثم كيف تنقاد للصبيان في البروك(١) للحمل والركوب والنزول، وصبرِها على العطش في الأسفار، واكتفائها بقليل العلَف، ثم بما في طبعها من اللَّطافة حتى تستريحُ بالحُداء مع كثافةِ صورتها، إلى غير ذلك(٢).

وقوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ﴾: جمع صافَّةٍ، وهي القائمة، وهي نصبٌ على الحال؛ أي: اذكروا اسمَ الله عليها عند نحرِها وهي قائمةٌ شرطاً للذَّكاة وتسميةً لله تعالى، دون جعلِها للأصنام كفعلِ الكفار.

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾: أي: سقطت على الأرض بعد نحرها قائمة.

وقوله تعالى: ﴿فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ﴾: قيل: القانع: الذي يَرْضَى بما يُعْطَى وبما عنده ولا يَسأل، والمعترُّ: الذي يتعرَّض لك أن تُطعمه.

وقال ابن عباس ومجاهد وقتادةُ: القانع: الذي لا يَسأل، والمعترُّ: الذي يَسأل(٣).

وقال الحسن وسعيد بن جبير: القانع: الذي يَسأل، والمعترُّ: الذي يَتعرَّض ولا يَسأل(٤)، وعليه أهل اللغة، فيقال: قَنَعَ يَقْنَعُ قُنوعاً من بابِ صنع؛ أي: سأل، وقَنِعَ يَقْنَعُ قناعةً من بابِ عَلِم: إذا رضي بما رُزق، قال الشمَّاخ:

لمــالُ المــرء يصلحُــه فيُغْنــي ... مَفَاقِـرَه أَعَـفُّ مـن القُنــوع(٥)

---

(١) في (ر): «تنقاد للناس في النزول».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٥٤٥).

(٣) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٦٣ ـ ٥٦٥).

(٤) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٦٥ ـ ٥٦٦).

(٥) انظر: «ديوان الشماخ» (ص: ٢٢١)، وأنشده سعيد بن جبير في قوله السابق. انظر: «تفسير الطبري» =

أي: السؤال.

وقال مجاهد: القانع: جارك الغني، والمعترُّ: الذي يجيئك[1] من الناس[2].

وقيل: القانع: الهر، والمعترُّ: الكلب؛ أي: اجعلوا لهما منه نصيباً، والهر يتقاضى بصياحه، والكلب يقوم ساكتاً[3].

وقوله تعالى: ﴿فَكُلُواْ مِنْهَا﴾ إباحة، ولو لم يأكل منها جاز.

وقوله تعالى: ﴿وَأَطْعِمُواْ﴾ ندبٌ، ولو صَرف كلَّه إلى نفسه لم يَضمن شيئاً، وهذا في كلِّ هدي، هو نُسك لا كفارةٌ، وكذا الأضحية، فأما هديٌ هو كفارةٌ فعليه التصدُّق بجميعه، وما أَكَله ضمِنه، وكذا ما أَطعمه الأغنياءَ، وإنما مصرفُه الفقراءُ، فأما هديُ النُّسك والأضحية فيَحِلُّ لصاحبه والأغنياءِ، والمستحَبُّ في ذلك أن يكون نصفُه لأَكْله وإطعامِ أهله، ونصفُه للصرف إلى غيره.

وقيل: يُجعل أثلاثاً: ثلثٌ يأكله ويطعمه أهلَه وأضيافَه في هذه الأيام، وثلثٌ يدَّخره لِمَا بعدُ، وثلثٌ يدفعه للناس.

وكان الحسن البصري رحمه الله يجعله أرباعاً: الرُّبع لنفسه وأهله، والرُّبع للمساكين، والربع لليتامى، والربع لأهل السجون، ويَتأول قوله: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨].

= (١٦/ ٥٦٦). وقوله: (مفاقره)؛ أي: وجوه فقره، يقال: سد الله مفاقره؛ أي: أغناه وسد وجوه فقره. انظر: «الصحاح» (مادة: فقر).

(١) في (أ): «يحتك». وجاء في الرواية: (الذي يعتريك)، وفي أخرى: (من اعتراك). انظر التعليق الآتي.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٦٦ ـ ٥٦٧).

(٣) في (أ): «ساكناً».

وقولـه تعالـى: ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرۡنَٰهَا لَكُمۡ﴾: أي: كالـذي أمرتُكم بنحرهـا ذلَّلْتُها لكم مـع عِظَـم أجسـامها فـلا تمتنـعُ عليكـم، ولـو أعطيتُهـا ما أعطيـتُ السـباع لصعب عليكـم نحرُها.

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾: أي: فعلتُ ذلك بكم لتشكروا نِعمي بذلك.

* * *

(٣٧) ـ ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمۡ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا﴾: أي: لا تبلغ رضاه ولا يكون مقبولاً عنده أعيانها ﴿وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡ﴾: وهو قصدُ الائتمار، وطلبُ الرضا، والاحتياطُ في ذلك، والتحرُّزُ عن الحرام والشبهة.

وقيل: لمَّا أمرهم بأكلها ظنُّوا أنها ردَّت إليهم أو صارت[١] لهم لا لله تعالى، فأَخبر أن لله مِن عبده ما أَخلص له من النية والعمل، دون أعيان ما يَتقرب بها.

وقال مجاهد: كان أهل الجاهلية يذبحون ويشرِّحون اللحم فيَنصبونه على أنصابٍ حول الكعبة، وينضحون ما أقبل منها[٢] بدمائها، فلما كان الإسلام ذكر المسلمون فعلهم لرسول الله ﷺ فسكت، حتى نزلت هذه الآية[٣].

---

(١) في (ف): «وصارت».

(٢) «ما أقبل منها» ليس في (ف). وفي المصادر: (ما أقبل من البيت).

(٣) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز»، والقرطبي في «تفسيره»، وأبو حيان في «البحر»، جميعهم عن ابن جريج عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ [المائدة: ٣]، وفيه: فأنزل الله تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا﴾ ونزلت: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾. ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (٦/ ٥٦) بلفظ: كان أهل الجاهليَّة ينضحون البيت بلحوم الإبِل ودمائها فقال =

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرۡنَٰهَا لَكُمۡ﴾: أي: كالذي ذكر ذلَّل هذه البُدن[١].

وقوله تعالى: ﴿لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ﴾: أي: لتعظِّموا الله ﴿عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ﴾؛ أي: أرشدكم إليه من دِينه، وأعاد ذكر التسخير لمعنًى غيرِ الأول، فإن الأول للشكر والثاني للتعظيم.

وقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾: في أمور الحج والشعائر وسائر الشرائع.

وقال الحسين بن الفضل رحمه الله: ﴿لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ﴾ فتقولوا: الله أكبر على ما هدانا.

وقال القشيري رحمه الله: لا عبرةَ بأعيان الأفعال، لكن العبرة لقرائنها من الإخلاص، وإذا انضاف إلى اكتساب الجوارح خلاصاتُ القصود، وتجرَّدت[٢] عن ملاحظةِ أصحابها الأغيار[٣]، صلحت للقبول.

وقال في قوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾: الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه، وأمَارتُه: سقوط التعب عن صاحبه بالقلب، فلا يستثقل شيئاً في ذات الله، ولا يتبرَّم بشيء[٤].

* * *

(٣٨) ـ ﴿ ۞إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴾.

= أصحاب النَّبي ﷺ: فنحن أَحَق أن ننضح، فأنزل الله: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا ﴾.

(١) بعدها في (ر) و(ف): «لك».

(٢) في (أ): «خلاصات المقصود وتجردت»، وفي (ر): «خلاصات القصود وتحرزت». وفي «اللطائف»: (إخلاص القصود وتجردت).

(٣) في (ر): «الأعيان».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٥٤٦).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾: قرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿إنَّ اللهَ يَدْفَعُ... ولولا دَفْعُ اللهِ الناسَ﴾، وقرأ نافع: ﴿إنَّ اللهَ يُدافِعُ عن الذين آمنوا... ولولا دفاعُ اللهِ الناسَ﴾، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي [وابن عامر]: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ... وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ﴾(١).

وعاد الكلام إلى ذكر المؤمنين والكفار، وبشارةِ المؤمنين بالفتح والنصر والعودِ إلى مكة التي صدَّهم المشركون عنها، وهذه الآيات في ذكرها وما يقام من الحج والقرابينِ بها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ بشارةٌ بدفع ضرر الكفار عنهم، وهو كما قال: ﴿لَن يَضُرُّوكُمۡ إِلَّآ أَذٗىۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمۡ يُوَلُّوكُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ﴾ [آل عمران: ١١١]، وقال: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔا﴾ [آل عمران: ١٢٠].

وقيل: كان هذا قبل الهجرة، فدفع عنهم بأنْ أَذِن لهم في الهجرة إلى المدينة، وأعانهم وقوَّاهم بالأنصار، وأذِن بالقتال وجهاد الكفار.

وقيل: يدفع عنهم بتوفيقه وتثبيته إياهم على الحق عن فتنة الكفار بإعادتهم إلى الكفر(٢).

وقيل: يدفع عنهم شدائد الآخرة وكثيراً من شدائد الدنيا.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ﴾: العبادات أمانات، فمَن خالفها فقد خان.

وقيل: المشركون كانوا يقرُّون بالصانع ثم يعبدون غيره وهذا خيانةٌ.

وقيل: كل إنسان يُظهر الشفقة على نفسه وإرادةَ الخير بها، فإذا فعل بها ما يُهلكها فقد خانها، والخوَّان: الكافر على هذا، والكَفور: الذي يكفر نِعَمَ الله عليه.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٣٧)، و«التيسير» (ص: ٨٢ و١٥٧)، وما بين معكوفتين منهما.

(٢) «بإعادتهم إلى الكفر» ليس في (أ).

ومعنى ﴿لَا يُحِبُّ﴾؛ أي: لا يريد بهم الخير، ولا يجعل لهم العاقبةَ المحمودة، بل يكون ذلك للمؤمنين بالدفع عنهم.

وقال القشيري رحمه الله: يدفع عن صدورهم نزغات[١] الشيطان، وعن قلوبهم خطرات العصيان، وعن أرواحهم طوارق النسيان[٢].

* * *

(٣٩) ـ ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ﴾: قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي: ﴿أَذِنَ﴾ بفتح الألف و﴿يُقاتِلون﴾ بكسر التاء، ومعناه: أَذِن الله للمؤمنين الذين يقاتِلون الكفار ـ أي: يحرِّضون على قتالهم ـ بالقتال، فقوله: بالقتال، هذا مضمر، وهذا طريق الدفع الذي قال: ﴿يدفع[٣] عن الذين آمنوا﴾.

وقرأ عاصم ونافع في روايةٍ: ﴿أُذِنَ﴾ بالضم على ما لم يسمَّ فاعله ﴿يُقَـٰتَلُونَ﴾ بفتح التاء على ما لم يسم فاعلُه، وهم المؤمنون أيضاً لأن الكفار يقاتلونهم.

وقرأ أبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر[٤]: ﴿أُذِنَ﴾ بالضم ﴿يقاتِلون﴾ بالكسر.

وقرأ ابن عامر: ﴿أَذِنَ﴾ بالفتح ﴿يُقَـٰتَلُونَ﴾ بالفتح أيضاً[٥].

---

(١) في (ر): «ترهات».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٥٤٧).

(٣) «الذي قال يدفع» من (أ)، وفي (ف) بدلًا منها: «للأذى».

(٤) «أبي بكر» ليس في (ف).

(٥) وملخص ما ورد عن السبعة في المشهور عنهم: نافع وعاصم وأبو عَمْرو: ﴿أُذِنَ﴾ بضم الهمزة والباقون بفتحها، نافع وابن عامر وحفص: ﴿يُقَـٰتَلُونَ﴾ بفتح التاء والباقون بكسرها. انظر: =

وذكر بعض المفسرين أن الصحابة رضوان الله عليهم لمَّا اشتدَّ عليهم أذى المشركين قبل الهجرة استأذنوا النبي ﷺ في قتل مَن قدروا على قتله سرًّا فلم يؤذَن لهم[1]، ووعدهم الله تعالى بالدفع عنهم، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ لِمَا همُّوا به من قتلهم سرًّا، فلما هاجروا وقَرُّوا أذن لهم في قتالهم[2].

وقوله تعالى: ﴿بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟﴾: أي: بسببِ أن المشركين ظلموهم في صدِّهم عن المسجد الحرام وإظهارِ دينهم.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾: يُورثهم ديارَ عدوِّهم، ويَشفي به صدورهم، وهو إشارة إلى البشارة بذلك، وهذه الآية أول آية أُنزلت في الأمر بالقتال[3].

* * *

(٤٠) ـ ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ﴾: وهو بيان قوله تعالى: ﴿بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟﴾.

﴿إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾: هو استثناءٌ منقطع بمعنى: لكن؛ أي: ﴿أُخْرِجُوا۟... بِغَيْرِ حَقٍّ﴾؛ أي: من غير أن يستحقوا ذلك ويحقَّ عليهم ذلك، لكنْ لأنهم قالوا: ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ وحده لا شريك له على خلاف قولهم.

= «السبعة» (ص: ٤٣٧)، و«التيسير» (ص: ١٥٧).

(١) في (ر) و(ف): «يؤذنوا».

(٢) ذكره الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٧٦) وقال: هذا قول ذكر عن الضحاك بن مزاحم من وجه غير ثبت.

(٣) في (ف): «في أمر القتال».

وهذا الإخراج من مكة إلى المدينة إن كانت الآية نزلت بعد الهجرة إليها، وإن كان قبلها فهذا الإخراج من مكة إلى الحبشة؛ أي: إلجاؤهم[١] إياهم إلى أن هاجروا عنها إليها.

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾: أي: لولا شرعُ الله للأنبياء والأممِ من الجهاد.

﴿لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾: أي: لغَلب أهلُ الشرك أهلَ الإيمان؛ أي: وعطَّلوا ما بَنَتْه[٢] أهل الديانات من مواضع عبادة الله تعالى.

قال مجاهد: الصوامع للرهبان[٣].

وقال قتادة: البيع للنصارى[٤].

وقال مجاهد: البِيَع كنائس اليهود[٥]، جمع بِيْعَةٍ.

وقال الضحاك: الصلوات كنائس اليهود[٦].

وقيل: ﴿وَصَلَوَٰتٌ﴾: هي مواضع صلوات المسلمين في منازلهم، والمساجدُ للجماعات.

---

(١) في (ر) و(ف): «إلحاقهم».

(٢) في (ف): «يبنيه».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٨٠ ـ ٥٨١) بلفظ: ﴿لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ﴾ قال: صوامع الرهبان.

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٩٣٨)، بلفظ: ﴿لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ﴾ قال: هي للصَّابئينَ، ﴿وَبِيَعٌ﴾ للنَّصارى ﴿وَصَلَوَٰتٌ﴾ كنائسُ اليهودِ، والمساجدُ مساجدُ المسلمين ﴿يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٨٣).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٨٤).

وقيل: ﴿وَصَلَوَٰتٌ﴾؛ أي: وتُركت صلوات، على[1] إرادة أعيانها دون مواضعها.

وقال الزجاج: أي: لهدِّمت صوامعُ في أيام شريعة عيسى، وبيعٌ في أيام شريعة موسى، ومساجد في أيام شريعة محمد عليهم السلام[2].

وقيل: ذُكرت الصوامع والبِيَع ـ وإن كانت تلك لغيرِ أهل الإسلام ـ وذلك لأن النصارى ينكرون أمر الجهاد ويَرَونه شنيعاً في الحكمة، والصابئون لا يرونه، فنبِّهوا على حُسنه في العقول؛ إذ فيه بقاءُ أثر هذه الديانات التي يعتقدها هؤلاء.

ثم قوله: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ﴾: هم الكفارُ ﴿بَعْضَهُم﴾ بدلٌ عنه ﴿بِبَعْضٍ﴾ هم المؤمنون المقاتلون، فالدفع يقع بهم.

وقيل: معناه: ولولا دفعُ اللهِ بأهل هذا الدِّين عن الأديان كلِّها؛ أي: لولا إقماعُ[3] عبدة الأوثان وأهلِ التعطيل بخوف سيوف المسلمين لتغلَّبوا على أهل الأديان كلِّها[4]، وفيه تعريفُ منَّةِ الله تعالى بما عاد على[5] أهل الأديان كلِّها من النَّفع بدِين الإسلام.

وقوله: ﴿يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾: أي: في المساجد، هو الصحيح، فإن الذكر في البيع ونحوها محرَّفٌ غيرُ معتبَر.

وقيل: يدفع الله بالمقاتلين[6] عن القاعدين، وبالشاكرين عن الكافرين،

---

(١) في (أ): «عن».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٤٣١).

(٣) في (أ): «انقماع».

(٤) في (أ): «الأديان» بدل: «أهل الأديان كلها».

(٥) في (أ): «إلى».

(٦) في (أ): «بالمقاتلة».

وبالصابرين عن الجازعين، وبالمصلين عن التاركين، وبالمصَّدِّقين[١] عن المانعين، وبالمطيعين عن العاصين، وبالذاكرين عن الناسين.

وقوله تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾: هذا ظاهر.

***

(٤١) - ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: هو نعتُ ﴿الذين يقاتلون﴾ أي: أُذِنَ بالقتال لهؤلاء الذين إنْ أعطيناهم المكنة والمكانة في الأرض ﴿أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ وأقاموا الدِّين بألسنتهم وأيديهم، وألزَموا الناس ما هو مستحسَن عند[٢] العقل والشرع، ومنعوهم عما هو مستقبَحُ[٣] العقل والشرع.

وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾: أي: خاتمتُها؛ أي: النصر والعلوُّ والغَلَبة خاتمةُ مَن نصَر دِين الله، وهي لله، وإن تأخَّرت مدةً لحكمةٍ[٤] فهي موعودةٌ لهم، وهذا تطييبٌ لقلوبهم، وتثبيتٌ على الصبر.

وقيل: أي: مرجِعُ الأمور إلى الله في الآخرة، وهو الـمُثيب والمعاقِبُ، وهذا تحريكٌ لهم على الأعمال المذكورة في الآية.

---

(١) في (أ): «وبالمتصدقين».

(٢) «عند» زيادة من (ف).

(٣) في (ف): «قبيح».

(٤) في (أ): «بحكمة».

وكثير من المفسرين على أن هذه الآيَةَ في الخلفاء الراشدين الأربعة.

وقال الحسن: هي في حقِّ جميع هذه الأمة[١].

وقال القشيري رحمه الله: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ إذا طالت بهم المدَّة[٢] وساعدهم العمرُ، لم يستفرغوا[٣] أعمارهم في استجلاب حظوظهم، ولا في اقتناء محبوبهم في الدنيا ومطلوبهم، ولكن قاموا بأداء حقوقنا.

وأقاموا الصلوات في الظاهر، وأداموا المواصلات في الباطن.

وقيل: إقامة الصلاة بالوفاء[٤] بأدائها؛ تَعْلَمُ بين يديْ مَن أنت[٥]، وتناجي مَن، والرقيبُ عليك مَن، والقريبُ منك من.

﴿وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ الأغنياء منهم يُؤتون زكاة أموالهم، وفقراؤهم يؤتُون زكاة أحوالهم، فزكاة المال من مئتين خمسةٌ للفقراء[٦] والباقي لهم، وزكاة الأحوال أن يكون من مئتي نفس مئة وتسعةٌ وتسعون ونصفٌ لله تعالى، ونصفُ جزءٍ من نفسٍ من مئتين لك[٧].

وقوله تعالى: ﴿ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ﴾ يَبتدِئون[٨] في الأمر

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢٦) عن الحسن وأبي العالية، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ٢٧٤) عن الحسن وعكرمة.

(٢) في (ف): «الإقامة».

(٣) في (ف): «يستوفوا».

(٤) في (أ) و(ف): «الوفاء».

(٥) بعدها في (ر): «قائم له». وليست في «اللطائف»، ولفظه: (فتعلم بين يدى الله مَن أنت).

(٦) في (ف): «من المئتين خمسة دراهم».

(٧) في (ف): «لهم».

(٨) في (ف): «ينتدبون».

بالمعروف والنهي عن المنكر بأنفسهم، ثم بأغيارهم، فإذا أخذوا في ذلك لم يتفرَّغوا من أنفسهم إلى غيرهم.

وقيل: الأمر بالمعروف: حفظُ الحواسِّ عن مخالفة أمره، ومراعاةُ الأنفاس معه إجلالاً لقَدْره، ومن وجوهِ المنكر: الرياء والإعجاب والمساكَنة والملاحظة[1].

* * *

(٤٢ ـ ٤٤) ـ ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ۝٤٢ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ۝٤٣ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ۝٤٢ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ۝٤٣ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ﴾: وهـذا بيانُ قوله: ﴿وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾، وتسليةٌ للنبي ﷺ بما ينالُه من جهة الكفار من المكروه والمحذور، يقول: إنْ نَسبك هؤلاء إلى الكذب فقد فعلَتْ قوم نوحٍ بنوحٍ[2] كذلك.

والتأنيث في ﴿كَذَّبَتْ﴾ لإرادةِ القبيلة أو الأمَّة أو الجماعة، وكذلك ما ذُكر بعده كذَّبتْ كلُّ أمةٍ نبيَّها ﴿وَكُذِّبَ مُوسَىٰ﴾ على ما لم يسمَّ فاعله، ولم يقل: وكذبت قوم موسى لأن قومه بنو إسرائيل وهم صدَّقوه، وإنما كذَّبه فرعونُ وقومه.

وقوله تعالى: ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ﴾: أي: طوَّلتُ لهم الزمانَ للحجة عليهم.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾: أي: عاقبتُهم على كفرهم وتكذيبهم ومعاصيهم.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٥٤٩ ـ ٥٥٠).

(٢) «بنوح» ليست في (أ).

وقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾: أي: إنكاري وتغييري عليهم، ألمْ أبدِّلهم بالنعمة نقمةً، وبالكثرة قِلةً، وبالحياة هلاكاً، وبالعمارة خراباً، وكذلك حالُ قومك.

* * *

(٤٥) ـ ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾: أي: وكم من أهل قرية ﴿أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ﴾؛ أي: أهلكناهم وهم ظالمون أنفسَهم بالكفر، واضعون العبادةَ غيرَ موضعها.

وقرأ أبو عمرو: ﴿أهلَكْتُها﴾ على موافقةِ ﴿أمليتُ... ثم أخَذْتُهم﴾، وقرأ الباقون: ﴿أَهْلَكْنَٰهَا﴾ على موافقة ﴿مَّكَّنَّٰهُمْ﴾ [الحج: ٤١][(١)].

﴿فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾: فالقريةُ ساقطةٌ سُقوفُها أولاً ثم ساقطةٌ حيطانها على سقوفها.

وقوله تعالى: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾: أي: وكم من بئرٍ معطَّلة بفِناء أهلها اندَفنتْ وصارت لا واردةَ لها ولا شاربةَ منها باندِفانها وغورِ مائها.

وقوله تعالى: ﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾: وكم قصرٍ مشيد.

قال عكرمة ومجاهد: أي: مبنيٍّ بالجصِّ، والشِّيد: الجص[(٢)].

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٣٨)، و«التيسير» (ص: ١٥٧).

(٢) في (ف): «والمشيد الحصين» بدل: «والشيد الجص». والخبر رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٩٢ ـ ٥٩٣) عن عكرمة ومجاهد وعطاء وسعيد بن جبير، وعن عكرمة وعطاء رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٩٤٠) و(١٩٤١).

وقال قتادة: أي: مرفوعٍ[١]، وقد شاد البناء؛ أي: رفعه وطوَّله.

وقيل: أي: مزيَّنٍ، وقد شاده؛ أي: زيَّنه؛ أي: خلا عن سكانه وتداعَى للخراب بذهاب أهله.

فهذا تنبيهٌ لهم ووعظ بمن كان قبلهم ممن كان أطولَ منهم أعماراً وأقوى آثاراً، فأهلكهم الله تعالى لعتوِّهم وتمرُّدهم.

وقال الضحاك: إن هذه البئر كانت في حضرموتَ في بلدةٍ يقال لها: حاضوراء، وذلك أن أربعةَ آلافِ نفرٍ ممن آمن بصالح ونجَوا من العذاب أتوا حاضوراء ومعهم صالح، فلما حضروا مات صالح فسمي: حضرموت؛ لأن صالحاً لمَّا حضر مات، فبنوا حاضوراء وقعدوا على هذه البئر وأمَّروا عليهم رجلاً يقال له: جليس بن جلاس بن سويد، وجعلوا وزيره سنحاريب بنَ سَوَادةَ، وأقاموا دهراً وتناسلوا حتى كثروا، ثم عبدوا الأصنام فأرسل الله إليهم نبياً يقال له: حنظلةُ بن صفوان، فقتلوه في السوق، فأهلكهم الله عن آخرهم، وتعطلت[٢] بئرهم وخرب قصر ملكهم[٣].

وقيل: إن ملكاً كافراً كان له وزير مسلم ومعه أربعةُ آلافِ[٤] مسلم من خواصِّه، فغضب[٥] عليه الملك يوماً فهجره الوزير وذهب مع خواصِّه إلى أرضٍ طيبة فنزلوها

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٩٤٢)، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٩٣). ولفظه فيهما: كان أهله شيَّدوه وحصَّنوه، فهلكوا وتركوه.

(٢) في (ر) و(ف): «فعطلت».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢٧) وأبو بكر النقاش في «تفسيره» كما في «التعريف والإعلام» للسهيلي (ص: ١١٨).

(٤) بعدها في (ر): «وزير».

(٥) في (أ): «فعنف».

وحفروا آباراً خرج[١] من كلِّها ماءٌ مِلْحٌ، ومر بهم رجل فأمرهم أن يحفروا في موضعٍ أَراهم، ففعلوا فخرج ماء عذب، فوسَّعوها وبنوها حجراً ذهباً وحجراً فضة، وجعلوها حظيرةً ولها أربعة آلاف باب بعدد ذلك[٢] الرجال، واتخذوا منازل، وطالت بهم المدة، وأتاهم الشيطان في صورة عجوزٍ صالحة ومكث عندهم، ودلت النساء على السَّحق عند غيبةِ الأزواج فظهر ذلك فيهنَّ، وأتاهم في صورة شيخ صالح بعد ذلك، وبعد مدةٍ دل رجالهم على إتيان البهائم إذا غابوا عن أزواجهم، ففشا ذلك فيهم، وأتاهم بعد ذلك[٣] النبيُّ ـ وقيل: نبي اسمه قحافة ـ فنهاهم فلم ينتهوا له[٤]، فغار ماؤهم فتضرعوا للنبيِّ حتى دعا الله، فعاد الماء فلم يؤمنوا، فخوَّفهم إتيانَ العذاب بعد سبع سنين وسبعةِ أشهر وسبعة أيام وسبعِ ساعات، فاتخذوا قصراً مَشيداً لبنةٌ ذهباً ولبنةٌ فضةً، وركَّبوا فيها اليواقيت وتحصَّنوا ولم يؤمِنوا به[٥]، فلما انتهت هذه المدة وهو يجدِّد لهم التخويفَ كلَّ ساعةٍ فلم ينتهوا، أمر الله تعالى جبريل فخسف بهم وبها[٦].

---

(١) في (ر): «وقيل خرج»، وفي (أ): «وقيل».

(٢) في (أ): «كل».

(٣) في (أ): «وأتاهم هذا»، وفي (ر): «وأتاهم ذلك».

(٤) «له» ليست في (أ).

(٥) «به» من (أ).

(٦) لم أجد هذا الخبر، وظاهر الآية العموم، كيف وقد صدرها بكلمة: ﴿فَكَأَيِّن﴾ دلالة على كثرة حصول هذا المشهد، وهذه الآية من مظاهر الإعجاز في كتاب الله، فقد جاء تركيبها بحيث يمكن تخيل عشرات القصص بل المئات التي يكون هذا المشهد المذكور في الآية محوراً لها، وليس ذلك مقتصراً على تعدد الأزمنة، بل يشمل أيضاً تعدد الأمكنة، ولا يشترط في ذلك وجود نبي بينهم مع مخالفته أو قتله، بل يكفي وجود شريعة الإيمان عندهم، بل قد يكون سبب ما يحل بهم هو كثرة التظالم وأكل الحقوق ولو لم يكن إيمان، والله أعلم.

(٤٦) ـ ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾: أفلم يسافر هؤلاء في الأرض فيشاهدوا هذه القرى وآثار[1] وقائع الله تعالى بها.

﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ﴾: أي: فيَحْضرَهم عقولٌ يتفكرون بها فيها فيَعتبِرون ﴿**أو آذان يسمعون بها**﴾؛ أي: يدعوهم ما شاهدوا إلى سماع وعظ الواعظ، وهذا استفهامٌ بمعنى الإثبات؛ أي: قد سافروا إليها وشاهَدوها ثم لا يعتبرون[2] بها بإعراضهم عن التدبُّر، فهم متعامُون متصامُّون.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ﴾: قيل: فإن القصة والحادثة، وقيل: فإن الأبصار، ثم أعاد ﴿الْأَبْصَارُ﴾ تفسيراً للكناية وإزالةً للاشتباه؛ أي: لا تعمى الأبصار[3] أبصارُ رؤوسهم عن رؤية هذه الآثار عِياناً ﴿وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ عن التفكر فيها والاعتبار بها.

وقيل: معناه: وإنَّ العمى ليس بعمى البصر وإنما العمى في الحقيقة عمَى القلوبِ؛ لأن منفعةَ بصر العين لا يَهْلِكُ بعدمها صاحبُها، وعدمَ بصر القلب يهلكُ صاحبه، وهذا كما يقال: ليس الغنى غنَى المال إنما الغنَى غنى النفسِ، ونحوِه.

ثم القلب لا يكون إلا في الصدر، ومعنى تقييدِه به[4]: تحقيقُه بخاصته لا تمييزُه عن غيره؛ كقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم ﴾ [آل عمران: ١٦٧] ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾ [الأنعام: ٣٨].

---

(١) في (ر) و(ف): «ويروا».

(٢) في (ف): «وشاهدوها فلم يعتبروا».

(٣) «الأبصار» ليست في (أ).

(٤) في (ف): «ومعنى تأكيده»

(٤٧) ـ ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾: أي: يقولون: متى هذا العذاب الذي تُوْعِدُنا به وتَذكُر أنه كان للأمم السالفة؟

﴿وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ فإنه يتعالى عن الخُلف[١] والكذب، وهو آت لا محالة لكنْ لوقته الذي جعله له.

وقيل: نزلت في النضر بن الحارث، وأتاه الوعد يوم بدر فقتل.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وابن زيد: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا﴾ من أيام الآخرة ﴿كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ في الدنيا[٢]؛ أي: فلا معنى لاستعجالهم وهم يصيرون إلى الآخرة ويعذَّبون فيها هذه المدةَ الطويلة.

وقيل: إن يوماً من أيام العذاب في الثِّقل والطول كألفِ سنة مما تعدُّون في السلامة، كما قالوا: أيام الغموم طِوال وأيام السرور قِصار، فلا معنى لاستعجالهم العذاب[٣].

وقيل: إن يوماً من الأيام التي خلق الله تعالى فيها السماوات والأرض كألف سنة[٤]؛ أي: هؤلاء يستعجلونك بالعذاب، وإن يوماً من الأيام التي خلقتُ فيها السموات والأرض كألف سنة، وكنتُ قادراً على أن أخلق جميع ذلك في لحظةٍ

---

(١) في (ر): «عن خلف الوعد».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٩٧ ـ ٥٩٨) عن ابن عباس وعكرمة ومجاهد. وذكره عن ابن زيد الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢٨).

(٣) «العذاب» من (أ).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٩٦ ـ ٥٩٧) عن ابن عباس ومجاهد.

وأقلَّ، ولكنْ خلقتُه في المدة الطويلة ولم أُعجِّل، فكذلك أنا قادر على إنزال العذاب بهم ساعةَ عَصوني ولكنْ لا أُعَجِّل، ويدل عليه أنه قال في سورة (ق)[1]: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ [ق: ٣٦] ثم ذكر عَقيبه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [ق: ٣٨] فذكرُها بعد ذكرِ إهلاكهم[2] إشارةٌ إلى هذا، فكذلك في[3] هذه الآية.

وقيل: هو إشارةٌ إلى ما ذكر في قوله: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [السجدة: ٥] فالملَك ينزل مسيرةَ خمس مئة سنةٍ ـ وهي من السماء إلى الأرض ـ ويصعد كذلك في ساعة، فهي مسيرة[4] ألف سنة، يقول: لمَّا كان في قدرتي هذا فكيف أعجز عن إهلاك هؤلاء، لكن تأخيره لحكمة.

* * *

(٤٨ ـ ٥٠) ـ ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾.

وقوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾: أي: في الدنيا ﴿وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾؛ أي: المرجعُ في عذاب الآخرة؛ أي: فما ينبغي لهؤلاء أن يغترُّوا بإمهالي.

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: أي: جعل الله إليَّ الإنذار دون إنزالِ العذاب، فلا يستعجلوا به.

---

(١) في (ر) و(ف): «في سورة أخرى».

(٢) في (ر) و(ف): «بعد هلاكهم».

(٣) في (ر) و(ف): «فكذا».

(٤) «مسيرة» من (أ).

قوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ للذنوب ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾: حسن في الجنة، هذا لمن خاف بإنذاري فاتَّبَعني.

(٥١) - ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعَاجِزِينَ﴾: أي: اجتهَدوا في أعلام الحقِّ للإبطال والتكذيب وصدُّوا الناس عنها ﴿مُعَاجِزِينَ﴾: مغالبين مقدِّرين أنهم يغلبوننا فيفوتوننا.

وقرأ أبو عمرو وابن كثير: ﴿معجِّزين﴾[1]؛ أي مُثبِتين عجز الأنبياء والمؤمنين بذلك على زعمهم.

وقال الكسائي: ﴿مُعَاجِزِينَ﴾: معاندين و﴿معجِّزين﴾: مثبِّطين.

وقال الخليل: عاجَزَ فلان: ذهب فلم يُوصَل إليه[2].

وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾: أي: الدائمون في النار الموقَدة.

* * *

(٥٢) - ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾: قيل: الرسول: صاحب الشريعة، والنبي: هو الذي يتَّبع الرسول في الشريعة؛ كهارونَ لموسى، ولوطٍ لإبراهيم، عليهم السلام.

وقيل: الرسول: المرسَل بالوحي، والنبي: هو المخبِر عن الله بالوحي إليه، أو بالوحي إلى رسولٍ أُمر أن يأمره بالتبليغ أو بالرؤيا.

---

(١) وقرأ باقي السبعة: ﴿مُعَاجِزِينَ﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٤٣٩)، و«التيسير» (ص: ١٥٨).

(٢) انظر: «العين» (١/ ٢١٥)، وفيه: (... فلم يقدر عليه).

وقيل: هما واحد، وفي الآية جمَع بينهما في الإرسال فقال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾.

﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾: وهذا متصل بقوله تعالى: ﴿سَعَوۡاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ﴾؛ أي: إن مشركي عصرك يَسعون في آياتنا[1] المنزَلةِ عليك، وكذا كان[2] كلُّ رسول يسعى الشيطانُ في الإلقاء في قراءته.

وقوله: ﴿تَمَنَّىٰٓ﴾؛ أي: تلا، وقوله: ﴿أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾؛ أي: في تلاوته؛ قال الشاعر:

تمنَّى كتابَ الله أولَ ليلهِ   وآخرَه لاقَى حِمَامَ المَقادِرِ[3]

وروي في ذلك: أن النبيَّ ﷺ كان يقرأ سورة: ﴿وَٱلنَّجۡمِ﴾ في الكعبة أو في المسجد الحرام بحضرة المؤمنين والمشركين، فلما انتهى إلى قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٩ ـ ٢٠] ألقى الشيطان في قراءته: تلك الغَرَانيقُ العُلا وإنَّ شفاعَتَهنَّ لتُرتَجى، فلما فرغ سجد وسجد المشركون والمسلمون، وبلغ الخبرُ مَن كان عند النجاشيِّ من المهاجرين، فرجع كثير منهم إلى مكة لِمَا توهَّموه من دخول المشركين في دِين رسول الله ﷺ[4].

---

(١) في (أ): «آياتي».

(٢) في (أ): «فكذا» بدل: «وكذا كان».

(٣) دون نسبة في «السيرة النبوية» لابن هشام (٣/ ٧٤)، و«الزاهر» لابن الأنباري (٢/ ١٥١)، و«المحكم» لابن سيده (١٠/ ٥١١). وجعلوهما بيتين صدرهما واحد، وعجز الآخر:

تَمَنِّيَ داودَ الزَّبورَ على رِسْلِ

وذكر ابن الأنباري أنه في رثاء عثمان، وعزاه الآلوسي في «روح المعاني» (١٧/ ٣٦٠) لحسان، وليس في ديوانه.

(٤) قصة الغرانيق معروفة، ولا يصح فيها شيء، فقد رويت فيها مرسلات عن قتادة والضحاك وأبي العالية =

وأخذ أصحاب الظواهر بظاهره، وحملوه على قراءة رسول الله ﷺ ذلك كلَّه، وتكلُّمِه بلسانه بهاتين الكلمتين، وهذا باطل على ما نبيِّن.

فأما الغرانيق: فقد ذكر في «ديوان الأدب» أن الغُرْنُوق: الشابُّ الناعم[(١)].

وذكر في «شرح الغريبين»: أنه الحسن العالي[(٢)].

وقيل: هو رئيس القوم.

وقال الخليل: الغُرْنُوق والغِرْناق[(٣)]: الشاب الأبيض والطائر[(٤)].

وقال الأصمعي: هو الكُرْكِيُّ.

وقال ابن الأنباري: هو الذَّكَرُ من الطير.

= وأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وغيرهم، وروي فيها خبر من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، لكن إسناده ضعيف جداً. انظر هذه الأخبار في «تفسير الطبري» (١٦/ ٦٠٤ ـ ٦١٢)، وقد تكلم العلماء ـ ومنهم المؤلف كما سيأتي ـ في توهين ما روي في هذه القصة وردها عقلاً ونقلاً فلا داعي للإطالة في ذلك. ويكفي في ردها ما قاله القاضي عياض: (فيكفيك أنّ هذا حديث لم يُخَرِّجه أحد من أهل الصحَّة، ولا رواه ثقة بسند سليم متصل، وإنما أُولِع به وبمِثْله المفسرون والمؤرخون المُولَعون بكلِّ غريب، المتلقِّفون من الصحف كلّ صحيح وسَقيم، وصَدَق القاضي بكرُ بن العلاء المالكيّ حيث قال: لقد بُلِي الناس ببعض أهل الأهواء والتفسير، وتعَلَّق بذلك المُلحِدون مع ضَعْف نَقَلَتِه واضطراب رواياتِه وانقطاع إسنادِه واختلاف كلماتِه...) انظر: «الشفا» (٢/ ١٢٥). وانظر أيضاً: «نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق» لناصر الدين الألباني.

(١) انظر: «معجم ديوان الأدب» للفارابي (٢/ ٦٥).

(٢) انظر: «الغريبين» (مادة: غرن)، وفيه: (الغرانيق: جمع الغرانق: وهو الحسن)، فقط.

(٣) «والغرناق» ليست في (أ). وانظر التعليق الآتي.

(٤) في (ف): «الثياب البيض» بدل: «الشاب الأبيض والطائر». وانظر: «العين» (٤/ ٤٥٨)، وفيه: الغِرنَيْقُ والغُرْنُوقُ: طائر أبيض، والغُرنُوقُ: الرجل الشاب الأبيض الجميل، وهو الغُرانِق أيضا. وقال الفارسي في «مجمع الغرائب» (مادة: غرنق): وقيل: الغُرنُوقُ: الشَّابُّ النَّاعِمُ، وهوَ الغِرنَاقُ والغِرنَوقُ والغُرَانِقُ.

وفي «الغريبين» أيضاً: الغِرْنَوق والغِرْناق والغِرْنيق: الشاب الناعم والطير[١].

وكان المشركون يزعمون أن الأصنام تقرِّبهم إلى الله تعالى وتشفَع لهم إليه، فشبَّهوها بالطيور التي تعلو وترتفع في[٢] السماء.

وقال الحسن: إنْ ثبَت تكلُّمُ النبيِّ ﷺ بهذه الكلمات فهو على الإنكار عليهم[٣]، على تقدير إثباتِ ألف الاستفهام في أولها: أتلك الغرانيق العلى، كما في قوله خبراً عن إبراهيم: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ [الأنعام: ٧٦]؛ أي: أهذا ربي.

والصحيح المعتمد: أن النبي ﷺ لم يتكلم بها، فإنَّا لو توهَّمنا أنه تكلَّم بها فلا يخلو من ثلاثة أوجه:

إمَّا أنْ تكلَّم بها من جهةِ نفسه عمداً اختياراً، وهو كفرٌ، فلا يجوز أن يُظنَّ برسول الله ﷺ ذلك، فإنه جاء داعياً إلى الإسلام ناهياً عن الكفر طاعناً في الأصنام، فكيف يمدحها؟!

وإمَّا أنْ أجرى[٤] الشيطان ذلك على لسان رسول الله ﷺ جبراً بحيث لم يَقدر على الامتناع عنه، وهذا أيضاً لا يجوز؛ لأن الشيطان لا يقدر على ذلك في حقِّ غيره؛ قال تعالى خبراً عنه: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ﴾ [إبراهيم: ٢٢]، فكيف يقدر على ذلك في حق النبي ﷺ؟!

وإما أن يقال: وقع ذلك على لسانه سهواً وغفلة من غيرِ قصدٍ، ولا يجوز ذلك أيضاً؛ لأنه ﷺ كان أعقلَ الخلق وأعلمَهم فكيف يجوز عليه هذه الغَفلة؟! خصوصاً

---

(١) انظر: «الغريبين» (مادة: غرن)، وفيه: (الغِرنَاقُ والغِرنَوقُ والغُرَانِقُ).

(٢) في (ر) و(ف): «إلى».

(٣) ذكره الجصاص في «أحكام القرآن» (٣/ ٣٢٢).

(٤) في (ر): «وإما بإلقاء».

في حالة تبليغ الوحي، ولو جاز ذلك لبطل الاعتمادُ والتصديقُ واحتمالُ الغلط والخطأ قائم، ولأن الله تعالى قال: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ [فصلت: ٤٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

فبَطَلت الوجوه كلُّها، ولم يبق إلا وجهٌ واحد، وهو أن النبي ﷺ سكت عند قوله: ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ والشيطانُ حاضرٌ، فتكلَّم الشيطان بهذه الكلمات متَّصلاً بقراءة النبيِّ ﷺ، فوقع عند بعضهم أن النبيَّ ﷺ هو الذي تكلَّم بها، ويكون هذا إلقاءً في قراءة النبي ﷺ، وكان الشيطان يتكلَّم في زمن النبي ﷺ ويُسمَع كلامه؛ كما ذُكر عنه في اليوم الذي مكَروا بالنبيِّ ﷺ في دار الندوة، وإبليس ظهر يوم أحدٍ على صورة شيخ نجديٍّ ونادى: ألَا إن محمداً قد قتل، وقال[1] يوم بدر: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٨].

وقيل: لمَّا استعجلوه بالعذاب تمنَّى أن يعجِّل الله لهم بالعذاب فأبطأ، فألقى الشيطان في أمنيَّته وساوسَ؛ كما قال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟﴾ [يوسف: ١١٠]، وقال: ﴿وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٤]، وقولُه تعالى: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾؛ أي: يزيله عن القلب ﴿ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾؛ أي: يُلهِمه صدقَ مواعيده.

وعلى التأويل الأول: فيُبْطِلُ الله تعالى ما تكلَّم به الشيطان؛ أي: يُظهِرُ بطلانَه بالوحي بعده، ﴿ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾ فيُثْبِتها[2] ويحفظها عن لحوق الزيادة من الشيطان بها.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾: ﴿عَلِيمٌ﴾ بوقت إنزال العذاب وبقصد الشيطان ﴿حَكِيمٌ﴾ لا يدعُه حتى يكشفَه ويزيلَه.

---

(١) في (أ): «ونادى».

(٢) في (أ) و(ف): «يبقيها».

(٥٣) ـ ﴿ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾: أي: نِفاقٌ.

﴿وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ﴾: أي: وللقاسيةِ قلوبُهم وهم الكفار، صار ذلك فتنةً لهم؛ اعتقَدوا كلام الشيطان كلامَ الله وحقَّقوا[1] شفاعتَها ونفعها.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾: أي: وإن المشركين لفي خلافٍ للحق[2] بعيد عنه.

(٥٤) ـ ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾: أي: أُعطوا العلمَ بالله وبدِينه وبالآيات ﴿أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾ أي: أنَّ نسخَ ما يُلقي الشيطان.

وقيل: أنَّ القرآنَ الحقُّ من ربك.

﴿فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ ﴾: أي: فيصدِّقوا به ﴿فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ﴾؛ أي: تلينَ وتطمئنَّ.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ﴾: أي: لمثبِّتُهم[3] على الهدى ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾: دينِ الإسلام.

* * *

(٥٥) ـ ﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾.

---

(١) في (ر) و(ف): «كلام النبي ﷺ وحفظوا».

(٢) في (ر) و(ف): «الحق».

(٣) في (أ): «ليثبتهم».

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾: أي: في شكٍّ من إلقاء الشيطان، وقيل: من الحق.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ﴾: أي القيامةُ ﴿بَغْتَةً﴾: فجأةً.

﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾: قيل: يومٌ لا خيرَ فيه ولا فرحَ كالريح العقيم التي لا مطر معها؛ قاله الضحاك[١].

وقيل: يوم لا ليلةَ بعده كالعقيمِ لا ولد لها[٢].

واختُلف في ذلك اليوم:

قال قتادة: هو يومُ بدر[٣]، قُتلوا فيه فلم يكن لهم بعده ليلةٌ في الحياة، والشكُّ يزول للكافر إذا مات، ويزول أيضاً بالقيامة.

وقال أيضاً سعيد بن جبير وعكرمة: هو يومُ القيامة لا ليلةَ بعدها[٤].

ومعنى الجمع بين الساعة وبينه: أن الأول ذكرُ القيامة والثاني ذكرُ عذاب يوم القيامة.

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٢٧٧)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٥/ ٤٤٥)، وانظر التعليق الآتي.

(٢) روي هذا القول عن الضحاك. انظر: «تفسير الطبري» (١٦/ ٦١٦)، و«غريب القرآن» لابن عزير (ص: ٣٣٧)، و«الهداية» لمكي (٧/ ٤٩٢١)، و«تفسير الثعلبي» (٧/ ٣١)، و«تفسير البغوي» (٥/ ٣٩٦)، و«الدر المنثور» (٦/ ٧٠) عن عبد بن حميد وابن أبي حاتم. ورواه عنه أيضاً ابن عدي في «الكامل» (٧/ ٢٩٣). ورواه الطبري أيضاً (١٦/ ٦١٦) عن عكرمة، وابن أبي حاتم عن مجاهد، وعبد بن حميد وابن المنذر عن سعيد بن جبير. انظر: «الدر المنثور» (٦/ ٧٠)

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٩٤٧) ثم قال: ذكره عن أبي بن كعب، ثم روى بعده برقم (١٩٤٨) عن قتادةَ قال: (بَلَغني أنَّ أُبيَّ بنَ كعبٍ كان يقول: أربعُ آياتٍ نزلت في يومِ بدرٍ هذه إحداهنَّ: ﴿يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾: يومُ بدرٍ...).

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٣٧) عن عكرمة.

وقيل: الساعة هي النفخة الأولى، وهي بموت كلِّ الخلائق، وبه تزول الشكوك، والثاني هو يوم البعث والجزاء.

* * *

(٥٦ ـ ٥٧) ـ ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾: أي: إذا قامت القيامة فزالت غلبةُ المتغلِّبين ومعارضةُ المعاندين، وهو كقوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، وقولهِ تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾: يُنزل كلَّ واحد من هذين الفريقين منزلة: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾: هذا هو[1] حكم أحد الفريقين ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾: وهذا حكم الفريق الآخر[2].

* * *

(٥٨ ـ ٥٩) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾: في الجنة ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾: هو تخصيصُ قوم من الفريق الأول، وهو خير المعطين لأنه لا يعطي أحدٌ عطاءه في الكثرة والجلالة والدوام وزوالِ الشوائب.

---

(١) «هو» زيادة من (أ).

(٢) في (ر) و(ف): «الفريقين الآخرين».

وقوله تعالى: ﴿لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ﴾: الجنة، وهذا وصف لها بكلِّ[1] جميل؛ لأن ما وقع موقع الرضا فقد كمل.

وقرأ نافع: ﴿مَدْخَلاً﴾ بفتح الميم، وهو موضع الدخول، وقرأ الباقون بضمها[2]، وهو موضع الإدخال.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ﴾: بأحوال المهاجرين ﴿حَلِيمٌ﴾ بتأخير العذاب عن المشركين.

(٦٠) - ﴿۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾: أي: ذلك الموعود للمهاجرين كما أعلمناكم به، ولهم مع ذلك أنِّي أنصرهم في الدنيا على مَن بغَى عليهم.

وقال مقاتل: التقَى جماعة من المشركين بجماعة من المؤمنين وقد بقي من المحرَّم يومان، فقال المشركون بعضُهم لبعض: إن أصحاب محمد لا يقاتلون في الشهر الحرام فتعالَوا نشدُّ[3] عليهم ونقتلهم، فلما اضطرَّهم المشركون قاتلوهم وغلبوهم، ثم حدَّثوا أنفسهم مهتمِّين بما صنعوا في الشهر الحرام، فنزلت الآية وعذَرهم الله تعالى[4].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾: يعفو عنهم ويغفر لهم.

* * *

(٦١) - ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾.

---

(١) في (ر): «وصف لكل».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٣٩)، و«التيسير» (ص: ٩٥).

(٣) في (ف): «في الشهر المحرم فنشد» وفي (ر): «في الشهر الحرام فقالوا نشد».

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ١٣٥).

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾: أي: ذلك الذي أخبرتُكم أني فاعلُه هو بأني قادر على ما أشاء؛ أُدخل الليلَ في النهار وأُدخل النهار في الليل بنقصان أحدهما وزيادة في الآخر، وبأني أنا السميع للأصوات والبصير للمبصَرات لا يخفى عليَّ شيء، ولا يخفى عليَّ المطيع من العاصي، والمؤمنُ من الكافر، والمهاجر من القاعد، ومتبع الشيطان من المخالِف، فلكلٍّ واحد جزاءٌ مني على وَفْق عمله لا أعجز عنه.

(٦٢) ـ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾: أي: ما ذكرتُه من آيات قدرتي بأني أنا الله المستحِقُّ للإلهية، ومَن كان إلهاً حقًّا كان قادراً على كلِّ شيء، مصرِّفاً كلَّ شيء على ما أراد.

﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾: قرأ نافع وابن عامر بتاء المخاطبة، والباقون بياء المغايبة[١].

﴿هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾: أي: الأصنامُ خاليةٌ عن هذه الصفات، فبطَل وصفُها بالإلهية.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ﴾: أي: العالي على كلِّ شيء بالقهر والسلطان، دون توهُّم المكان.

﴿ٱلْكَبِيرُ﴾: بالجلال والقدرة والكمال.

* * *

(٦٣) ـ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٠)، و«التيسير» (ص: ١٥٨). وقراءة ابن كثير وأبي بكر مثل نافع وابن عامر.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾: أي: ألم تعلم ـ استفهام بمعنى التقرير ـ أن الله أنزل من السماء ماء وهو المطر.

﴿فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾: أي: فتصيرُ بالنبات خضراءَ، فمَن قدر على هذا قدر على إنشاء الأجسام وعلى إحياء الموتى[1] وعلى كلِّ شيء.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾: عالم ببواطن الأشياء ﴿خَبِيرٌ﴾ بظواهرها.

وقيل: ﴿لَطِيفٌ﴾: بارٌّ بخلقه ﴿خَبِيرٌ﴾ عالمٌ بمصالحهم.

* * *

(٦٤) ـ ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾.

قوله تعالى: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: ملكاً وخلقاً ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾: المستغني عن ذلك كلِّه ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾: المحمودُ على جميع الأفعال، المنزَّهُ عن صفات الذم.

وقيل: أي: المستحِقُّ للحمد وإنْ ضلَّ عن حمده الضالُّون.

* * *

(٦٥) ـ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: وهذا بيانُ مِنَّتِهِ بتسخير ما في الأرض من الحيوان وغيرِه لنا مما بنا حاجةٌ إليه في معاشنا[2]، فلا أصلب من الحجارة والحديد، وقد ذلَّلهما لنا نتخِذُ منهما ما نريد.

---

(١) في (أ): «الأموات».

(٢) في (أ): «إليه من معايشنا».

﴿وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى﴾: أي: وأنَّ الفلك، أو يكونُ عطفاً على قوله: ﴿مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: سخَّرها لكم تجري(١).

وقوله: ﴿فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ﴾: أي: بتسخيره وتصييره إياها كذلك علَّمكم صنعتها لتقطعوا بها المسافات البعيدةَ في المدة القريبة.

وقوله تعالى: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ﴾: أي: يمنعها عن الوقوع ﴿عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾؛ أي: بإرادته وتَخْلِيَته، فتقعُ إذا لم يمسكها.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾: فلِرَأْفته ورحمته هيَّأ لهم هذا كلَّه.

* * *

(٦٦) ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ﴾: وكنتُم مُضَغاً وعَلَقاً وعظاماً، ولولا إحياؤه لكنتُم جماداً، فعل بكم ذلك وسخر لكم هذا كلَّه ليمتحنكم بالشكر.

﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾: لآجالكم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ للحساب والجزاء.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ﴾: للنعم في الغالب ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

* * *

(٦٧) ـ ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ ۚ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾: قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: عيداً(٢).

---

(١) «تجري» ليست في (أ).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٦٢٦).

وقال مجاهد وقتادة: أي: متعبَّداً في إراقة الدم بمنًى وغيره[١].

وقيل: هو جمع العبادات، وأصل النُّسُك: العبادةُ، والناسك: العابد، والمتنسِّك: المتعبِّد. ويطلق[٢] على الحج لأنه منها، وعلى القربان كذلك لذلك.

قيل: لمَّا نبَّه الله تعالى على قدرته وعلمه، وعلى أنه الإله الحقُّ، ووعد قبل ذلك مَن جاهد في دينه النصرَ[٣] بعد أن أذن لهم في القتال وأمرهم بالهجرة= أمر رسولَه ﷺ بالجدِّ[٤] في الدعاء إلى الدين، وعرَّفه وجه معاملتهم والاحتجاجِ عليهم، فقال: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾؛ أي: شَرَعْنا لكلِّ أمة خلت[٥] ضرباً من العبادة هم متنسِّكون به مأخوذون[٦] عليه، وهو كما قال: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

وقوله تعالى: ﴿فَلَا يُنَازِعُنَّكَ﴾: أي: فليس لأحد من بقايا تلك الأمم منازعتُك[٧] ﴿فِي الْأَمْرِ﴾؛ أي: فيما تَأمر به أمتَك من الشرائع؛ إذ قد كانت لهم شرائع يخالفُ بعضها بعضاً، فكذا هذه الشريعة، فإنْ خالفْتَ تلك الشرائع فليس لهم منازعتُك فيها.

وقوله تعالى: ﴿وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾: أي: إلى دينِ ربك ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾؛ أي: دلالةٍ على سبيلِ رشدٍ.

---

(١) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٦٢٦ ـ ٦٢٧). ورواه عن قتادة أيضا عبد الرزاق في «تفسيره» (١٩٤٩).

(٢) في (ف): «وهو مطلق».

(٣) في (أ): «بالنصر»، وفي (ف): «له النصر».

(٤) في (ر) و(ف): «يأخذ».

(٥) في (ر): «لكل منهم».

(٦) في (أ): «ماضون»، وفي (ف): «ما موصول»

(٧) في (أ): «فليس أحد... ينازعك».

(٦٨ ـ ٦٩) ـ ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝٦٨ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ﴾: ليُدْحِضوا بباطلهم حقَّك فلا تمارِهم.

﴿فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: من الكفر، والجدال بالباطل، والتعنُّتِ بعد ظهور الحجة.

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾: فيجزي المحِقَّ على حقِّه والمبطِلَ على باطله.

وقيل: ولكلِّ أمةٍ جعلنا موضعَ قربانٍ يتقرَّبون بذلك إلى الله تعالى، فأهلُ الـمِلَل معترفون[(١)] بذلك، فليس لهم منازعتُك فيما أتيتهم به من الذبائح لاتِّفاقهم على شرعة الماضين[(٢)]، فلا معنى لمنازعتهم إياك في ذبائح مكة، ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾؛ أي: إلى طاعته فيما أَمر به من الحج والنحر، فهذا الجدال على هذا كان من أهل الكتاب المنكِرين فضلَ مكة وكونَ الكعبةِ قبلةً.

وقيل: هو جدال المشركين المذكورُ في قوله: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾ [الأنعام: ١٢١] وهو قولهم: تأكلون مما أمتُّم ولا تأكلون مما أماته الله تعالى.

وقال الزجاج: ﴿فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ﴾؛ أي: فلا تنازعنَّهم، وهو مستقيمٌ في كلِّ فعلٍ يكون بين اثنين ونهي أحدهما نهي الآخر، تقول: لا يخاصِمَنَّك فلان؛ أي: لا تخاصمنَّه[(٣)]، وإنما نهى عنه لأنهم ما كانوا يجادلونه لطلبِ الحق بل للتعنُّت.

* * *

(١) في (ف) و(ر): «متقربون».

(٢) في (ر) و(ف): «على شرعها».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٤٣٧).

(٧٠) ـ ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾: فلا يخفى على الله شيء من حالِ المجادِلين وتجرُّئهم[1] على ذلك يوم الدين.

وقوله: ﴿إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ﴾: أي: كلُّ ما في السماء والأرض فهو مكتوب في أمِّ الكتاب عنده قبل خَلْقهما.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾: أي: إثباتُه في الكتاب سهلٌ عليه لا يَلحقُه فيه مؤنةٌ كما يَلحق كَتَبَةَ الخلق.

وقيل: أي: الحكمُ بينهم يوم القيامة يسيرٌ لا يَلحقه ما يَلحق قضاةَ الخلق من الحاجة إلى استنباطِ وجه الحكم ونحوِ ذلك.

وقيل: نزلت الآية في بُدَيلِ بن وَرْقاءَ الخزاعيِّ وبشرِ بن سفيان ويزيد بن خُنيسٍ من بني الحارث بن عبد مناف بن تميم، قالوا لأصحاب رسول الله ﷺ: ما لكم تأكلون ما تقتلون بأيديكم ولا تأكلون ما يقتله الله تعالى؟! فنزل: ﴿فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ﴾[2].

وقال القشيري رحمه الله: جعل لكلِّ فريق شرعةً هم واردوها، ولكلِّ جماعةٍ طريقةً هم سالكوها، ومقاماً هم سكَّانه، ومحلًّا هم قُطَّانه، ربط كلًّا بما هو أهلٌ[3]

---

(١) في (ف): «وتحزبهم».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٣٣)، والبغوي في «تفسيره» (٣/ ١٨١). وروى الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥٢٣) عن عكرمة: أن ناساً من المشركين دخلوا على رسول الله ﷺ فقالوا: أخبرنا عن الشاة إذا ماتت من قتلها؟ فقال: «الله قتلها»، قالوا: فتزعم أن ما قتلت أنت وأصحابك حلال، وما قتله الله حرام؟ فأنزل الله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١٢١].

(٣) في (أ) و(ف): «بما أهّله»، وفي (ر): «بما هو أهله»، والمثبت من «اللطائف».

له، وأوصَل كلًّا إلى ما جعله محلَّه، فبساطُ التَّعبُّد موطوءٌ بأقدام العابدين، ومَشاهد الاجتهاد معمورةٌ بأصحاب الكُلَف من المجتهِدين، ومجالسُ أصحاب المعارف مأنوسةٌ بلزوم العارفين، ومنازل المحبِّين مأهولةٌ[1] بحضور الواجدين[2].

* * *

(٧١) ـ ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾: أي: حجةً؛ لأنهم يعبدون ما لا يَضرُّ ولا ينفع، ولا يبصرُ ولا يسمع، وهذا ما لا حجةَ لأحد في عبادته، ولو كانت في ذلك حجةٌ لأنزلها الله تعالى في كتابه.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾: أي: يعبدون ذلك مقلِّدين آباءهم من غيرِ علم بذلك.

قوله: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾: وهذا وعيد لهم؛ أي: وإذا نزل بهم عذابُ الله في الدنيا والآخرة لم يكن لهم منه مانعٌ.

(٧٢) ـ ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾: أي: وإذا قرئ على هؤلاء الذين يعبدون الأوثان كتابُنا الذي جعلنا آياته أعلاماً للناس إلى ما بهم إليه حاجةٌ، ووجدوها

---

(١) في هامش (أ): «أو معمورة»، والمثبت موافق لما في «اللطائف».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٥٥٩).

واضحاتٍ لا لَبْس فيها ولا موضعَ اعتراضٍ، وعجزوا عن معارضته ﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ﴾؛ أي: التغيُّر لسماعه والكراهةَ والاغتياظَ لتاليه.

﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا﴾: أي: يبطشون بهم ويَثِبُون عليهم.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ﴾: أي: بأكرهَ من سماع القرآن عندكم.

وقيل: ﴿بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ﴾؛ أي: بأشرَّ(١) وأغلظ.

﴿ٱلنَّارُ﴾: أي: ذلك هو النار ﴿وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ وأنتم منهم ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾؛ أي: وبئس المرجعُ النارُ.

* * *

(٧٣) ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ﴾: ينتظِم بقوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا﴾ يقول: يأيها الناس جُعل لي مَثَلٌ؛ أي: مِثْلٌ، وهو كالشَّبه والشِّبْه(٢)؛ أي: جَعَل الكفار لي الصنمَ مِثْلاً(٣).

---

(١) في (ر) و(ف): «أشر».

(٢) في (ر) و(ف): «أي تمثل وهو كالشبه والتشبيه».

(٣) في (ر) و(ف): «شبيها». وهذا الوجه من التفسير قال نحوه أيضاً الأخفش في «معاني القرآن» (٢/ ٤٥٢)، ونقله الطيبي في حاشيته على «الكشاف» المسماة «فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب» (١٠/ ٥٣٠) عن المؤلف في «تفسيره» هذا، ثم تعقبه بقوله: في جعل (ضُرِبَ) بمعنى: جُعِل هذا له، عدولٌ عن الظاهر، وخرمٌ للنظم الفائق؛ فإن قولَه تعالى: ﴿ضُرِبَ مَثَلٌ﴾ مُجملٌ بُيِّنَ بقولِه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وقولَه: ﴿فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ﴾ تقريرٌ لما يُراد من الإبهام والتبيين، من توخِّي التفطن لما يُتلى بعد المجمل، وتطلُّب إلقاء الذهن، ويؤيده تصديرُ الآية بقوله: =

﴿فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓ﴾: أي: استمعوا له[1] حالَ ما شبَّهوه بي؛ لتَقِفوا على جهلهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: أيها المشركون؛ أي: تَدَّعونهم آلهة، وقيل: أي: تعبدونها.

وقوله تعالى: ﴿لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابًا﴾: أي: لن يقدروا على خلقِ ذبابٍ مع صغره وذلِّه[2] ﴿وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥ﴾ مع كثرتهم.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا﴾: أي: ولو استَلَب الذباب من هذه الأصنام شيئاً ﴿لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُ﴾؛ أي: لا يقدروا على أن يخلِّصوه منه، وجَزْمُه بكونه جزاءَ الشرط، والجمع بالواو والهاء والميم وهي لا تعقل لِمَا أنهم أنزلوها في هذه منزلةَ العقلاء؛ كما قلنا[3] في قوله: ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤].

وقوله تعالى: ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ﴾: ضعفَ الصنمُ الذي سلبه الذباب شيئاً فصار طالباً عند الذباب ما أخذه منه، والمطلوب الذبابُ ثبت عليه ما سلب، وتوجَّه إليه[4] الطلب.

وقيل: معناه على هذا: ضَعُفَ كلُّ واحد منهما، فلا فرقَ بين مَن عبد هذا أو ذاك، بل الذباب أقرب إلى القوة والعزة[5] من الصنم الذي لا يَدفع سلبَ الذباب عنه.

= ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾، وتذييل المثل بقوله تعالى: ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾، وتعليله بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

وحكاه الآلوسي في «روح المعاني» (١٧/ ٤١٠) عن الأخفش، ثم استبعده بقوله: والحق الذي لا ينكره إلا مكابر: أن تفسير الآية بما حكي فيه عدول عن الظاهر.

(١) «أي: استمعوا له» ليس في (أ).

(٢) في (ر) و(ف): «وقلته».

(٣) «قلنا» زيادة من (أ).

(٤) في (ر) و(ف): «عليه».

(٥) في (ر) و(ف): «والعدة».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن المشركين كانوا يلطخون أصنامهم بالعسل في كلِّ سنة مرةً، ويغلقون أبواب البيوت، فيدخل الذباب من(١) الكُوى فيأكل ذلك العسل، فإذا رأوا ذلك قالوا: أكلت آلهتُنا العسل(٢).

فعلى هذا: الطالبُ الذباب والمطلوبُ الصنم(٣).

قال ابن كيسان وابن زيد: كانوا يُحَلُّون الأصنام بالجواهر واليواقيت، فربما سقط منها واحد فيأخذها طائر أو ذباب، فلا تقدر الآلهةُ على استردادها، فالطالب في هذا القول الطائر والذباب والمطلوب الصنم(٤).

وقيل: هذا منقطِعٌ عن الأول وهو الذباب، ومعناه: ضعُف الطالب من بني آدم حاجةً إلى الصنم والراجي منه نفعاً أو شفاعةً؛ إذ صار يؤمِّل جماداً لا يدفع ولا ينفع، وضعف الصنم المطلوب منه الحاجةُ، وهو معنى قول الضحاك: ضعف العابد والمعبود(٥)، كانوا يطلبون في عبادتهم الثواب ما وصلوا إليه(٦).

* * *

(٧٤) ـ ﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾: أي: ما عظَّموه حقَّ عظمته، وقيل: ما وصفوه حقَّ صِفَته.

---

(١) في (أ): «في».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٣٤).

(٣) رواه عن ابن عباس الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٦٣٦) مختصراً بنحو هذا، ولفظه: ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ﴾ قال: آلهتهم ﴿وَٱلْمَطْلُوبُ﴾: الذباب.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٣٤).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٣٤)، والواحدي في «البسيط» (١٥/ ٥٠١)، والبغوي في «تفسيره» (٥/ ٤٠٠).

(٦) قوله: «ما وصلوا إليه» ليس في (أ).

قال الفرَّاء: هو كما تقول في الكلام: ما عرفتُ لفلانٍ قَدْرهُ(١).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ﴾: على خَلْق ما يشاء من صغيرٍ وكبيرٍ ﴿عَزِيزٌ﴾؛ أي: منيع(٢) لا يقدر أحدٌ أن يسلب من ملكه شيئاً.

وقيل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ﴾ أي: بيِّن مثلٌ لعبادة الكفار الأصنامَ، ثم لم يبيِّنه في هذه السورة، وبيِّن في قوله: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ [العنكبوت: ٤١].

وقيل: ما ذكر هاهنا مَثَلٌ أيضاً تقديره: يا أيها الناس مَثَلُكم مَثَلُ مَن عبَد آلهةً اجتمعت لأنْ تخلقَ ذباباً فلم تقدر عليه، وإنْ سلَبها الذباب شيئاً لم تستنقذه منه(٣).

***

(٧٥) ـ ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾: أي: يختار منهم رسلاً يُوحي على ألسنتهم كجبريل وميكائيل ونحوهما.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ أيضاً رسلاً، منهم محمد ﷺ لتبليغ ما في هذه السورة وسائر رسالاته.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾: عالمٌ بكلِّ شيء، فهو يعلم مواضع الاختيار والاصطفاء، قال تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الدخان: ٣٢].

***

(٧٦) ـ ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٣٠).

(٢) في (ف): «ممتنع».

(٣) في (أ): «فسلبها الذباب شيئاً فلم يستنقذوه منه»، بدل: «وإن سلبها الذباب شيئاً لم تستنقذه منه».

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: قبل خلقهم ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾؛ أي: بعد أنْ خلَقهم.

وقال الكلبي: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من أمر الآخرة ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من أمر الدنيا.

وقيل على عكسه.

وقوله تعالى: ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾: أي: إلى علمه وتدبيره.

وقيل: إلى الله ترجع الأمور في الآخرة فيَجزي كلًّا بما عمِله، وهو تحريضٌ[1] على طاعة الرسل وقبولِ ما يؤدُّون.

* * *

(٧٧) - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾: أي: صلُّوا ودُوموا عليها، وخصَّ الركوع والسجود بالذكر من بين أفعالها لأنهما هما المقصودان والأصلان في التذلُّل والخشوع الذي لذلك شُرِعت.

قوله تعالى ﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾: يقول: اقصدوا بالخدمة وأفرِدوا[2] بالعبادة ربَّكم، لا كما يفعلُه هؤلاء المشركون من عبادة الأصنام الذين جُعِلوا لله شبيهاً[3].

وقوله تعالى: ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ﴾: أي: ما هو محمودٌ في عقولكم: من العدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ونحوها.

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: على رجاء الفلاح، والتعليقُ بالرجاء لاحتمالِ الخلل الذي يقع فيها.

---

(١) في (أ) و(ف): «تحريك».

(٢) في (أ): «وأفردوا»، وفي (ف): «وأوردوا».

(٣) في (أ) و(ف): «شبهاً».

(٧٨) ـ ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾.

وقوله تعالى ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾:

قيل: أي: استفرِغوا جهدكم في إحياء دين الله تعالى.

وقيل: جاهدوا أنفسَكم وردُّوها عن الهوى واتِّباعِ الشهوة.

وقيل: وجاهدوا الشيطان في رد وساوسه.

وقيل: وجاهدوا الكفار.

وإطلاقه يصلح لتناول الكلِّ ﴿حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾[1] وهو بلوغ أقصاه.

وقيل: هذا في الائتمار بأوامره، وقولُه تعالى: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢] في الانتهاء بنواهيه.

قوله: ﴿هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ﴾: أي: اختاركم[2] للذب عن دينه والجهادِ مع أعدائه.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ﴾: أي[3]: ضِيق، وإن كان أمَر بالجهاد فلا تضييق فيه، ولذلك أزال الحرج في الجهاد عن الأعمى والأعرج، وعادمِ النفقة والراحلةِ، والذي لا يأذن له أبواه[4]، ثم هكذا كلُّ أمور الدين.

---

(١) «حق جهاده» زيادة من (أ).

(٢) بعدها في (أ): «قيل أي».

(٣) في (أ): «من».

(٤) في (أ): «أبوه».

وقوله تعالى: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾: نصب على الإغراء؛ أي: الْزَموا ملة أبيكم إبراهيم.

﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾: أي: اللهُ شرَّفكم بهذا الاسم.

وقوله تعالى: ﴿مِن قَبْلُ﴾: أي: من قبل أن يبعث محمداً ﷺ؛ لأنه كان سمَّى مَن اتَّبع ملة إبراهيم حنيفاً مسلماً ﴿وَفِي هَٰذَا﴾ أي: القرآن.

وقيل: ﴿مِن قَبْلُ﴾؛ أي: في اللوح المحفوظ.

وقيل: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾؛ أي: إبراهيمُ؛ لقوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٨].

وقيل: أي: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ﴾ خطابٌ للعرب؛ لأنه أبوهم في النسب.

وقال الحسن: هو خطابٌ لكل الأمة، وهو أبوهم ملةً، وحرمتُه عليهم كحرمة الأب، وكذلك في[(١)] الشفقة، وهما[(٢)] كما قال الله تعالى في حق نبيِّنا محمد ﷺ: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦][(٣)].

وقوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ﴾: أي: في القيامة بأنكم قبِلتُم ما أتى به، وظهرت بذلك عدالتُكم، وصرتُم[(٤)] شهداءَ ﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ للأنبياء على أممهم[(٥)] بتبليغهم إليهم الرسالة.

---

(١) «في» ليس من (أ) و(ف).

(٢) «وهما» ليس من (ف).

(٣) ذكره بنحوه الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٣٦).

(٤) في (أ) و(ف): «وتكونوا».

(٥) في (أ): «الأمم».

﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: دُوموا على ذلك، والصلاة تذلُّل لله تعالى، والزكاة مواساةٌ لضعفاء[1] عباد الله.

وقوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ﴾: أي: تقوَّوا[2] بالتوكُّل على الله.

وقيل: تعلَّقوا بدين الله.

وقيل: امتَنِعوا عن أعدائكم بالله.

﴿هُوَ مَوْلَىٰكُمْ﴾: أي: متولِّي أموركم ومصالحِ دينكم ودنياكم، وقيل: وليُّكم، وقيل: ناصركم.

قوله تعالى ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾: لأن مَن تولَّاه لم يَضِعْ بحال[3].

وقوله تعالى: ﴿وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾: فإن مَن نصَره لم يُخذل بحال.

وقال القشيري رحمه الله: المجاهدة على أقسام:

مجاهدةٌ بالنفس: وهي أن لا يدخر ميسوراً إلا بذله في طاعته.

ومجاهدةٌ بالقلب: وهي صَونه عن الخواطر الرديَّة؛ مثلِ الغفلة عنه والعزمِ على مخالفته.

ومجاهدةٌ بالمال: وهي بذلُ المال والجودُ والإيثارُ في حق خليقته.

وقال: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾ ومِن حق اجتبائه إياكم أن تعظِّموا أمر[4] مولاكم.

---

(١) في (ر) و(ف): «الضعفى».

(٢) في (ر): «ثقوا»، وفي (ف): «قفوا».

(٣) في (ف): «له حال».

(٤) في (ر) و(ف): «أمور».

وقال: عَلِم قبلَ خلقك ما يكون منك، ولم يمنعه ذلك من اجتبائك[١]، فلا يمنعه ما يكون منك من العصيان عن مغفرتك[٢].

وقال: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ﴾: بالتبرِّي من الحول والقوة، والافتقارِ والاستعانة.

وقال: ﴿فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ﴾ إخبار عن عظمته ﴿وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ إخبار عن رحمته.

قال: وقال تعالى لسليمان وأيوب: ﴿نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ﴾ [ص: ٣٠][٣] وقال لنا: ﴿نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ وهذا أرجى لنا وأطيبُ لقلوبنا[٤].

والحمد لله رب العالمين

والصلاة على محمد خاتم المرسلين، واختم لي يا مولاي بالإيمان مع المؤمنين[٥]

***

---

(١) في (ف): «عن إحسانك». وفي «اللطائف»: (من أن يجتبيك).

(٢) في (ف): «مغفرته».

(٣) قال في أيوب: ﴿إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾ [ص: ٤٤]، وقال في سليمان: ﴿وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٣٠].

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٥٦٤ ـ ٥٦٦).

(٥) في (أ): «اللهم إني أعوذ بك من شر كل شر، وارزقني خلق كل ذي خير، ونجنا من القوم الظالمين، برحمتك يا أرحم الراحمين».

وفي (ف): «والصلاة والسلام على خاتم المرسلين، وآله وصحبه أجمعين، واختم لي بالإيمان مع المؤمنين».

بدل: «والصلاة على محمد خاتم المرسلين، واختم لي يا مولاي بالإيمان مع المؤمنين».